الجزء الأول المجلد الثالث والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العراقي



ربيع الأول ١٤٠٢ هـ
كانون الثاني ١٩٨٢ م

الجزء الأول المجلد الثالث والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العراقي



ربيـع الأول ١٤٠٢ هـ
كانون الثاني ١٩٨٢ م



محاولة في تفسير عملية التقدم

الدكتور سعدون حمادي

(عضو المجمع)

— ١ —

في الادبيات السياسية المتداولة الآن، لغة فيها شيء من الاختلاف عن لغة الكتابة السياسية قبل عقود من السنين، ويتضح ذلك في التعابير والكلمات الجديدة، التي ادخلت واصبحت متداولة، ولكن ذلك وان كان امرا طبيعياً الا ان فيه شيئاً من الصعوبة التي تستحق الملاحظة . ومصدر هذه الصعوبة هو ان العبارات والكلمات غير محددة المعاني، ويعود ذلك الى عامل الاقتباس، من دون المحافظة على معاني الكلمات في مصادرها الاصلية واستخدامها في معاني أخرى مختلفة عن قصد أو سوء فهم . كما يوجد هناك عامل شكلي اساسه إما الرغبة في التجديد في الألفاظ أو عدم وضوح المعاني عند الكاتب نفسه وقد يكون احياناً بسبب التقليد . ومهما يكن الأمر في ذلك فهناك حاجة ماسة لضبط معاني الكلمات التي تستخدم، وتحديد معانيها بصورة دقيقة وبلغة واضحة، ليكون ذلك بمثابة المفتاح لفهم ما هو غير مفهوم في المادة المقروءه لمنع الالتباس بين معنى ومعنى آخر أو لمنع مجرد الغموض. وتلك هي وظيفة تعريف الكلمات التي كثيرا ما يستهين بها البعض معتبرا ذلك عملا ابتدائيا لا يستحق الاهتمام .

الكتابة وسيلة لنقل الافكار ، ونقل الافكار يجب ان يكون لغرض ايجابي هو في النهاية المساعدة على زيادة المعرفة أو ما يسمى في الأدبيات المتخصصة التوصل الى الحقيقة واذا لم يتحقق هذا الهدف تصبح الكتابة عديمة الجدوى

او حتى ضارة. فالتشويش الذي ينشأ عن الالتباس، ضار بحد ذاته، من حيث أنه يزعزع امورا اكتسبت شيئاً من الاستقرار في الذهن بكل ما ينطوي عليه ذلك من اضعاف الثقة ونمو الشك.

يقال احياناً ان غرض الكتابة هو ان تكون سبباً لاثارة النقاش وليس التوصل الى نتائج محددة. ان ذلك قد يكون صحيحاً وقد لا يكون اذ بجميع الاحوال يجب ان تكون الكتابة واضحة من حيث تحديد المعاني وضبط المقصود، والكتابة الغامضة لا تساعد على التفكير ولا تحرك نقاشاً ذا معنى بل تخلق الشك والحيرة وهي امور تبعد ولا تقرّب الانسان من الحقيقة.

المسألة المنهجية الأخرى الجديرة بالعناية تتعلق بدور النظرية في تكوين المعرفة المفيدة، والمقصود بالمعرفة المفيدة: المعرفة التي تساعد على ايجاد الحلول لقضايا الانسان والمجتمع. هناك فهم خاطئ وشائع لدور النظرية في عملية التقدم فكثيراً ما تعتبر النظرية على أنها كشف كامل للحقيقة بشكلها المطلق وبذلك تكون قابلة للتطبيق المطلق اي في كل زمان وفي كل مكان.

ويستند هذا الرأي على أساس وجود حقيقة كاملة مطلقة تفسر الكون والمجتمع والطبيعة البشرية، وكل ما نحتاجه هو كشف هذه الحقيقة من خلال العمل الفكري ومتى ما تم ذلك أصبح لدينا الحل لكل شيء. وبما ان الحقيقة مطلقة وتامة لذلك فالحل للمشاكل هو مطلق وتام. ان هذا الميل ناتج في الغالب عن التبسيط للامور وعن الرغبة في ايجاد معادلات جاهزة وتامة لتفسير المشاكل الاجتماعية وايجاد الحلول لها.

وهناك ملاحظتان عن النظريات المتداولة المحتوية على مثل هذه الحلول. هناك اولا عامل العقيدة المسبق، والمقصود بالمسبق: هو أنه سابق للبحث العلمي ومايمكن ان ينتج عنه كأن يكون للمفكر عقيدة ما يؤمن بها خارج نطاق البحث العلمي موجودة لديه قبل أن يدخل مجال البحث وتكون ذات أثر في النتائج التي يتوصل

اليها؛او بالاحرى يكون البحث العلمي وسيلة لإثباتها بدلا من أن يكون محايدا غير متأثر بموقف مسبق . فماركس كانت لديه رغبة مسبقة لإثبات حتمية انتصار الطبقة العاملة عندما وضع كتاباته ويصح نفس الشئ على عموم النظريات التي اتخذت شكل المذاهب . ففي هذه الحالة النتيجة معروفة مسبقاً قبل بدء عملية البحث العلمي . والموقف المسبق قد لا يتخذ شكل العقيدة بل قد يكون بشكل فكرة سائدة تمثل روح العصر ففي حقبات التاريخ المختلفة وفي المجتمعات المختلفة تظهر احياناً افكار تسود المجتمع وتصبح ما يصح ان نطلق عليه روح العصر . وفكرة روح العصر هذه قد تكون ذات اثر على النظريات التي تصاغ ؛أي أن تأتي النظرية كتفسير لروح العصر ، فالفكرة القومية كانت هي روح العصر في المجتمع الغربي وقت ظهور هيغل وعموم المدرسة المثالية على سبيل المثال .

والملاحظة الثانية تتعلق بعامل التبسيط والمقصود بالتبسيط هو أنّ المفكر قد يجلب انتباهه الى ظاهرة معيّنة ويبحث عنها فيجدها عاملا مهما في تفسير الكون و في فهم الطبيعة البشرية فيثار اهتمامه بها وبدلا من أن يستمر في تقصي العوامل الاخرى المعقدة يميل الى التبسيط فيجعل منها الاساس في بناء نظرية كاملة عن الكون أو الطبيعة البشرية . فقد حاول الاقتصادي شمبيتر ان يجعل من قضية الاختراعات العلمية والاكتشافات،القضية المركزية في تفسير التقدم الاقتصادي وحدوث الدورات الاقتصادية في حين أنّ هذا العامل وإنْ كان عاملا مهماً وذا أثــر إلا انّه ليس العــامل الوحيد في ذلك وهيغل جعــل من العامل الفكري العــامل الاساسي في التقــدم وتفسير التاريخ ، وماركس في مقابل ذلك جعل من العامل الاقتصادي،العامل الاساسي في ذلك . ان جميع هذه النظريات تنطوي على التبسيط الذي أشرنا اليه .

لذلك فالنظريات يجب أن ينظر إليها على اساس انها عمل فكري مهم وضروري؛وبامكانه ان يزيد من المعرفة؛ولكنه يجب ان يبقى في حدود توسيع

الافق والتبصير ولفت الانتباه لبعض الامور وشحذ التفكير وتحريكه وليس من أجل التطبيق الفعلي كما يتصور البعض . وبعبارة اخرى النظرية وإن كانت مفيدة في عملية توسيع الافق وتزويد القارئ بالأدوات اللازمة للتفكير ولكنها لا تقدم حلولا جاهزة قابلة للتطبيق الحرفي كما يدّعي البعض أو يتصور. إذن النظرية كعمل فكري هي في الاساس ذات فائدة عامة لتوسيع الافق والادراك ولكنّ ذلك شيء وايجاد حل مطلق لمشكلة المجتمع البشري شيء آخر. لذلك فلا مناص من الطريق الصعب أي الطريق الذي لا يستبعدالبحث النظري؛ ولكن لا بد من دراسة حالة كل مجتمع كحالة محددة في الزمان والمكان والاحاطة بتفاصيل اوضاعه وايجاد النظرية الملائمة لتلك الحالة أي أن يصوغ الفكر نظرية لكل مجتمع ولكل مرحلة تجمع التعميم والتخصيص بذات الوقت .

– ٢ –

المجتمع مركّبٌ معقّدٌ وليس خليطاً آنياً لا علاقة تفاعلية بين عناصره . في الخليط تبقى خواص كل عنصر على ما هي عليه اما في المركّب فبفعل عملية التفاعل تتغير خواص وصفات العناصر المكونةللمركّب. فالمجتمع مركب تدخل فيه عناصر عديدة تتفاعل بطرق مختلفة وتخضع لمؤثرات مختلفة باختلاف الزمان واختلاف المكان . صحيح هناك عوامل متماثلة في الطبيعةالبشرية إلا أنّ هذه العوامل بخضوعها لمؤثرات مختلفة تنتج مركّباً يختلف منحالة لأخرى . إذن هناك عامل التشابه وهناك عامل الاختلاف. ولنبحث هذين الجانبين كل على حدة.

لنبدأ بالجانب العام المتماثل في الانسان أي الذي يوجد في جميع البشر . هناك العامل الذاتي الذي قوامه الغرائز التي تعمل في النهاية من أجل المحافظةعلى البقاء أي المحافظة على الذات . . فالانسان يأكل ويشرب وينام وتعمل اجهزته بطريقة مشدودة لهدف المحافظة على الذات وهذا العامل المادي الذي قوامه

الغرائز هو مصدر الانانية بهذا المعنى ، معنى الدفاع عن النفس . ويشترك الحيوان والنبات بدرجات مختلفة واشكال مختلفة مع الانسان في هذا العامل فكما أنّ في الانسان دوافع ذاتية مادية للبقاء كذلك في الحيوان واحد ما في النبات وان هي تنازعت مع الاخرين فمن اجل البقاء والاستمرار وكون الانسان وحدة حية ولكنها متناهية اي محدودة تجعله يتضمن عنصرا ذاتيا هو مصدر ما يسمى بالانانية أي الإهتمام بالذات بكل ما ينطوي عليه ذلك من الدفاع عن النفس .

ومن المهم التنويه إلى أن الميل الاناني في الانسان لا يتعلق بموضوع الاخلاق فهو قد يكون مبرراً وقد لا يكون أي قد يكون مقبولا في المجتمع يقره القانون أو قد يأخذ شكلا متطرفا لا يقره المجتمع ولا القانون ومهما يكن سواء كان شرعيا ام غير شرعي فدافعه واحد هو الحسّ بالذات . وبعبارة اخرى إنّ قضية الشرعية او عدمها قضية اخلاقية اخرى تبحث بصورة مستقلة عن موضوع الدافع نفسه . والمقصود بالميل الاناني هذا هو كل ما يحركه الشعور بالذات او ما يكون سببه الانانية سواء اكان شرعيا مقبولا من المجتمع والقانون أم لم يكن كذلك ، فالمقصود هو الدافع وليس الموقف الاخلاقي منه . والمقصود هو كامل المدى الذي يتخذه الدافع بغضّ النظر عن الحدود التي تصنعها الاخلاق او المجتمع او القانون .

إنّ الادلة على وجود هذا الميل الأناني عند الانسان كثيرة ولا يصعب ايراد الامثلة عليها . إنّ البحث عن الطعام وكل قضية كسب العيش تقع ضمن هذا النطاق وكل النشاط الذي يقوم به الانسان من اجل المحافظة على ذاته أو من أجل ذاته يقع ضمن ما نحن بصدده . إنّ بحث الانسان عن عمل يكسب من ورائه عيشه هو من أجل الذات وبضمن حدود معينة وبمواصفات معينة يعتبر هذا النشاط مشروعاً . والحروب التي تقع بين البشر هي أيضاً دوافعها في النهاية ذاتية وهي كذلك يمكن ان تكون مشروعة ويمكن ان تكون غير مشروعة فهي يمكن

أن تكون تحريرية ويمكن أن تكون استعمارية . ولكنها مهما اختلفت دوافعها فهي تقوم من أجل الذات . والدافع الذاتي الذي نتحدث عنه قد يكون مادياً وقد يكون غير مادي. فالذي نقصده هو أنْ يكون مشدودا للذات اي لذات الانسان.

في الانسان ميول للشر والانانية والكسل والحيازة ، كلها من حيث الدافع متشابهة في أنّها ميول ذاتية . إنّ هذه الميول الذاتية لا يوجد لها حدود من ذاتها ، أي من داخلها بل الحدود تأتيها من الخارج أي من دنيا الاخلاق والمجتمع والقانون ويعني ذلك أنّ هذه الميول بحد ذاتها وكما هي غير محدودة وان وقع عليها شيْ من التحديد فهو بسبب عوامل خارجية اخرى لا تعود لطبيعة تلك الميول وماهيتها ، هذا هو الجانب الغريزي في الانسان والغريزة كَمَيْلٍ لا يوجد ما يحددها الا مما يحيطها وليس من داخلها ، أي اذا تفاعلت مع عامل آخر .

ولنتحول الآن إلى بحث العنصر الثابت في الانسان ، وهذا العنصر هو العنصر المثالي . في الانسان ميل للخير يمثله ما يسمى بالضمير ففي الانسان ميل طبيعي للاعتدال والانصاف والعدل والمساواة والتقدم الى آخر ما نعرفه من الصفات الحسنة. وهذا العنصر المثالي هو ما يمكن أنْ نعبّر عنه بعامل الخير في الطبيعة البشرية وبالتعبير الديني إنّه أثر الله في الانسان. يلاحظ أنّ الانسان بنفس الوقت الذي توجد فيه ميول انانية تدفع في اتجاه الشرّ فيه ميل معاكس لذلك ايضاً فالانسان يثور على الظلم ويضحي بنفسه من أجل الوطن ويعمل من أجل سعادة الآخرين. في الانسان نلاحظ وجود سعي متواصل في التاريخ من أجل التقدم تدل عليه الثورات وجهود المصلحين. وما ظهور الاديان ونشوء الحضارات الا الدليل على هذا الميل. فحيثما يوجد الظلم تتحرك ايضاً في الانسان ميول العدل وحيثما يوجد الفقر تنمو في الانسان الرغبة والسعي من اجل إزالته وحيثما يوجد الفساد تنمو ميول الاصلاح الاجتماعي وهكذا . في الانسان جانب خير يتنبه ويفعل مفعوله بدرجات متباينة حسب الحالة والظروف . وما النضال المستمر في البشرية من أجل المثل العليا إلا التعبير العلمي عن هذا الميل الاصيل في الانسان .

إذن هناك ميول الشر وهناك ميول الخير في الانسان ، والصراع قائم ومستمر بينهما ، ذلك الصراع الذي يتجسد في جميع حقبات التاريخ ويطبع المجتمع بطابعه ، ويلاحظ أنّ عملية الصراع المستمرة في التاريخ تأخذ اشكالا متعددة ، فهي صراع الانسان مع الطبيعة ، وصراع الانسان مع الانسان . ان صراع الانسان مع الطبيعة ، هو من أجل اخضاعها لمتطلبات حياته او توقي أضرارها ، وصراع الانسان مع الانسان هو من أجل التقدم في ناحية ما أو تجنب الضرر الواقع في ناحية من النواحي . وبصورة عامة فعملية الصراع هذه مستمرة ، وقد تعددت النظريات حولها ، إلا أنّها في النهاية ليست الا نتيجة للتعارض بين الميول المختلفة ، الخير من جهة والشر من جهة اخرى . والصراع قد يكون في داخل الانسان نفسه مرة يميل به نحو الخير وأخرى يميل به نحو الشر . وقد يكون بين انسان وانسان آخر ، أحدهم في اتجاه الخير والآخر في اتجاه الشر . كما قد يكون بين جماعات منها في هذا الاتجاه ومنها في الاتجاه الآخر وهكذا .

ان عملية التلاؤم والتوازن بين هذين المَيْلَيْن المتعارِضَيْن هي التي تقرر أين يقف هذا الانسان ، أو أين تقف هذه الجماعة من مجمل الامور ، الشيْ الأساس هو وجود هذين الميلين المتعارضين فتارة يحصل بينهما نوع من التلاؤم ، فتخف حدة التناقض ، وتارة يزول او يقل التلاؤم فتزداد حدة الصراع وتتوسع الفجوة القائمة بينهما .

— ٣ —

ولكن هذا التناقض بين ميول الخير وميول الشر في الانسان يخضع بدوره لعوامل مؤثرة عديدة ، أي إنّ عملية التفاعل بينهما تجري تحت متغيرات وظروف عديدة تؤدي إلى إختلاف في النتيجة . أي إن عملية التقابل بين الميلين لا تجري بصورة مبسطة . وبمعزل عن عوامل التأثير الاخرى الوراثية والمحيطية ، أي ما يتعلق منها بالوراثة وما يتعلق منها بالمحيط . بالمعنى الواسع لعبارة المحيط

أي بكل ما يشتمل عليه من تأثيرات كالثقافة والتربية والخضوع لقانون والعيش في المجتمع. والأمر في هذا يشبه عملية اجراء التجارب في العلوم الطبيعية كالكيمياء والنبات .

إنّ عملية التفاعل بين عنصرين يمكن اجراؤها مع تثبيت المتغيرات الاخرى كالحرارة والرطوبة وضغط الهواء أما إذا أجرينا التجربة وسمحنا للمتغيرات ألاّ تكون ثابتة أي جعلناها متغيرة عندها بامكاننا الحصول على نتائج مختلفة باختلاف تلك المتغيرات وكذلك الحال في عملية التفاعل بين ميول الخير والشر في الانسان. فانها تجري تحت متغيرات عديدة مؤثرة في النتيجة لذلك فإنّ عمليـــة التفاعل هذه إنّما هي عملية معقـــدة جداً ولا يمكن أنْ تأخذ نمطاً محدداً ولا يمكن التنبؤ بنتائجها على وجه الدقة .

ولعلّ أهمّ عامل في التعقيد هو أنّ الانسان نفسه كائن معقد ؛ نتيجة أوضاعه الجسمية والنفسية ومدى تأثُّره بعوامل المحيط الذي يعيش فيه ، لذلك فلا حصر للأشكال التي يمكن ان تنتج عن عملية التفاعل هذه بين ميول الخير وميول الشر الموجودة فيه . إنّ علم النفس ما يزال في بداياته وما يزال قاصرا عن فهم الطبيعة البشرية وكيفية تصرف الانسان بسبب هذا التعقيد . إنّ البحوث النفسية التي أُجرِيَتْ قد أوضحت أوّل ما أوضحت مدى هذا التعقيد .

ولنستعن على شرح هذه الفكرة بالعلوم الطبيعية. إنّ جسم الانسان يختلف من فرد لآخر ولا يوجد جسم انسان مطابق لجسم انسان آخر من حيث مقاومة الامراض والاستجابة للمؤثرات أو أداء المهمات الوظيفية لاعضاء الجسم ؛ فردود فعل الجسم للمؤثرات والامراض تختلف من إنسان لآخر ومـــدى تكيفه لظروف المناخ وباقي المؤثرات كالجراثيم والأمراض كذلك يختلف من انسان لآخر. إنّ القدرة على التحمل تختلف ، ودرجة التكيف للظروف تختلف لذلك لا يموت اثنان بوقت واحد حتى لو أُصيبا بنفس المرض بنفس الوقت ولا يتجاوب جسم لدواء كما يتجاوب

جسم آخر وهكذا وتلك حقيقة طبية يعرفها الاطباء في معالجتهم لمرضاهم . إذن فكل جسم حالة قائمة بذاتها لا تشابهها اية حالة اخرى ويلاحظ ايضاً أنّ لكل انسان شكل وجهه الخاص وصوته الخاص ومشيته الخاصة وطبع اصابعه الخاص ويرجع ذلك الى وجود عوامل كثيرة تتفاعل بصورة معقدة وتحت ظروف متباينة تؤثر في تكوين هذه الصفات الجسمية .

ومن الناحية النفسية والفكرية كذلك كل انسان حالة قائمة بذاتها ، وذلك لا يعني عدم وجود عوامل مشتركة بين انسان وانسان آخر ولا يعني انعدام امكانية التشابه في بعض الامور بل المقصود هو أنّ الانسان يشترك مع آخرين بأمور معينة ويختلف في أمور أخرى . والمجتمع تركيب عضوي متفاعل تتكون له شخصية معينة نتيجة لعوامل عديدة وهي العوامل المشتركة في الماضي والحاضر ولذلك تكون فيه عوامل تماثل وعوامل اختلاف . والانسان كما قلنا مركب معقد وكذلك المجتمع فهو مركب معقد فهو يتفاعل مع الظروف المحيطة به وكما ان تفاعل الانسان مع الظروف يختلف من انسان لآخر كذلك المجتمع بتفاعله مع الظروف يختلف عن المجتمعات الاخرى . ولذلك كانت هناك عوامل من عوامل التشابه بين الافراد والى جانب ذلك هناك عوامل اختلاف نابعة من أنّ عملية التفاعل تجري بصورة مختلفة من مجتمع لمجتمع آخر .

لكل مجتمع تاريخ لا يمكن ان يتماثل مع تاريخ مجتمع آخر كما أنّ حاضر مجتمع ما ليس هو تماماً كحاضر المجتمعات الاخرى وطريقة التأثر بالماضي والحاضر تختلف من مجتمع لمجتمع آخر . الخلاصة هي ان المجتمع مركب عضوي وليس خليطاً آلياً ولذلك كانت هناك الامم والمجتمعات ذات الملامح والشخصية المستقلة الواحدة عن الأخرى . وهذه هي جذور نشوء القوميات في علم الاجتماع . والمجتمع في ناحية اختلافه عن المجتمعات الأخرى لا يقتصر الاختلاف على ذلك فالمجتمع الواحد يختلف من مرحلة تأريخية لمرحلة تأريخية اخرى لنفس الاسباب

أي إنَّ المجتمع يسير في تطور تاريخي وهو يتفاعل تحت ظروف ومتغيرات متغيرة دائماً لذلك فعندما يقارن بمجتمع آخر نجده يختلف عنه في الشخصية التي يكوّنها . ومن هنا وبالرغم من وجود عوامل تشابه بين مجتمع ومجتمع آخر وبين مرحلة ومرحلة اخرى لنفس المجتمع نجد هناك عوامل الاختلاف والحصيلة من كل ذلك هي أنّه لا يوجد مجتمع يشبه مجتمعاً آخر والمجتمع نفسه لا يمكن ان يكون في مرحلة مشابهاً تماما لما كان عليه في مرحلة اخرى من تاريخه . والسبب الاساسي في عامل الاختلاف هو عدم إمكان تثبيت العوامل المتغيرة وإخضاعها لظروف متماثلة كما نستطيع في حالة إجراء التجارب في المختبر في مجال العلوم الطبيعية .

— ٤ —

قلنا هناك عوامل ثابتة متشابهة في الانسان بجانب العوامل المتغيرة ، والعناصر الثابتة في الانسان هي الميل للخير مقابل الميل للشر والصراع قائم بينهما دوما . ان ظهور الاديان وحركات الاصلاح والتقدم البشري والحضارة تشكل دليلا على وجود العنصر الثابت في الانسان وهو العنصر المثالي ، والعامل المثالي هذا ليس وضعا نفسيا أو شيئا يصنعه كل انسان أي إنّه ليس نسبيا بل مطلقاً مستمداً من قيمة عليا في الكون تعبيرها الديني هو الله . لذلك فهناك مقياس ثابت مطلق للخير والشر .

ان قضية الخير ليست نسبية ، بل هي مطلقة وفوق الجميع ، ولا تخضع لارادة الفرد . فالضمير ظاهرة ازلية في الانسان لذلك وبغضّ النظر عن التفاصيل والتفسيرات بقيت على العموم القيم الاخلاقية العليا مطلقة فوق الاجتهاد وارادة الفرد . إنَّ جعل القيم الاخلاقية نسبية كما هو الحال في بعض الفلسفات يهدف في النهاية الى غرض مسبق هو التحلل من المقاييس المطلقة واحلال مقاييس نسبية مكانها تخضع للاجتهاد وبالتالي لارادة الانسان وتكون النتيجة أنْ يصبح الحق هو ما يقرره الانسان أي الانسان القويّ او الناجح .

إنّ القول بنسبية القيم العليا كان دوما رغبة الذين يريدون تبرير استغلال الانسان

للانسان واستعمار امة لامة . إنّ القول بأنّ القيم هي من صنع الانسان يهدف في النهاية الى الرغبة في أنْ يتحلل الحاكم من قانون أعلى منه تقاس بموجبه أعماله وتصرفاته وجعل ذلك القانون خاضعاً لمشيئته أي تحويله من مطلق إلى نسبي . في كل مجتمع هناك مقياس مطلق للخير والشر تُقَوَّم بموجبه تصرفات الافراد وتحدد بموجبه العلاقات فيما بينهم وفيما بينهم وبين الحاكم . وبين كل مجتمع ومجتمع آخر هناك مقياس مطلق للخير والشر تقاس به تصرفات كل أمّة وموقفها من الأمم الأخرى وتُقَوَّم بموجبه تصرفاتها في الحياة الدولية . والموقف الاخلاقي هذا من شأنه ان يحل النظام محل الفوضى ، والضبط محل التحلل ، وبذلك تستقيم الحياة في داخل المجتمع وفي العالم . للانسان حقوق أساسية لا يمكن السماح لفرد آخر بالتجاوز عليها وهذا هو أصل العدل الإجتماعي . وللفرد حقوق أساسية ازاء الحاكم وهذا هو اساس التنظيم الديمقراطي ، وفي العالم هناك حقوق اساسية لكل دولة لا يجوز الاعتداء عليها من قبل أيّة دولة أخرى وهذا هو أساسُ التعايش السلمي والعلاقات الدولية السليمة .

إنّ بحث قضية إرادة الخير عند الانسان وفي الكون تمتد لحقل البحث الفلسفي ، وتتعلق بصورة وثيقة بذلك الجدل التاريخي القائم بين المدارس المثالية وغيرها ، وتتعلق ببحث مسألة الطبيعة وما وراء الطبيعة. ومهما يكن الامر وحتى لو أنّنا تركنا موضوع ماهية الشيْ أي بحث جوهر وجوده فإننا لا نعدم وجود الأدلّة الواضحة عليه في الانسان وفيما يحيطه . إنّ الأدلة على ميل الخير عند الانسان كثيرة ولعل أكبرها هو النضال المستديم من أجل التقدم في كافة النواحي ، الذي قاده الانسان بمفاهيم لحد ما ثابته خلال العصور من حيث الجوهر وإنْ اختلفت في الاشكال. إنّ الاهتمام بالأدلة على الشيْ بدلا من بحث الشيْ نفسه قد لا يكون طريقة منهجية تامة في البحث إلا أنني لا أجد المبرر للتغفر من هذا البحث للاستنتاج العكسي أي بعدم وجود هذا الميل وبالتالي الى نسبية القيم .

— ٥ —

يولد كل انسان وفيه ميول للخير وميول للشر ، ويتفاعل هذان العاملان تحت تأثير متغيرات ، منها ما يتعلق بالوراثة ، ومنها ما يتعلق بالمحيط ، وبذلك تختلف علاقة ميول الخير بميول الشر ، من انسان لانسان آخر ، كما سبق ايضاحه . هناك صفات تحملها الوراثة من الآباء الى الأبناء بطريقة ليست ميكانيكية بالطبع ولكن العلاقة موجودة وتدلل عليها نظريات علم الوراثة والبحوث التي أُجْرِيَت على ذلك ، ومهما يكن من أمر ذلك فالمهم هو أنّ الصراع موجود في كل إنسان .

هنالك حالات معينة تكون فيها ميول الخير قوية ومتحكمة بميول الشر ، الى درجة عالية جدا ، يصل الانسان فيها الى حد النبوة ، وما الانبياء والمصلحون الا من هذا النوع ، حيث يتمتع هؤلاء الافراد بحالة نفسية خاصة من الصفاء والتركيب الملائم بحيث تكون ميول الخير قوية ، والقدرات على التعبير عنها قوية وبوضع خاص . إنّ مثل هؤلاء الافراد القلائل في التاريخ بالنسبة لمجموع البشر ليسوا إلاّ حالات خاصة من العلاقة بين العاملين المذكورين . وهناك في الطرف الآخر عدد من الافراد الاشرار الذين تكون فيهم العلاقة معكوسة حيث تقوى ميول الشر على ميول الخير لدرجة كبيرة جدا . ان هؤلاء الناس بفعل عوامل وراثية ، وعوامل تتعلق بالمحيط تضعف عندهم ميول وتقوى ميول ، الى حد السيطرة التامة تقريباً لميول الشر ، الامر الذي يطبع شخصيتهم ، ويحولها في اتجاه واحد تقريباً . ثم هناك الاغلبية الكبيرة من الافراد الذين يقعون بين هذا القطب أو ذاك ، حيث توجد عندهم علاقات بين العاملين مختلفة من حالة لحالة اخرى ، فكلما كانت ميول الخير أقوى اقترب من القطب الاول والعكس بالعكس. ان هؤلاء الناس هم الاكثرية الساحقة لذلك قيل ان الناس ليسوا ملائكة ، وليسوا شياطين ،فهم بين هذا وذاك .

ومن هنا يتضح أنّ الفرد الذي من هذا النوع ، والذي تتأثر علاقة عامل الخير بعامل الشر فيه ، بما يحيطه من ظروف ، يصبح من الممكن التأثير فيه ، عن طريق التأثير بتلك الظروف ، وهذا هو دور التربية ودور القانون في تقويم الانسان المواطن .

ان التربية البيتية والمدرسية تلعب دورا مهما في تكوين شخصية الفرد لذلك فإصلاح نظام التربية ، وعناية الاسرة بالطفل ، ذات أهمية في تقويم الاخلاق وخلق المواطن الصالح . إنّ عملية التقويم هذه وخلق المواطن هي في الحقيقة لا تعدو عملية تقوية ميول الخير ، وإضعاف ميول الشر عند الطفل ، وليست عملية غرس جديدة ، أو اقتلاع شيءْ موجود ، فالخير والشر موجودان في الطفل ، وهما في حالة صراع ؛ ويمكننا عن طريق التوجيه العائلي والتربية المدرسية بكل ما تعنيه من نشاط ، أنْ نُغَلِّبَ مَيلاً على مَيل ، ونقوّي جهة على جهة . إنّنا لا نغرس الصفات الحسنة ، وروح المواطنة في الفرد ، كما قد يتصور البعض ، وإنّنا لا نقتلع جذور الفساد والانانية وكل ما هو شرير ، من الانسان بهذه العملية ، بل نقوّي جانباً ونضعف جانبا آخر لذلك فالتربية لا تستطيع أنْ توجد انسانا ملاكا ولا أنْ تخلُقَ نبيا . انها عملية تحسين لوضع وليست عملية خلق جديد من لا شيءْ .

ان التوجيه البيتي والتربية المدرسية وغير المدرسية بكل ما ينطوي عليه ، من تزويد بالحقيقة وضرب المثال الحسن ؛ وتحليل الامور وتقوية للفكر وتوسيع للمـــدارك ، وتدريب على ضبط النفس ؛ وتهـــذيب للغرائز ، وكبح لجماح الرغبات المفرطة وتدريب على الفضيلة ، تؤدي هذا الغرض الذي نقصده ، ألا وهو تقوية ميول الخير وكبح ميول الشر ؛ وجعل الاولى تتغلب على الثانية .

وليست التربية بشقيها المدرسي وغير المدرسي هي الوسيلة الوحيدة ، لتقويم الشخصية وبناء المواطن الصالح ، اذ لا بد من وجود نظام للعقاب والثواب فـــي

المجتمع ، يعاقب بموجبه المسيىء ، ويثاب بموجبه المحسن ، وهو النظام الذي تطبقه المحاكم والذي يمكن ان تعبر عنه مجمل القوانين والانظمة والعادات الاجتماعية السائدة في المجتمع . ويشكل ذلك طريقة أخرى لنفس الغرض ، فيها عامل الترغيب وعامل القسر فالجريمة تعاقب بموجب القانون ، والعمل الحسن يثاب من قبل المجتمع ، أي أنْ يرجع على صاحبه بمنفعة إمّا مادية او معنوية او بالاثنين معاً . إنّ مثل هذا النظام يساعـــد ايضاً بما يغرسه من أثر تربوي ، وعلى الامد البعيد ، على تشجيع ميول الخير وكبح ميول الشر . صحيح إنّ ذلك قد لا ينجح مع جميع الاشخاص إلا أنّه لا يعدم الأثر في حالة الاغلبية منهم . إنّ الذين تكون ميول الخير قوية فيهم أحد بعيد ، لا يحتاجون للثواب من أجل ان يقوموا بالاعمال الحسنة ، بل هم يقومون بها بدوافع اخرى صادرة عن ذاتهم او عن تربيتهم . أي أنْ يكون مصدرها إمّا الوراثة او التربية . كذلك هناك بعض الافراد الذين تكون عندهم ميول الشر اقوى من ميول الخير ، قد لا ينفع معهم العقاب ولا يكون مانعا لهم من ارتكابه ، فمثل هؤلاء هم اقرب الى القطب الثاني الذي تحدّثنا عنه ، والمثال على ذلك هم محترفو الجريمة وذوو السوابق من المجرمين إنّ هؤلاء لا ينفع معهم العقاب شيئا ، إلاّ أنّ الاغلبية من الناس الذين يتراوحون بين القطبين لا بد من ان يكون للعقاب اثر ما في تقويم سلوكهم ، وإنْ تباينَ من شخص لآخر ومن حالة لاخرى .

ولذلك نجد ان المجتمع أيّ مجتمع لا يستطيع أنْ يستغني عن نظام للعقاب والثواب ، ونظام للعدالة ويعود ذلك إلى حقيقة أنّ اغلبية أفراد المجتمع ، هم ليسوا مجرمين بالطبيعة كما يقال ؛ بل فيهم الى جانب الشر ميول للخير ، ومن المفيد معاقبة ميل وتشجيع ميل آخر . عند هؤلاء يكون للعقوبة أثر تقويمي عندما تطبق بعدالة وعلى الجميع ؛ وعلى المدى الطويل .

وقد تتخذ الوسائل لتشجيع ميول الخير شكلاً آخر غير التربية وغير العقاب والثـــواب وهو طريق خلق الظروف للتلاؤم بين سلوك الفرد ومقتضيات المصلحة

العامة. أي إنّ تشجيع ميول الخير قد يأتي عن طريق الحوافز فزيادة الدخـــل كمكافأة لزيادة الانتاج ، والضمان الاجتماعي في حالات الـــوفاة او العجز كمشجـع للدفاع عن الوطن ، ومنح المكافآت المادية والمعنوية لتشجيع الابداع والابتكار : كلها وسائل من وسائل التشجيع لميول الخير ، من أجل أنْ تتغلب على ميول الشر أي أنْ تَتَغَلَّبَ ميول العمل على ميول الكسل ، وميول الدفاع عن الوطن على ميول التقاعس ، وميول الإبداع على ميول الخمول وهكذا .

في جميع هذه الحالات تقوم التربية والقانون والتنظيم الاجتماعي بمهمة تحفيز ميول معينة وتثبيط ميول معينة اخرى وبذلك تؤدي دور التقويم لسلوك الفرد كمواطن في المجتمع . وعندما نتحدث عن بناء الانسان الجديد ، علينا أن نتوجه لجميع هذه النواحي ، فبناء الانسان الجديد ليست عملية وعظ . بل هي توجه لمعالجة الميول الموجودة في الانسان ، بحيث تخلق عملية تغليب واحدة على الأخرى ، من خلال بناء مستمر تتضافر فيه جميع الجهود فحيثما كان المواطن كانت هناك قوى دافعة في اتجاه معين هو اتجاه الخير في البيت والمدرسة والمحيط ومكان العمل وكل مكان . هذا ما هو موجود في المجتمعات المتقدمة التي تعنى بصورة جوهرية بشؤون التربية والتعليم والاصلاح الاجتماعي القانوني وغير القانوني ، من أجل تكوين ما يسمى بالمواطن الصالح .

— ٦ —

ان هذا التحليل يقودنا لبحث جانب آخر هو قضية الصراع الاجتماعي . في المجتمع صراع دائم بين القديم والجديد ، أو بين الحق والباطل . وهذا الصراع ليس الا صراعا جذوره في الصراع الموجود في داخل كل انسان وفي هذا المجال ، لا بد من بحث مسألة مهمة هي الأشكال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المعبر عنها بالنظم . ان الصراع الموجود في كل فرد بين ميول الخير وميول الشر قد يتخذ أشكالا متعددة ، وهو كصراع لا بد له من موضوع او قضية ، فما هو الموضوع وما هي القضية ؟ هناك مواضيع وهناك قضايا في المجتمع . قد يكون

موضوع الصراع هو النظام السياسي بين الملكي والجمهوري ، بين الديمقراطي والمستبد على سبيل المثال . وفي المجال الاقتصادي قد يكون الصراع حول توزيع الدخل بين الطبقات ، وحول رفع مستوى المعيشة للمواطنين ، أو حول امور تفصيلية بضمن ذلك ، كزيادة الاجور ، او زيادة او تخفيض الاسعار . . . الخ . وفي المجال الاجتماعي قد يكون الصراع حول حرية المرأة ، أو محو الامية او مجانية التعليم ، أو الصحة العامة ، أو الضمان الاجتماعي أو الأحوال المدنية . . . الخ. المهم هو أنّ الصراع يتجسد في مواضيع تخصّ حياة المجتمع المادية او المعنوية صراع بين المؤيد والمعارض ، والمطالب والممتنع ، هذه هي جذور الصراع في المجتمع وهذا هو تفسيره .

صحيح إنّ جذور الصراع في النهاية ترجع للفرد الذي هو وحدة المجتمع الأساسية إلاّ أنّ ذلك لا يستبعد تكوين الجماعة او الطبقة . فالافراد وإنْ تباينت أحاسيسهم ومواقفهم الفكرية والنفسية ،من قضايا الخطأ والصواب ، والحق والباطل ، إلا أنّ ذلك لا يعني عـــدم وجود امكانية التقارب بين مجموعـــة من الافراد ، بينها عوامل تماثل الى جانب عوامل الاختلاف ، إذن فتكوين الجماعة أمر ممكن على أساس العوامل المشتركة ، فهناك أفراد تكون بينهم علاقة مشتركة ، فكريا أو مهنياً أو طبقياً فيحصل التقارب بينهم فيكوّنوا جماعة معينة والطبقة هي احدى أشكال هذه التكوينات ، الامر الذي يعني امكانية قيام الطبقات في المجتمع . وقد تتجمع عدة تجمعات وتكوّن رابطة فيما بينها كما يحصل في التنظيمات النقابية ، أو الهيئات العلمية أو الطلابية . المهم هو أنّ هذا التحليل يسمح بتكوين الجماعة مهما كان نوعها او مهمتها . والحزب السياسي هو نوع من انواع التكتل الاجتماعي .

إنّ صراع ميول الخير مع ميول الشر في المجتمع ، يمكن ان يُنَظّم من الناحية العملية ، فهو ليس تضاربا مبهما يختلط بعضه بالبعض الآخر ، بدون حدود

ولا فواصل . إنّ عملية التنظيم وترضيح العوامل المشتركة وعزل العوامل الرئيسية عن العوامل الفرعية ، وتوضيح المهم عن الأهمّ بامكانها تصفية الصراع الاجتماعي وتنظيمه في قوالب تساعد على زيادة الفهم وتسهل الامور العملية . لذلك فالصراع الاجتماعي يميل عادة نحو الإستقطاب والتصنيف حول أمور أساسية كأنْ تجمل جميع القضايا التقدمية ، التي عليها نوع من الاجماع او ما يقاربه ، وتصاغ بشكل مبادئ اساسية ، وكذلك الحال بالنسبة لما هو عكس ذلك . ومن عملية التنظيم والتصنيف هذه ، ينشأ معسكر رجعي ومعسكر تقدمي وكلمة معسكر معبرة في هذا المجال ، للتعبير عن أنّه اجتماع لأفراد توجد بينهم عوامل اختلاف ، ولكن تجمعهم بعض عوامل التشابه . وهكذا يتضح الصراع الاجتماعي بين ما اصطُلِحَ على أنّه تقدمي ، وبين ما اصطُلِحَ على أنّه رجعي ، وكلاهما قد يضم افراداً او تجمعات من انواع مختلفة .

— ٧ —

إذن الصراع في المجتمع موجود منذ وجد الانسان فكيف كان تطوره ؟ إن العملية التنظيمية التي تتكون من خلالها الشعارات المعبرة عن المبادئ ، وتتحدد بناءً عليها القضايا التي يدور حولها الصراع . ليست إلا عاملا مساعداً ، وليست إلا بلورة للأمر الجوهري الموجود شيْ منه في كل فرد . ان عملية الصراع هذه تأخذ في البداية شكل اختلاف الآراء ولكن بمرور الوقت يؤخذ هذا الاختلاف شكلاً اكثر حدة بسبب ما ينتج عنه من نتائج عملية في المجتمع . إنّ اختلاف الرأي بمرور الوقت يزداد حدة فيتحول الى تناقض .

والفكر هو محرّك الانسان ، لذلك فاختلاف الفكر ينتج عنه اختلاف مادي بين الافراد أنفسهم . بالطبع إنّ اختلاف الآراء بالتفاصيل قد يزول بمرور الوقت ، وقد يُحَلّ نتيجة للتفاهم ولكن الآراء التي تعبر عن قضايا اجتماعية متناقضة ليست من هذا النوع ، والآراء التي تعبر عن مواقف يزداد التناقض

بينها حـدة والنقاش يساعد على زيادة توضيح التناقض بين الافكار وتظهير عملية الاستقطاب والتضارب. وعندما يظهر الجانب الآخر جموداً او اصراراً على مرتقفه تزداد حدة الصراع ويتحول من شكل فكري إلى شكل مادي يهدف إلى إزالة الاشخاص الذين يمثلون الافكار المراد تغييرها. فإن كان هـؤلاء الافراد طبقة اجتماعية، أصبح الهدف ازالتها وإن كانوا في السلطة أصبح الهدف تغيير تلك السلطة.

ويأخذ الصراع أشكالا ووسائل متعددة منها فكري ومنها مادي؛ منها من خلال المؤسسات الموجودة، ومنها خارج تلك المؤسسات؛ ومنها العلني ومنها السري؛ وهكـذا ينمو الصراع ويزداد قـوة. إن عمليـة الصراع الفكري والمادي يكون لها أثر على الفرد في ناحيتين. الناحية الاولى تربوية وتتعلق بأحداث تغيير في شخصية الفرد نفسه فالصراع بين المعسكر التقدمي والمعسكر الرجعي. بكل ما ينطوي عليه من تثقيف ودعوة وشرح ونضال يومي، يساعد على تشجيع ميول الخير عند الآخرين؛ ويكبح ميول الشر عندهم؛ وبذلك تبدأ عملية الوعي بالتوسع ويتنبه الضمير العام لجمهور الشعب، فيزداد عدد أفراد المعسكر التقـدمي تباعا. وهكذا يتكون المناضلون. في البداية يكون عدد أفراد المعسكر التقدمي قليلاً وبمرور الوقت واشتداد الصراع يزداد العدد وتلك هي فكرة الطليعة التي تقود المجتمع في الطريق الصحيح.

أما القناة الثانية فهي الاستيلاء على السلطة السياسية. فالسلطة بما تنطوي عليه من قدرات مادية ومعنوية، وبما تمتلكه من وسائل التربية والتوجيه العام. والقدرة على اصلاح القوانين، يمكن ان تكون عاملا مساعدا على استنهاض ميول الخير عند المواطنين، وتغليبها على ميول الشر. عن طريق إعادة بناء الانسان وتوجيهه في الطريق السليم.

وبذلك يحصل التقدم في المعسكر التقدمي، والتراجع في المعسكر الرجعي الذي

يأخذ بالتآكل بمرور الوقت: حتى يتحقق انتصار المعسكر التقدمي، عندها يبدأ بعملية اعادة البناء للمجتمع حسب افكاره وشعاراته: التي تبلورت منذ بداية النضال وخلال مسيرته. ولكن ذلك ليس نهاية المطاف، فالاشكال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الملائمة لهذا الوقت، والتي تعتبر تقدمية ليست كذلك في الازمنة القادمة، بل هي أيضاً تصبح بمرور الوقت بحاجة الى اصلاح او تبديل، وهنا يصبح لا بد من عملية الاصلاح او التبديل، وهي إما أن تتم من داخل النظام وعلى يد نفس المعسكر، أو من خارجه، وعلى يد معسكر تقدمي آخر، مارة بنفس عملية الصراع بمراحلها التي ذكرناها. ولا يغرب عن البال في هذا المجال أنّ عملية التغيير التي يأتي بها الصراع قد تكون تدريجية تراكمية، وقد تكون حادة وفجائية. ويعتمد ذلك على موقف المعسكر الرجعي. فاذا كان المعسكر الذي يتمسك بالموجود سمحاً، ومؤسساته مرنة تسمح من خلالها لعملية التغيير أنْ تتمّ، جاءت عملية التغيير متدرجة وتراكمية، وإنْ كانت على عكس ذلك متحجرة ومصرّة، كانت النتيجة الاصطدام والتغيير الحاد.

إنّ عملية الصراع مستمرة في التاريخ، بعضها يأخذ الشكل المنظّم المعبّأ بمعسكرين، وبعضها يأخذ أشكالا أخرى، فالاختراعات العلمية والاكتشافات الجغرافية أشكال أخرى لإحداث التغيير. كما أنّ نظريات الاصلاح الاجتماعية ذات الأثر البطيء مثال آخر. وفي مقابل ذلك هناك الثورات الكبرى والاديان السماوية وحركات الاصلاح الرئيسية.

ويجب ألاّ يتبادر الى الذهن أنّ عملية الصراع هذه عمياء تجري بدون هدف وليس لها غرض بل العكس من ذلك، فهي عملية هادفة ذات اتجاه فعملية تنبه الضمير ويقظة الوجدان مستمرة ويعني ذلك أن الاتجاه العام. هو في صالح التغلب المستمر لميول الخير على ميول الشر، وإن كان ذلك لا يأخذ خطاً مستقيماً صاعدا، بل هو متعرج احيانا. إنّ عملية التقدم في التاريخ ليست بسيطة بل

معقدة ، ولكنها ذات هدف فالبشرية في تقدم مستمر ؛ وإن كان للتقدم جوانب سلبية . إن الوعي البشري آخذ في التوسع بفعل عملية التكشف المستمر لحقيقة الكون والانسان . ولكنّ القول بذلك شيءٌ ؛ والقول بالحتمية التأريخية شيءٌ آخر . إنّ عملية التقدم تجري من خلال الانسان فهي بفعل إرادته الحرة ؛ وليست خارجة عن ذلك ، فالقوة التي تحرك التاريخ ليست خارج الانسان . كما هو الحال في الماركسية ؛ بل إنّ تفاعل قوى الدفع والجذب يتم داخل الانسان حيث تعمل الإرادة عملها . فالــذي يعمل هو الفكر البشري ؛ والذي يتنبــه هو الضمير البشري ؛ والذي يعمل هو الانسان ؛ ومن ناحية أخرى . القول بالارادة الحرة للانسان ؛ لا يعني انعدام وجود ارادة في الكون . هناك إرادة في الكون يمثّلها العنصر المثالي ؛ ولكن ذلك موجود في كل إنسان بوضعية ما ؛ وبشكل ما . وهو في صراع مع عاملٍ معاكس . هو انانية ذلك الانسان ، ومن حصيلة التفاعل ينتج تقدم في طريق انتصار ارادة الخير ؛ التي هي جزء من الارادة العامة للكون .

وبهذا المعنى يكون الانسان هو مركز الكون والعنصر المهم فيه : لذلك كان خلق الظروف الملائمة لجعل عملية التفاعل فيه ؛ تتم لصالح قوة الخير ، من الامور الضرورية ؛ وهي واجب الفرد ؛ وواجب المجتمع بنفس الوقت . ومن هنا كان التأكيد على كرامة الانسان التي هي تعظيم للاثر الروحي الموجود فيه وكان التأكيد على الحرية . وهذا هو معنى خلق الظروف المساعدة للانسان . لاطلاق امكانياته ؛ وتحـــرير قوى الابداع فيه . وبكلمـــات مختصرة هـــذا هو معنى العناية بالفرد . والعناية بالمجتمـــع ومن خلالها يتضح التوازن بينهما . فالفرد بحد ذاته قادر على خلق ما هو ملائم لاطلاق امكانياته وتحرير إرادة الخير فيه . والمجتمع أيضاً قادر على خلق الظروف المساعدة على ذلك . لذلك فالمجتمع الصحيح هو المجتمع الذي ينال فيه الفرد والمجموع العناية . فالتأكيد ليس على الفرد وحده . وليس على المجموع وحده . بل على الاثنين معا . المجتمع ليس هو مجموع الافراد بل هو المركب الذي ينتج عن تفاعل الافراد خلال الزمن .

لذلك فهو شيء مختلف وإن كان مشتقاً من الأفراد . (اي كانت مادته الاولية من الافراد) . إذن فالفرد مؤثر والمجتمع مؤثر ؛ وعندما نقول المجتمع نعني بضمن ما نعني الدولة ، وهي التنظيم الذي يعمل المجتمع من خلاله كجسم حي ؛ له وظائف وله خصائص ، وبذلك يكون معنى الحرية معتمداً على الفرد وعلى المجتمع ؛ فهي ليست حرية الفرد بالمعنى الرأسمالي الغربي ؛ وليست حرية المجتمع بالمعنى الدكتاتوري ، بل هي حرية متوازنة .

— ٨ —

يتبين مما فات أن العالم في حقيقته ؛ مكون من أفراد منتظمين في مجتمعات . فالفرد هو مركز الكون ؛ ولكنه لا يعيش منفرداً لذلك كانت هناك المجتمعات . والامة هي مجتمع تفاعل فيه الافراد مع العوامل المشتركة كاللغة والتاريخ المشترك . . . . الخ وهي مجتمع له شخصية مستقلة عن شخصية الأمم الأخرى . وتكون الأمـــة في حالة أقـــوى عندما تعيش بظل دولة واحـــدة ؛ فالدولة الواحـــدة تضيف عوامل مشتركة جديدة ؛ تقوي الروابط الموجودة ، وتضيف اليها روابط اخرى . إنّ المتغيرات التي تتفاعل بظلها امة ؛ لا يمكن ان تكون هي نفس المتغيرات ، التي تتفاعل بظلها امة اخرى . فتفاعل الامة مع ظروفها امر فريد وكما أنّ تكوين الفرد نفسيا وفكريا وجسميا يتم بصورة فريدة ؛ بسبب تعقيد المتغيرات . فكذلك الامة ؛ لذلك لا يوجد هناك امة تتطابق بصورة تامة مع أمة أخرى . قد يكون هناك تقارب وبعض التشابه إلا أنّ ذلك يبقى دون التطابق ؛ لكل أمة شخصيتها الفريدة بها .

العالم يتكون من أفراد ، ولكن الافراد يعيشون بضمن أمم . والامم تعيش بعلاقات معينة فيما بينها ، قد تكون علاقات تعاون وقد تكون غير ذلك . إنّ خلق الظروف الدولية الملائمة لصحة حياة كل أمة شيءٌ ضروري . كما هو الحال بالنسبة لوضع الفرد في داخل المجتمع . لذلك كان من الضروري ايجاد علاقات

دولية صحيحة تقوم على التعاون والسلام والمرونة ؛ بحيث تستطيع عملية التجديد ان تمر بسهولة من خلال الاشكال والتنظيمات الموجودة ، من دون اصطدام وبذلك تكون عملية الصراع سلمية وهادئة بدلا من ان تكون غير ذلك .

ان نظام الحكم في الامة الواحدة يجب هو ايضاً ان يكون مرتكزا على هذه الاعتبارات ؛ وعلى هذا الفهم لماهية الفرد ودوره في عملية التقدم ؛ لذلك كان للمجتمع دور في تقوية ميول الخير في الافراد ؛ من خلال التربية ومن خلال القانون ؛ وبذلك تلعب الدولة دورا لا يمكن اغفاله ؛ فعملية التقدم لا تتم بواسطة الافراد ؛ كل على حدة ولوحدهم كما تقول النظرية الرأسمالية . لذلك فدور الدولة ليس سلبيا ومقتصرا على حفظ الامن . بل هو ايجابي ايضا في تنمية الثقافة والاضطلاع بدور التعليم والمحافظة على الصحة العامة وتنفيذ المشاريع ذات النفع العام وقيادة التقدم .

وللدولة دور مهم في الحياة الاقتصادية . هو دور التنظيم ؛ فالحياة الاقتصادية بامكانها ان تكون مساعداً أو معرقلا لعملية التقدم ؛ بالمعنى الذي ذكرناه فحسن توزيع الثروة وإلغاء الاستغلال ؛ والتأمين الاجتماعي وتوفير العمل للجميع ورفع مستوى المعيشة وزيادة الرفاه الاجتماعي . وتوفير الخدمات ؛ أمور من شأنها أن تخلق الظروف الملائمة لعملية التقدم ؛ من خلال الصراع الذي يدور في داخل الفرد وداخل المجتمع .

ان تغليب ارادة الخير فرديا واجتماعيا تحتاج لما يساعدها على ذلك . والعكس يكون مفعول سوء توزيع الثروة والاستغلال والفقر والجهل والمرض . لذلك فللدولة دور في بناء نظام العدالة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية اي بناء الاشتراكية وبهذا المعنى فلكل امة بفعل شخصيتها المستقلة وحاجياتها وظروفها الخاصة . نظامها الخاص اقتصاديا واجتماعيا اي لها اشتراكيتها الخاصة .

ويتضح من كل ذلك أن مسألة النظم الاقتصادية والاجتماعية هي مسألة خاصة

بكل أمة ولا يوجد هناك نظام يصح لجميع الامم ؛ وبذلك تنتفي الامية بهذا المعنى . من المفيد ان تطلع الامم على انظمة الامم الاخرى ، من أجل توسيع الافق والمقارنة والتبصر ، ولكن عملية بناء النظام هي في النهاية عملية خاصة بكل امة إذ لا توجد أمة تتطابق بظروفها وحاجاتها من جميع الوجوه مع امة اخرى . التشابه قد يوجد ، أمّا التطابق فهو معدوم . وفي هذا الاطار من الفهم للطبيعة البشرية ؛ تتضح اهمية الامور غير المادية كالكرامة والحرية والمثل الاخلاقية ؛ فالانسان في جوهره يحمل جزءً من ارادة الخير في الكون وذلك أمر مثالي من دون شك ؛ وهو الذي يجعل للانسان قيمة بحد ذاته بغضّ النظر عن جوانبه المادية كالثروة والقوة والصفات الجسمية .

هناك فرد موهوب بمعنىً أنّه يملك صفات خاصة ؛ تؤهله للبروز في ناحية من النواحي ؛ وسبب ذلك هو أنّ حالة من التفاعل الخاص قد نتج عنها علاقة متقدمة ؛ بين الجانب المثالي وبين الجانب الاناني ؛ بحيث تغلب الاول على الثاني لحد بعيد . وظهور هذه الحالات أمر من الصعب التَنَبُّؤ به ؛ أو السيطرة عليه ، لا عن طريق الوراثة ولا عن طريق التربية . وذلك لأن مثل هذه العلاقات تكون عادة معقدة ؛ ولا يوجد قانون رياضي كامل نضبط مفعولها . إلا أنّ حالة التقدم العام والنهوض الشامل للمجتمع من شأنها أنْ تؤثر في توجيه الفرد فتقوّي فيـــه الجوانب الخيّرة على الجوانب الرديئة ؛ وبمرور الزمن يتضافر عامل الوراثة والعامل الاجتماعي . فيلاحظ ارتفاع في مستوى الافراد من جميع الوجوه . ولكن ذلك لايعني بالضرورة ظهور المصلح او القائد الملهم تاريخيا . إنّ عملية ظهور المصلحين أو الانبياء أو القواد لا تخضع لقانون محدد . وان كانت الظروف التي يعيشها المجتمع يمكن أن تؤثر بعض الشيء في ذلك الا أن ذلك لا يعني وجود قاعدة رياضية صالحة للتطبيق في هذه الحالات .

ان عملية التقدم الاجتماعي حسب هذا المفهوم عملية في اساسها النهائي روحي، وان كانت العوامل المادية تمتزج بها وتؤثر فيها ومحورها هو الانسان الذي هو خلية المجتمع ومحوره . لذلك كانت العناية بالانسان تحتل المركز الاول ؛ وهذا هو معنى القول بان الانسان هو وسيلة النهضة وهو هدفها . فالنهضة التي تتخذ شكل الثورة تبدأ بالانسان فهو وسيلتها وهو هدفها لأن تغليب الجانب الخيّر فيه؛ هو الهدف ليتغلب على الجانب الرديء ويؤدي ذلك بدوره ؛ الى خلق قوة جديدة تدفع في اتجاه التقدم وهكذا .



ارتسامات حملات نادر شاه في آثار ادباء

« حَديقة الزوراء » (٭)

قال أبو الخير العلامة عبدالرحمن بن الشيخ عبدالله السويديّ البغداديّ [١٢٨ / أ] :

« ثم إنّه (٭٭) ترك معسكَره : وذهب إلى زيارة الأعتاب : ورَجَع على فَوْره[1] بلا ارتياب ؛ فظعن بجَحافِله[2] ؛ وسار بعسكره ومَحامِله ، وقصَدَ (إيران) ، وخلّص الله من يده أهل (بغدان)[3] .

٭

وأما أهل (بغدادَ) : فقد لَقُوا ضرراً في هذا الحصار ما لم[4] يلقوه في (الحصار الأكبر) ؛ مع أن حصارَهم كان عشرين يوماً أو أقلّ ، وذلك لقلّة الكيل ، إذْ كان كيلهم الزّبيب والتّين اليابس وأمثالها ما[5] لا يسُدُّ الرَّمَق ، ولا يدفَعُ من الجوع القَلَق .

٭

(٭) تابع بحث « ذرائع العصبيات العنصرية .. » المنشور في ٣ - ٤ من المجلة لسنة ١٩٨١م .

(٭٭) يعني الشاه نادر طهماسب قلي .

(١) الصحيح : « من فوره » ، والفور : أول الوقت .

(٢) ظعن : سار وارتحل . - الجحافل : جمع الجحفل ، وهو الجيش الكثير فيه خيل .

(٣) لغة في « بغداد » ، استعملها ليزاوج السجعة . وفي (ش) : « بغداد » .

(٤) ومثله في (ش) ، والصحيح إسقاط « ما » .

(٥) ومثله في (ش) ، والصحيح « مما » . - الرمق : بقية الروح .

ثُمَّ[٦] إنّه رجع والدي[٧] إلينا ، فقدمت معه (دار السّلام) ، فامتدح الوزير الشّهير ، والأمير الكبير[٨] ، بقوله :

— ١ —

دَهَتْنِي خُطُوبٌ والزَّمانُ مُعانِدي	ودهرٌ طوى كَشْحاً بقدريَ والِعُ[٩]
ترامت بي الأقطارُ من كل جانبٍ	فها أنا عن مَغْنَى الأماجدِ شاسعُ[١٠]

(٦) ثم : خلت منها (ش) ، والكلام بسقوطها لا يستقيم . وكان والد المؤلف قد هرب مع عسكر (حلة ابن دبيس) ومع متولي (قصبة الحسين) إلى (الموصل) عن طريق (شفاثى) حين كر (نادر طهماسب قلي) على بغداد في سنة ١١٥٦ هـ ، ليفتحها ، بعد أن عجز في سنة ١١٤٥/١١٤٦ هـ أن ينال منها في حصاره الطويل لها الذي امتد سبعة أشهر ، أكلت الناس في أثنائها الكلاب والحمير والبغال . . وصبروا الى أن أعجزوه وهزموه .

(٧) هو العلامة المحدث الأصولي ، الأديب المتفنن ، المناظر المدره ، أبو البركات ، عبد الله : بن الشيخ حسين ، بن الشيخ مرعي ، بن الشيخ ناصر الدين ، العباسي ، البغدادي : أشهر علماء العراق في عصره ، وأعظمهم منزلة . وهو أول من عرف بـ (السويدي) من أهل بيته . ولد في كرخ بغداد سنة ١١٠٤ هـ ، وتوفي فيه سنة ١١٧٤ هـ . توفي والده ، إذ هو طفل ، فكفله خاله (الشيخ أحمد سويد) متولي وقف (الشيخ معروف الكرخي) . وأخذ العلم عن أجلة العلماء ، منهم خاله هذا ، وفاق واشتهر ، واستجاز منه كثير من علماء (الموصل) و (دمشق) و (حلب) ، ومدحه الشعراء . ورحل الى (بلاد الشام) و (الحجاز) ، وألف الكتب الحسان . وله : « شرح صحيح البخاري » ، و « النفحة المسكية في الرحلة المكية — خ » ، و « الحجج القطعية لاتفاق الفرق الإسلامية — ط : رسالة مفروزة من النفحة المسكية » ، و « الأمثال السائرة — ط » ، و « كتاب المحاكمة بين الدماميني والشمني الواقعين على مغني اللبيب — خ » ، و « إتحاف الحبيب — خ : حاشية على مغني اللبيب » ، وغير ذلك . وعلت مكانته إبان رئاسته مؤتمر النجف الذي دعا اليه (نادر طهماسب قلي) على ما أسلفت في مقدمة الفصل الثاني . وله ترجمة في « الروض النضر » لعصام العمري ، و « المسك الأذفر » للإمام السيد محمود شكري الألوسي ، و « سلك الدرر » للمرادي ، و « معجم المطبوعات » ١٠٦٦ ، و « تاريخ الأدب » لكارل بروكلمان 508 : 2, S, 459 : 2 » .

(٨) والأمير الكبير : هذه العبارة لم ترد في (ش) .

(٩) الكشح : ما بين الخاصرة والضلوع . وطوى عنه كشحه : تركه وأعرض عنه . — والع : اسم فاعل من : ولع به يولع ولعاً وولوعاً ، أي علق به شديداً . وولع : لج في أمره وحرص على إيذائه . فهو ولع ، وهي ولعة .

(١٠) المغنى : المنزل غني به ساكنوه ، أي أقاموا فيه . — شاسع : بعيد .

وكم أزْمَةٍ مَرَّتْ عليَّ ، ولم يكن ... لها كاشفٌ بينَ البريّة رافـعُ (١١)
ولمّـا رأتْ أمُّ البنينَ تضَجُّرِي ... وأنّي إلى تلك المعاهـد نازعُ (١٢)
فقالت: لعَلَّ القصدَ نحوَ أبي النّدَى ... مُبيدِ العِدا حيثُ المُسالمُ ضارعُ (١٣)
يؤُمّـونه العافُـون والدّهرُ كالحٌ ... يَجِدّون سيراً والدّيارُ شَواسِعُ (١٤)
فيُلْفُـون بحـراً بالمكارم طافحاً ... بلى! فاقتِ الأبحارَ منه الأصابعُ! (١٥)
هو الغوثُ إن عزَّت إغاثةُ صارخٍ ... هو الغيثُ لكنْ بالدّنانير هامِـعُ (١٦)

[١٢٨/ب]

سَلِ الحربَ عنه يومَ مَلْحَمةِ الوَغَى ... فهل صادفت مثلَ الوزيرِ مَعامِـعُ؟
وسَلْ فتحَهُ (إيرانَ) بالسيفِ عَنْوَةً ... فكم ضُرِّمَتْ منه عليها وقائعُ! (١٧)
وسَلْ عنه (لُرُسْتانَ): ماذا تَجرَّعَتْ ... من الحرب هوناً والدّيارُ بَلاقِـعُ (١٨)
وسَلْ فتحَهُ (الأهوازَ): إذْ قادَ جَحْفَلاً ... من الشُّوسِ أبطالٌ كُماةٌ زَعازِعُ (١٩)

---

(١١) الأزمة : الضيق . و الشدة .

(١٢) نازع : حان ومشتاق .

(١٣) العدا : صواب رسمها « العدى » . — ضارع : خاضع وذليل .

(١٤) يؤمونه العافون : أراد « يؤمه العافون » : وهو لغة لبعض العرب ، (ينظر التعليق ٣٠) في الفصل الثاني . — يؤمه : يقصده . — العافي : طالب الفضل والمعروف .

(١٥) يلفون : يجدون .

(١٦) الغوث : الإعانة والنصرة . — هامع : سائل .

(١٧) عنوة : قسراً .

(١٨) لورستان ، ولرستان : بلاد اللور ، أو اللر ، وهم جيل من الأكراد ، ومنهم فرق مفرقة في البلاد ، وكان فيهم ملك وإمارة ، ولهم خفة في الحركات وارتقاء المباني المرتفعة . ولورستان كورة في جنوب (همذان) وشرق (تستر) وشمالها بامتداد (نهر دجيل الأعلى) « كارون» وروافده ، بين (عربستان) و (أصبهان) . كان الغالب عليها (اللور) فسميت بهم . وقد فصلت الكلام عليها في كتابي « معجم الأقاليم — خ » .

(١٩) الأهواز : هي (الأحواز) من مدن الإقليم المشهور بـ (عربستان) ، وقد كانت للقبائل عربية الغلبة على هذا الاقليم قبل الإسلام وبعده وإلى هذا اليوم . وفي سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م=

وسَلْ (وقعةَ الأحزاب)عنه و(نِفَراً)	إذا البطلُ المِغْوارُ بالذُّعْرِ سامعُ (٢٠)
وكم غزوةٍ يغزو العِدى وسَرِيّةٍ	بها الموتُ يُقْضَى والدِّماءُ نَجائعُ (٢١)
هو الفاتحُ الصِّنْديدُ ذو البأسِ سطوةً	هو الفارسُ المِقدام مُذْ هو يافع (٢٢)
فمَنْ يُبلغُ (الخُنْكار) عنّي بأنّني	أقول له حقّــاً وما هو واقــعُ (٢٣)
بأنّ الوزيرَ ابنَ الوزير أبا العلى	له خدمـــةٌ فيها عليك صنائــعُ (٢٤)

- ألغى رضا الفهلوي اسم (عربستان) ، وأحل محله اسم (خوزستان)، لغرض سياسي، وذلك على أثر قضائه على (إمارة « المحمرة » العربية) في جنوبي الإقليم ، التي توطدت لبني كعب منذ سنة ١٢٧٣ هـ ؛ وما يزال الإقليم يعج بالقبائل العربية ، أمثال : بني طرف، وبني لام « لأم » ، وبني مالك، وبني خالد ، وبني تميم ، وآل خميس ، وزبيد ، وربيعة .. ومساحة الإقليم ٣٩٫٠٠٠ ميل مربع ، وأهم مدنه : (الأحواز) و(ششتر) « تستر » ، و (دزفول) ، و(الحويزة)، و(بهبهان): و(المحمرة) – وقد استرد العراق (المحمرة) (والحويزة) سنة ١٩٨٠ م ، ولا تزال (دزفول) وغيرها مرمى نيران جيشه المظفر . وتفصيل الكلام على إقليم (عربستان) في كتابي : « معجم الأقاليم » . – الجحفل :(ت/٢). الشوس : جمع الأشوس ؛ وهو الشجاع الجرئ . – الكماة: جمع الكمي، وهو لابس السلاح ، و – الشجاع المقدام الجرئ كان عليه سلاح أو لم يكن . –الزعازع : الشدائد ، وهي ليست مما يوصف به الشجعان .

(٢٠) لم أتبين وجهاً لذكر « وقعة الأحزاب » في سياق الكلام على وقعات الوزير في (إيران) و (لورستان) و (الأحواز) . . ذلك أن الأحزاب هم جنود الكفار الذين تألبوا وتظاهروا على حزب النبي ، صلى الله عليه وسلم . فلعله أراد التشبيه . – نفر : قال ياقوت : هو ، بلد أو قرية على (نهر النرس) من بلاد الفرس ، عن (الخطيب) » ، قال : « فان كان عنى أنه من بلاد الفرس قديماً ، جاز . فأما الآن [المئة السابعة الهجرية] ، فهو من نواحي (بابل) بأرض (الكوفة) . . . » . – إذا : أرى صوابها « إذ » . – المغوار : المقاتل الكثير الغارات على أعدائه .

(٢١) السرية : في عرف العرب قديماً : قطعة من الجيش ما بين خمسة أنفس الى ثلاث مئة ، أو هي من الخيل نحو أربع مئة . جمعها : سرايا . – النجائع: ذكر في دواوين اللغة « النجيع » ولم يذكر جمعه ، وهو الدم ، وقيل : هو دم الجوف خاصة ، وقيل : هو الطري منه ، وقيل : ما كان الى السواد . وقيل : هو الدم المصبوب .

(٢٢) الصنديد : الشريف الشجاع . – اليافع : من شارف الاحتلام ، وهو دون المراهق .

(٢٣) الخنكار : السلطان ، بلغة الترك .

(٢٤) الصنائع : جمع الصنيعة . وهي كل ما عمل من خير أو إحسان .

فلولاهُ : ما كانت حصون تشيّدتْ ... ولولاهُ : ما كان القِلاعُ تُمانِعُ

ولا كان في أرض (العراقَيْنِ) قريةٌ ... بهذ قمرُ الأحكام والدِّينِ ساطعُ (٢٥)

فجُرِّبَ محصوراً وجُرِّبَ حاصراً ... فكان سديدَ الرّأي ، ما هو هالعُ (٢٦)

وحافَظَ (بغداداً) ، وجادَ بنفســه ... فلا يختشي رَيْباً ، ولا هو جازعُ (٢٧)

ولا حادَ عن طُرْق السّداد مُحافظاً ... لِكيلا يَكيدَ الدِّينَ مَنْ هو خانعُ (٢٨)

ولا اكتحلت عيناه بالغُمْض ساعةً ... ولا قام إلّا وَهْوَ في الحال دارِعُ (٢٩)

وجاهَدَهُم في الله حقَّ جِهاده ... وحامى حِمى الإسلام والغيرُ هاجعُ (٣٠)

وعَسَّ نواحي السُّور والليلُ أَلْيَلٌ ... وهذا جِهــادٌ في الحقيقة رادعُ (٣١)

وحصَّنَ حِصنَ المُحْصَنات ، وطالما ... يكافح عن أعراضنا ويُدافــعُ (٣٢)

ولولاهُ : كانت في يد (الفُرْسِ) أَزْمُناً ... حَلائلُنا تقتادُهُنَّ فضائــعُ (٣٣)

ولولاهُ : كانت في الوحوش قُبورُنا ... وأطفالُنا عندَ اللئـــام بضائعُ

ولولاهُ : كان الدِّينُ تُمْحَى رُبُوعُه ... وتُدْرَسُ للإسلام ـ صاحِ ـ شرائعُ (٣٤)

---

(٢٥) العراقان : البصرة والكوفة ، أطلقه المسلمون عليهما قديماً ، ثم بطل استعماله .

(٢٦) الهالع : الشديد الجزع .

(٢٧) يختشي : المعروف في كلام العرب : خشي يخشى خشية ؛ وخشاه تخشية : اذا خوفه ، وخاشاني فخشيته أخشيه : كنت أشد منه خشية .

(٢٨) خانع : ش « خالع » ، وهي الملائمة في السياق .

(٢٩) الغمض : النوم . دارع : ذو درع .

(٣٠) الغير : منع قوم دخول « ال » على : « غير » ؛ وكذا « كل » و « بعض » ، لأنها لا تعرف بالإضافة ، فلا تعرف بـ « ال » . وأجازه آخرون . ينظر التفصيل في « تهذيب الأسماء واللغات » و « تاج العروس » .

(٣١) عس : طاف بالليل يحرس الناس ويكشف أهل الريبة .

(٣٢) المحصنات : المتزوجات المعصونات . و ـ العفيفات .

(٣٣) الحلائل: الزوجات . و ـ الجارات ، الواحدة حليلة . ـ فضائع: صوابها في (ش) «فظائع» .

(٣٤) صاح : يا صاحبي ، منادى مرخم ومحذوف منه حرف النداء .

[١٢٩ / أ]

ولولاهُ ، ما سُورُ (الزُّوَيْراء) مانعاً ... ولا « الطّوبُ » عنّا للطّوائحُ دافعُ(٣٥)

ولولاهُ ، ما دامت على الأرض سُنّةٌ ... ولا ذكر (الشّيْخَيْنِ) بالخير خاشعُ(٣٦)

ولا كان (للصِّدِّيقة) اليومَ ذاكرٌ ... بخير ، ولا ذكرُ (الصَّحابة) ذائعُ(٣٧)

ولا كان (للنُّعمان) حَيٌّ نزورُهُ ... ولا كان في هذي الأقاليم جامعُ(٣٨)

ولا كان (للخُنْكار)، دامَ عُلُوُّهُ : ... من النّاس في هذي الدّيار مُبايعُ(٣٩)

له مِنّةٌ عظمى على الخلق كُلِّهم ... وذلك مشهورُ الرِّواية شائعُ

•

(أبا عادلٍ) ! إنّي حَثَثْتُ مَطيّتي ... إلى رَبْعك السّامي ، فما أنا صانعُ ؟

فقُلْ لي : فماذا أن أقولَ لِصِبْيَتي ... إذا جِئْتُهمْ والكُلُّ منهُمُ جائعُ(٤٠)

فلا زِلتَ منصوراً ، وأمرُك نافذٌ ... وخصمُك مخذولٌ ، وحكمُك قاطعُ

---

(٣٥) الزويراء : تصغير « الزوراء » ، (ينظر ت/١٠١ ، في الفصل الثاني) . - الطوائح : المهلكات .

(٣٦) الشيخان : أبو بكر الصديق قامع الردة ، وعمر بن الخطاب صاحب الفتوح ، رضي الله عنهما .

(٣٧) الصديقة : هي أم المؤمنين ، زوج خاتم النبيين ، صلى الله عليه وسلم : عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما

(٣٨) النعمان : هو أبو حنيفة . النعمان بن ثابت ، التيمي بالولاء ، الكوفي ، الفقيه المجتهد العظيم . ولد بالكوفة سنة ثمانين (٦٩٩ م) ، وتوفي ببغداد سنة خمسين ومئة (٧٦٧ م) . قال الإمام مالك يصفه : « رأيت رجلا ، لو كلمته في هذه السارية أن يجعلها ذهباً ، لقام بحجته » ؛ وعن الإمام الشافعي : « الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة » . وفي سيرته كتب كثيرة للقدماء والمحدثين . . تنظر في الأعلام (٩/د) ؛ وتعليقاتي على خريدة القصر / قسم شعراء العراق .

(٣٩) الخنكار : السلطان المحرك بلغة الترك .

(٤٠) منهم : تقرأ باختزال ضمتي الهاء والميم . . وهذا البيت ، صدى للبؤس والتجويع والحرمان الذي ألقاه نادر طهماسب قلي خان بغداد في الحصار الطويل الذي ضرب عليها .

– ٢ –

[١٧٢ /ب] ثمّ إنّ الفقيرَ أرسل إلى أهل (المَوْصِل) كتاباً، وقصيدة، يهنّئهم بالسّلامة.

أمّا الكتاب، فلم تبقَ بالبال ألفاظُهُ ومعانيه، إلا أنّه كهذه الألفاظ والمعاني:

« (يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عليكُمْ، إذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ، فأرسَلْنا عليهِمْ رِيحاً وجُنُوداً لَمْ تَرَوْها، وكانَ اللهُ بما تعملون بصيراً. إذ جاؤوكم مِن فَوْقِكم ومِن أسْفَلَ منكم. وإذْ زاغتِ الأبصارُ، وبَلَغَتِ القلوبُ الحَناجِرَ، وتَظُنُّون باللهِ الظُّنُونا. هُنالك ابتُلِيَ المُؤمنون، وزُلْزِلُوا زِلْزالاً شديداً). [41]

أمّا بعدُ، فإنّ أحقّ الرّعايا بأنْ تفاضَ عليه[42] مَلابِسُ الإنعامِ، وتُضافَ [١٧٣/أ] إليه[43] نفائسُ الإحسانِ والإكرام، ويُميّزَ من بين أمثالهم[44] بالإدناء والإزْلاف[45]، ويُخَصُّوا من بين أشكالهم بالإرْعاء والإكتاف[46]، ويُؤثَروا بجميل الأثَرَةِ والاقتضاء[47]، ويُشْهَروا

(٤١) ٩/١٠/١١/ الأحزاب.

(٤٢) ش: « عليهم ».

(٤٣) ش: « إليهم ».

(٤٤) ش: « ويميز أمثالهم ».

(٤٥) الإزلاف: التقريب والتقديم، يقال: زلفه زلفاً، وأزلفه إزلافاً.

(٤٦) الإرعاء: الإبقاء والرحمة. – الإكتاف: صوابه في (ش) « الإكناف » بالنون، وهو الصيانة والحفظ. يقال: كنف الشيء كنفاً، وأكنفه إكنافاً.

(٤٧) الأثرة: المكرمة المتوارثة، يقال: فلان ذو أثرة عندي: من خلصائي. – الاقتضاء: –

بجليـــل الحَـبْوَة والاصطفاء [٤٨] ، ويُقْبَض عنهم أيدي النّوائب والنّوازل ، ويُرْفَعَ إلى أجَلّ المراتب والمنازل – رَعِيّةٌ جلَت لي الإخلاصَ أسرارُهم وسَرائرُهم ، وسَلِمَتْ من الانتقاص أبصارُهم وبصائرُهم [٤٩] ، وأُحْمِدَتْ [٥٠] في المُشايعَة والـــولاء ، عُقودُهم وعقائدُهم ، وشـــهرت [٥١] بالشِّمَة والوَفاء ، عُهُودُهم ومَعاهِدُهم ، وثَبَتَتْ على مَواقفِ الحقّ أقدامُهم ، وأنْبَأ عن صحائفِ الصِّدْق إقدامُهم ، مِثْلُكُم : يا أهلَ (المَوْصِل) ، سلّمكم الله تعالى ، فإنّكم صَفَوْتُمْ حينَ المَوارِدُ تَكَدَّرت ، واشْتَدَدْتُم حينَ المَعاقِدُ تَفَتَّرَتْ [٥٢] ، وأخلصتُمْ في اعتقادكم حينَ القلوبُ تغيَّرَتْ ، وحرَصتم على الجِهاد إذِ الخُطُوب توَعَّرَت ، واستمسكتُم فيما أصابكم بعُرا الاصطبار ، وسَلَكتُمْ فيما نابَكم سبيلَ المُهاجِرينَ والأنصار ، وصُنْتُم حُرَمَكم بأيْدٍ متناصـــرة ، ورَبَطْتُم نِعَمَكُم بقلـــوب متظـــافرة [٥٣] ، وعَرَفتُم ما في التّسليم من العار ، فعدَلْتُم عن طُرُقه ، وتحقَّقْتُم ما في الثّبات مـــن الفَخار ، فتســـابقتُم الى لَحَقِه [٥٤] ، وتناصرتم على المحامات [٥٥] عـــن

= (ش) « الانتفا » (؟) ؛ وأراد « الانتقاء » ، وهو الاختيار : والاختصاص بالشيء ؛ يقال : انتقى الشيء : اختاره ، وفلانٌ بأمر : اختصه به ، وانتقى بفلان : خصّ نفسه به .

(٤٨) الحبوة : العطاء ؛ يقال : حباه حباء وحبوة ، وحباه العطاء ، وحباه بالعطاء . – الاصطفاء : التفضيل والاختيار .

(٤٩) ش : « رعية حسنت في الإخلاص ، وسلمت من الانتقاص ، أبصارهم وبصائرهم » .

(٥٠) أحمدت : وجدت محمودة .

(٥١) ش : « وشهدت » .

(٥٢) ش : « تفترت » ، بالقاف (تصحيف) .

(٥٣) تظافر ، وتضافر : (بالضاد والظاء) بمعنى واحد ، يقال : تضافروا عليه ، وتظافروا ، إذا تعاونوا ، وضافر كل منهم الآخر .

(٥٤) اللحق ، بفتحتين : ما يجيء بعد شيء يسبقه .

(٥٥) وكذا رسمت في (ش) ، والصواب « المحاماة » .

دياركم مرّةً بعدَ مرّةٍ ، وتوازَرْتُم [٥٦] على المُناضَلَة بنفوسٍ مُرّةٍ ، وعَلِمتُم أنَّ الباغيَ حيث ما [٥٧] قَصَدَ مخذولٌ ، وإنِ اتّفقَتْ له جَوْلَةٌ ، والمَبْغِيَّ عليه أينما أمَّ وألَمَّ منصورٌ [٥٨] ، وإنْ لم تظهَرْ منه صَوْلَةٌ ، وأنِفْتُمْ لأنفسكم في القتال من قَلَقِ مُستغيث الصارخ ، واندفعتم عند النِّزال كالجبال الرّواسخ ، [٥٩] وكَسَبْتُم بما أبديتُموه من الشّجاعة ، ثوابَ أهلِ الطّاعة ، وكُسيتُم من الصَّرامة [٦٠] ملابسَ [١٧٣/ب] السّلامة ، ونَشَرْتُم من حميدِ أخباركم ما يخلُدُ جمالُه في الأعقاب . وشَهَرْتُم من سديدِ آثاركم ما يَرُدُّ أقوال الحُسّاد على الأعقاب ؛ حتى أصبحتُم بنعمته إخواناً ، ولأولياء الدَّوْلَة المنصورة أنصاراً وأعواناً ، (وَرَدَّ الله الّذين كفَروا بغَيْظِهم لم ينالُوا خيراً ، وكَفَى الله المؤمنينَ القتالَ ، وكانَ اللهُ قويّاً عَزيزاً) [٦١] . فجزاكم اللهُ عن رَضِيِّ أعمالكم جزاءَ المُحسنين ، وأثابكم عن جميلِ أفعالكم ثوابَ الصّابرين ، ورَضِيَ عن مَساعيكم الحميدة في الطّاعة ، ومَناحيكم الرّشيدة من بين الجماعة ؛ ووفّقكم لشكرِ ما أنعم به عليكم حتّى اكتسبتُم من إحْمادِ [٦٢] أمير المؤمنين ما آستقلَلْتُم معه كُلَّ كثير ، واجتلبتُم من رِضاه ما استصغرتُم من اعتداده بكم [٦٣] كُلَّ كبير ؛ [و] [٦٤] ما يحلُّ

---

(٥٦) ذكرت دواوين اللغة : آزره على الأمر ، ووازره عليه : أي عاونه وقواه ، ولم تذكر تآزر وتوازر .

(٥٧) كذا : وصواب رسمه في (ش) : « حيثما » .

(٥٨) أم : قصد . - ألم بالقوم وعليهم : أتاهم فنزل بهم وزارهم زيارة غير طويلة .

(٥٩) النزال في الحرب : مقابلة العدو وجهاً لوجه لقتاله .

(٦٠) الصرامة : الجد والمضي في الأمر .

(٦١) ٢٥ , الأحزاب .

(٦٢) ش : « كتسيتم إحماد . . . » ، وليس بشيء . والإحماد : مصدر أحمده ، أي وجده محموداً .

(٦٣) بكم : لم ترد في (ش) .

(٦٤) الزيادة من (ش) .

عاجلاً وفي أفواهكم ثمرته ؛ ويلوحُ على صفحات أحوالكم قريباً يُمنُه وبركته ، ويجبرُ ما كسرته أيدي أشياع الباطل من أحوالكم [٦٥] . ويُبلِغُكم نهايةَ ما تسمو إليه نواصي آمالكم [٦٦] . وكأنّي به وقد تصوّرَ بحضرته ما دهمكم من المحنة التي هدّمت بناكم [٦٧] ، وفصمت عُراكم [٦٨] ، وأضعفت قُواكم ، وعظّمت بلويكم [٦٩] ، وحلّت حِماكم . وكأنّي به علِمَ علماً يقيناً لا يتعرّض لريْبُ ليقينه ، ولا يُعْرِضُ النقضُ على براهينه : ما جرى عليكم من مُنازعي الحقّ وأعداء الدولة ، ومُنابذيه ومُخالفي الملّة [٧٠] ، حينَ تحالفوا على مُنازلتكم ، وتوافقوا على مُقاتلتكم ؛ وما استحلّوه من تخريب الضِّياع والعَقار [٧١] ، وقطعِ الأشجار ، وقلعِ الثِّمار ، وإخلاء الضُّعفاء من مساكنهم [٧٢] ؛ [١٧٤/أ] ومنازلهم وأماكنهم ؛ فحاق الله بهم [٧٣] حتّى تكدّرت حواسُّهم ، وضاقت عليهم نفوسهم وأنفاسهم ؛ ودفعكم في نُحورهم ، حتّى انقلبُوا صاغرين ، وهرَبُوا حائرين ، وطاروا شَعاعاً [٧٤] حصائدَ السُّيوف ، وصاروا أوزاعاً طرائدَ الحتوف [٧٥] .

---

(٦٥) الأشياع : الأتباع والأنصار .
(٦٦) النواصي : مقدمات الرؤوس ؛ و – شعر مقدمات الرؤوس اذا طال .
(٦٧) بناكم : بناءكم ، قصره ليوافق السجعة .
(٦٨) فصمت : صدعت .
(٦٩) كذا ، وصواب رسمها في (ش) : « بلواكم » .
(٧٠) نابذه الحرب ؛ : جاهره بها . و– فلاناً : فارقه عن خلاف وبغض . – الملة : الشريعة أو الدين .
(٧١) العقار ، بفتح أوله : كل ملك ثابت له أصل ، كالأرض والدار ؛ جمعه عقارات .
(٧٢) العرب تقول : أخلى المكان والإناء وغيرهما ، جعله خالياً ؛ ويقال : لا أخلى الله مكانك ، دعاء له بالبقاء .
(٧٣) الصواب : « فأحاق الله بهم » . يقال : أحاق الله بهم مكرهم ، أي أنزله وجعله محيطاً بهم .
(٧٤) الشعاع ، بالفتح : المتفرق المنتشر . يقال : ذهبت نفسه شعاعاً ؛ تفرقت هممها وآراؤه ؛ فلم تتجه لأمر جزم . وذهبوا شعاعاً : متفرقين .
(٧٥) الأوزاع : الجماعات . – الحتوف : جمع الحتف ، وهو الهلاك .

وولّوا مولّين على الأذناب ، ورضوا من الغنيمة بالإياب [76] : (فأذاقهم الله الخزي في الحيوة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أكبر لوكانوا يعلمون).[77] فيجب عليكم أن تعظموا قدر هذه النعمة فيما كشف الله عنكم من سحائب الظلم والظلمة ، وأراح قلوبكم من نوائب الغم والغمة [78] ، وتدارك جماعتكم به من الرأفة والرحمة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

* * *

(٧٦) الإياب : الرجوع . والعبارة من قول امرئ القيس الكندي :

لقد طوفت في الآفاق حتى   رضيت من الغنيمة بالإياب

(٧٧) ٢٦/ الزمر .

(٧٨) الغم : الكرب ، أو الحزن يحصل للقلب . – الغمة : الغم ، ويقال : أمر غمة ، مبهم ملتبس ، وإنه لفي غمة من أمره : إذا لم يهتد للمخرج .

— ٣ —

وأمّا القصيدةُ ؛ فهي هذه :

بُشْراكُمُ بسعادةٍ وهَناءِ [٧٩] يا أهلَ تلكَ (المَوْصِلِ الحَدْباءِ)
بُشْراكُمُ ، يا أهلَ (مَوْصِلَ) ؛ إنّكُمْ نِلتُمْ من (الرَّحمنِ) خيرَ جزاءِ !
مَنْ حَيَّ منكُمْ ، في الغُزاةِ نصيبُهُ ونصيبُ مَنْ قد ماتَ في الشُّهَداءِ
جاهَدْتُمُ في (الله) حَقَّ جِهادِهِ وصَبَرْتُمُ لحوادثِ الأَنْواءِ [٨٠]
ودَفَعْتُمُ عن بِيضِكم بل سُمْرِكُمْ [٨١] بالبِيضِ بل بالسَّمْرَةِ الصَّعْداءِ [٨٢]
وحميتُمُ العِرضَ المصونَ عن الأذى حيثُ الترمْتُمْ شيمةَ الآباءِ [٨٣]
تالله ! إنّكُمُ فوارس (كَهْمَسٍ) تالله ! أنتم عُدَّةُ الهيجاءِ [٨٤]

❁

(٧٩) هناء : لم ترد في المعاجم ؛ وإنما وردت فيها «الهناءة» . وشاعت «الهناء» في كلام المولدين ؛ ومنه :

هناء محا ذاك العزاء المقدما فما عبس المحزون حتى تبسما

(٨٠) الأنواء : جمع النوء ، والنوء والمناوأة : المناداة .

(٨١) ش : «بل شمكم» ؛ وليست بشيء .

(٨٢) البيض : السيوف . — السمر : الرماح ، واحدها أسمر ، ولا تعرف فيه «السمرة» ؛ وتوصف بـ «الصعاد» وواحدتها «الصعدة» ، ولا تعرف فيها «الصعداء» ؛ والصعدة : القناة تنبت مستوية فلا تحتاج الى تثقيف . و — النعبة .

(٨٣) التزمتم : ش «أرثتم» ؛ وليست بشيء .

(٨٤) كهمس : أبو حي من العرب ؛ في لسان العرب : أنشد سيبويه لمودود العنبري . وقيل : هو لأبي حزابة الوليد بن حنيفة — :

وكنا حسبناهم فوارس (كهمس) حيوا بعدما ماتوا من الدهر أعصرا

وكهمس هذا : هو كهمس بن طلق الصريمي ؛ وكان من جملة الخوارج مع بلال بن مرداس ..ـ

يله درُّكُمُ ، ودرُّ رئيسِكُمْ ! مَلِكٌ تولَّى قُنَّةَ العَلْياءِ (٨٥)

بطلٌ : إذا حَمِيَ الوَطيسُ رأيتَهُ وَرَدَ الدِّماءَ مكانَ وِرْدِ الماءِ (٨٦)

قَرْمٌ : إذا اغبرَّ السَّماءُ بِمَهْمَهٍ قد ألبسَ الغَبْراءَ ثوبَ دِماءِ (٨٧)

شاكي السِّلاحِ مُقَذَّفٌ ، فكأنَّهُ ليثُ الشَّرَى يسطو على الأعداءِ (٨٨)

يا صاحِ ! إنْ هَزَّ القَنا لعِداتِهِ تلقاهُمُ سَجَدُوا على الغَبْراءِ

[١٧٤/ب]

يا . . كَمْ له نظمٌ ونثرٌ فيهِمُ ، فهُمُ إذَنْ منه بكُلِّ عَناءِ

لا يَرْعَوِي عنهُمْ لِحَتْفِ نُفُوسِهِمْ حتّى تَفِيضَ بِقاعةِ الوَعْساءِ (٨٩)

عَرَبيُّ أصلٍ فاتكٌ ذو نَجْدَةٍ ذو شِيمَةٍ محمودةٍ وسخاءِ

مِنْ كَفِّهِ الحَتْفُ المبينُ لَدَى الوَغا وبكفِّهِ الإحياءُ عندَ عطاءِ (٩٠)

= وحيوا : يعني الخوارج أصحاب (كهمس)، أي : كأن هؤلاء القوم أصحاب كهمس في قوتهم وشدتهم ونصرتهم . – الهيجاء : الحرب .

(٨٥) القنة : القمة .

(٨٦) الوطيس : المعركة ، ويقال : حمي الوطيس ، اذا جدت الحرب واشتدت .

(٨٧) القرم : السيد المعظم . – المهمه : المفازة البعيدة ، – وأبلد المقفر . – الغبراء : الأرض .

(٨٨) شاكي السلاح : تام السلاح كامل الاستعداد . – مقذف : أغلب ، وقيل : كثير اللحم كأنه قذف باللحم قذفاً ، فصار أغلب ، قال زهير بن أبي سلمى :

لدى أسد شاكي السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلم

الشرى : موضع كثير الأسد . – يسطو على الأعداء : يبطش بهم ويقهرهم . وفي (ش) : « يعلوي » ، وهي نابية في السياق .

(٨٩) لا يرعوي عنهم : لا يكف ولا يرتدع . – الحتف : (ت . د ٧٠) . –

تفيض : أراد « تفيض » ، أي : تموت . – القاعة : أرض مستوية مطمئنة عما يحيط بها من الجبال والآكام . – الوعساء : الأرض اللينة ذات الرمل تنبت البقول الجيدة ، و – السهل اللين من الرمل تغيب فيه الأرجل .

(٩٠) الوغا : وكذا في (ش) أيضاً ، وصواب رسمها « الوغى » ، وهي الجلبة . – الإحياء : (ش) « الإعطاء » .

تالله ! قد ضَنَّ الزَّمانُ بمثلـــــه ... إذْ جادَ بالصَّفْراءِ والبيضـــاءِ [٩١]

لا عيبَ فيه ، غيرَ أنَّ نُقُودَهُ ... مقبوضـــةٌ بأناملِ الفُقَــراءِ

تُلْغِي دَنانيرَ الصّــلاةِ بكفِّـــهِ ... من حُزْنِها في حُلَّةٍ صفــراءِ [٩٢]

ما (حاتِمُ الطّائيُّ) عنـــدَ عطائِهِ ... إلّا كقَطْرٍ ، وَهْوَ كُلُّ الماءِ [٩٣]

ليثٌ ، لأَعْباءِ الوِزارةِ حـــامِلٌ ... فلــقد سَما قَدْراً على (الجَوْزاءِ) [٩٤]

قد جادَ في حفظِ النِّساءِ بجِدِّهِ ... وبحفظِ أطفالٍ وحفظِ إمـــاءِ [٩٥]

لولاهُ ، ما «طوبُ» (الحُدَيْبا) نافعٌ ... كلّا ، كذاك «قنابرُ» (الحَدْباءِ) [٩٦]

إنْ لم يكُنْ ، «نارُ البنادقِ» لم تَكُنْ ... تَحمي الدِّيارَ صِيالَةَ الأعـــداءِ [٩٧]

لولاهُ ، كانت في الوحوشِ قُبُورُكم ... ونِســاؤكم يُدْعَوْنَ بالأُســراءِ

لولاهُ ، كادَ الدِّينُ يُمْحَى رَبْعُهُ ... وتزولُ عنكم نِسْبَةُ الغَـــرّاءِ [٩٨]

لولاهُ ، ما ذِكرُ (الصَّحابةِ) شائعٌ ... في حَيِّكِم إلا على اســتهزاءِ

*

(٩١) ظن : صوابها في (ش) : « ضن » ، أي : بخل بخلا شديداً .

(٩٢) الصلاة : وكذا في (ش) أيضاً . وصوابها « الصلات » ، جمع « الصلة » : وهي العطية والجائزة .

(٩٣) حاتم الطائي : حاتم بن عبدالله الطائي القحطاني ، فارس ، شاعر ، جواد ، جاهلي ، يضرب المثل بجوده . أخباره في : الشعر والشعراء ٧٠ ، وخزانة البغدادي (١/٤٩٤ و ٢/٦٤) ، وبلوغ الأرب (١/٧٢) ، وغيرها .

(٩٤) الأعباء : جمع « عبء » ، وهو الحمل ، و – الثقل من أي شيء كان . – الجوزاء : برج من بروج السماء .

(٩٥) الإماء : جمع الأمة ، بفتحتين وتخفيف الميم . وهي المرأة المملوكة خلاف الحرة . وتقول : يا أمة الله ، كما تقول : يا عبدالله .

(٩٦) الحديبا : الحديبة ، تصغير « حدباء » ، وهي وصف توصف به (الموصل) .

(٩٧) صيالة : أحد مصادر صاول ، ومعناه غلب ونافس في الصول ، وهو السطو والقهر .

(٩٨) نسبة الغراء : يريد « نسبة الشريعة الغراء » .

أ (أبا مُراد) ! قد مَدَحتُكَ حِسْبَةً	من غيرِ ما مَيْلٍ إلى إعطاءِ (٩٩)
أ(أبا مُرادٍ)! إنْ جَهِلتَ حقيقتي	فاعلَمْ بأنّي شاعرُ (الزَّوْراءِ) (١٠٠)
خُذْها فريدةَ عصرِها من خِدْرِها	بِكْرَ المعاني لم تَزَلْ بِخِباءِ (١٠١)

*

يا راكبَ الوَجْناءِ يَمِّمْ (مَوْصِلاً)	وانزِلْ بها يا راكبَ الوَجْناءِ (١٠٢)
واقرى السّلامَ على الأولى قد جاهدوا	في الله : لا عن سُمعةٍ ورياءِ (١٠٣)
وقُلِ : ابْنُ (عبدِ الله) وَدَّ لو أنّهُ	معكم بتلك الوقعةِ الدَّهْماءِ (١٠٤)

[١٧٥ / أ]

ولكُمْ بـ (أحمدَ) أُسْوَةٌ محمودةٌ :	أكرِمْ بها من أُسْوَةٍ حسناءِ !
في (وقعة الأحزاب) : غزوةِ خَنْدَقٍ	حيثُ العدوُّ أحاطَ بالأحياءِ ، (١٠٥)

---

(٩٩) حسبة : مدخراً أجري عند الله .– أبو مراد : هو الحاج حسين باشا الجليلي ، بن اسماعيل ، ابن عبدالجليل ، وإلى جده هذا نسبته . ولد في الموصل سنة ١١٠٧ هـ ، وتوفي بها سنة ١١٧١هـ. تقلد ولاية الموصل (ما بين ١١٤٣ – ١١٧١ هـ) ثماني مرات ، يولى ويعزل ، وأقل مدة يقيمها سنة ، وأطولها أربع سنوات وشهر (١١٥٤ – ١١٦٠ هـ) . اشتهر باستبساله في قتال جيش نادر طهماسب قلي الذي ضرب الحصار عن الموصل (سنة ١١٥٦ هـ) . وبفضائل عدة . ترجمته في الروض النضر ، وسلك الدرر ٢/١٥ ، ومنية الأدباء ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ومنهل الأولياء ١/١٤٤ – ١٦٧ ، وغيرها . ينظر (فهرس الكتاب) ٢٩٠ ، وشمامة العنبر ، وتاريخ الموصل (١/٢٧٣– ٢٩٤) .

(١٠٠) الزوراء : (ت/١٠١/في القسم الثاني).

(١٠١) الخدر : ستر يمد للمرأة في ناحية البيت .

(١٠٢) الوجناء : صفة لموصوف محذوف ، أي : الناقة الوجناء ، وهي الشديدة ، أو العظيمة الوجنتين ، والوجنة ما ارتفع من الخدين .

(١٠٣) واقرى : صوابه في (ش) : « واقرِ » ، مخفف « اقرأ » . – الأولى : وكذا في (ش) أيضاً ، وصواب رسمها « الألى »

(١٠٤) الدهماء : السوداء .

(١٠٥) وقعة الأحزاب ، ويقال غزوة الخندق أيضاً : من أعظم وقائع التاريخ الاسلامي . . –

قَصَدت أعاديكم بلوغَ مُرادِهِمْ منكــم بأنْ يرمُوكُمُ بدَهــاء
« رَفعُوا » قَنابِرَهم « لخَنْضِ » نُسُورِكُمْ
لكِنّها « نُصِبَتْ » عــلى « الإغْراء »[106]
بَقَرُوا بأرضكُمُ « اللُغُومَ » لِضُرِّكُمْ رَجَعت إليهِم نارُهــا برَداء[107]
أوْدَتْ بِهِمْ كسيُوفكم إذْ جُرِّدَت حيِنَ ارْمَغَلّوا نحوَكم لِبَلاء[108]
فقَرَيْتُمُ طيرَ الفَلاةِ ووحشَهــا فعليكُمُ منهــا عميمُ ثنــاء[109]
أنجبتُمُ ، يا قومُ ، حيثُ جَعَلْتُمُ جَوْفَ الوحوشِ مقابرَ اللأمــاءِ[110]
اللهُ أعلمُ كانَ هــذا منكُــمُ قصداً لأجْلِ طهــارةِ الصَّحْراء
لم يتّفِقْ في الكونِ مثلُ ثَباتِكُمْ حيثُ الرُؤُسُ تُبَثُّ في البَيْداء[111]
ولَكُمْ بِـ(بَدْرٍ) أسْوَةٌ . بُشراكُمُ عنكُمْ أُزيلت جملةُ الأسْواء[112]

= حدثت في شوال ، وقيل : في ذي القعدة من السنة الخامسة. حدثت بين أحزاب المشركين واليهود من جهة، والمسلمين من جهة أخرى (المدينة) ؛ وقد تحصن المسلمون بخندق حفروه ؛ وأقاموا محاصرين يتناوشون ، ثم نصر الله رسوله ، فانهزم الأحزاب واليهود ؛ وردهم بغيظهم لم ينالوا خيراً . وتفصيل أخبار هذه الوقعة في التفاسير ، وكتب السيرة والتاريخ ؛ وتحليل أسبابها ونتائجها في « حياة محمد » للدكتور محمد حسين هيكل (٣١٨ – ٣٣٢ ، ط ٢).

(١٠٦) الإغراء (في النحو) : تنبيه المخاطب على أمر محمود ليلزمه . يقال : أخاك أخاك ، والنجدة والشهامة . و (في اللغة) : التحريض على الشيء ؛ وفي التنزيل العزيز : (فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء) .

(١٠٧) بقروا : شقوا . – اللغوم : (ت ٢٩١ في القسم الثاني) . – برداء : بردى ، أي بهلاك ، مد ألفه المقصورة ؛ وهو من ضرورات الزيادة المستقبحة .

(١٠٨) إرمغلوا : تتابعوا ، ويقال بالعين المهملة أيضاً .

(١٠٩) قريتم : أضفتم وأكرمتم .

(١١٠) أنجبتم : نجبتم : أي نبهتم وبان فضلكم على من كانوا أمثالكم . – اللأماء : وكذا رسمت في (ش) أيضاً ، وصواب رسمها بلاوو « اللؤماء » .

(١١١) الرؤس : ش « الروس » ، وصواب رسمها « الرؤوس » . – تبث : تفرق وتنشر ، وأراد « تبت » ، يقال : بت الشيء بتاً ، وبتة ، وبتاتاً ؛ إذا قطعه مستأصلاً . – البيداء : الفلاة .

(١١٢) بدر : هي وقعة بدر الكبرى (عند ماء – يسمى بدراً – بين مكة والمدينة ، على ليلة من ساحل =

تَبّاً لـ (كركوكٍ) ! وتَبّتْ أهلُها ! جلَبُوا لأنفُسهم جميعَ إســاءِ(113)
إذْ لم يحامُوا عن عِيالٍ ساعــةً معَ أنَّ حِصْنَهُمْ لَخَيْرُ بِناءِ(114)

*

يا أهلَ (مَوْصِلَ) ! فاخِرُوا مَنْ شِئتُمُ فَلأَنْتُمُ أحْـــرَى بكُلِّ علاءِ
لا زِلْتُــمُ بســعادةٍ أبَدِيَّــةٍ يا أهلَ تلك (المَوْصِلِ الحَدْباءِ) !

* * *

البحر الأحمر) حدثت في شهر رمضان سنة اثنتين للهجرة ، وأظهر الله بها الإسلام على المشركين . وشأنها في التاريخ الإسلامي عظيم ، وقد استفاضت الكتابات فيها قديماً وحديثاً ، وما تزال مثار العبر . وفي كتاب « حياة محمد » (٢٥٠ – ٢٧٠ ، ط / ٢) مثال بارع في تصوير الوقعة ونتائجها في حياة الإسلام .

(١١٣) إساء : كذا ، وليس في (س /و/ه) هذا اللفظ . وورد في (أ/س/و) الإساء ، وهو الدواء ، وإن شئت كان جمعاً للآسي ، وهو المعالج . وليس مراداً ها هنا . ـ تبت : خسرت وهلكت ، ويقال في الدعاء والذم : تباً له . ولست أرى أهل (كركوك) يستحقون من المؤلف الناظم هذا الـذم بعد الذي ذكره في تاريخه عن حصار (نادر طهماسب قلي) لمدينتهم الصغيرة (قلعة كركوك) ، وما أنزلته بها مدافعه وقنابره من إماتة الخلق الكثير ، وتخريب أكثر العمران « فلم يكن لأهلها بد من التسليم » على حد كلامه . على أن شاهد عيان من كتاب السريان تحدث عن استبسال أهل هذه المدينة ، وكيف فتحوا أبواب مدينتهم ، وخرجوا يقاتلون جيش هذا الباغي غير مبالين بكثرة عدده وعدده وسلاحه الفتاك . وهو في مجلة « لغة العرب » م ٧ (١٩٢٩ م) : ص ٣٧٩ – ٣٨٣ ؛ ومجلة « بين النهرين » ٩/٣٣ (١٩٨١م) ، ص ٩٣ – ٩٩ .

(١١٤) لخير بناء : (ش) « بخير بناء » . والواقع أن (كركوك القلعة) أو (قلعة كركوك) ما كانت غير بليدة أشبه بالقرية ، على تل مشرف على سهل ؛ وناسها قليل . ومبانيها ضعيفة ، ومن البطولة أنها ثبتت بوجه هذا الجيش الفارسي العرمرم ، وقد « حاصرها ثمانية أيام . . ضرب عليها في هذه المدة عشرين ألف طوب ؛ ومثلها قنابر . . » على حد قول المؤلف الناظم نفسه ، (وقد تقدم في الفصل الثاني) .

— ٤ —

وفي هذه الأوقات ؛ وردت من (الحافظ البصير المَوْصِليّ)[١١٥] أُرجوزةٌ إلى (السيّد عبدالله المَوْصِليّ)[١١٦] المعروف بـ (فَخْري زادَهْ) ؛ فيهـا تفصيل الوقعة المذكورة ؛ وهي[١١٧] :

الحمدُ للهِ السّـلامِ المُـؤمنِ   المالـكِ المقتدرِ المُهَيْمنِ[١١٨]

---

(١١٥) هو السيد خليل البصير بن علي بن أحمد خير ؛ من عمومة آل الفخري الموصليين . عمي في صغره ، وأخذ الأدب والعلم عن شيوخ الموصل وغيرهم، فبرع ؛ وحفظ القرآن الكريم بالقراءات السبع ؛ ونظم الشعر بالعربية والتركية والفارسية . توفي في الموصل سنة ١١٧٦هـ . وترجمته في سلك الدرر (١٠٢/٢) ؛ والروض النضر ؛ وشعراء بغداد وكتابها للخطيبي الشهرباني ٢٣-٢٤ . ومنهج الثقات ؛ ومنية الأدباء ؛ ومنهل الأولياء ؛ وتاريخ الموصل (١٧١/٢ – ١٧٤).

(١١٦) السيد عبدالله بن فخر الدين الموصلي ؛ من السادة الحسينيين في الموصل : فقيه كاتب شاعر ؛ نشأ وتأدب وتفقه في الموصل ؛ وانتقل الى بغداد ؛ ومدح الوزير أحمد باشا بن حسن باشا ، فقربه وولاه « أمانة الإفتاء » . وفي « غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام » (مخطوط) : إنه اتصل بعد ذلك بالوزير سليمان باشا ، ثم علي باشا ، ثم عمر باشا ؛ وتولى لهم كتابة « ديوان الإنشاء » . وتوفي سنة ١١٨٨ هـ . وله من المؤلفات : « شرح رسالة العاملي» في علم الهيأة ، و « سوانح القريحة في شرح الصفيحة » في الأصطرلاب ؛ وحاشية على شرح الجغميني ، وشرح وجيز لقصيدة « بانت سعاد » ، ومجموعة الفخري وهي في مكتبة المتحف الوطني ببغداد .

(١١٧) لدي من هذه الأرجوزة – غير هذين الأصلين المخطوطين المرموز اليهما بـ (ل) و (ش) – نصان آخران مطبوعان ، وكلاهما منقول من بعض المجاميع الأدبية : نص منشور في « مجلة المجمع العلمي العراقي» م ١٣ (١٣٨٥ هـ – ١٩٦٦م ») «ص ٢٦٠ – ٢٦٤ ». ونص آخر منشور في « مجلة آفاق عربية » (نيسان ١٩٨١) « ص ٣٨ – ٤٠ » . وقد رمزت إلى الأول بالحرف (م) . وإلى الثاني بالحرف (آ) .

(١١٨) المقتدر : (آ) « المقتدر» بخلاف الأصول الثلاثة . –المهيمن : المسيطر والمراقب والحافظ ، وهو من أسماء الله تعالى .

وَهُوَ الّذي أيّــدنا بنَصْرِهِ ... على العَــدوّ منقذاً من حَصْرِهِ

ثمّ الصّلوةُ والسّلامُ الدّائــمُ ... على الّذي حلّتْ له الغنائــمُ (١١٩)

مؤيّــدِ الحقّ نبــيِّ المَلْحَمَهْ ... (محمّدٍ)الماحي ظلامَ المَظْلِمَهْ (١٢٠)

[١٧٥ / ب]

وَهُوَ الّذي أبادَ جيشَ الكُفْــرِ ... قَلّدَهُ المــولى بسيفِ النّصرِ (١٢١)

وآلِ والصّحْبِ الّذين جاهَدُوا ... في اللهِ ؛ والجَنانَ منه شاهَدُوا

ما أسْرِجَ الدُّهْمُ ؛ وجالَ الغُرُّ ؛ ... وجُرِّدَ البيضُ ؛ ومالَ السُّمْرُ (١٢٢)

*

وبعدُ : فالأَسْنى مــن السّلامِ ... يُهْدَى إلى ابْنِ سيّدِ الأَنامِ : (١٢٣)

الفاضلِ المحقّقِ العَلّامَــــهْ ... والكاملِ المُدَقّقِ الفَهّامَهْ (١٢٤)

أخي ومُؤْنِسي بــلا اشْتِــباهِ ... السّيّدِ النّحْريرِ : (عَبْدِ اللهِ) (١٢٥)

لا زالَ « خافضاً » أولِي الضّلالِ ... « بنَصْبِهِ » ألْوِيَةَ الكمالِ (١٢٦)

---

(١١٩) الصلوة : كذا رسمت برسم المصحف الشريف في المخطوطتين .

(١٢٠) الملحمه ; والمظلمه : رسمتا في المطبوعتين : « الملحمة والمظلمة » ، وهما هاءان ساكنتان في هذين المصراعين . — ونبي الملحمة معناه نبي الصلاح وتأليف الناس ؛ كان يؤلف أمر الأمة ، من قولهم : لحم الأمر : إذا أحكمه وأصلحه . — والمظلمة : الظلم . و— ما تطلبه عند الظالم ، وهو اسم ما أخذ منك .

(١٢١) قلّده : يقال : قلد فلاناً السيف ، إذا ألقى حمالته في عنقه ؛ ولا تعرف تعديته .

(١٢٢) الدهم : الخيول الدهم ، أي السود الألوان . — أسرجت : شدت عليها السروج . — الغر : جمع الأغر ؛ وهو الشريف والسيد . — البيض : السيوف . — السمر : الرماح .

(١٢٣) (آ) « يهدى لابن سيد الأنام » . ووزنه مكسور .

(١٢٤) العلامه والفهامه : رسمتا في (م) و (آ) « العلامة والفهامة » ، وهما هاءان ساكنتان في المصراعين .

(١٢٥) اشتباه : رسمت في (م) « اشتباه » بهاء منقوطة .

(١٢٦) خافضاً : (ش) « حافظاً » ، وهو مفسد للمعنى .

يا مَنْ هداهُ اللهُ للفواضلِ ... وخَصَّهُ بالعلمِ والفضائلِ (١٢٧)

*

وحَفّهُ بالرُّشدِ والكياسَهْ ... والفهمِ والفِطنَةِ والفِراسَهْ (١٢٨)

كيفَ طِباعُكُمْ؟ وما حالاتُكُمْ؟ ... بأيِّ شيءٍ تنقضي أوقاتُكُمْ؟ (١٢٩)

إنّي الى حِماكُمُ مشتاقُ ... أنحلني الفِراقُ والأشواقُ (١٣٠)

بحيثُ لو قُسِّمَ عُرضُ الشَعْرَةِ ... عشرةَ أقسامٍ، حَكَتْهُ دِقّتي! (١٣١)

واللهَ أسألُ المُلاقاتِ الّتي ... تَشفِي من الغرامِ كُلَّ عِلّتي (١٣٢)

*

فإنْ تُجيزُوا الفَصْحَ عن حالِ البَلَدْ ... وما مِن الشِّدّةِ والضِّيقِ وَجَدْ

فالحمدُ للهِ مُعينِ الضُّعَفا ... مُفَرِّجِ الكَرْبِ، مُعَجِّلِ الشِّفا

على انكشافِ الضُّرِّ والآلامِ ... وصَوْنِ عِرْضِنا عن (الأعجامِ) (١٣٣)

إذْ دَخَلُوا القُرى وأفسدُوها ... آذَوْا، ومَزَّقُوا، وشَرَّدُوها (١٣٤)

واستهلكوا الشُّبّانَ والفِتْيانا ... واستأسروا النِّسْوانَ والصِّبْيانا (١٣٥)

---

(١٢٧) الفواضل : النعم العظيمة ، واحدتها الفاضلة .

(١٢٨) الكياسه والفراسه : رسمتا في المطبوعتين : « الكياسة و الفراسة » .

(١٢٩) تنقضي : في (م) « ينقضي » (خطأ) .

(١٣٠) حماكم : (ش) و (آ) « جمالكم » ، (م) « وصالكم » .

(١٣١) قسم : في (م) و (آ) : « قسّم » . والصحيح ما في الأصلين المخطوطين معنى ووزناً.- حكته : (ش) « حوته » . - دقتي : (آ) « رقتي » ، وليس بشيء .

(١٣٢) الملاقات : صوابها في (ش) و (م) و (آ) « الملاقاة » . - تشفي : (م) «يشفي» (خطأ) .

(*) الفصح : أراد الإفصاح .

(١٣٣) عن : (م) و (آ) « من » ، وكذا في (ش) ، وهو الصواب .

(١٣٤) ومزقوا : (ش) « وفرقوا » .

(١٣٥) استهلكوا : (م) « انتهكوا » . - استأسروا : (ش) « استأثروا » .

وغادروا الشُّيُوخَ والأطْفالا وحَمَّلُوا الأحمالَ والأثقالا

*

ثُمَّ تَوَجَّهُوا لِيحصُرُونا ويستفِزّونا ويَكسِرُونا (١٣٦)

جاؤا (كأنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِرْ) فحاصروا(في يوم نحسٍ مُسْتَمِرْ)(١٣٧)

[١٧٦/أ]

*

أخبرنا مفتيهموا أنَّ الفِئَهْ خمسٌ وسبعونَ تَليهما مائه(١٣٨)

وإنّما تميزُ ذا الأعدادِ ألفٌ بلا نقصٍ ولا ازديادِ (١٣٩)

دَنَوْا فأمطروا علينا نارا لم يَهجعُوا ليلاً ولا نهارا

[وإصْبَعا كُلٍّ من الخلائقِ في أذُنَيْهِ حَذَرَ الصَّواعقِ] (١٤٠)

فبانَ بينَنا سِماتُ القحطِ حتى حُرِمْنا شُرْبَ ماءِ الشّطِّ (١٤١)

---

(١٣٦) يستفزونا : (ش) «ويستفرن» (تحريف) .

(١٣٧) جاؤا : وكذا في (ش) و (م) و (آ) ، والصواب « جاؤوا » . — « كأنهم . . » (٧/سورة القمر) ؛ وتمامها : (خشعاً أبصارهم : يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر). — « في يوم . . » (١٩/ القمر) ، وتمامها : (إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر) .

(١٣٨) مفتيهموا : صوابها « مفتيهم » بكسر الهاء وضم الميم . وهو (ملا باشي علي أكبر). وقد أرسل – بعد إخضاع (كركوك) و (إربل) – رسلا الى (الموصل) ، ومعهم كتاب الى مفتي الموصل (السيد يحيى الفخري) . يتوعد فيه أهل المدينة بالفتك والتدمير، ويضرب الأمثال بما فعله (نادر شاه)بالبلاد العراقية التي وقفت بوجهه ؛ وينصح أن تفتح له الأبواب ويخرج الناس اليه مذعنين . والكتاب وجوابه في « منهل الأولياء » (١/٣٢٥ – ٣٢٨) ، وفي تاريخ الموصل (١/٢٨٠ – ٢٨٢) نقلا عنه . — مائه : صواب رسمها « مئه » .

(١٣٩) ذا الأعداد : كذا في (ش) ؛ وصوابه في (م) و (آ) : « ذي » .

(١٤٠) من (م) . وفي التنزيل العزيز : (يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت) « ١٩ البقرة » .

(١٤١) سمات : جمع سمة ، وهي العلامة . وفي (ش) « سماط » (تحريف) ، وفي (م) « سماة » كذا ترسم القضاة والرماة والهداة ، جمع القاضي والرامي والهادي . — الشط : جانب النهر ، وشاع في العامية إطلاقه على النهر .

وكُلُّنـــا نرتقـــبُ القِتـــالا   مُمَثِّلاً بقولـــه تعـــالى [١٤٢] :

(يا أيُّها الّذينَ آمَنوا اصْبِرُوا   وصابِرُوا ورابِطُوا)[١٤٣] لِتُنْصَرُوا

*

سَطَى خَميسُهُمْ علينا(الجُمُعَهْ)   بنصفِ (شعبانَ) بفَرْطِ المَنَعَهْ[١٤٤]

فخادَعُونا خُدْعَةً لـم تُكْتَمِ   كحَفْرِ «ألْقامٍ» ونَصْبِ سُلَّمِ[١٤٥]

فضَرَّهُمْ ما صَنَعُوا من«التَّقَمْ»   إذْ رَدَّهُ اللهُ عليهِمْ فقَصَمْ[١٤٦]

[وكُلُّ سُلَّمٍ رفيعٍ نَصَبَـا   جُرَّ إلى السُّور ؛ ومنهم سُلِبا][١٤٧]

خيَّبْنا احتيالَهُمْ وسُوءَ مَكْرِهِمْ   فلم يَحِقْ مَكْرُهُمُ إلّا بِهِمْ[١٤٨]

فتارَبُوا السُّـورَ المُبارِزُونـا   وإنَّهم لنــا لَغائظُــونـا[١٤٩]

لمّا رأونــا حافظينَ السُّورا   (وَلَّوْا على أدبارِهِمْ نُفُورا)[١٥٠]

والجُهْدَ في كفاحِهِـمْ بَذَلْنــا   ما قَتَلُوا معشارَ مــا قَتَلْنــا

فأصبحوا في ذلك اليومِ العَسِرْ   (كأنَّهُمْ أعجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرْ)[١٥١]

*

---

(١٤٢) مثلا : (م) و (آ) « متمثلا » ؛ والصحيح « متمثلا » ؛ غير أن الوزن ينكسر به .

(١٤٣) ٢٠٠/آل عمران .

(١٤٤) سطى : وكذا في (م) ، وصوابه في (ش) و (آ) « سطا » . – الخميس : الجيش المؤلف من خمس فرق : المقدمة ، والقلب ، والميمنة ، والميسرة ، والساقة .

(١٤٥) خدعة : (ش) و(م) و(آ) «خدعةً» . – ألقام : (ت ٢٩٧/في الفصل الثاني) ؛ وكذا (آ) . وفي (م) « ألغام » ؛ بالغين المعجمة .

(١٤٦) التقم : (م) « التسم » (خ) –(ت ٢٩٧ ؛ في الفصل الثاني) . وتفصيل ما أشار إليه الراجز في « منهل الأولياء » ١/١٥٧ – ١٥٩ ؛ وتاريخ الموصل ١/٢٨٤ – ٢٨٥ .

(١٤٧) من (م) .

(١٤٨) في التنزيل العزيز : (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) « ٤٣/ فاطر » .

(١٤٩) فتاربوا : (م) ، آ « فتارب » (ينظر : ت/١٤) .

(١٥٠) ٤٥/الإسراء .

(١٥١) ٢٠/ القمر .

لمّا أُريقت منهمُ حُمرُ الدّما ... ببيضنا : أَلْقَوْا إلينا السَّلَما (١٥٢)

فأرسل (النّادرُ) سلطانُ (العَجَمْ) ... يُحاولُ الصُّلْحَ ويبتغي السَّلَمْ (١٥٣)

إذْ كُلّما أوقدَ نارَ الحربِ (١٥٤) ... أطفأها اللهُ بغيثِ الغيبِ

فصالَحَ الصَّدرَ أميرَ (المَوْصِلِ) ... أعني (حُسَيْناً) صاحبَ القَدرِ العلي (١٥٥)

بألسُنِ الرُّسْلِ ، على أنْ يُرْسِلا ... من خيله إليهِ عشراً كَمَلا (١٥٦)

فجادَ والينا بضِعْفِ ما طَلَبْ ... ومثله أتحف حاكمُ (الحَلَبْ) (١٥٧)

❁

فكَفَّ عنّا أيديَ الأعداءِ ... مُحافِظا(الحدْباء)و(الشَّهْباء)(١٥٨)

---

(١٥٢) البيض : السيوف . – السلم : الاستسلام . و – التسليم .

(١٥٣) النادر : (م) « النادر » . –

(١٥٤) م : « وكلما أوقدوا نار الحرب » ، وهو مكسور الوزن . وفي التنزيل العزيز : (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله) « ٦٤/المائدة » ، والتفظ لي « ٥٧ / الأنفال » ، و « ٤/ محمد » .

(١٥٥) الصدر : (م) « المولى » .

(١٥٦) كملا : بفتح الكاف والميم : كاملة ؛ (لا يثني ولا يجمع) . يقال : أعطاه حقه كملا ، أي وافياً . وضبط في (م) بضم الكاف وتشديد الميم ، جمعاً لكامل ، ولا يعين السياق على قبوله .

(١٥٧) حاكم الحلب : وكذا في (ش) و (آ) ، وحلب : لا تدخلها « ال » ، وقد أدخلها الراجز لدفع « الزحاف » . وفي (م) : « حاكم حلب » . وهو حسين باشا القازوقجي .

(١٥٨) فكف : (م) « فكفا » (خطأ) . محافظا : (ش) (آ) « محافظ » . والأول هي الصحيحة . ويقد عنى الراجز : والي الموصل الحدباء حسين باشا الجليلي ؛ ووالي حلب الشهباء حسين باشا القازوقجي – وكان السلطان العثماني محمود الأول قد عينه محافظاً لمدينة الموصل ، فسار اليها على رأس جيش ، ودخلها قبل أن يحاصرها الجيش الفارسي بيوم واحد ، فكان لها مدداً أي مدد ، على ما وصف السيد فتح الله بن عبدالقادر الموصلي الحنفي ، المتوفى (سنة ١٢٠٠ هـ) في أرجوزته (ذيلت في كتاب « منهل الأولياء ») ، قال :

فبينما الناس بإصلاح العدد ... يبغون من مولاهم خير مدد

إذ جاءنا مبشر السراء ... مخبراً بحامي (الشهباء)(؟) –

[١٧٦ / ب]

بِقُـوّةِ اللهِ وأنبيـائِـهِ وأوليـائِـه وأوصيـائِـه .

*

لكِنْ تجلّدُ الوزير المَوْصِلي تباسلِ الشّهْمِ الشّجيع المُقْبِلِ .(١٥٩)
تبيانُه أكثـرُ من أن يُذْكَرَا للهِ دَرُّهُ جرياً أجسـرا !(١٦٠)
إذْ لم تَرُعْهُ كَثْرَةُ القبـائـلِ منهم . تأسّياً بقول القـائلِ :(١٦١)
(لا أقعدُ الجُبْنَ عن الهَيْجاءِ ولو تَوالَتْ زُمَرُ الأعـداءِ)(١٦٢)
(الحمدُ لِلهِ الّذي) عَزّزنـا به : وقد (أذْهبَ عنّا الحزَنا) (•)
قلتُ له في هـذه القَضِيّـه قصيـدةً جيّـدةً تُرْكِيّـهْ

*

وفَصّلَ الوقعةَ بالوجـهِ الحَسَنْ إبنُ أخي المرحومِ داعيكم (حَسَنْ)(١٦٣)

= نعم وزير بطـل ذو عدد مكمل البأس كثير العـدد
فهو (حسين) وعظيم الهمه (عنتر) وقت وكثير النعمه
وإذ جمعنا (الحسنين) عندنا زال بؤس وابتغينا رشدنا

وقال :

جنود والي (حلب) تبـدرت مثل سلاهب سعت تصادرت

(١٥٩) السجيع : صوابها في (ش) و (م) و (آ) : « الشجيع » . وهو الشجاع .
(١٦٠) جرياً : صوابها « جريئاً » ، وفي (م) : « حرياً » (تصحيف) .
(١٦١) قائل هذا الرجز مجهول .
(١٦٢) ضمن ابن مالك هذا الرجز « ألفيته » في باب اسم المفعول له ، والنحاة يستدلون به على صحة نصب المصدر المقترن بـ « ال » . على قلة . وهو في هذا الرجز « الجبن » ، يريد الراجز : لا أقعد عن الهيجاء (الحرب) لأجل الجبن . والأرجح عليه جره بحرف الجر . فأن يقال « لا أقعد عن الهيجاء لأجل الجبن » ، أجود من « لا أقعد الجبن عن الهيجاء » .
(•) في التنزيل العزيز : (وقالوا : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) « ٣٤ / فاطر » .
(١٦٣) قال محمد أمين الخطيب العمري في « منهل الأولياء » (٢٤٣/١) ما خلاصته : «ومنهم [من عمومة آل الفخري] السيد حسن ابن أخيه [أخي السيد خليل البصير] النقيب سابقاً ، المفتي الآن : عالم ماهر ، أخذ العلم عن الشيخ عبد الله (الفخري) ، ورحل الى (بغداد) و (القسطنطينية) . =

أحاطَ بالخُطُوبِ علماً وكَتَبْ … أتحفها إلى الوزيرِ المُنْتَجَبْ[١٦٤]

فاستحسنَ الصَّدرُ محسَّناتِها … وما قَدْ تَشْتهِيه من أبياتِها

لأنَّها فائقةُ المباني … رائقةُ الألفاظِ والمعاني

❁

[أمّا الشَّقيّ الخارجي (نادرُ) … المعتدي الباغي الظَّلُومُ الغادرُ] [١٦٥]

فكان يُبْدِي الوُدَّ والمُخادَنَهْ … غِبَّ انعقادِ الصُّلْحِ والمُهادَنَهْ[١٦٦]

مُعاهِداً شخصاً إليه أُرْسِلا … من صَوْبِ والينا : على أن يَرْحَلا[١٦٧]

ونحنُ طائِفونَ عاكِفُونا … في السُّورِ حاضِرونَ حاذِرُونا[١٦٨]

إذْ لم نكن نأمَنُ بالمُعاهَدَهْ … بطشَتَهُ مَخافَةَ المُعاوَدَهْ

أقامَ في دِيارِنا أيّاما … ثُمَّ نَوَى النَّهْضَةَ والقِياما

فغابَ مَعْ عسكرِهِ المَشْؤومِ … وأصبحَ (النّادرُ) كالمعدومِ[١٦٩]

وخابَ (الأعجمونَ) أجمعونا … فانطلَقُوا وهُمْ يُسارِعونا

صالُوا ، فصالَحُوا ، فوَلَّوُا الدُّبُرْ[١٧٠] … (وكُلُّ شيءٍ فعَلُوهُ في الزُّبُرْ)[١٧١]

❁

= وتضلع بأنواع الفنون ، وولي منصب الفتوى بعد ابن عمه (عبد) (؟) بن فخر الدين .. وتوفي في غرة المحرم سنة اثنتين ومئتين بعد الألف . وكان عمره اثنتين وسبعين سنة » .

(١٦٤) المنتجب : المتخير والمصطفى ، وفي (م) « المنتخب » .

(١٦٥) تفردت به (م) ، وهو لازم ، لا تظهر علاقة ما بعده إلا به .

(١٦٦) المخادنة : المصادقة . — غب : بعد .

(١٦٧) الصوب : الجهة .

(١٦٨) حاضرون : (م) « حاضرونا » بألف الإطلاق في غير موضعه .

(١٦٩) فغاب : (م) « فغر » . — المشوم : وكذا في (ش) ، ورسمت في (م) بهمزة فوق الواو ، وصوابها في (آ) « مشؤوم » . — وأصبح : (آ) و (م) « فأصبح » .

(١٧٠) في التنزيل العزيز : (سيهزم الجمع ويولون الدبر) « ٤٥ / القمر » . — والدبر : الأدبار .

(١٧١) ٥٢/القمر . — والزبر : دواوين الحفظة . وفي (م) « الخبر » ، وهو تحريف مضحك شنيع .

هـذا ، ولله جزيل الشكر ... على النجاة واندفاع الشر

ثمّ من الصلوة أزكاها على ... جدّ الذي قد حوصروا في (كربلا)[172]

[١٧٧/ أ]

(محمّد) ، وآله الدعاة ... إلى الهدى ، وصحبه الغزاة

ما اشتدّت الفتنة والمخاصمة ... وامتدّت الهدنة والمسالمة

إنّي أنا المقرّ بالتقصير ... المستهام (الحافظ البصيري)[173]

* * *

(١٧٢) الصلوة : رسمت برسم المصحف الشريف ، ولا يقاس عليه ، وفي النسخ الثلاث « الصلاة » ، وفي (آ) « ثم الصلاة » ، وباسقاط « من » ينكسر الوزن . – والمصراع الثاني في (ش) « جدى الذي مد حوصرو في كربلا » ، وصوابه في (آ) و (م) : « جد الذين حوصروا في كربلا » .

(١٧٣) البصيري : زاد ياء النسبة على لقبه « البصير » – وهو مرفوع – ليجانس كسرة « بالتقصير » . وهو في (ش) بغير ياء . والبيت لم يرد في (م) .

— ٥ —

قال الفقير (•) :

أحببتُ أن أعارِضَها بأرجوزة مشتملة على حكاية (الوقعة) أيضاً . وقد ضَمَّنْتُها جُلَّ شطور (الألفيّة) [١٧٤] ، لتحصُلَ لها بها المزيّة ؛ وتَزَيّن بها الطُّرُوس [١٧٥] ؛ وتكونَ كالعِطر للعروس ؛ مُصَدِّرَها ببيتٍ هو للوالد ؛ حفظه الله ؛ آمتثالاً لأمره ، فقلتُ :

(الحمدُ للهِ المُعِزِّ الخافضِ	إذْ باتَ ذوالتَّقْوَى بعيشٍ خافضٍ)
المؤمنِ المُهَيْمِنِ السَتّارِ	والمَلِكِ المقتدرِ القَهّار [١٧٦]
أحمَدُهُ . وَهْوَ حَرٍ بكُلِّ ما	يحمَدُهُ العبدُ على ما أنعما [١٧٧]
فَهْوَ الّذي أنقذنا من كُلِّ شَرّ	ومن ظَلُومٍ بأسُهُ قد آنتشرْ
ثُمَّ الصّلوةُ والسّلامُ الأسْنَى	على الّذي عليه ربّي أثنا [١٧٨]

(•) الشيخ العلامة أبو الخير عبد الرحمن السويدي ، مؤلف (حديقة الزوراء) . وقد نسبت هذه الأرجوزة في « مجلة المجمع العلمي العراقي » [م١٣/ص ٢٠٢] الى أبيه الشيخ أبي البركات عبدالله السويدي ، واقتضب ناشرها له ترجمة من (المسك الأذفر) كأنه يوثق بها عزو الأرجوزة له . والحقيقة هي ماصرح بها هذا النص القاطع .

(١٧٤) الألفية : هي « الخلاصة » ؛ غلب عليها اسم « الألفية » . أجمل فيها محمد بن مالك النحوي اللغوي المشهور (المتوفى سنة ٦٧٢ هـ) قواعد النحو والصرف رجزاً ؛ مبارياً بها ألفية ابن معط . وقول المؤلف : « وقد ضمنتها (جل) شطور الألفية » فيه تسامح ، كما ستتبينه في مواضع إيراده ، وقد حصرت كل ما علمته منها بين هاتين الحاصرتين « » .

(١٧٥) وتزين : (ش) « وتزينت » .

(١٧٦) المهيمن : (ت / ١١٨) .

(١٧٧) حر : خليق وجدير ، يقال : انه لحرى بكذا . وحر ، وحري ؛ وفي وجوه استعمالها مع المذكر والمؤنث وفي التثنية والجمع كلام كثير في المعاجم الكبار .

(١٧٨) الصلوة : (ت / ١٧٢). — الأسنى : الأرفع . — أثنا : صواب رسمه في (ش) « أثنى » .

مَنْ بالعطايا قــد غــدا محبــور ... مِنْ ربِّهِ ، وبالصَّبا منصورا (١٧٩)

كذاك بالرُّعْبِ إذا الخَطْبُ هَجَمْ ... وعِثْيَرُ الوَغا على ثمَّ ارتَحَمْ (١٨٠)

(مُحَمَّدٍ) ذي المكْرُمات والوفى (١٨١) ... « وآلِهِ المستكمليــن الشَّــرَفا »

وصحبِــهِ الّذين فضلُهم أتــى ... « في النَّظْمِ والنَّثْرِ الصَّحيح مُثْبَتا »

قــد جاهَدُوا لنصرِ دينِ الله ... ودافَعُوا عنه بــلا اشْــتِبــاهِ

في (وقعــة الأحزاب) يومِ الخندقِ ... كم تَرَكُوا عَدُوَّهم في حَنَقِ (١٨٢)

وَهُوَ إذاً بكُلِّ بلوى قــد بُلــي ... « مُرَوَّعَ القلبِ قليلَ الحِيَلِ »

كم حافظوا وشَيَّدُوا الثُّغُــور ... فالدِّينُ لم يَبْرَحْ بهم منصورا (١٨٣)

وسَهَّروا الأعيُنَ في الحَنادسِ ... حتّى أبانُوا قَبَساً عن قابسِ (١٨٤)

[١٧٧ / ب]

فعَمَّ فضلُهُمْ عــلى التَّرْتيــبِ ... ونافَ قدرُهُمْ على التّرتيبِ (١٨٥)

فلم يكن في الخَلْقِ مــن رفيــقِ ... « أولى به الفضلُ من (الصِّدِّيقِ) » (١٨٦)

وفضلُهُ لِمَنْ تَصَدَّى لِــلإبا ... « مَيَّزْ كأكرمْ بـ (أبي بكرٍ) أبا »

---

(١٧٩) المحبور : المسرور المنعم . – الصبا : ريح تقابل الدبور . وفيه تلميح الى الحديث الشريف : « نصرت بالصبا ، وأهلكت (عاد) بالدبور » .

(١٨٠) العثير : الغبار . – الوغى : صواب رسمها « الوغى » (ت/٩٠) . – علا : فعل ماض ، وصواب رسمه « علا » .

(١٨١) الوفى : وكذا في (ش) ، وصوابه « وفا » ، مقصور « الوفاء » .

(١٨٢) وقعة الأحزاب : (ت / ١٠٥) .

(١٨٣) الثغور : جمع الثغر ، وهو الموضع يخاف هجوم العدو منه .

(١٨٤) الحنادس : الليالي الشديدات الظلمة . واحدها الحندس . وثلاث ليال في آخر الشهر . – القبس : النار ، أو شعلة منها .

(١٨٥) ناف ينوف نوفاً : علا وارتفع ، و – ناف عليه : أشرف .

(١٨٦) الصديق : أبو بكر ، عبدالله ، بن أبي قحافة عثمان ، بن عامر ، بن كعب ، التيمي القرشي ، رضي الله عنه : أول الخلفاء الراشدين . قامع الردة (٥١ ق . هـ – ١٣ هـ) .

كذلك (الفاروقُ) ذو الشجاعهْ … والمنطقِ العدْلِ ، وذو البراعهْ (187)

فاقَ على أمثاله إفضـــالُـــــهُ … وقد مَضَتْ محمودةً أفعالُهُ (188)

إنْ كنتَ ترجو ، يا فتىً ، أنْ تغْنَما … « فَلَهُما كُنْ أبداً مُقَدِّمـــا »

كذاك (ذو النُّورَيْنِ) والإحسانِ … زاكي النِّجارِ (جامعُ القُرآن) (189)

وكـــلُّ لفظ صيغَ للمَفاخِرِ … « كطاهرِ القلبِ جميلِ الظّاهِرِ »

نَهْوَ به ، يا صاحِ ، أَوْلَى وأحَقّْ … كـــا لسانُ فضلـــه بذا نَطَقْ (190)

كذلك آبْنُ عَمِّ خيرِ الرُّسُلِ … الباسلُ الصِّنْديدُ مولانا (علي) (191)

أثبتُ في الهيجاء، باذا ، من (أُحدْ) … أردى كُماةَ الكُفْرِكَ(ابْنِ عبدِ وَدّ)(192)

فكُنْ على غيرِهِـــمُ مُفَضِّـــلا … « وزَكِّهِ تزكيةً وأجْمِـــلا »

---

(187) الفاروق : الشهيد عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص، رضي الله عنه، ثاني الخلفاء الراشدين ، وأول من لقب بأمير المؤمنين : صاحب الفتوحات، وصريع المؤامـــرة المجوسية (٤٠ ق . هـ - ٢٣ هـ) .

(188) فاق على أمثاله : صوابه « فاق أمثاله » ، يقال : فاق الشيء فوقاً وفواقاً : علاه ، وفاق أصحابه : فضلهم وصار خيراً منهم .

(189) ذو النورين : الشهيد عثمان بن عفان، بن أبي العاص ، بن أمية ، من قريش ، رضي الله عنه، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة . فتح أرمينية والقوقاز وخراسان وكرمان وسجستان وإفريقية وقبرص ، وأتم جمع القرآن . لقب بذي النورين لأنه تزوج بنتي النبي ، صلى الله عليه وسلم : رقية ، ثم أم كلثوم . شغب أعداء الإسلام الموغلون عليه ، فحاصروه أربعين يوماً . وتسوروا عليه الجدار فقتلوه صبيحة عيد الأضحى (سنة ٣٥ هـ) وهو يقرأ القرآن في بيته بالمدينة.

(190) يا صاح : (ت / ٧) .

(191) الصنديد : الشريف الشجاع . - علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، بن عبدالمطلب ، الهاشمي القرشي ، رابع الخلفـــاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وابن عم النبي وصهره . نال الشهادة وهو داخل مسجد الكوفة في تبلج الفجر للصلاة ، في مؤامرة دبرها زادويه القائـــد الفارسي مع الخوارج ، في (١٧ شهر رمضان سنة ٤٠ هـ) .

(192) أحد : جبل مشهور في شمالي (المدينة) ، بينه وبينها قرابة ميلين . كانت عنده الوقعة القظيعة بين المسلمين والمشركين، لسنتين وتسعة أشهر وسبعة أيام من مهاجرة النبي، صلى الله عليه وسلم . كسرت فيها رباعية النبي ، وشج وجهه الشريف ، وكلمت شفته ، وقتل عمه حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه . وكانت وقعة بلاء وتمحيص . - ابن عبد ود : هو عمرو بن عبد ود العامري ..

كذاك باقي الصَّحْبِ والقَرابَهْ ... أهلِ الثَّباتِ صاحبـي الإصابَهْ

ففضلُهم لقد أتى وَهْوَ العـلي ... في الخَبَرِ المثبَتِ والأمرِ الجلي ،

ما بَقِيَ (الإسلامُ) في ظُهُـورِ ... كـذا مَدَ [ى] الأحقابِ والدُهُورِ

*

بعدَ السَّلامِ الوافـرِ الغـزيـرِ ... على النَّجيب (الحافظِ البصيري)[193]

أشعرِ أهـلِ العصرِ والأوانِ ... أفصحَ من (قُسِّ) ومن (سَحْبانِ)[194]

إنّي قد اشتقتُ الـى لِقـاهُ ... وقـد وَدَدْتُ أنّني أراهُ

حيـنَ بدت لفضلـه أوصافُ ... يَعجزُ عن إحصائهـا الوصّافُ

وقائلٍ : « تَسْمَعُ بالمُعَيْدِي ... خيرٌ من الرُّؤْيَةِ »[195] ؛ يا(سُوَيْدي) !

فقلتُ : ما تعني بـذا ؟ وفضلُـهُ ... محققٌ عيدي ، وهـذا قولُهُ[196]

- (وود اسم صنم) ، وفي السيرة لابن هشام : « ويقال : عمرو بن عبد » ، وفي شرحها الروض الأنف « عمر بن أد » : من بني لؤي ، من قريش ، فارس قريش وشجاعها في الجاهلية . أدرك الاسلام ولم يسلم . ولما كانت وقعة الخندق في السنة الخامسة للهجرة ؛ كان قد تجاوز الثمانين ، واقتحم هو وبعض فوارس من قريش من مكان منه ضيق ؛ وجالت خيلهم في السبخة بين الخندق و (سلع) ، فخرج علي بن أبي طالب ونفر من الصحابة رضي الله عنهم ، فأخذوا عليهم الثغرة التي اقتحمت منها خيلهم ؛ وتقدم عمرو ابن عبد ود ينادي : من يبارز ؟ ولما دعاه علي كرم الله وجهه إلى النزال : قال : لم يا ابن أخي ؟ فوالله ! ما أحب أن أقتلك . قال علي : لكني أحب ، والله ! أن أقتلك . فتنازلا ، فقتله علي ، وفرت خيل الأحزاب منهزمة حتى اقتحمت الخندق لا تلوي على شيء .

(١٩٣) البصيري : صوابه في (ش) « البصير » .

(١٩٤) الأوان : الحين . – قس : هو قس بن ساعدة الإيادي ؛ أحد خطباء العرب المشهير قبل الإسلام . – سحبان : هو سحبان بن زفر بن إياس الوائلي ، خطيب يضرب به المثل في البيان اشتهر في الجاهلية ، وأسلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يلقه ، وأقام في دمشق أيام معاوية ، وتوفي سنة ٥٤ هـ .

(١٩٥) مثل مشهور ، لفظه « تسمع بالمعيدي خير من أن تراه » ، ويروى : « لأن تسمع .. وأن تسمع ، وتسمع بالمعيدي لا أن تراه » ، والمختار « أن تسمع ... » . يضرب لمن خبره خير من مرآه .

(١٩٦) عيدي : صوابه في (ش) « عندي » .

تكادُ أن تكونَ في ذا الرَّبْطِ ... « فائقةً (ألفيّةَ ابنِ مُعْطي) »[197]

نافت على أشعارِ مِصقاعِ (العَرَبْ) ... كذا على نثار أصحاب الأدبْ[198]

والحَشْوَ في بيانها لم تَحرُزِ ... « تُقَرِّبُ الأقصى بلفظٍ مُوجَزِ »

فكُلَّ لفظٍ مفردٍ معناهُ عَمّ ... « وكِلْمَةٌ بها كلامٌ قد يُؤَمّ »[199]

وَهْيَ لَدَى بيانِ ذي القضيّهْ ... « مقاصدُ النَّحْوِ بها مَحْوِيّهْ »

فَهْيَ إذاً عن فضلها لم تُفْرَدِ ... يَحِقُّ أن نكتُبَها بالعَسْجَدِ

ذكرتَ فيها (وقعةَ الأحزابِ) ... فَهْيَ تُحاكيها بلا ارتيابِ[200]

وأنت فيما قلتَهُ مُصَدَّقُ ... فذاك عندَنا هو المحقَّقُ

نَعَمْ ! أتتكم الجنُودُ الباغِيَهْ ... ويَتَمَتَّكُمُ الفِئاتُ الطّاغِيَهْ

وَدَخَلُوا بعزمِهِمْ قُراكُمُ ... وأَسَرُوا نِساءَ مَنْ والاكُمُ

لم يترُكُوا من آخرٍ وسابقِ ... « وشَدْقَمٍ وهَيْلَةٍ وواشِقٍ »[201]

وحاصروكُمُ حصاراً اشتَهَرْ ... « ناوِينَ معنى كائنٍ أو استقرّ »

---

(١٩٧) ابن معط : هو يحيى بن عبدالمعطي الزواوي ، من قبيلة زواوة بظاهر بجاية في إفريقية ، من النحاة المشاهير . ولد سنة ٥٦٤ هـ ، وتوفي بالقاهرة (سنة ٦٢٨ هـ) . أشهر كتبه كتاب « الدرة الألفية في علم العربية » طبعت معه ترجمة هولندية وتعليقات . وترجمته في كتب عديدة مذكورة في الأعلام (١٩٢/٩ ؛ ظ/٢) .

(١٩٨) نافت : (ت/٨٥) . — مصقاع : المعروف « مصقع » ، أي : بليغ ، جمعه مصاقع . — النثار : أراد جمع النثر ، ولم يسمع .

(١٩٩) يؤم : يقصد .

(٢٠٠) وقعة الأحزاب : (ت/١٠٥) .

(٢٠١) شدقم : (ش) « شذقم » بالذال المعجمة (تصحيف) ، وهو اسم فحل من فحول إبل العرب ، قال الجوهري : كان للنعمان بن المنذر ، ينسب إليه الشدقميات من الإبل . — هيلة : اسم عنز كانت لامرأة في الجاهلية . . كانت من أساء اليها درت له ، ومن أحسن اليها نطحته ، هكذا حكوا ، ومنه المثل : « هيل ! خير حالبيك تنطحين » يضرب لمن أبى الكرامة وقبل الهوان . — واشق : اسم رجل ، واسم كلب .

ودامَ ضربُ «الطّوب» والمَدافعِ ... بينَكُمُ من غيرِ ما مُدافِعِ

وأرسلوا «قُنْبُرَهُمْ» مثلَ المَطَرْ ... ولم يكن عَدَدُهُ قد انحصَرْ

تصدُقُ إذ أخبرَتْنا جِهارا ... دَنَوْا فأمطروا علينا نارا

وبقَرُوا بأرضكم «لُغُوما» ... لِيَهْتِكُوا عِرضَكُمُ المكتوما(٢٠٢)

ورَفَعُوا إليكُمُ السَّلالِما ... ووجّهوا إليكُمُ الضَّباغِما

ورَطَنُوا ما بينهم وحاصُوا ... وبالدِّلاصِ المُسَرَّدات غاصُوا(٢٠٣)

[١٧٨ / ب]

ثُمَّ دَنَوْا منكُمْ ليبتغُوا الظَّفَرْ ... و(كانتِ السّاعةُ أدهى وأمَرّ)(٢٠٤)

وأنتُمُ أثبتُ من (ثَهْلانِ) ... مُرابِطِينَ ذِرْوَةَ الجُدرانِ(٢٠٥)

قد حرَّضَتْكُمْ غِيدُكم على المَقَرّ ... «في يا ابنَ أُمَّ يا ابنَ عَمَّ لا مَفَرّ»(٢٠٦)

فقُمْتُمُ كالأُسْدِ في شَراها ... تاللهِ أنتُمْ كَبُهَيّ في حِماها(٢٠٧)

---

(٢٠٢) لغوم : (ت/٢٩٧ القسم الثاني ، وتقدمت في ت/١٤٦ أيضاً) .

(٢٠٣) رطن الأعجمي رطانة : تكلم بلغته ؛ و – رطن فلان : تكلم بالأعجمية . – حاص القوم : جالوا جولة يطلبون الفرار والمهرب . – الدلاص : الدروع اللينة . – المسردات : الدروع . في لسان العرب : والسرد : اسم جامع للدروع وسائر الحلق وما أشبهها من عمل الحلق . وسمي سرداً لأنه يسرد فيثقب طرفا كل حلقة بالمسمار . فذلك الحلق المسرد .. والمسرودة : الدرع المثقوبة .

(٢٠٤) في التنزيل العزيز : (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) «٤٦/القمر ٥٤» .

(٢٠٥) ثهلان : جبل ضخم بالعالية . وفيه أقوال أخرى .

(٢٠٦) الغيد : النساء المتمايلات والمتثنيات في لين ونعومة ؛ الواحدة غيداء .

(٢٠٧) في شراها : (ش) «من شراها» . والشرى : موضع كثير الأسد ، ويقال : هم أسد الشرى ، أي أشداء شجعان . – كبهي : مثلها .

ودامَ فَلْقُ البيضِ في الجَماجِمِ ... وهامِ كُلِّ كافرٍ مُتَاوِمِ (٢٠٨)
مَرَّغتُمُ الكُفّارَ بالرّواصِعِ ... وبالمُهَنّدِ الصَّقيلِ القارعِ (٢٠٩)
أرَيْتُمُ الهامَ عنِ الجُثْمانِ ... من العِدا في لُجّةِ الميدانِ (٢١٠)
في قاعة جَرَتْ بها الدِّماءُ ... جداولاً عيونُها الأعداءُ
ومَهْمَهٍ مُغْبَرَّةٍ أرْجاؤُهُ ... كأنَّ لونَ أرضِهِ سماؤه « (٢١١)
واللهُ قد حَفَّكُمُ بالنَّصْرِ ... فزالَ عنكمُ جميعُ الضُّرِّ
فولّوا الأعداءُ منكمْ هَرَبا ... وما قَضَوْا من الدُّنوِّ أرَبا (٢١٢)
وأشتدَّ حُزنُ (الشّاه) عن فاسِيلِ ... ولم يزلْ مستتراً بالفيلِ
قد كانَ قبلاً في الحروبِ حقّاً ... يغلِبُ لكنْ ليسَ مستحقّاً «
والآنَ أهلُ الدِّينِ والأعرفُ بِهْ ... بعكسِ ذاك استعملوه : فانتَبِهْ »
ظَنَّ الخثونُ الغادرُ اللئيمُ ... الفاجرُ المحاربُ الظَّلُومُ (٢١٣)
أنْ يَغلِبَ السُّلْطانَ قدراً وعُلَى ... ويأخُذَ البلادَ حتّى (المَوْصِلا)
ويأسِرَ النِّساءَ والصِّبْيانا ... ويقتُلَ الرِّجالَ والشُّبّانا
قد خابَ ظَنُّهُ مَدى الزَّمانِ ... ما دَلَّهُ إلا على خُسرانِ (٢١٤)

*

(٢٠٨) الهام : الرؤوس ، واحدها هامة .
(٢٠٩) مرغتم : (ش) « صرعتم » . — الرواصع : وصف أقامه مقام الاسم ، وأراد الرماح ، من قولهم : رصعه بالرمح ، إذا طعنه به طعناً شديداً . — المهند : السيف المطبوع من حديد الهند .
(٢١٠) العدا : الأعداء ، صواب رسمه « العدى » .
(٢١١) المهمه : (ت / ٨٧) . — الأرجاء : النواحي ، واحدها رجا .
(٢١٢) فولوا الأعداء : (ت/٤) . — الأرب : البغية والأمنية .
(٢١٣) الخثون : وكذا في (ش) ، وصواب رسمه « الخئون » .
(٢١٤) الزمان : (ش) « الأزمان » .

يا أيُّها (الأعاجمُ) الزَّعانفْ   والمعتدون الأرذلُون أنْصِفُوا [٢١٥]

هل أنتُمُ مثلُ (بني عُثْمانا) ؟   أو تعرِفون الحربَ والطِّعانا ؟ [٢١٦]

[١٧٩/أ]

حتّى ترومُوا منهم المُبارَزَهْ   في لُجَّة الهيجاء والمُناجَزَهْ [٢١٧]

تحكَّكَتْ عقربُكم بالأفْعى   واستَنَّتِ الفِصالُ حتّى القَرْعا [٢١٨]

هذا وأهلُ (المَوْصِلِ الحَدْباء)   قد جَلَبُوا لكم جميعَ الدّاءِ

وسكَّنَ الأكثرُ منكُمْ في الحُفَرْ   أكتعُ ؛ والنّادرُ منكم في ضَرَرْ [٢١٩]

فكيف لو جاءتكم الجَحافِلُ   كأنّها الأطْوادُ والمَعاقِلُ ؟ [٢٢٠]

كأنّهُمْ في الحرب والمُصادَمَهْ   لُيُوثُ غابٍ خَرَجَتْ لمَغْنَمَهْ

خَميسُهُمْ يومَ الوَغَى لا يُغْلَبُ   وجمعُهم منه الأعادي تهرُبُ [٢٢١]

أولئكُمْ قومٌ لَدَى الهَيْجاءِ   كم سَفَكُوا من أحمر الدِّماءِ

أيَّدَهم رَبُّ العِبادِ بالظَّفَرْ   ولم يَزَلْ حافِظُهُمْ من كُلِّ شَرّ

---

(٢١٥) الزعانف : جمع الزعنفة ، وهي كل جماعة ليس أصلهم واحداً ؛ و - رديء كل شيء ورذاله .

(٢١٦) بنو عثمان : السلاطين الأتراك . الذين أسسوا أعظم الدول الإسلامية بعد تفكك الأمبراطورية السلجوقية ؛ كان أولهم عثمان بن أرطغرل . وإليه كانت نسبتهم ، وآخرهم السلطان وحيد الدين .

(٢١٧) المناجزة : المنازلة والمقاتلة .

(٢١٨) إستن الفصيل : جرى في نشاطه على سنه في جهة واحدة ؛ والفصيل : ولد الناقة اذا فصل عن أمه ؛ جمعه فصال وفصلان . - و القرعاء : صوابها القرعى . جمع قريع ؛ وهو الذي به قرع ، وهو بثر أبيض يخرج بالفصال . وهذه العبارة مثل يضرب للذي يتكلم مع من لا ينبغي أن يتكلم بين يديه لجلالة قدره ؛ ويضرب مثلا للذي يفعل شيئاً ليس بأهل لفعله .

(٢٠٩) أكتع : أجمع ، يجيء في التوكيد إتباعاً . ويقال : جاء الجيش أجمع أكتع .

(٢٢٠) الجحافل : (ت/٢) .

(٢٢١) الخميس : (ت/١٤٤) .

فالسيفُ نَتنثنهُ فصلُهم نَصَقْ ... والغرضُ الآنَ بيانُ ما سبَقْ»[٢٢٢]

*

أحسنتُمُ . يا أهلَ تلكَ (المَوْصِلِ) ... في قصِّكم جَناحَ هذا الأخيَلِ [٢٢٣]

قرَيْتُمُ الطيرَ بأشلاءِ العِدى ... والوحشُ لم يبرحْ شكوراً أبدا[٢٢٤]

أحسنتُمُ في جعلكم قبورا ... لهم وحوشَ الأرضِ والطيورا

حفظتُمُ طهارةَ الصحراءِ ... عن جُثَثِ البُغاةِ والأعداءِ

بُشراكُمُ ! قد نِلتُمُ من ربِّكُمْ ... جزاءَ أخيارٍ بهذا فعليكُمْ

حَمَيْتُمُ الإسلامَ بالأسْلامِ ... بل بالرُّدَيْنِيِّ وبالحُسامِ [٢٢٥]

وصُنتُمُ عِرضَكُمُ عن الأذى ... فلم يزَلْ مُنَزَّهاً عن القذا [٢٢٦]

حفظتُمُ بالرُّمحِ والصَّقيلِ ... « نَحرَ فتاةٍ أو فتىً كَحيلِ »

للهِ دَرُّكُمْ ودَرُّ قَرمِكُمْ ... رئيسِكم(أبي مُرادٍ)شَهْمِكُمْ ![٢٢٧]

كم جرَّعَ الأعداءَ كأسَ الحَتْفِ ... حينَ دَنَوْا منكم بلا تَخَفٍّ[٢٢٨]

ولم تَرُعْهُ الحادثاتُ والنُّوَبْ ... بل لم يزَلْ جَلْداً مُكابِدَ الكُرَبْ[٢٢٩]

---

(٢٢٢) تـنه : صواب رسمه « تـأله » .

(٢٢٣) الأخيل : المختال ، والمتكبر ، والمعجب بنفسه . و— طائر يسمى الشقراق ، كانوا يتشاءمون به . وفي أمثال العرب « أشأم من أخيل » .

(٢٢٤) قريتم : (ت/١٠٩) . — الأشلاء : الأعضاء .

(٢٢٥) الأسلام « الثنية » : صوابها « السلام » ؛ قال ابن شميل : هي جماعة الحجارة ، الصغير منها والكبير ، لا يوحدونها . — الرديني : الرمح ، نسبة الى « ردينة » وهي امرأة كانت تقوم بالرماح . — الحسام : السيف القاطع .

(٢٢٦) القذا : صوابه في (ش) « القذى » ، وهو ما يتكون في العين من رمص وغمص وغيرهما . ويقال : هو لا يغضي على القذى ، أي : لا يسكت على الذل والضيم .

(٢٢٧) القرم : (ت/٨٨) . — أبو مراد : (ت/٩٩) .

(٢٢٨) الحتف : الهلاك .

(٢٢٩) النوب : النوائب .

[١٧٩ / ب]

كذاك تِربُهُ الوزيرُ الكاملُ ... التاليكُ الليثُ الجسورُ الباسلُ[٢٣٠]

توافقا شجاعةً : بل أسما ... وحسباً من النجوم أسما[٢٣١]

واقترنا في الحفظ والحراسه ... والجِدِّ والحزمِ : كذا السياسه[٢٣٢]

فلا يزالانِ مُجاهدَيْنِ ... ويُعمِلان الخفضَ مَصْدَرَيْنِ

جِدّاً بحفظِ الغانياتِ الهِيَّفِ ... بكلِّ بتّارٍ صقيلٍ مُرْهَفِ[٢٣٣]

فما هُما إلّا كليثٍ ذي لِبَدْ ... محافظاً شراهُ من كلِّ أحدْ[٢٣٤]

ولا يزالانِ على الطِّعانِ ... بالسَّمْهَرِيِّ الأسمرِ السِّنانِ[٢٣٥]

وبالبنادقِ الشِّدادِ الحارقَهْ ... وبالسُّيوفِ الفالقاتِ البارقَهْ

إلى أن اشتدَّ الوغى وامتدّا ... «وقائلٍ : واعبدَ يا واعبدا»[٢٣٦]

تولّيا الميدانَ ، والأعداءُ ... قد هرَبُوا ، إذْ سُفِكَ الدِّماءُ

خصَّهما بالفضلِ والمباهلَهْ ... «وما سواهُما فوَسْطُهُ صِلَهْ»

---

(٢٣٠) الترب : المماثل في السن ، وأكثر ما يستعمل في المؤنث ، وأراد الراجز مطلق المماثلة بين والي الموصل أبي مراد حسين باشا الجليلي ووالي حلب حسين باشا القازوقجي الذي سلف خبره في (ت/١٥٨) .

(٢٣١) اسما « الثانية » : كذا هي في (ل) و (ش) ، وصوابها « أسمى » ، أي : أرفع وأعلى .

(٢٣٢) كذا : (ش) « كذى » ، والصواب الأصل .

(٢٣٣) الهيف : شدد ياءها لتتابل « مرهف » في المصراع الثاني ، وإنما هي الهيف . بكسر فسكون . جمع هيفاء ، وهي الرقيقة الخصر والضامرة البطن .

(٢٣٤) الشرى : (ت/٢٠٧) .

(٢٣٥) السمهري : (ش) « الأسمري » (خطأ) ، وهو الرمح الصليب العود ، ويقال : هو منسوب الى (سمهر) رجل كان يقوم الرماح ، وامرأته (ردينة) . وقد تقدمت في (ت/٢٢٥) . — السنان : حديدة الرمح .

(٢٣٦) الوغى : (ش) « الوغا » ، والأصل هو الصحيح (ت/٩٠) .

فَفَضْلُهُما ذكرت ، يا أبا النَّضْرْ … لكِنْ ما ذكرت عُشْرُ ما اشتَهَرْ

*

بُشْراكُمُ ! قد حُمِدَتْ عُقْباكُمُ … وقد أُزِيلَتْ عنكُمُ أسواكُمُ (٢٣٧)

وافتخروا فخراً مَدَى الزَّمانِ … على جميع المُدْنِ والبُلْدانِ

إلا علينا ، يا أُولي الشَّجاعَهْ … لا تفخروا في هذه الصِّناعَهْ

لأنَّكُمْ مِنّا لقد عَلِمْتُمُ … حُسْنَ الثَّباتِ ؛ بل قد استفَدْتُمْ (٢٣٨)

نحنُ فَتَحْنا لكُمُ ذا البابا … لا شَكَّ في هذا ولا ارْتِيابا

وقد يُخَصُّ في أُناسٍ لم تَجِدْ … « ذا البابَ وهْوَ عندَ قومٍ يَطَّرِدْ »

*

حُزْنا الفَخارَ ، بين جميع الشِّيَمِ … لأنَّ كُلَّ الفضلِ للتَّقَدُّمِ

ثَباتُنا يومَ (الحِصارِ الأكبَرِ) (٢٣٩) … أرَيْتُمُ أمثالَهُ في الأعصُرِ ؟ (٢٤٠)

حيثُ العدوُّ قد أحاط بالبَلَدْ … و « طوبُهُ » حاصَ علينا ورَعَدْ (٢٤١)

[١٨٠/أ]

فصَدَّرَتْهُ سُمْرُنا عن بِيضِنا … وروَّعته البِيضُ عن حَضيضِنا (٢٤٢)

و « الطَّوبُ » و « القُنْبُرُ » مِنّا لم يَزَلْ … يَقْصِمُ من أعدائنا كُلَّ بَطَلْ

---

(٢٣٧) أسواكم : أسوائكم . جمع سوء .

(٢٣٨) مدى : من (ش) ؛ الأصل « مد » .

(٢٣٩) يشير الى استبسال البغداديين في مقاتلة جيوش نادر طهماسب قلي ، وصبرهم الطويل في الحصار الذي ضربه على بغداد سبعة أشهر ، وثباتهم بوجه البغاة ، على ما تقدم وصف ذلك . وقد سبق حصار بغداد الأكبر حصار الموصل بعشر سنوات .

(٢٤٠) أريتم : يريد « أرأيتم »

(٢٤١) حاص حيصاً : حام .

(٢٤٢) روّعته : أفزعته . وأراده : بروعته ، أي كفته ومنعته . — الحضيض : ما سفل من الأرض ، و — نهاية سفح الجبل

وكُلَّ يومٍ نحنُ في قتــــالِ … مَعْهُمْ بفـارسين أو رِجـالِ
ونحنُ في الهيجاء تحتَ العِثْيَرِ … في عزمةِ (الهِرْقِلِ) و (الإسكندرِ) [(٢٤٣)]
ونحنُ في هذا الحصار الأعْسَرِ … محافِظون السُّورَ سبعةَ أشْهُرِ [(٢٤٤)]
ونَفِدَ الزّادُ ، وماتَ الأكْـثرُ … جوعاً؛ ولم نَذِلَّ ؛ بل لا نَضْجَرُ [(٢٤٥)]
وقـد عَدِمْنا حُقَّتَيْنِ بُـرّا … « ومَنَوَيْنِ عسلاً وتَمْـرا » [(٢٤٦)]
فـأكلْنـا للخيلِ والجِمـالِ … كـذاك للحَميـرِ والبِغـالِ

*

هذا : وأمّا في (الحصارِ الأصْغَرِ) … فقـد رأينـا فيـه كُلَّ الكَدَرِ
ولم نُـرِ الخمـولَ والفُتُـورا … بـل دائمـاً محافظونَ السُّورا
وكيفَ نخشَى صولةَ الأعـادي … وعندَنا الشُّجاعُ ذو الأيادي [(٢٤٧)]
بل كيف نخشى سِرْبَهُمْ وإنْ دنا … « ورَجُلٌ من الكِرام عندَنـا » ؟

---

(٢٤٣) العثير : الغبار . – هرقل : اسم ملك الروم . – الإسكندر : هو الإسكندر الأكبر (٣٥٦ – ٣٢٣ ق. م) ملك مقدونية؛ ابن فيليب الثاني. اشتهر بفتوحه وتوغله في الامبراطورية الفارسية حتى الهند ، واحتلاله مصر وقضائه على واليها الفارسي . وفي أخباره مبالغات كثيرة . مات وعمره ثلاث وثلاثون سنة .

(٢٤٤) توصل همزة « أشهر » بسبعة لإقامة الوزن .

(٢٤٥) نفد : فني .

(٢٤٦) المنوان : مثنى « المنا » ، وهو « المن » معيار يكال به أو يوزن ؛ وقدره رطلان بغداديان . والرطل : إثنتا عشرة أوقية بأواقي البغداديين .

(٢٤٧) هو الوزير أحمد باشا ، بن حسن باشا . كلاهما من أعاظم وزراء الامبراطورية العثمانية في المئة الثانية عشرة (١٨ م) . وقفا بوجه أطماع الصفويين ووارثهم نادر طهماسب قلي في ضم (العراق) إلى (إيران) ، بل اقتحم (إيران) نفسها ، واحتل حسن باشا (أصفهان) ، وفتح ابنه أحمد باشا (همدان) ... في تاريخ طويل من الصراع السياسي الحربي ، لم يكن الشعب العراقي بمعزل عن خوض غمرته ومعاناة شدائده . وسيرتا هذين الوزيرين استوفاهما العلامة أبو الخير عبد الرحمن السويدي في كتابه (حديقة الزوراء) .

وكم بأقوالٍ نُفاخرُ العِدا … كما لَنا إلّا اتّباعُ (أحمدا)»!(٢٤٨)

*

ثباتُكم في ذا (الحِصار) الهائلِ … وحربُكم لجُمْلَةِ القبائلِ ،
سُنَّةُ خير الوزراء (أحمدا) … وكلّ قَرْمٍ بخِصاله اهتدى (٢٤٩)
وشهمكم في فعله الفعلَ الحَسَنْ … «راعافي الاتباع المَحَلّ فَحَسَنْ»(٢٥٠)
لأحمدَ الأفعال فيما أسّسا … «فَهْوَ به في كلّ حكمٍ ذو ائْتِسا»(٢٥١)
قد فاق كلَّ مَلِكٍ وَزيرِ … في حُسْنِ سِيرَةٍ وفي تدبيرِ
لذلك السُّلطانُ راعا فضلَهُ … وفَوَّضَ الأمرَ إليه كُلَّهُ (٢٥٢)
واختار ما يختارهُ (ابنُ الحَسَنِ) … (أحمدُ) أفعالِ فريدُ الزَّمَنِ
من سِلْمٍ أوْ حربٍ على الّذي يَجِبْ … «وكونُهُ أصلاً لِهذَيْنِ انْتُخِبْ»

[١٨٠/ب]

حوى ثلاثَ شِيَمٍ لا تُوجَدُ … في غيره ؛ فَهْوَ بها منفردُ :
السَّيْفَ ؛ والتّدبيرَ ؛ والمكارِما … « ثلاثُهُنَّ تقضي حُكماً لازما »
فكن له في فضله مُوَحِّدا! … « وثَنِّ واجْمَعْ غيرَهُ وأفْرِدا ».

---

(٢٤٨) أخلت (ش) في هذا البيت ، فروته :

وكم بأقوال نفاخر العدى … « فهو به في كل حكم ذو ائتسا »

(٢٤٩) اهتدى : (ش) « اتدى » .

(٢٥٠) راعا : صوابه « راعى » ، وصدره في « الألفية » في باب إعمال المصدر :

وجر ما يتبع ما جر ، ومن … راعى في الاتباع المحل فحسن

ويستقيم وزن المصراع بقراءته : « راعفلت / باع المحل / لفحسن » .

(٢٥١) مكان هذا المصراع الثاني في (ش) بياض .

(٢٥٢) راعا : صوابه « راعى » ، وفي (ش) : « للملك السلطان دام فضله » ، وحركة رويه تخالف حركة روي المصراع الثاني المنصوب .

وإنْ عددتَ الصِّيدَ في حُسْنِ الشِّيَمْ ... والحَسَبِ العالي الرَّفيعِ والكَرَمْ ؛[٢٥٣]

فابدَء بذكر الملك المفضالِ ... «وقدِّم الأخصَّ في اتِّصالِ»[٢٥٤]

فَهْوَ الّذي بنفسه حمانا ... قِدْماً ؛ وعادَى كُلَّ مَنْ عادانا

وَهْوَ بحفظه لنا عن الأذى ... «لقد سما على العدا مُسْتَحْوِذا»[٢٥٥]

فاقبَلْ حديثي قد أتاك مُثْبَتا ... «وما رَوَوْا من نحوِ رُبَّهُ فتى»

سطى على أعدائه في جَحْفَلِ ... وشُغِلت يمينُهُ بالأسَلِ[٢٥٦]

في يومِ حربِ (الشّاهِ) غزوةِ (العَجَمْ) ... فكم أبادَ بطلاً وكم قَصَمْ !

وقامت الحربُ على ساقٍ حُسِرْ ... «ولا تَقِسْ على الّذي منه أُثِرْ»[٢٥٧]

فكم له نظم ونثر في العِدا ! ... وكم سقاهم كأسَ حَتْفٍ ورَدَا !![٢٥٨]

كم راعهم حينَ أتاهم يُرعِدُ ... «في نحوِ خيرِ القول إنّي أحمدُ»[٢٥٩]

إذْ وَلَجَ الميدانَ كالطَّوْدِ انْغَرَسْ ... وَلَّوا وظَلَّ (الشّاهُ) يُحْمَى بالفَرَسْ

وهَرَبَ الكُلُّ بلا تَواني ... «كالفضلِ والحارثِ والنُّعمانِ»

كم غزوةٍ غزا الطُّغاةَ فنُصِرْ ... وكم سَرِيّةٍ بها الباغي قُهِرْ[٢٦٠]

حكى أباهُ في الوَغَى وفي الكَرَمْ ... «ومَنْ يُشابِهْ أَبَهُ فما ظَلَمْ»[٢٦١]

---

(٢٥٣) الصيد : جمع أصيد ، وهو هنا ذو الحول والطول من ذوي السلطان .

(٢٥٤) فابده : وكذا في (ش) ، وصوابه « فابدأ » .

(٢٥٥) العدا : صوابه « العدى » .

(٢٥٦) سطى : صوابه في (ش) « سطا » . – "جحفل : (ت/٢) . – الأسل : الرماح .

(٢٥٧) الساق : مؤنثة . – أثـر : نقـل .

(٢٥٨) العدا ، وردا : صواب رسمهما : « العدى » ، و « ردى » .

(٢٥٩) يرعد : يتوعد ويهدد . وموضع هذا البيت في (ش) بعد البيت : « كم غزوة . . . » .

(٢٦٠) السرية : (ت/٢١) .

(٢٦١) هذا البيت ، من شواهد بعض كتب النحو ، غير منسوب . وموضع الشاهد فيه لفظ (أب) وحذف أحرف العلة منه – ومثله أخ وحم... والمعروف في هذه الألفاظ ثلاث لغات : الإعراب =

تاهَتْ به ، إذْ أمِنَتْ ، (بغدادُ) فحسَدَتْها المُدْنُ والبــلادُ (٢٦٢)

إن كنتَ تبغي وصفَ ذا الإمــامِ من هــذه السُّطُورِ والأرقــامِ

فعُشْرَ عُشْرِ فضلهِ ما حَصَّلَتْ « وإنْ نُعُوتٌ كَثُرت وقد تَلَتْ »

لكِنْ قَصَدْتُ دُونَ إظهاريالنِّعَمْ «تَبْيِينِيَ الحَقَّ مَنُوطاً بالحِكَمْ »

[١٨١ / أ]

فكــلُّ مالكٍ وكُلُّ أَصْيَــدِ بنِسبةِ إليه هُمْ كالحَشَــدِ (٢٦٣)

« ونادرٌ وذو اضطرار غيرُ مــا قَدَّمْتُهُ أو لأناسٍ انْتَما » (٢٦٤)

لا زالَ محفوظاً مَدَ [ى] الزَّمــانِ من شرِّ كُلِّ حاســدٍ مِعْيانِ (٢٦٥)

ثــمَّ مــن الصَّلْــوة والسَّــلامِ أزكاهُما على النَّبِي الإمــامِ (٢٦٦)

(مُحَمَّدٍ) المحبــورِ بالسَّكينَةِ وكلِّ مَنْ حاصَرَ في (المدينــةِ)

= بالأحرف الثلاثة (و/ا/ي) ، وأن تكون بالألف مطلقاً مثل « إن أباها وأبا أباها . . . » ، وأن تحذف منها الأحرف الثلاثة المذكورة ، وهذا نادر . وزاد ابن مالك في « التسهيل » في (أب) التشديد ، فتكون فيه أربع لغات . وقوله : « ومن يشابه أباه . . . » ، مثل يضرب في تقارب الشبه ، ولفظه في كتب الأمثال : « من أشبه (أباه) فما ظلم » باعراب (أب) بالحرف (ا) . – وقوله : « فما ظلم » ، ذكروا في تفسيره أربعة أقوال : الأول ما حصل منه ظلم في المشابهة ، لأنه لم يشابه أجنبياً ، فالفعل منزل منزلة اللازم . الثاني ماظلم أحداً في الصفة المشابه فيها ، لكونها صفة أبيه ، فالمفعول محذوف إيذاناً بالعموم . الثالث : ما ظلم أباه بتنقيص صفته . الرابع ما ظلم أمه باتهامها فيه إذا لم يشابه أباه (ينظر / ت ٢٤٣).

(٢٦٢) تاهت : تكبرت .

(٢٦٣) أصيد : (ت ٣٥٣) . – الحشد : الجماعة .

(٢٦٤) إنتما : وكذا في (ش) ، وصوابه « انتمى » ، أي : انتسب .

(٢٦٥) مدى : الأصل « مد » . – معيان : شديد الإصابة بالعين ، ويقال « المعيون » أيضاً .

(٢٦٦) الصلوة : (ت ١٧٢ و ١٧٨) .

وتابِعيهُمُ على التّوالي   كذا على ناظمِ ذي اللئالي[267]

راجي ثوابِ الملكِ المَنّانِ   نَجْلِ (السُّوَيْدي: عابدِ الرَّحمنِ)

ما قامتِ الفُرسانُ للمجادَلَه   لنصرِ دينِ اللهِ في المُباهَلَه[268] -

* * *

(٢٦٧) اللئالي : وكذا في (ش) ، والصواب « اللآلي » .

(٢٦٨) المباهلة : مصدر باهل ، يقال : باهل بعضهم بعضاً ، اذا اجتمعوا فتداعوا : فاستنزلوا لعنة الله على الظالم منهم . وفي التنزيل العزيز :(ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) ، وفي حديث ابن عباس ، رضي الله عنهما : « من شاء باهلته : أن الحق معي » .

— ٦ —

ثُمَّ رأيتُ ، بعدَ أن عارضتُها بأيّام ؛ [٢٦٩] (السّيِّدَ عبدَ اللهِ) [٢٧٠] المذكورَ قد عارضها بقوله : [٢٧١]

الحمــدُ للهِ العــزيزِ الغــالبِ ... النّاصرِ المُمِدِّ ذي المــواهبِ
المانحِ الجزْلَ ، العميمِ الطّوْلِ ... الدّافعِ الضُرِّ الشّديدِ الحوْلِ [٢٧٢]
تباركَ اللهُ تعالى شــأنُــهُ ... وعزَّ جاراً ، وعــلا سُلطانُهُ
سُبْحانَهُ ! يفعَــلُ ما يشــاءُ ... هَيْهاتَ أن يُحْصَى لــه ثنــاءُ
هو اللطيفُ في البَرايــا سَرْمَــدا ... حاشاهُ أن يترُكَ أمرَهُمْ سُدا [٢٧٣]
يختصُّ بالرّحمة مــن عبادِهِ ... مَنْ شاءَ فضلاً منه في إسعادِهِ
ثُمَّ من الصَّلوة مــا قــد كَمَلا ... على نبيِّ السّيْفِ سيّدِ المَلا [٢٧٤]

---

(٢٦٩) أعيدت « رأيت » ها هنا في (ل) و (ش) .

(٢٧٠) السيد عبدالله الفخري الموصلي : (ت/١١٦) .

(٢٧١) وهي في مجموعة الفخري في مكتبة المتحف العراقي ، وقد نشرت نقلاً عنها في مجلة (آفاق عربية) « نيسان ١٩٨١ » ؛ ورمزت إليها في هذا التحقيق بالحرف (آ) .

(٢٧٢) العميم : التام ؛ وفي (آ) « الصميم » (تصحيف) . — الطول ، بفتح فسكون : الفضل والغنى واليسر . — الحول : القدرة على دقة التصرف في الأمور .

(٢٧٣) السرمد : الدائم الذي لا ينقطع . — سدا : وكذا في (ش)، وصوابه في (آ) « سدى » ، وفي التنزيل العزيز : (أيحسب الإنسان أن يترك سدى) أي : مهملا لا يكلف ولا يجازى .

(٢٧٤) الصلوة : (ش) و (آ) « الصلاة » (ت/١١٩) . — وقوله : « نبي السيف » ، بعيــد عن الحقيقة : حقيقة طبيعة الإسلام ، إذ (لا إكراه في الدين) ٢/٢٥٦/البقرة ، والسيف لا سلطان له على القلوب ، وما لجأ المسلمون الأولون من عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائــه ومن جاؤوا بعدهم إليه إلا دفاعاً عن عقيدتهم حين هددتهم قريش وغيرها من القبائل ، ثم حين هددهم الروم البيزنطيون ، وهددهم الفرس المجوس . وهم في هذه الغزوات لم يفرضوا على أحد =

الهاشميِّ ، هــازمِ الأحــزابِ (مُحمّدٍ) مُقسَّمِ الأسلاب(٢٧٥)

وآلهِ فرسانِ مِضمــــارِ الوغى وصَحْبِهِ سُبّقِ حَلْبَةِ الهُدى(٢٧٦)

ما قامتِ الحربُ وثــارَ الرَّهــجُ وسُلّتِ الضُّبا وســالت مُهَجُ(٢٧٧)

[١٨١/ ب]

ثُمَّ السّلامُ من مُحِبٍّ نــائي وأكمــلُ الثّنــــاءِ والــدُّعــاءِ

إلى النِّقّابِ الفاصــلِ الهُمــامِ العالِمِ الحَبْرِ الرِّضا القَمْقامِ(٢٧٨)

عَفِّ الإزارِ طاهرِ الأثـــوابِ سُلالةِ الأطهارِ والأطيــابِ(٢٧٩)

السَّيِّدِ السَّمَيْدَعِ الجــليــلِ خِلّي وخِدْني صاحبي خليلي(٢٨٠)

عَلّامةِ الدُّنيــا قَريعِ دهــرِهِ مَنْ لا يبارَى من وَحيدِ عصرِهِ(٢٨١)

دينهم . . وهذا باب واسع من القول ، أشبعه المحققون تفصيلا وبياناً . – الملا : الملأ ، وهو الجماعة . و – أشراف القوم وسراتهم ، جمعه أملاء .

(٢٧٥) هازم : (آ) « سيد » ؛ وهازم أليق بالسياق ، وهو يشير الى (وقعة الأحزاب) أو (الخندق) ؛ وقد تقدمت في (ت/١٠٥) – مقسم : (آ) « مقتسم » .

(٢٧٦) الوغى : (ت/٩٠) . – الحلبة : خيل تجمع للسباق من كل أوب .

(٢٧٧) الضبا : (آ) « الضبى » ؛ وكلاهما خطأ ، وصوابه في (ش) « الظبا » جمع الظبة : وهي حد السيف والسنان والخنجر وما أشبهها . – المهج : جمع المهجة : وهي دم القلب . و – الروح .

(٢٧٨) النقاب ، بوزن كتاب : العلامة البحاثة الفطن. (ش) « النقيب » ، وهو كبير القوم المعني بشؤونهم . – الهمام : السيد الشجاع السخي من الرجال . – الحبر : العالم . – القمقام : السيد الجامع لسيادة انواع الخير .

(٢٧٩) عف الإزار : الإزار ، معروف ، وعف الإزار وعفيفه : أي عف عما يحرم عليه من النساء .

(٢٨٠) السميدع : السيد الكريم السخي . و – الرئيس . و – الشجاع . خلي : (آ) « خمي » . والأولى : الصديق المختص (يستوي فيه المذكر والمؤنث) ، والثانية : الصديق الخالص . – الخدن : الصديق (للذكر والأنثى) .

(٢٨١) القريع : السيد ، وفلان قريع دهره : سيد دهره ؛ وقريع الكتيبة : رئيسها .

لا زال قارعاً ذُرَى الكَمالِ ... مقتعداً غَوارِبَ الآمالِ (٢٨٢)
وبَعدَ عَرْضِ صُورة الأشواقِ ... وبَثَّ بَثَّ البَيْنِ والفِراقِ (٢٨٣)
فالغَرَضُ الأصليّ فحصُ الحالِ ... والبحثُ عن كيفيّةِ الأحوالِ
فكيفَ ذاكَ العُنْصُرُ اللطيفُ ... الطَّيِّبُ المُطَهَّرُ الشَّريفُ ؟
لا زال في حفظ الإلهِ دائما ... وفي مَقامِ الفضلِ طَوْداً قائما

❁

ثُمَّ . . أيا مَنْ بُعْدُهُ أودى بي ... ومَنْ حوى أقصى مَدَا الآدابِ (٢٨٤)
فإن تَعَطّفَ الجَنابُ السّامي ... بالفحص عن أحوال ذِي الهُيامِ (٢٨٥)
فإنّهُ في غَمْرَةٍ لا تنجلي ... إلا إذا شاء المُهَيْمِنُ العلي (٢٨٦)
وكيف لا ؟ والوَجْدُ قد عَنّاني ... يَثْنِي كما يُريدُ من عِناني (٢٨٧)
وفُرقةُ الأحبابِ والدِّيارِ ... أخنتْ على جسمِيَ واصطباري (٢٨٨)

---

(٢٨٢) قارعاً : وكذا (بالقاف) في (ش) و (آ) ، والصواب « فارعاً » (بالفاء) ، من : فرع الشيءُ يفرعه فرعاً وفروعاً ، اذا علاه ، ومنه قول بديع الزمان الهمذاني (المضري) من قصيدة يرد بها على فارسي شعوبي في مجلس الصاحب اسماعيل بن عباد – ارتجالا :

متى فرع المنابر فارسي ... متى عرف الأغر من الحجول

ذرى : صواب رسمها « ذرا » جمع الذروة . وفي (آ) « ذوي » ، أي أصحاب .

(٢٨٣) بث البين : وكذا في (آ) ، وأرى صوابها « بت البين » ، أي : قطع الفراق ، كما في (ش).

(٢٨٤) أودى بي : أهلكني . – مدا : صوابها في (ش) و (آ) « مدى » .

(٢٨٥) الهيام : الجنون من العشق .

(٢٨٦) الغمرة : الشدة . – المهيمن : (ت/١١٨) .

(٢٨٧) الوجد : الحزن . و – الحب ، يقال : وجد فلان يجد وجداً : حزن ، ووجد به وجداً : أحبه . – عناني ، بتشديد النون : أهمني . والعنان ، بكسر أوله : سير اللجام الذي تمسك به الفرس . – يريد : (آ) « يزيد » ، وهو تصحيف .

(٢٨٨) أخنت : أفنت ، يقال : أخنى عليه . وفي (آ) « أضنت » بالضاد ، وهو تصحيف ، إذ يقال : أضناه المرض ، اذا أثقله ، ولا يقال أضنى عليه ، فقوله « أخنت » هي المتحققة .

واللهُ مأمولٌ لجمعِ الشَّمْـلِ ... فإنَّهُ وَلِيُّ كُـلِّ فضـلِ

*

وبينَما أفحَصُ عن آثـارِ ... وأتلقَّى جَلَبَ الأخبارِ ؛ (٢٨٩)

إذْ وَرَدَ الكتابُ أسمى الكُتُبِ ... من سيّدٍ حوى فَخَارَ (العَرَبِ)

أيُّ كتابٍ عِقْـدَ دُرٍّ نَظَمـا ... وروض آدابٍ غدا مُنَمْنَما ! (٢٩٠)

أيُّ كتابٍ عُقْلَةِ المُسْتَوْفِزِ ... قُرَّةِ عينٍ ؛ عُدَّةِ المستنجزِ ! (٢٩١)

يحكي الهـواءَ رِقَّـةً والمـاءا ... لَطافَـةً ؛ وقد سـما سَناءا (٢٩٢)

[١٨٢ / أ]

مضمونُهُ يُعربُ عن خفض العِـدا ... وما أصابوا من عوامـلِ الرَّدا (٢٩٣)

ومـا أتـاح اللهُ مـن تأييـدِ ... والظَّفَرِ الباهرِ والتَّشْديدِ (٢٩٤)

فَهَزَّ من عِطْفِ النَّشاطِ والجَذَلْ ... وفَرَّحَ القلبَ الكئيبَ المُخْتَبِلْ (٢٩٥)

فصـار للأنـامِ عيـداً آخـرا ... كُلّاً تَراهُ حامـداً وشا كـرا

على انجلاءِ غُمَّـةِ البـلاءِ ... بفضلِ ذي الألطـاف والآلاءِ (٢٩٦)

*

(٢٨٩) الجلب : ما جلب من شيْ . والبغداديون يطلقون «الجلب» على المتاع الرديْ ، كأنهم – كانوا – يريدون تهجين البضائع التي تستورد ، ولم يصنعوها هم أنفسهم ؛ وهم اليوم يخصون بـه الرديْ غير ناظرين الى علة استعمال سلفهم له .

(٢٩٠) العقد : القلادة . – منمنما : مزخرفاً مرقشاً . (ش) « متمماً » : وليست بشيْ .

(٢٩١) عقلة المستوفز : قيد العجلان الجالس على هيأة كأنه يريد القيام . – المستنجز : طالب الإنجاز ، أي قضاء الشيْ .

(٢٩٢) السناء : الرفعة .

(٢٩٣) العدا : وكذا في (آ) ، وصوابه كما تقدم مراراً « العدى » . – الردا : وكذا في (ش) ؛ وصوابه « الردى » كما في (آ) ؛ وهو الهلاك .

(٢٩٤) أتاح : قدر وهيأ . – التشديد : (ش) « والتسديد » .

(٢٩٥) العطف : الجانب . – الجذل : الفرح . (آ) « الجدل » وهو تصحيف – المختبل : الذي فسد عقله وجن .

(٢٩٦) الآلاء : النعم ، واحدها ألو .

وذاكَ أنَّ صاحِبَ (الأعجـامِ) … حاصَرَهمْ بجيشِهِ اللُّهـامِ (٢٩٧)

بالّلجِبِ العرَمْرَمِ الكُمـاتِ … يطلُبُ بالدُّحُولِ والتِّراتِ (٢٩٨)

فأعضلَ الأمـرُ وأعْيى الرّاقيـا … وبَلَغَتْ من غَمّها التّراقيـا (٢٩٩)

جاؤهُمُ من فوقِهِـمْ والأسفـلِ … بجَحْفَلٍ كظِلِّ ليلٍ أليَلِ (٣٠٠)

شَبُّوا ضِرامَ البأسِ والكِفـاحِ … ما غادَرُوا ضربـاً من النِّفاحِ (٣٠١)

رَمَوْهُـمُ بنـارِهِـمْ أسبوعـا … وهَجَمُـوا عليهِـمُ جُمُـوعا

نارٌ ؛ وما أدراكَ صاحِ ماهِيَهْ ؟ … نارٌ لَظَى تُضْرَمُ ، نارٌ حامِيَهْ (٣٠٢)

صـواعقٌ قـوارعٌ قـواصفُ … رواعـدٌ طَوارقٌ رَواجِـفُ

فاضطربَ الحَبْلُ وجَلَّ الخَطْبُ … واستفحلَ الدّاءُ وحَلَّ الكَرْبُ (٣٠٣)

---

(٢٩٧) اللهام : العظيم ، كأنه يلتهم كل شيء .

(٢٩٨) اللجب : ذو اللجب ، وهو ارتفاع الأصوات واختلاطها . – العرمرم : الكثير . – الكمات : صوابه « الكماة » كما في (ش) و (آ) ، وهو جمع الكمي ، وهو لابس السلاح . – الشجاع المقدام الجريء كان عليه سلاح أو لم يكن . – الدحول : وكذا في (ش) ، وفي (آ) « الدخول » ، وكلاهما مصحف « الذحول » ، وهو جمع الذحل ، وهو الثأر . – الترات : جمع الترة ، وهي الظلم في الذحل ، وقيل : هي الذحل عامة .

(٢٩٩) أعضل الأمر : اشتد واستغلق . – أعيى : وكذا في (ش) و (آ) ، وصواب رسمه « أعيا » أي أعجز . – الراقي : المداوي ، من قولهم : رقى المريض يرقيه ، إذا عوذه ، ويقال : « بإسم الله أرقيك والله يشفيك » . – بلغت : فاعله مضمر ، وهو الروح . – التراقي : جمع الترقوة . وهي عظمة مشرفة بين ثغرة النحر والعاتق ، وهما ترقوتان ، وبلغت الروح التراقي : كناية عن مشارفة الموت .

(٣٠٠) جاؤهم : وكذا في (ش) و (آ) : والصواب « جاؤوهم » . – الجحفل : (ت/٢) . – ليل أليل : شديد الظلمة ، وفي (آ) « ليل الليل » ، وليس معروفاً في كلام العرب .

(٣٠١) الضرام : لهب النار . – النفاح : الدفاع والمكافحة . (ش) « النقاح » (بالقاف) وهو كالنفاح .

(٣٠٢) صاح : (ت/٧) . – لظى : اسم من أسماء جهنم (وهو علم لا ينون) ، واللظى : لهب النار الخالص لا دخان فيه ، وفي (ش) « تلظى » ، وهي تخل بالوزن ، ولا تستقيم مع « تضرم » بعدها .

(٣٠٣) استفحل الداء : (آ) – في الحاشية : « في الأصل – يعني مجموعة الفخري – واستعجل » . =

وإنّــه سُبْحــانَهُ جــلّاهــا ... إنّ (إلى رَبّكَ مُنْتَهاهــا) [٣٠٤]

رُدُّوا بِغَيْظٍ لم ينالُــوا خيــرا ... نعم : أصابُوا ضَــرَراً وضَيْرا [٣٠٥]

إذْ بادَ « باللّغْم » لهم أُلُــوفْ ... وذا سِوَى ما نــالتِ السُّيُوفْ [٣٠٦]

وكانتِ النِّيرانُ مِثْلَها على الْ ... (خَليلِ) بَرْداً وسلاماً لم تَزَلْ [٣٠٧]

كفاهُمُ سُبْحــانَهُ القِتــالا ... وكَفَّ عنهم ما دَهَى تعـــالى

هذا ، وما قد دَفَعَ اللهُ مــن الْ ... بَلاءِ قد كان عظيماً وأجلْ [٣٠٨]

ونسئلُ اللهَ تَمامَ النِّعمـــةِ ... من طَوْله ، ودفعَ كُلِّ نقمــةِ [٣٠٩]

[١٨٢/ب]

فَهْوَ وَليُّ الفضل والإنعـــامِ ... ذو العِزِّ والإجــلالِ والإكــرامِ

والحقُّ أنّ هذه إحــدى الكِبَــرْ ... وأبــدعُ البِدْعِ ؛ وأمٌّ للعِبَرْ [٣١٠]

- وفي (ش) « واستفحل الدل » (تصحيف الذل). – حل الكرب : (آ) « وجل الكرب » ؛ وهو تكرار « جل الخطب » ؛ فالأصل (ل) هو الصحيح .

(٣٠٤) جلاها : كشفها . – منتهاها : انتهاء علمها ، وفي التنزيل العزيز : « (فيم أنت من ذكراها ؟ إلى ربك منتهاها) » ٤٤ / النازعات » .

(٣٠٥) بغيض : صوابه في (ش) و (آ) « بغيظ » ، وهو أشد الغضب . – الضير : الضر ؛ وفي التنزيل العزيز : (لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون) ، معناه : لا ضر ، يقال : لا ضير ولا ضور ، ولا ضر ، ولا ضرر ، ولا ضاروزة – بمعنى واحد .

(٣٠٦) اللغم : هذا هو الموضع الوحيد ، في (ل) : التي كتبت فيه « اللغم » بالغين المعجمة ؛ كما أشرت إليه في (ت/١٤٥ و ٢٩٧) . وفي (ش) و (آ) « اللقم » بالقاف .

(٣٠٧) الخليل : ابراهيم الخليل ، عليه الصلاة والسلام . يشير الى خبر النار التي أوقدت لإحراقه . فأطفأها الله تعالى كما في الآية الكريمة : (قلنا : يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) ٦٩ / الأنبياء .

(٣٠٨) أجل : (آ) « وجلل » .

(٣٠٩) نسئل : وكذا في (ش) ، وصوابه : « نسأل » كما في (آ) . – الطول : (ت/٣٧٢) . وفي (آ) : « طوره » ، وليست بشيء .

(٣١٠) الكبر : جمع الكبرة ، وهي الإثم العظيم . – البدع : الأمر الذي يفعل أولاً .

فيـا لهـا من وقعـةٍ لم تُسْبَقِ ... إلّا بأحزابِ بيومِ الخَنْدَقِ (٣١١) !

وكـان رَمْيُ تلك بالأحجـارِ ... وصارَ رَمْيُ هـذه بالنّـارِ

لله قَوْمي من رجـالٍ صُبُـرِ ... على المِضاض في البلاء الأكبرِ !(٣١٢)

ما ريعَ منهم أحَدٌ كَلّا ، ولا ... عرتهم الفَشْلَةُ من بأس العِدا (٣١٣)

كُلٌّ يقولُ : حَبّذا يومُ اللِقا ... ونِعْمَ ما يومٌ لنا يومُ الوَغا (٣١٤)

تُلْفيهِ مُنشِداً لَدَى البِـرازِ ... أبلـغَ ما قيـلَ في الارتجازِ :(٣١٥)

(أنا «أبو بَرْزَةَ» : إذْ جَدَّ الوَهَلْ ... وليس فينا زُمّلٌ ولا وَكَلْ)(٣١٦)

---

(٣١١) يوم الأحزاب : (ت/د ١٠٥) .

(٣١٢) قومي : (ش) «قوم» . — المضاض ، بكسر الميم : الملاحة والملاجة . — في البلاء (ش) «والبلاء» .

(٣١٣) الفشلة : لم تذكرها المعاجم ، وقد أراد «الفشل» ، وهو الفزع والجبن والضعف ، وقد فشل يفشل عند الحرب والشدة : اذا ضعف وذهبت قواه . — العدا : صوابه «العدى» . وفي (آ) «العلى» .

(٣١٤) الوغا : صوابه في (ش) و (آ) «الوغى» ، وفي (آ) زيادة «من» بعد «لنا» في المصراع الثاني ؛ وهي تخل بوزنه (ت/٩٠) .

(٣١٥) تلفيه : تجده . — البراز : المبارزة . — الارتجاز : مصدر ارتجز الراجز ، إذا قال أرجوزة .

(٣١٦) أبو برزة : (أ) «أبو جدة» ؛ ولم أعرفه . — الوهل : الفزع . — الزمل : الضعيف الجبان الرذل . — الوكل : الضعيف ليس بنافذ ، يكل أمره إلى غيره . و(أبو برزة) يعرف به غير واحد ، والظاهر — والله أعلم — أنه نضلة بن عبيد بن الحارث الأسلمي : صحابي ، غلبت عليه كنيته . شهد مع علي رضي الله عنه قتال أهل النهروان — ولم أجد من قال : شهد وقعة الجمل — . ثم شهد قتال الأزارقة ، ومات بخراسان سنة خمس وستين . له ستة وأربعون حديثاً . وهذا الرجز بنفسه لم يذكره الطبري في حوادث وقعة الجمل ، وإنما ذكر شبيهاً به ، ينسب الى وسيم بن عمرو بن ضرار الضبي تارة ، والى عمرو بن ضرار الضبي تارة ، وغير معزو تارة أخرى ، وأجمع رواياته :

نحن (بنو ضبة) أصحاب الجمل ... ننازل الموت اذا الموت نزل

والموت أحلى عندنا من العسل ... ننعى (ابن عفان) بأطراف الأسل

ردوا علينا شيخنا ، ثم بجل

وبعض هذا الرجز في «لسان العرب» وغيره ، غير منسوب .

(نحن بنو الموتِ إذا الموتُ نَزَلْ ... والموتُ أحلى عندنا من العَسَلْ) (٣١٧)

[إذْ وَطّنُوا الأنفُسَ للحتُوفِ ... وأخذُوا قَوائمَ السُّيُوفِ (٣١٨)

يُجاهدونَ في سبيلِ اللهِ ... بالمالِ والنّفْسِ بلا إكراهِ

يَقُونَ بالبيضِ وأطرافِ الأَسَلْ ... عِرضاً مصوناً ليس فيه من خَلَلْ (٣١٩)

مُحاذرينَ خِطّةَ الهوانِ ... وسَوْمَ خَسْفٍ من ذوي العُدوانِ (٣٢٠)

حتّى قضى اللهُ لهم بالفَرَجِ ... وعاجلِ الفَلْجِ ودَفْعِ الحَرَجِ (٣٢١)

رَدُّوا وُجُوهَهُمْ بِحَرِّ الضَّرْبِ ... وأَرَثُوا لهم سَعيرَ الحَرْبِ (٣٢٢)

فقَهقروا نَكْصاً على الأعقابِ ... على احتذاءِ (غزوة الأحزابِ) (٣٢٣)

بصَفْقَةٍ خاسرةٍ وبَاسِ ... وحَنْيَةٍ من ظفرٍ بباسِ (٣٢٤)

إذْ رَتَعُوا في مَرْتَعٍ وَبيلِ ... وطَمِعُوا في مطمعٍ ثقيلِ (٣٢٥)

غَرَّتْهُمُ الآمالُ والأماني ... إذْ جَعَلُوا القاصيَ مثلَ الدّاني

---

(٣١٧) بعد هذا البيت (٣٢ بيتاً ، أو ٦٤ مصراعاً) ساقطه من نشرة مجلة (آفاق عربية) « نيسان ١٩٨١ م » . وقد حصرتها بين المعقوفين [ ] .

(٣١٨) الحتوف : (ت/د ٧٥) . – قوائم السيوف : مقابضها ، الواحدة قائمة .

(٣١٩) البيض : السيوف . – الأسل : الرماح .

(٣٢٠) الهوان : صحتها في (ش) « تهوان » . – الخسف : الذل .

(٣٢١) الفلج : الظفر .

(٣٢٢) حر الضرب : شدته . – أرثوا : أوقدوا .

(٣٢٣) النكص ، والنكوص : الإحجام والانقداع عن الشيء . يقال : نكص عن الأمر : أحجم ، ونكص على عقبيه : رجع عما كان عليه من الخير ، قال أبو منصور : ولا يقال ذلك إلا في الرجوع عن خير خاصة . – غزوة الأحزاب : (ت / ١٠٥) .

(٣٢٤) وحنية : لعلها « ومنية » بباس : (ش) « بناس » ، وأراها الصحيحة .

(٣٢٥) وبيل : وخيم .

ما كُلُّ سوداءَ بتمرة ؛ ولا ... حمراءَ جمرةٌ ؛ إذا جَدَّ البَلا (٣٢٦)

[١٨٣/ أ]

لِلهِ دَرُّهُمْ على ما فَعَلُوا ! ... وأيَّ مجدٍ وَطَّدُوا وأثَّلُوا ! (٣٢٧)

ناهيك من ذُخْرٍ أتَمَّ الذُّخْرِ ! ... وحَسْبُهُم ذا الفخرُ أنْمى الفَخْرِ (٣٢٨)

❋

لا سيّما قائدُهُمْ (حسينُ) ... ذاك الذي ما فيه قَطُّ شَيْنُ (٣٢٩)

ذاك الوزيرُ الأصْيَدُ المُشَيَّعُ ... البطَلُ الضَّرْبُ الهِزَبْرُ الأشجعُ (٣٣٠)

الرّابطُ الجَأْشِ لَدَى اللقاءِ ... عندَ اشتجارِ السُّمْرِ في الهَيْجاءِ (٣٣١)

فإنَّه الأصلُ لِهذي المفخَرَهْ ... بل تنتهي إليه هذي المأثُرَهْ (٣٣٢)

لأنَّه رئيسُها وراسُها ... ونجمُها الوَضّاحُ بل نِبراسُها (٣٣٣)

لِلهِ دَرُّهُ ! يهونُ الحَتْفُ ... عليه إن لاحَ عليه خَسْفُ (٣٣٤)

بجِدِّهِ أنقذ أهلَ (المَوْصِلِ) ... من فَتْكِ ذي ضَغائنٍ مُسْتَأصِلِ (٣٣٥)

---

(٣٢٦) في أمثال العرب : « ما كل بيضاء شحمة ، ولا كل سوداء تمرة » يضرب في اختلاف أخلاق الناس وطباعهم ، ويضرب في موضع التهمة ، قاله قيس بن ثعلبة في خبر طويل ، في « فرائد اللآل » (٢/٢٤٤) . — البلا : البلاء : قصره للوزن والروي .

(٣٢٧) وطدوا : أثبتوا وقووا . — أثلوا : أصلوا .

(٣٢٨) ناهيك من ذخر : أي كافيك من ذخر . وأنهاك عن تطلب غيره . — أنمى : (ش) «إثر» .

(٣٢٩) حسين : هو أبو مراد حسين باشا الجليلي والي « الموصل » (ت/٩٩) .

(٣٣٠) الأصيد : (ت/٣٠٢) . — المشيع : ذو الأتباع والأنصار ، والشجاع الجريء القلب . — الضرب : الماضي في الأمور . — الهزبر : الأسد الكاسر .

(٣٣١) الجأش : النفس أو القلب ، ويقال : هو رابط الجأش ، أي : ثابت عند الشدائد . — اشتجار السمر : تداخل الرماح بعضها في بعض . — الهيجاء : الحرب .

(٣٣٢) المأثرة : المكرمة المتوارثة .

(٣٣٣) النبراس : المصباح .

(٣٣٤) الحتف : الهلاك . — الخسف : الذل .

(٣٣٥) الضغائن : الأحقاد الشديدة ، الواحدة ضغينة . — مستأصل : مبيد ، يقطع الشيء بأصله من شدة حقده .

قَلَّمَ عنهُمْ ظُفُرَ الأعــداءِ ... وذَلَّ عنهُمْ غَرْبَ ذلكَ الدّاءِ(٣٣٦)

عليــه عونُ اللهِ مــن أميــرِ ... صاحِــبِ رَأْيٍ صائبٍ خبيــرِ

ذو غِيَرٍ يَحْمي الذِّمارَ كَالعَرَبْ ... يسطو بعَضْبٍ قاضبٍ بلا رَهَبْ(٣٣٧)

فيا لَهُ من ذي غَنَــاءٍ كافِــلِ ! ... أَخْلِقْ به قَرْماً بقَوْلِ القائلِ :(٣٣٨)

(نفسُ «عِصامٍ» سَوَّدَتْ «عِصاما» ... وعَلَّمَتْهُ الكَرَّ والإقــداما)(٣٣٩)

رَعْياً له ! إذْ جَدَّ في دفع الأذى ... وقد سمى على العِدا مُسْتَحْوِذا(٣٤٠)

فَهْوَ – لَعَمْري ! – حائزٌ تفضيلا ... « مُسْتَوْجِبٌ ثَنائيَ الجَميــلا »

فزكِّـــهِ تزكيـــةً ، وأَجْمِـــلا ... « إجمالَ مَنْ تَجَمُّلاً تَجَمَّلا »

مِنّا له الدُّعــا بنفسٍ صاغِــرَهْ ... « واللهُ يقضي بِهِباتٍ وافِــرَهْ »

وهكذا سَليلُــه (مُــرادُ) ... مَنْ مِثْلُــه لِمِثْلِــه يُرادُ (٣٤١)

شَمَّرَ عن ساعدِ جِدٍّ ، وسَطَى ... يَحمي الحِمى لسيفه مخترِطا(٣٤٢)

---

(٣٣٦) غرب الداء : حدته .

(٣٣٧) الغير : غير الدهر ، وهي أحواله وأحداثه المتغيرة . – الذمار : ما تجب حياطته والذود عنه : كالأهل والعرض . – العضب : السيف القاطع . – القاضب : القطاع .

(٣٣٨) الغناء ، بفتح أوله : النفع والكفاية . – القرم : (ت/٨٧) .

(٣٣٩) نفس عصام : مثل يضرب في نباهة الرجل من غير قديم له ، وعصام : هو ابن شهبر ، حاجب النعمان بن المنذر ملك « الحيرة » ، الذي قال له النابغة الذبياني حين حجبه عن عيادة النعمان ، من قصيدة له :

فإني لا ألومك في دخولي ... ولكن ما وراءك يا (عصام) ؟

وفي المثل : « كن عصامياً ولا تكن عظامياً » . وقيل :

نفس (عصام) سودت (عصاما) ... وعلمته الكر والإقداما

وصيرته ملكاً هماما

(٣٤٠) سمى : صوابه في (ش) « سما » . – العدا : صوابه « العدى » .

(٣٤١) مراد : مراد باشا الجليلي ، استبسل مع أبيه في قتال جيش نادر طهماسب قلي دفاعاً عن (الموصل) ; وتوفي قبل أبيه .

(٣٤٢) سطى : صوابه في (ش) « سطا » .

[به قد اقتدى « عَدِيٌّ » في الكَرَمْ ... ومَنْ يُشابِهْ أَبَهُ فما ظَلَمْ »(٣٤٣)]

*

[١٨٣/ ب]

كذا الوزيرُ صاحب (الشَّهْباءِ) ... ذو الحزمِ والآراءِ والدَّهاءِ (٣٤٤)

فإنَّهُ لم يُلْفَ ذا تقصيرِ ... أصاب في الرَّأيِ وفي التَّدْبيرِ

جُوزِيَ بالخيرِ عن الأنامِ ... لبذلهِ المجهودَ في الإسلامِ

*

بُشْرى بذي الفتحِ المُبينِ البَيِّنِ ... والنَّصرِ إذْ جاء من المُهَيْمِنِ (٣٤٥)

---

(٣٤٣) هو بيت آخر سقط من الأرجوزة في نشرة مجلة (آفاق عربية) .وأوله في (ص ٧٦) والبيت من شواهد النحو واللغة . وقد نسبه محمود العيني – في « شرح الشواهد الكبرى » (١٢٩/١) هامش خزانة البغدادي – الى رؤبة بن العجاج ،وليس في ديوانه المطبوع في ليبسيغ ١٩٠٣م. ولكن ناشر الديوان –وهو وليم بن الورد البروسي – أورده في ملحقه (ص١٨٢) في جملة أبيات . وجملة ملحقه هي ما وجده منسوباً الى رؤبة والى ابنه العجاج في كتب مخطوطة وأخرى مطبوعة ، من غير عزو صريح يعين القائل . وأرى أن نسبته إلى رؤبة لا تصح ؛ لأن الممدوح به – وهو عدي بن حاتم الطائي فيما رأى العيني – توفي قبل رؤبة بسبع وسبعين سنة . توفي عدي في سنة ثمان وستين للهجرة ؛ وتوفي رؤبة في سنة خمس وأربعين ومئة ؛ وعلى هذا يمكن أن يكون البيت لابيه العجاج المتوفى في نحو سنة تسعين . غير أنه لم يذكر في ديوانه بطبعتيه الأذنية والبيروتية – وعدي بن حاتم الطائي الجواد المضروب به المثل في الجود : صحابي جليل ؛ وفد الى النبي ؛ صلى الله عليه وسلم ، سنة تسع أو عشر ؛ فأسلم . وكان نصرانياً . ولما التحق النبي – صلى الله عليه وسلم – بالرفيق الأعلى ؛ قدم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه في وقت الردة بصدقة قومه ، وثبت على إسلامه . وشهد فتح (العراق) ووقعة (القادسية) . ووقعة (مهران) . ويوم (الجسر) مع أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ؛ وسار مع سيف الإسلام خالد بن الوليد رضي الله عنه الى (الشام) ، وشهد معه بعض الفتوح . وأخباره في كتب الصحابة والتواريخ المفصلة . وقوله : « ومن يشابه أبه فما ظلم » أسلفت الكلام عليه في (٦٦/ت ٢٦١) .

(٣٤٤) الوزير صاحب الشهباء : هو حسين باشا الفنزوقجي (ت/١٥٧، ١٥٨، ٢٠٠) .

(٣٤٥) بذي : وكذا في (ش) ، وصوابه في (آ) « بذا » . – المهيمن : (ت/١١٨) .

بُشراكُمْ أيّتُها الدُّهاتْ ... أيّتُها الحُماتُ والكُماتْ [٣٤٦]

بُشراكُمُ ، يا أهلَ ذَيّاكَ الحِما ... على احتياز الفوز من ربّ السَّما [٣٤٧]

فمَنْ لنا بشكره والحمدِ ؟ ... إذْ فضلُهُ جاوَزَ حَدَّ العَدِّ

يا لَيْتَني كنتُ مع الأصحابِ ... ففُزْتُ بالنُّصْرَةِ والثّوابِ

*

وإنْ تَسَلْ عن هذهِ الأرجاءِ ... وما تُعاني من عُضالِ الدّاءِ [٣٤٨]

فإنّها مُنْذُ شُهورٍ لم تَزَلْ ... محصورةً ؛ ضاقت بأهلها الحِيَلْ

حَسْبُكَ من شَرٍّ سَماعُهُ . كما ... قد قيلَ في الغابر ممّا قَدُما [٣٤٩]

وذاك أنّ الشّاهَ (شاهَ العَجَمِ) ... أمَّ دِيارَ (الرُّومِ) في تَهَجُّمِ [٣٥٠]

فدَلَفَتْ من جُنْدِهِ سَوالِفُ ... رَواجِفٌ تتبعُها رَوادِفُ [٣٥١]

---

(٣٤٦) الدهات ؛ والحمات ؛ والكمات : وكذا في (ش) أيضاً ، وصوابها في (آ) : الدهاة ؛ والحماة ؛ والكماة .

(٣٤٧) الحما : وكذا في (ش) و (آ) ، والصواب « الحمى » . – الاحتياز : الضم والامتلاك . وفي (آ) « اجتياز » بالجيم (تصحيف) .

(٣٤٨) الأرجاء : النواحي ؛ واحدها رجا . – داء عضال : لا طب له .

(٣٤٩) حسبك من شر سماعه : مثل يضرب عند العار والمقالة السيئة وما يخاف منها ؛ قالته فاطمة بنت الخرشب الأنمارية أم الربيع بن زياد العبسي لما أراد قيس بن زهير أخذ براحلتها ليرتهنها بدرع كان ابنها أخذها منه .

(٣٥٠) ديار الروم : الأناضول . أو آسية الصغرى .

(٣٥١) دلفت : مشت رويداً . وفي (آ) « قد لفت » (تحريف) . – سوالف : أراد بها الجماعات المتقدمين . من قولهم : سلف يسلف سلوفاً ؛ أي تقدم وسبق .

جَحافِلٌ تُطاوِلُ الجِبالا ... قَنابِلٌ تُكاثِرُ الرِّمالا [352]

تموجُ مَوْجَ زاخِرِ البِحارِ ... غَصَّ بها القِفارُ والبَراري

دُكَّتْ لها شَواهِقُ الأَطْوادِ ... وبُسَّ منها هُضُبُ الأعضادِ [353]

جاسُوا خِلالَ هذه الدِّيارِ ... يبغون ضبطَها على اقتسارِ [354]

فعجَّلَ (القربانُ) و(الأكرادُ) ... في طاعة الأمر لهم وانقادُوا [355]

أهلُ القُرَى كذاك والضِّياعِ ... نَعَمْ ؛ وأهلُ سائرِ الرِّباعِ [356]

لم يتريَّثْ أحدٌ في الطّاعةِ ... بادَرَ في شقِّ عصَى الجَماعةِ [357]

وذاك إبقاءً على العِيالِ ... والأهلِ والأولادِ والأطفالِ

[١٨٤/أ]

ولا يُلامُون لدَى الإنصافِ ... بما أتَوْا إلا على اعتِسافِ [358]

[إذْ لم يكن في طاقة الأغنامِ ... دفعُ أُسُودِ الغابِ والآجامِ] [359]

[فملَكُوا ما كان من ضِياعِ ... ما تَرَكُوا فِتْراً من الأصقاعِ] [360]

---

(٣٥٢) جحافل : (ت /٢) . – القنابل : الطوائف من الناس ومن الخيل ، واحدها قنبل وقنبلة . وفي أيامنا تطلق على « القنابر » وواحدتها قنبرة (ت ٩٨/ القسم الثاني) .

(٣٥٣) بس : فتت وفرق . – منها : (آ) « فيها » . – هضب : أحد جموع الهضبة ، وهي الجبل المنبسط الممتد على وجه الأرض . – الأعضاد : النواحي ، واحدها عضد .

(٣٥٤) جاسوا خلال الديار : ترددوا بينها بالإفساد ، وطلبوا ما فيها .

(٣٥٥) القربان : صوابها في (ش) و (آ) « العربان » : (ينظر ت / ٢٣٩ في الفصل الثاني) .

(٣٥٦) الرباع : أحد جموع الربع ، وهو الوطن .

(٣٥٧) عصى : وكذا في (ش) ، وصوابها في (آ) « عصا » . – لم يتريث : لم يبطئ .

(٣٥٨) الاعتساف : الظلم .

(٣٥٩) الآجام : جمع الأجمة ، وهي الشجر الكثير الملتف .

(٣٦٠) الأصقاع : النواحي ، واحدها صقع . (هذه المصاريع الأربعة ، لم ترد في نشرة مجلة « آفاق عربية ») .

فلم يكن بدٌّ من الحصارِ لقلّةِ الأعوانِ والأنصارِ
فاقتصر الهمُّ على التحصينِ وحفظِ نفسِ الحصنِ في تمتينِ [٣٦١]

*

وغرّب (الشاهُ) يرومُ (الرّوما) وينتحي الأطلالَ والرُّسوما [٣٦٢]
فأوّلاً أناخَ في (كركوكِ) غادرَها كالقتَبِ المفكوكِ [٣٦٣]
أخذَها كالقابسِ العجلانِ لم يتلوّمْ قربَ الأزمانِ [٣٦٤]
ومثل (كركوك) غدت (أربيلُ) ووطؤهُ عليهما ثقيلُ [٣٦٥]
ثمّ غدا يسير نحوَ (الموصلِ) بذاك الجيشِ الثقيلِ الكلكلِ [٣٦٦]
وكانَ ما كانَ من آمرٍ شجرا ما بينهم ثمّةَ ممّا سطرا [٣٦٧]

*

---

(٣٦١) التحصين والتمتين : (ش) « التحصن والتمتن » .

(٣٦٢) الروم : (ت/٣٥٠) . – ينتحي : يميل الى ناحية – يقصد . الأطلال : ما شخص من آثار الديار .

(٣٦٣) كركوك : (ت/١١٣) . – القتب : الرحل الصغير على قدر سنام البعير ، وفي (آ) « كالقبة » (تحريف) .

(٣٦٤) لم يتلوم : لم يتمكث وينتظر . – قرب : صوابه في (آ) « أقرب » .

(٣٦٥) أربيل ، وأرويل ، وأوربيل ، وأولير ، وهولير : هي (إربل) ؛ تعريب اربلا ، أو : أربا – أيلا ، أي أربعة آلهة ، وقد كانت هذه المدينة موطناً لعبادة هذه الآلهة . وهي مدينة تاريخية ، بين (الزابين) ، تقوم على تل كبير مرتفع ، في سفحه مدينة شامخة الأطراف . اشتهرت بموقعة (كوكميلا) الحاسمة في سهلها بين الإسكندر الكبير ودارا ملك الفرس عام ٣٣١ ق. م ، وبلغت أوج العمران حوالي عام ٦٠٠ هـ في عهد الدولة البكتكينية التركمانية . وهي اليوم مركز (محافظة أربيل) في (العراق) .

(٣٦٦) بذاك : صوابها في (ش) و (آ) « بذلك » . – الكلكل : الصدر .

(٣٦٧) من أمر : (ش) « لأمر » ، وكالأصل في (آ) . – شجر الأمر بينهم : اضطرب . وتنازعوا فيه .

و (الشّاهُ) إذْ عَنَّ له أن يَرْجِعا   وذاك لا بُدَّ لأمرٍ وَقَعا

عادَ من (المَوْصِلِ) بالجيشِ اللّجِبْ   بقصدُ (بغدادَ) ببحرٍ مضطربْ (٣٦٨)

جاءَ يقودُ الجَحْفَلَ الجَرّارا   بالطَّمِّ والرَّمِّ يَرُومُ ثارا (٣٦٩)

بالقَضِّ والقَضيضِ من أوْشابهِ   بجُنْدِه الجِلادِ من أنيابهِ (٣٧٠)

خَيْلٌ ؛ وما خَيْلُ صِلادٍ صُمِّ   مُنْقَدَّةٌ من الجِبالِ الشُّمِّ (٣٧١)

[أبناءُ موتٍ يَخرقون الأرَّما   إذا رأوا يومَ الهِياجِ البُهَما] (٣٧٢)

بنو كرائهٍ فحولُ حربِ   أُسُودُ هَيْجٍ ورجالُ ضَرْبِ (٣٧٣)

حُتُوفُ قِرنٍ يقْضِمُونَ الزُّبَرا   من الحديد قاحمين الخَطَرا (٣٧٤)

أيُّ رجالٍ ثَكِلَتْهُمْ أمُّهُمْ !   ومثلُهُ، وَيْلُ امِّهِ : يَؤُمُّهم ! (٣٧٥)

---

(٣٦٨) اللجب : (ت/٣٩٨) .

(٣٦٩) الجحفل : (ت/٢) . – عسكر جرار : كثير . – جاء بالطم والرم : أتاهم بالشيء الكثير والقليل . – يروم : يطلب .

(٣٧٠) القض : الحصى الكبار ، والقضيض : الحصى الصغار . يريد أنهم لم يتخلف منهم أحد . – الأوشاب : الأخلاط من الناس والأوباش ، واحدهم وشب – بكسر فسكون . – الأنياب : جمع الناب ، وهو سيد القوم وكبيرهم . وفي (آ) « اشيابه » ، وليس بشيء .

(٣٧١) صلاد : جمع صلد ، وهو الصاب الأملس الشديد . – منقدة : مقتطعة ، (ش) : منقذة ، بالذال المعجمة ، (تصحيف) .

(٣٧٢) لم يرد هذا البيت في نشرة (آ) . – يخرقون : كذا في (ش) بالخاء المعجمة ، وصوابه « يحرقون » ، يقال : حرق نابه يحرقه ويحرقه (بالتضعيف) ، إذا سحقه حتى يسمع له صريف ، أي صوت . والأرم : الأضراس ، كأنها جمع أرم ، وفلان يحرق عليك الأرم : تغيظ فحك أضراسه بعضها ببعض . – البهم : جمع البهمة ، وهو الشجاع يستبهم على قرنه وجه غلبته .

(٣٧٣) بنو كرائه : (ش) « بنو اكرايه » ، (آ) « بنو كرايه » ، والصواب « بنو كرائه » ، أي بنو الحروب . وواحد الكرائه كريهة . – الهيج : الحرب ، و – الفتنة .

(٣٧٤) حتوف : (ت/٧٥) ، (آ) « خوف » (تحريف) . – القرن للإنسان : مثله في الشجاعة والقتال وغيرهما . – يقضم : يكسر بأطراف أسنانه . – الزبر : القطع الضخام من الحديد . الواحدة زبرة . – قحم الخطر : رمى بنفسه فيه .

(٣٧٥) ثكلتهم أمهم : دعاء عليهم بالهلاك . ثكل الولد أو الحبيب : فقده ، وأكثر ما يقال للمرأة . – مثله : وكذا في (ش) ، وصوابه في (آ) « مثلهم » . – ويل امه ، بوصل همزة أم باللام ، ولذلك رسما ممزوجين في المعاجم « ويلمه » ، وأصله الدعاء على الإنسان ، ثم استعمل في التعجب ، مثل : قاتله الله . – يؤمهم : يتقدمهم .

فارتَجّتِ الْجِبالُ أيَّ رَجّةِ ! ومادَتِ الأرض لثِقْلِ الوَطْئَةِ[٣٧٦]

[١٨٤ / ب]

والنّاسُ حيثُ شاهَدُوا ذا الحالا تضعضعوا وزُلْزِلُوا زِلْزالا

تَوَجّسُوا ، وزاغتِ الأبصارُ وارتاعتِ النُّفُوسُ والأسحارُ[٣٧٧]

وارتعدتْ فَرائصُ القلوبِ شُقّتْ لها كَمائمُ الْجُيُوبِ[٣٧٨]

وهم على القُنُوط من حَيَاتِ يغتبطون راحةَ الأمواتِ[٣٧٩]

وحُقّ للقلوب أنْ ترتاعا وللحشا من ذاك أن تلتاعا[٣٨٠]

*

إلا الرِّضا حامي حِمى (الزَّوْراءِ) ـ ذو الفتكة البِكرِ لَـدَى اللقاءِ[٣٨١]

الهِزْ بَرِيُّ الصّاحِبُ المُعَظّمُ الماجدُ القَرْمُ الوزيرُ الأفخمُ[٣٨٢]

---

(٣٧٦) مادت : اضطربت . – الوطئة : وكذا في (ش)، وفي (آ) « الوطية »، وصوابها : الوطْأة، وهي الضغطة والأخذة الشديدة .

(٣٧٧) توجسوا : تسمعوا الى الصوت الخفي وهم خائفون . – زاغت الأبصار : مالت عن مستوى النظر حيرة وشخوصاً . – الأسحار : جمع السحر (بفتح فسكون) ، والملائم من معانيه للسياق : ما يتعلق بالحلقوم من قلب ورئة .

(٣٧٨) الفرائص : جمع الفريصة، وهي لحمة بين الكتف والصدر ترتعد عند الفزع، وهما فريصتان .

(٣٧٩) حيات : وكذا في (ش)، وصوابها في (آ) « حياة » . – يغتبطون : عداه وهو لازم ، يقال : اغتبط : اذا فرح بالنعمة ، فهو مغتبط ، واغتبط (بالبناء للمجهول) فهو مغتبط ، واذا أريدت التعدية ، قيل : غبطه .

(٣٨٠) للحشا : وكذا في (ش) و (آ) . وصواب رسمه « الحشى » ، وهو ما انضمت عليه الضلوع . – تلتاع : تحترق .

(٣٨١) حامي حمى الزوراء : هو الوزير أحمد باشا بن حسن باشا (ت / ٣٤٧) . – الزوراء : (ت / ١٠١ / الفصل الثاني) . – فتكة بكر : لا مثيل لها .

(٣٨٢) الهزبر : بوزن درهم : الغليظ الضخم ، قيل : وبه سمي الأسد . استعمله منسوباً . – القرم : (ت / ٨٧) . – الأفخم : (آ) « الأعظم » .

مُنتشِرُ الصِّيتَةِ في الآفـــــاقِ ... مُقدَّمُ الكُلِّ على الإطلاقِ (٣٨٣)

ذُو النَّجدَةِ والجِدِّ المُعِمُّ المُخْوِلُ ... ذُو الغَمَراتِ الأوحديُّ المُقْبِلُ (٣٨٤)

السّابِقُ الأنــامَ وَهْوَ قــاعِــدُ ... مَنْ هَمُّهُ الفَخارُ والمَحامِــدُ

رَبُّ العِتاقِ والرِّقاقِ والقَنــــا ... المُفْلِقُ الهامَ إذا القِرْمُ دَنا (٣٨٥)

تِرْبُ المِصاعِ ضارعُ الشُّجْعانِ ... إذا تلاقت حَلْقَتا البِــطانِ (٣٨٦)

ذو الهَبَواتِ السُّودِ والحُــروبِ ... مجتمعُ الرَّأيِ لَدَى الخُطُوبِ (٣٨٧)

كافي الكُفاتِ حارسُ (العِراقِ) ... الطَّيِّبُ الأخلاقِ والأعراقِ (٣٨٨)

غيضُ العِدا مقتحِمُ الأهــوالِ ... ليثُ الشَّرا مُجَنْدِلُ الأبطالِ (٣٨٩)

مُضَرَّسُ الخُطُوبِ والنَّــوائبِ ... ذو دُرْبَةٍ مُحَنَّكُ التَّجارِبِ (٣٩٠)

بكُلِّ خيــرٍ مُبْتَدٍ مُعَوِّدُ ... وعَوْدُهُ ، مثلُ سَماهُ ، أحمدُ (٣٩١)

---

(٣٨٣) الصيتة : الصيت ، وهو الذكر الحسن ، وفي (ش) « منتشر الأخبار » .

(٣٨٤) المعم المخول : ذو الأعمام والأخوال . — الغمرات : الشدائد .

(٣٨٥) العتاق ، من الخيل : النجائب . — الرقاق : السيوف المرققة . — المفلق : وكذا في (ش) ، وبواو العطف في (آ) ، يقال : فلق الشيء ، وفلقه ، إذا شقه ، ولا يقال أفلقه . فلو قال : الفالق الهام — وهي الرؤوس — ، أو : مفلق الهام ، لاستقام له . — القرم : (ت/٨٧) .

(٣٨٦) ترب : (ت/٢٣٠) . — المصاع : المجالدة بالسيف ونحوه . — ضارع : صوابه في (ش) و (آ) « صارع » . — البطان : الحزام الذي يجعل تحت بطن البعير مشدوداً بالقتب ، ويقال : التقت حلقتا البطان ، للأمر إذا اشتد .

(٣٨٧) الهبوة : الغبرة .

(٣٨٨) الكفات : صوابها في (ش) و (آ) « الكفاة » .

(٣٨٩) غيض العدا : صوابهما في (ش) و (آ) « غيظ العدى » . — الشرا : (آ) الشرى ، وصوابها في (ش) « الشرى » (ت/٢٠٧) . — مجندل : وكذا في (ش) و (آ) ، وصوابها « مجدل » أي صارع ، يقال : جدله جدلا ، وجدله تجديلا — وهذا أكثر : إذا صرعه على الجدالة ، وهي الأرض . قال الأزهري : الكلام المعتمد « طعنه فجدله » .

(٣٩٠) ضرسته الخطوب : جربته وأحكمته . — النوائب : النوازل .

(٣٩١) سماه : اسمه . — و « العود أحمد » ، مثل ، أثبته صاحب فرائد اللآل . وذكر في الصحاح وغيره ، وأنشد لمالك بن نويرة :

جزينــا (بني شيبان) أمس بقرضهم ... وجئنا بمثل البــدء ، والعود أحمد

والعود : الرجوع ، وصحح ابن بري إنشاده : « وعدنا بمثل البدء » .

لم يتتعتعْ في مَوارِدِ الرَّدا ... ولم يكن برتاعُ من خيلِ العِدا (٣٩٢)

ما راعَهُ تكاثُفُ الأعداء ... ولم يُهَلْ من صَخَّةِ البلاءِ (٣٩٣)

فواطيْ الرأيَ على القرارِ ... ووَطَّنَ النَّفْسَ على الدَّمارِ (٣٩٤)

[١٨٥/أ]

مُحارساً مُحافظاً مُجاهدا ... مُصابراً مُرابطاً مُجالِدا

يرمُقُهُ الموتُ بلَمْحٍ شَزْرِ ... والحَتْفُ قد أناخَ حولَ الأمرِ (٣٩٥)

لم يتضعضعْ من مِضاضِ الهَوْلِ ... والموتُ أدنى من شِراكِ النَّعْلِ (٣٩٦)

تَمثَّلَ الدَّمارَ والصَّغارا ... خارَ على صَغارِهِ الدَّمارا (٣٩٧)

يزأرُ زَأرَ الأسَدِ الهَصُورِ ... لم يَسْتَكِنْ للجَلَلِ المحظورِ (٣٩٨)

❋

وكان ذا (الشاهُ) له مختبرا ... مُجَرِّباً أحوالَهُ مُسْتَبِرا (٣٩٩)

جَرَّبَهُ في خَلِّهِ وخَمْرِهِ ... وذاقَهُ في حُلْوِهِ ومُرِّهِ

وكان قد حاصَرَ مَرَّتَيْنِ ... وفيها آبَ بأصْدَرَيْنِ (٤٠٠)

---

(٣٩٢) لم يتتعتع : لم يتردد . – الردا : وكذا في (ش) ، وصوابه في (آ) « الردى » . – العدا : وكذا في (ش) ، وصوابه في (آ) « العدى » ، وقد تكرر كثيراً .

(٣٩٣) لم يهل : لم يفزعه الهول . – الصخة : الصيحة تصم الأذن لشدتها . وفي (آ) « ولم يبل من صخة البلاء » ، وليس بصحيح .

(٣٩٤) فواطي : وكذا في (ش) و (آ) ، والصواب « فواطأ » . – الدمار : الهلاك .

(٣٩٥) يرمقه : ينظره . – لمح شزر : نظر غاضب ، أو مستهين . – الحتف : الهلاك .

(٣٩٦) مضاض الهول : (ت/٤١٢) . – الشراك : سير النعل على ظهر القدم .

(٣٩٧) الدمار : (ت/٣٩٤) . – الصغار ، بالفتح : الذل والضيعة .

(٣٩٨) المحظور : وكذا في (ش) و (آ) ، وأراه « المحذور » .

(٣٩٩) مستبر : مختبر ، يقال : سبره ، وأسبره ، واستبره : أي خبره ليعرف ما عنده .

(٤٠٠) حصار بغداد الأول ، (وهو الأكبر) ، كان في ١١٤٥ – ١١٤٦ هـ ، وحصارها الثاني في ١١٥٦ هـ . – وفيها : صوابها في (ش) و (آ) « وفيهما » . – آب بأصدرين : أراد رجع خائباً خاسراً ، وفي اللسان : « الأصدران : عرقان يضربان تحت الصدغين ، لا يفرد =

فظَنَّ أنْ لا نافعٌ ثَمَّ عَمَلْ ... وشَرُّ ما رامَ امرُؤٌ ما لم ينَلْ[401]

فما رأى إلاَّ الجُنُوحَ للسَلَمْ ... ودفعَ ظغنٍ كان في البَيْن ألَمّ[402]

واختارَ كَوْنَ الصُلْحِ وَهْوَ يطمَعُ ... وانكَفَّ وَهْوَ يشتهي ويجزَعُ

أرسلَ مِن لَدُنْهُ يبغي سَلَمَا ... وسَدَّ ما قد كان قبلُ أثْلَما[403]

يقولُ : قصدي راحةُ الأنامِ ... والصُلْحُ خيرٌ سيّدُ الأحكامِ

« ورغبةٌ في الخير خيرٌ ، وعَمَلْ ... بِرٌّ يَزِينُ ، وَلْيُقْتَسْ ما لم يُقَلْ »

ومالَ ، حتّى إنّهُ تنزّلا ... عن الّذي كَلّفَ كانَ أوّلا

منَ الّذي لم يَكُ يُستطاعُ ... كالأبْلَقِ العَقُوقِ لا يُطاعُ[404]

وقبلُ قد كان على الرّواسخِ ... يَعْطِسُ من زَهْوٍ بأنفٍ شامخٍ[405]

❁

وحيثُ كان الصّاحبُ المُنَفخّمُ ... الحازمُ الاستهبَدُ المُعَظّمُ[406]

= لهما واحد . وجاء يضرب أصدريه : اذا جاء فارغاً ، يعني عطفيه ، ويروى « أسدريه » ، بالسين ؛ وروى أبو حاتم : جاء فلان يضرب أصدريه وأزدريه : أي : جاء فارغاً ، قال : ولم يدر ما أصله . . . » .

(401) امرؤ : (آ) « امرئ » (خطأ) .

(402) ظغن : وكذا في (ش) ؛ وصوابه في (آ) « ضغن » أي حقد . — دفع : في (آ) « رفع » بالراء ، — وليست بشيء . — ألم : نزل .

(403) أثلما : وكذا في (ش) ؛ وصوابه « ثلما » ، يقال : ثلم الجدار وغيره ، وثلمه بتشديد اللام : أحدث فيه شقاً ، ولا يقال أثلمه ، وفي (آ) « انثلما » ، أي ثلم .

(404) العقوق : (آ) « العيوق » — مصححاً « العقوق » الوارد في مجموعة الفخري المخطوطة — ، وما في المخطوطة هو الصحيح . والعقوق ، من البهائم : الحامل. الأبلق العقوق : مثل يضرب لما لايكون ، إذ الأبلق من صفات ذكور الخيل ، وهو بالطبع لا يحمل .

(405) الرواسخ : الجبال الرواسخ . — زهو : تيه وتعاظم وفي « (آ) » زهر » : وليس لها موضع في السياق .

(406) الاسبهبد : (ش) « الاسبهيد » ، (آ) « الاصبهيد » ، وصوابه « إصبهبذ » ويقال =

مِن طرف الدَّوْلَة ذا اختيارِ   خُيِّرَ في الإيرادِ والإصدارِ
مُرَخَّصاً في الصُّلْح والقِتالِ   مُفَوَّضاً في جملةِ الأحوالِ

[١٨٥/ ب]

قيل له : افعَلْ ما ترى فيما صَلَحْ   وما أُبيحَ افعَلْ ودَعْ ما لم يُبَحْ
ففكَّرَ الأمرَ برأيٍ صائبِ   وكرَّرَ الفكرَ بفهمٍ ثاقبِ(٤٠٧)
قَدَّمَ رِجلاً تارةً ؛ وأخرى   أخَّرَ يَنتحي الجديرَ الأحرى(٤٠٨)
مُدَبِّراً مقتضياتِ الحالِ   مُلاحِظاً للأمرِ في المآلِ
مفكِّراً مفهومَ قولِ الشاعرِ   مِن أبلغِ شعرِ الشُّرُودِ السائرِ :
(إلبَسْ لكُلِّ حالةٍ لَبُوسَها   إمّا نعيمَها . وإمّا بُؤسَها)(٤٠٩)
وبعدَما استَشارَ واستَخارا   واجتهدَ الأصلحَ إفتكارا(٤١٠)
ألهمه اللهُ صلاحَ الناسِ   ودَفْعَ عاجلِ البَلا والباسِ

= « اصبهبذ » . قال الجواليقي : فارسي معرب ، وهو في العجم كالأمير في العرب . وأنشد قول (جرير) :

إذا افتخروا عدوا الصبهبذ منهم   وكسرى وآل الهرمزان وقيصرا

وفي كتاب الألفاظ الفارسية المعربة : إن « أسبهبذ » بالفارسية معناه قائد العسكر ، وهو أيضاً اسم وعلم لملوك طبرستان .

(٤٠٧) فكر الأمر : أراد فكر في الأمر .

(٤٠٨) ينتحي : يقصد .

(٤٠٩) اللبوس : ما يلبس ، والبيت لبيهس الفزاري ، الملقب بـ (نعامة) . وقد ورد في حديث له طويل ، أرسل فيه ثمانية أمثال سوائر . منها غير هذا البيت : « ثكل أرأمها ولداً » ، و « لو خيرت لاخترت » ، و « ربما حبذا التراث لولا الذلة » ، و « حبذا كثرة الأيدي في غير طعام » . وهي أقوال بارعة ، لا يصدر أمثالها إلا من حكيم . ومع هذا زعمه الرواة رجلاً محمقاً لا خير فيه . فتأمل ! .

(٤١٠) إفتكارا : همزته همزة وصل ، وصيرها همزة قطع لإقامة الوزن .

فاختارَ للشِّقاقِ أنْ يَموصَهُ ... إنَّ دَواءَ الشَّقِّ أنْ تَحوصَهُ (٤١١)

وإذْ رأى الصَّلاحَ في المُسالَمَهْ ... أرسلَ مِن لَدُنْهُ للمُكالَمَهْ (٥)

ثلاثةً من الرِّجالِ الكُمَّلِ ... عليهِمُ أقصى مَدى المُعَوَّلِ :

الكَتْخُدا يَومَئِذٍ ، والسّابِقا ... وكاتِبَ الدِّيوانِ يتلو لاحقا ، (٤١٢)

فأبرمُوا الأمرَ بِضَربِ لازِبِ ... وشيَّدُوا الصُّلحَ برأيٍ ثاقِبِ (٤١٣)

وأسَّسُوا مَباني المُهادَنَهْ ... ومَهَّدُوا قواعدَ المُخادَنَهْ (٤١٤)

فأُغمِدَت صوارِمُ الكِفاحِ ... فتحاً لبابِ الصُّلحِ والصَّلاحِ (٤١٥)

وجملةُ الشُّروطِ والأركانِ ... أنْ يرجعَ (الشّاهُ) الى (إيرانِ) (٤١٦)

يمكُثُ ثُمَّ يرقُبُ الأخبارا ... من طَرَفِ الدَّولةِ إنتظارا (٤١٧)

وذاكَ بعدَ العزمِ والإيابِ ... من (الغَرِيِّ) معهدِ الأحبابِ (٤١٨)

---

(٤١١) يموصه : أراد يزيله ، والموص : غسل الثوب غسلاً ليناً ؛ يقال : ماصه يموصه موصاً ، ومنه حديث أم المؤمنين عائشة في عثمان بن عفان ، رضي الله عنهما : « مصتموه كما يماص الثوب ، ثم عدوتم عليه فقتلتموه » . — تحوصه : تخيطه ؛ يقال : حاص الثوب يحوصه حوصاً وحياصة وحاص شقوقاً في رجله كذلك ؛ وقيل : الحوص الخياطة بغير رقعة ، ولا يكون ذلك الا في جلد أو خف بعير ؛ وفي حديث علي ، كرم الله وجهه : « كلما حيصت من جانب تهتكت من آخر » .

(٥) للمكالمة : (ش) « في المكالمة » .

(٤١٢) كتخدا (ويقال « كاخيه » و« كخيه » و« كهيه ») : معتمد الوالي ، أو نائبه . فارسي ، أصله « كدخدا » ومعناه حاكم مدينة .

(٤١٣) ضرب لازب : ثابت ؛ يقال : صار الأمر ضربة لازب .

(٤١٤) المخادنة : المصادقة .

(٤١٥) موضع هذا البيت في (ت) بعد البيت : « يمكث . . . » .

(٤١٦) إيران : (ش) « الإيران » ! .

(٤١٧) إنتظار : همزته همزة وصل ؛ صيرها همزة قطع لإقامة الوزن .

(٤١٨) الغري : بناء كالصومعة . وهما غريان كانا بظاهر (الكوفة) . يقال إن المنذر بن امرئ القيس ابن ماء السماء بناهما على مثال بناءين كانا بأرض مصر من بناء بعض الفراعنة .

مشهدِ مولانا الفتى (علِيٍّ) أخِ النّبيِّ الطّاهرِ الزّكيّ (٤١٩)
ثمَّ إلى الزّيارة السِّبْط الأجلَ ريحانة الرّسُول ذي القدر الجلَل (٤٢٠)
وكلّما كان من الأساوِرَهْ تنكفُّ من هذي البلاد سائرَهْ (٤٢١)

[١٨٦/أ]

وتُرجَعُ الرِّقاعُ والأصقاعُ وتُسْلَمُ البلادُ والقِلاعُ (٤٢٢)
والحمدُ لله ! عفى الغوائلْ واندفع الشُّرورُ والطّوائلُ (٤٢٣)
وانقمع البأسُ وحلَّ الفرَجُ وانشعب الصَّدْعُ وزال الحرَجُ (٤٢٤)
له تعالى المِنّةُ الغرّاءْ على العبادِ مثْلَ ما يشاءْ (٤٢٥)
وبعدَ ذاك للوزير الحازمِ ذي الرّأيِ والتّدْبيرِ والمكارمِ
فإنّهُ شادَ أساسَ الصُّلْحِ برأيه مُجاهداً للنُّجْحِ

---

(٤١٩) مشهد : (آ) « يشهد » ، (تحريف) . – أخ النبي : وكذا في (ش) ، وصوابه في (آ) « أخي النبي » .

(٤٢٠) الزيارة : صوابها في (ش) و (آ) « زيارة » .

(٤٢١) كلما : وكذا رسمت في (س) و (آ) . وصواب رسمها ها هنا « كل ما » . والفرق بين الرسمين يرجع الى المعنى ، ذلك أن لفظ « كل » يجيء ظرف زمان للتعميم ، وتلحقه « ما » زائدة ، فيرسمان موصولين ، ويجيء بمعنى الاستغراق لافراد ما بعده ؛ و « ما » بعده اسم موصول فيرسمان منفصلين . وهذا الثاني هو المتعين في السياق . – الأساورة : جمع الأسوار ، بضم أوله وكسره ، وهو قائد (الفرس) ؛ وقيل : هو الجيد الرمي بالسهام ؛ وقيل : الجيد الثبات على ظهر الفرس ، ويجمع على أساور أيضاً .

(٤٢٢) الرقاع : جمع الرقعة ، وهي قطعة من الأرض تلتزق بأخرى (آ) « الرباع » (ت/٣٥٦) . – الأصقاع : النواحي ، واحدها صقع .

(٤٢٣) عفى : وكذا في (ش) و (آ) ، وصوابه : عفا ، أراد عفت الغوائل ، أي زالت وامحت ؛ فلم يسعفه الوزن . والغوائل : الدواهي . – الطوائل : العداوات والثارات .

(٤٢٤) انشعب الصدع : يقال شعب الصدع : إذا لمه وأصلحه ، فانشعب .

(٤٢٥) مثل ما : وكذا في (ش) ، ورسمت في (آ) « مثلما » ، والصواب أن يفصلا ها هنا ، لأن « ما » فيه اسم موصول ، وليست بالزائدة . وقد فرقوا بين الرسمين لهذا الغرض .

فقد غـــدا ذا منّة على الْمَلا ... لدفعه بالّتي مثلَ ذا البَــــلا (٤٢٦)

فيـــا لَهُ من ذي دهاء مُنْتَجَبْ ... من واضع الِهناء موضعَ النُّقَبْ ! (٤٢٧)

لله دَرُّهُ ! أصاب المَفْصِــلا ... وقطـــع المَحزَّ فيمـــا فعـــلا (٤٢٨)

فأوليه المديــحَ أياً كان : لا ... «تَعدِلْ به فهو يُضاهي المَثَلا» (٤٢٩)

والحمـــدُ لله عـــلى نَـــوالـــه ... على خفيِّ اللطف من إفضـــاله (٤٣٠)

مواهبٌ منـــه توالت زائـــدَهْ ... «فالله برٌّ : والأيادي شاهدَهْ» (٤٣١)

ثمّ صلوةٌ وســـــلامٌ كَمَـــلا ... على الّذي على السّموات عـــلا (٤٣٢)

(مُحَمّد) خيرِ الورى الرّؤ فِ ... السّيِّدِ الطُّهْرِ الرِّضا العَطوف (٤٣٣)

وآلـــه الغُرِّ مصابيحِ الهُـــــدى ... وَصحْبِه لُيُوث حَوْمَةِ الرِّدا (٤٣٤)

ما أُغمِـــدتْ قَواضبُ الكفـــاحِ ... بينَ الورى في السِّلْمِ والصّلاحِ (٤٣٥)

مـــن المحبّ المخلـــص المُبـــاهي ... بحبِّ أهـــلِ الفضلِ : (عبدِ الله).

(٤٢٦) الملا : الملأ (ت / ٢٧٤) – بالتي : وكذا في (آ) ، وفي (ش) « وبالتي » . وأصل « اللتي » : « اللتيا » ، يقال : وقع فلان في اللتيا والتي ؛ أي : وقع في الداهية الكبيرة والصغيرة .

(٤٢٧) المنتجب : (ت/١٦٤) . – الهناء ، بكسر الهاء : القطران . – النقب : جمع النقبة ، وهي الجرب ، أو أول ما يبدو منه ، والمعنى أنه ماهر مصيب . قال دريد بن الصمة :

متبذلا ، تبدو محاسنـــه ، ... يضع الهناء مواضع النقب

(٤٢٨) المفصل : كل ملتقى عظمين من الجسد . – المحز : موضع الحز ، أي القطع ، ويقال : تكلم فأصاب المحز ، اذا تكلم فأقنع .

(٤٢٩) يضاهي : يضاهئ ؛ أي : يشابه ، يقال : ضاهأه ، شابهه وفعل مثل فعله ، قال تعالى : (يضاهئون قول الذين كفروا من قبل) . – المديح : (آ) « المدح » ، وهو يخل بالوزن .

(٤٣٠) النوال : العطاء .

(٤٣١) البر : المحسن . – الأيادي . النعم .

(٤٣٢) صلوة : (ش) و (آ) « صلاة » (ينظر ت/١٧٢/١٧٨) .

(٤٣٣) الرؤف : وكذا في (ش) و (آ) ، وصوابه : الرؤوف .

(٤٣٤) مصابيح الهدى : (آ) « مصابيح الدجا » . – الردا : صوابه في (ش) « الردى » . وفي (آ) « حومة الوغى » ؛ وهي تباين روي المصراع الأول . والحومة ، من القتال : أشد موضع فيه .

(٤٣٥) أغمدت : (آ) « اتمدت » ، والأصل هو الموافق للسياق .

— ٧ —

[٢٠٣ / ب]

« فصلٌ : وحينَ سمِع أهل (البصرة) بمدحي لأهل (الموْصِل) : حنَقوا لذلك ، وعمِل بعضهم قصيدةً – هجاني في آخرها ؛ فكتبتُ إليهم لجلب خواطرهم ؛ وعتابِ مَنْ هجاني ؛ بقولي :

ألا بُشْــرَى ! على رُغم الأعادي   ولا زال السُّعُودُ على آزديـــادِ

لأهل (البصرة الفيحــاء) : مَنْ قد   قضوا بثباتهــمِ فرضَ الجهــادِ

بني (الفيحاء)! أنجبْتُمْ ، وسُدْتُم   عــلى أهــل المـدائن والبـــلادِ

بني (الفيحاء) ! قد نِلـــتُم جزاءً   من (الرَّحمٰن) في يـــوم المَعادِ

فأجرُ الحيِّ منكم : في غُزاةٍ :   وأجرُ المَيْت ، في الشُّهَداء غادي

ألا بُشْرَى! بأسْوَتِكم بـ (بَدْرٍ)   و(غزوةِ خندقٍ)؛ وبخيرِهادي[436]

[٢٠٤ / أ]

إذا الأعداءُ قد قصدَتْ حِماكم   فجاءتكم سِراعــاً في إســادِ[437]

وقد حنَقوا بسُورِكُمُ جميعـــاً   وهم إذْ ذاك أكثرُ من جرادِ

فقُمتم كالأسودِ لدَى شَـــراها   بكُلِّ مُقَذَّفٍ ماضي الفؤادِ[438]

---

(٤٣٦) بدر : (ت/١١٢) . – غزوة الخندق « الأحزاب » (ت/د١٠٥) . – خير هادي : هو الرسول . صلى الله عليه وسلم .

(٤٣٧) إذا : وكذا في (ش) ؛ والصواب « إذ » . – اساد : (ش) « إسادي » ؛ والصحيح « إسآد » – بالمد وحذف الياء – مصدر : أسْأد السير ، اذا جد فيه ودأب ؛ وأكثر ما يستعمل ذلك في مشي الليل ، وقد حذف الناظم مده للوزن .

(٤٣٨) مقذف (ت/٨٨) .

وقد حَمِيَ الوَطِيسُ وحان حَيْنٌ ... ونارُ الحربِ تُسْعَرُ باتّقادِ (٤٣٩)

ولم تزَلِ «القَنابِرُ» طائراتٍ ... إليكم في هُبوط واصطعادِ (٤٤٠)

فأرسلتُم «بَنادِقَكم» عليهم ... تروعُ القلبَ: كالسُّحُبِ الغَوادي (٤٤١)

كأنّ «البُنْدُقَ» الزَّعّاجَ عِيسٌ ... سرت: و«الطّوبُ» في الهَيْجاءِ حادي (٤٤٢)

ولا بَرِحَتْ «بنادقُكم» عليهم ... و«قُنْبُرُهُمْ» عليكم باِزدياد

إلى أن قام (رُسْتُمُ) في رجالٍ ... وخيرِ عصابةٍ صِيدٍ هُسادِ (٤٤٣)

لَدَيْهِم عِثْيَرُ الهيجا عبيرٌ ... وعندَهُمُ صليلُ السَّيْفِ غادي (٤٤٤)

قضَوْا حقّ الرِّماحِ اذا ارْمَعَلُّوا ... وَحقّ المَشْرَفِيّاتِ الحِدادِ (٤٤٥)

فللهنديّ تَمِيسٌ بهامٍ ... وللخَطِّيّ رَصْعٌ في الأعادي (٤٤٦)

وللأبطالِ في الأعداءِ نَظْمٌ ... فللأرواحِ نَثْرٌ في البَوادي (٤٤٧)

---

(٤٣٩) الوطيس : (ت/٨٦) . – حان : قرب . – الحين : الهلاك .

(٤٤٠) القنابر : (ت / في الفصل الثاني) . اصطعاد : العرب لا تقوله ، وإنما تقول : صعود ، وإصعاد ، وتصعيد .

(٤٤١) الغوادي : جمع الغادية ، وهي السحابة تنشأ فتمطر غدوة (ما بين الفجر وطلوع الشمس) .

(٤٤٢) الزعاج : (ش) «الدفاع» . – العيس : من الإبل : التي يخالط بياضها شقرة، و – الكرائم منها . – الهيجاء : الحرب : قصره للوزن .

(٤٤٣) رستم : هو متسلم البصرة («المحافظ» في اصطلاح اليوم) رستم أغا ، وقد أبلى بلاء حسناً في قتاله الجيش الفارسي ، الذي ضرب الحصار على البصرة وأضرم فيها النار في (سنة ١١٥٦هـ)، وكان عدد الجيش الفارسي نحو ستين ألفاً ، فثبت لهم إلى أن أبرم الصلح . – صيد : (ت/٢٥٣).– هساد : (ش) «هادي» ، والصواب الأول ، أي أسود ، الواحد هد ، بفتحتين .

(٤٤٤) عثير الهيجاء: غبار الحرب . – غادي : مبكر وقت الغدوة (ما بين الفجر وطلوع الشمس).

(٤٤٥) اذا : وكذا في (ش) ، والصواب «إذ» . – ارمعلوا : تتابعوا ، يقال : ارمعل الشيء ، وارمعل ، إذا تتابع . وقيل : سال فتتابع . – المشرفيات : السيوف ، منسوبة الى المشارف ، قرى من أرض اليمن ، وقيل : من أرض العرب تدنو من الريف . وفي حديث سطيح الكاهن : يسكن مشارف الشام . الواحد مشرفي .

(٤٤٦) الهندي : سيف مطبوع من حديد الهند . – الهام : الرؤوس . – الخطي : الرمح المنسوب الى (الخط) ، وهو موضع ببلاد البحرين ، تنسب اليه الرماح الخطية ؛ لأنها تباع به . – الرصع : الطعن الشديد .

(٤٤٧) فللأرواح : وكذا في (ش) بالفاء ، والصواب بالواو .

بيومٍ حارَتِ الأبصارُ فيــه ... لِمــا قد حــاز من كُرَبٍ شِدادِ
فيا للنّاس من يومٍ عَبُوسٍ ! ... بــه أضحى الكَميُّ باونِ جادِ [٤٤٨]
وربُّ العرش أيّدكــم بنصــرٍ ... يَسُرُّ القلب كالمطر العِهــادِ [٤٤٩]
فيا لله دَرُّكُمُ ! ودَرُّ الــ ... رَّئيسِ القَرْمِ (رُسْتَمَ) ذي الأيادي [٤٥٠]
شجاعٌ باسـلٌ غوثٌ هِزَبْــرٌ ... لَدَى الهيجاء مثل الطَّوْدِ طادِ [٤٥١]
له التَّدْبيرُ يُغْني عن جُموعٍ ... وعن جُنْدٍ مُضاعَفَةِ العِدادِ (•)
فلولا (رُسْتَمُ) المِغْوارُ : كنتم ... أسارى سِرْبِ (شَدّادِ بنِ عادِ) [٤٥٢]
ورَبْعُ الدِّين عنكم كــاد يُمْحَى ... وتخفى عنكُمُ سُبُلُ الرَّشــادِ

[٢٠٤/ب]

فلا تفخَرْ بنو (الحَدْبا) عليكــم ... وإن فخروا على بعض العِبــادِ
وذلكَ لاعْتضادِهِمُ بأهــلِ الــ ... ـقُرَى وبسورهم و(أبي مُرادِ) [٤٥٣]
وأهلُ قُراكُمُ طُرّاً عصتــكــم ... ودانت للطُّغاة ذوي الفَســادِ [٤٥٤]

*

بني (الفيحا) ! مدحتكُمُ احتسابــاً ... وليس سِواه قصــدي أو مُرادي

---

(٤٤٨) الكمي : (ت / ٣٩٨) . – بلون جد : (ش) « كلون جادي » . والجادي ، بتشديد الياء : الزعفران .
(٤٤٩) العهاد : مطر أول السنة .
(٤٥٠) القرم : (ت/٨٧) . – الأيادي : النعم .
(٤٥١) طاد : (ش) « طادي » ؛ أي : مستقر وثابت .
(•) العداد : أراد الأعداد ، جمع عدد . ولا يعرف العداد في كلام العرب الا بمعنى المثل والنظير .
(٤٥٢) المغوار : المقاتل الكثير الغارات على أعدائه . – السرب : الفريق والجماعة . – شداد ابن عاد : ملك يماني جاهلي ؛ من ملوك الدولة الحميرية .. كان حازماً مغواراً ، اتفقت عليه كلمة أولي الرأي من حمير وقحطان ، بعد وفاة النعمان بن يعفر ؛ وفي كتاب التيجان : إنه غزا الى أن ابلغ (أرمينية) ، وعاد إلى (الشام) فزحف الى (المغرب) ، يبني المدن ويتخذ المصانع . ولما رجع الى (اليمن) ، مضى الى (مأرب) ؛ فبنى فيه قصراً بجانب السد ، لم يكن في الدنيا مثله . ولما مات ، نقبت له مغارة في (جبل شبام) ، ودفن بها ، ومعه جميع أمواله .
(٤٥٣) أبو مراد : (ت/٩٩) .
(٤٥٤) عصتكم ودانت : (ش) « عصوكم ودانت » .

بني (الفيحاء) ! عذراً في مدبحي ... فما المَرْثيُّ كالخبـرِ المُفـاد

*

يُعجباني شاعرٌ منكم ، بمـدحـي ... بني (الحَدْباء) أصحابَ السَّداد (٤٥٥)

وهل يُهْجَى فتىً مثلي ، أبـوه ... أبي ، وفؤادُهُ الماضي فؤادي ؟

فصيحٌ ، لا يُقاسُ عليه (قُسٌّ) ... كريمُ النَّجْرِ ذو حَشْدٍ ونادي (٤٥٦)

وإنّي ، يا كرامُ ، لَمِنْ سَراةٍ ... لهم دانَ المُسالِمُ والمُعـادي (٤٥٧)

لُيوثُ الحربِ إنْ نُدبُوا إليهـا ... بنو (الزَّوراء) فُرسانُ الطِّرادِ (٤٥٨)

يروعون الكُماةَ إذا استقلّـوا ... على النُّجُبِ المُسوَّمةِ الجيادِ (٤٥٩)

بضرب تَفْلُقُ الهامـاتُ منـه ... وطعنٍ بالمُثَقَّفَةِ الصِّعـادِ (٤٦٠)

وعندَهُمُ التَّضَمُّخُ في دمـاءِ الـ ... أعادي في الوَغَى مثلُ الشِّيادِ (٤٦١)

ولا تَخشى المَنايـا ، بل مُنـانا ... يكونُ لُقَى الكُماةِ بلا تَمادي (٤٦٢)

وفي دار الحِفاظ لِسَدِّ ثَغْـرٍ ... أقَمْنا دُونَهُ خَرْطَ القَتادِ (٤٦٣)

---

(٤٥٥) السداد ، بفتح السين : الاستقامة ، و — الصواب من القول والفعل . .

(٤٥٦) قس بن ساعدة الإيادي : (ت/١٩٤) . — النجر : الأصل . — والحشد (بفتحتين): الجماعة.

(٤٥٧) سراة ، بفتح السين : أشراف ، الواحد سري .

(٤٥٨) الزوراء : (ت/١٠١ في الفصل الثاني) .

(٤٥٩) الكماة : (ت/٣٩٨)؛ النجب : النفاضة على أمثالها ، النفائس في نوعها .— المسومة : المعلمة بسومة ، أي سمة وعلامة ؛ وفي التنزيل العزيز : (والخيل المسومة) .

(٤٦٠) المثقفة : الرماح المعدلة . — الصعاد : (ت/٨٢) .

(٤٦١) الوغى : (ت/٩٠) . — الشياد : (ش) « الشيادي » ؛ أراد أراد جمع الشيد ، وهو غير مسموع ؛ والشيد ، بالكسر : كل ما طلي به الحائط من جص ، أو بلاط .

(٤٦٢) لقى : وكذا في (ش) ؛ وهو أحد مصادر لقيه يلقاه ، وقد أحصاها ابن بري ثلاثة عشر مصدراً . وهي في « لسان العرب » . — الكماة : (ت/٣٩٨) .

(٤٦٣) الثغر : (ت/١٨٣) . — القتاد : شجر صلب له شوك كالإبر . وفيه مثلان : « دون ذلك خرط القتاد » ، و « دون (غليان) أو (عليان) خرط القتاد » ؛ يضرب للممتنع . وتفصيلهما في « فرائد اللآل » .

سَلُوا عنّا (الأعاجِمَ) إنْ جَهِلْتُمْ ... حقيقةَ عزمِنا يومَ الْجِهادِ

ففي يوم الكسيرة كم كَسَرْنا ... لجَبْرِ الدِّينِ شوكةَ كلِّ عادي[٤٦٤]

وفي (أُحُدٍ) [به] كان التِّسانا ... فيا بُشْرَى لنا يومَ التَّسعادِ !

فإنْ أُهْجَى ، فهل أُهْجَى بقومي الـ ... أفاضل ؟ أمْ بجِدِّي واجتهادي ؟

فأنّا مثلُهم في الكون يُلْفَى ؟ ... وفضلُهُمُ كنُورِ الشَّمْسِ بادي[٤٦٥]

فلا زالُوا بإعزازٍ ونصرٍ ... وإجلالٍ إلى يوم التَّنادي[٤٦٦]

(انتهى)

---

(٤٦٤) هذا البيت وصدره الذي بعده : تقدما في الفصل الثاني (ت/٧٧) .

(٤٦٥) فأنّا : (ش) « فان » ، والصواب : فأنّى ، أي : كيف ، وفي التنزيل العزيز : (أنّى يحيي هذه الله بعد موتها) ؟ . — يلفى : يوجد .

(٤٦٦) يوم التنادي : يوم ينادي أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء ، أو مما رزقكم الله . وفي التنزيل العزيز : (ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد) ، والتناد : أصله التنادي ، فحذفت الياء .

يضاف إلى التعليق (٣١٦) في (ص ١٤٧) :

« وقد ورد مشطور الرجز هذا في (حماسة أبي تمام) تاماً ؛ وهو :

(١) القطعة ٨٨ من شرح المرزوقي ١ / ٢٨٩ : ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م . (٢) القطعة ٨٩ من شرح الخطيب التبريزي ١ / ٢٨٠ ، ط. مطبعة الحجازي بالقاهرة « غير مؤرخة » . (٣) ديوان الحماسة برواية أبي منصور الجواليقي . ص ٩١ . ط. وزارة الثقافة والإعلام العراقية : ١٩٨٠ م .

وعدد أبياته في شرح المرزوقي وفي رواية الجواليقي (٨)؛ وفي شرح التبريزي (٩) ؛ على أن البيت الزائد في هذا الشرح . قد جاءت الإشارة إلى وجوده في بعض أصول المصدرين المذكورين أيضاً .

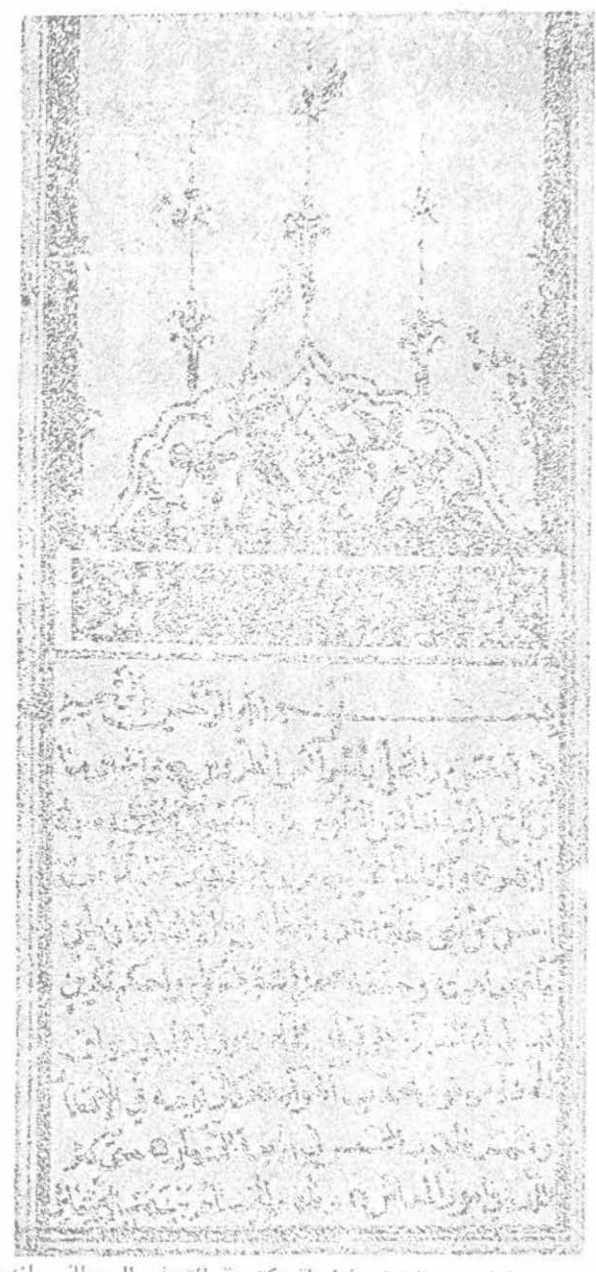
وهو كما ورد في شرح الخطيب التبريزي :

١ــ أنا (أبو بَرْزَةَ) إذْ جَدَّ الوَهَلْ ٢ــ خُلِقْتُ غيرَ زُمَّلٍ ولا وَكَلْ
٣ــ ذا قوّة وذا شباب مُقْتَبَلْ ٤ــ لا جَزَعَ اليومَ على قُرْبِ الأجَلْ
٥ــ الموتُ أحلى عندنا من العَسَلْ ٦ــ نحن (بني ضَبّةَ) أصحابُ الجَمَلْ
٧ــ نحنُ بنو الموتِ إذا الموتُ نَزَلْ ٨ــ نَنْعَى (ابنَ عفانَ) بأطراف الأسَلْ
٩ــ رُدُّوا علينا شيخنا ثُمَّ بَجَلْ

وقد نسبت هذه الأبيات في المصادر الثلاثة الى (الأعرج المَعْنِيّ) ؛ وزاد الخطيب التبريزي قوله : « وقيل : الصحيح أنها لـ (عمرو بن يثربيّ) » .

و (أبو برزة) : ذكر الخطيب التبريزيّ أنه « يروى : (أبو بردة) » ؛ وتعضده رواية الجواليقي في تعريفه (الأعرج المَعْنِيّ) ؛ غير أنه أثبت (أبو وَبَرَة) في البيت ، وضبطه ناشر الكتاب بفتح باء (وبرة) فأخلَّ بوزن البيت ، وأشار في الحاشية الى أنه في نسختين من الكتاب : (أبو برزة) . وهو الأكثر وروداً في معظم روايات هذا الرجز .

محمد بهجة الأثري



الصفحة الأولى من (ل) : مخطوطة مكتبة المتحف البريطاني بلندن

مثال ثان من مخطوطة (ل)

مثال ثالث من مخطوطة (ل)

مثال رابع من مخطوطة (ل)

مثال خامس من مخطوطة (ل)

آخر مخطوطة (ل)

الصفحة الأولى من (ش) : مخطوطة شيخ الاسلام احمد عارف حكمة اللـه الحسيني بالمدينة المنورة

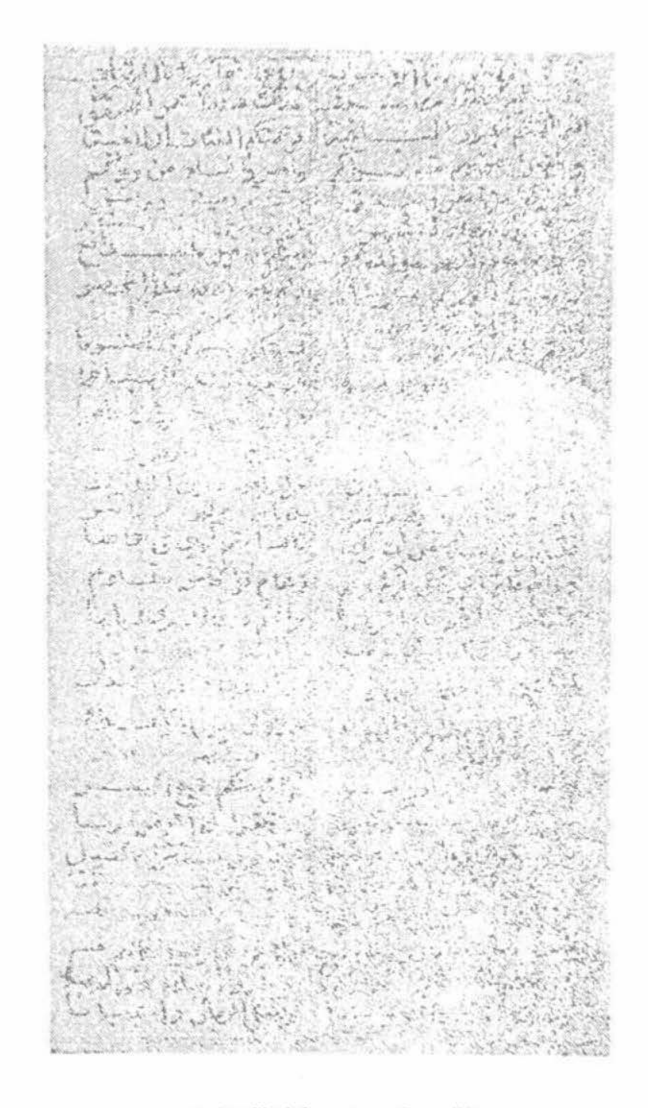
مثال ثان من مخطوطة (ش)

مثال ثالث من مخطوطة (ش)

مثال رابع من مخطوطة (ش)



مثال خامس من مخطوطة (ل)



مثال سادس من مخطوطة (ل)

النفط في التراث العربي

الدكتور جابر الشكري

(عضو المجمع)

الأستاذ في كليّة العلوم – جامعة بغداد

مقدمة

يسيرُ العالَمُ في هذه الحقبة من الزمن بخطوات سريعة نحو التطور الصّناعي واستثمار جميع الثروات في باطن الأرض .

والعراق ، هذا القطر الذي تزخر أرضُه بثروات عظيمة ، حريٌّ بـه أن يهب عاجلاً لاستثمار هذه الثروات ، بعد أن توفرت له القُدرات من خبرة ، ومال ، وإِخلاص في العمل .

والعراق اليوم ، يسعى بكلّ جدٍ ، ليذلّل كلّ عقبة ، تقف في طريقه ، لمسايرة الركب العالميّ في المجالات الصناعيّة ، بعد أن وُضعت له سياسة بناء إنتاجيّة مثمرة ، لا سياسة تجميد استهلاكيّة ، كما كانت في العهود السابقة .

إنّ النّفط والغازات من أهمّ الكنوز الطبيعيّة في أرض « وادي الرافدين » الخيّرة . فلا بُدّ أن تستثمر هذه الكنوز إستثماراً ملموساً ، ليكون بلـداً صناعياً ، يُحسب له حساب مع الدول الكبرى في هذا الحقل من حقول الصّناعة .

إن الصّناعات النفطيّة أو كما يصطلح عليها الكيمياويون « الصّناعات البتروكيمياويّة » تُشبه دائرة كبيرة ذات حلقات متشابكة لاحصر لأعدادها .

فقد يؤسّس معمل لإنتاج مادة معيّنة من الفضلات التي ينتجها معمل آخر؛ وقد يُشيّد مصنع كبير لإنتاج موادّ أوّليّة فقط لتجهيز معامل كثيرة في آن واحد. وعلى العموم: لا بُدّ من الإفادة من جميع المواد الثانويّة التي تنتجها المعامل الرئيسة والمعامل الثانويّة؛ لتكون الوحدات متكاملة مترابطة؛ فكلّ منتوج هو بحدّ ذاته مادة أوليّة لإنتاج مادة أُخرى؛ وهكذا.

إنّنا على ثقة تامّة أنّ مستقبل العراق في الصّناعات «البتروكيمياويّة» مضمون الى أقصى حدّ. فالعراق بطبيعته بلد المواد الكيمياويّة، فهو غنيٌّ بالنفط والغازات والكبريت والفسفور والملح: إضافة الى المياه: المياه الحلوة والمياه المالحة. والهواء. وهذه هي أهمّ دعائم الصّناعات الكيمياوية. وقد أعطى العراق. في سياسته الجديدة. الصناعات «البتروكيمياويّة» الصّدارة في سياسة الإنشاء والتعمير التي رسمتها سياسة الحزب والثورة.

لقد استطاع العراق. بجهود المخلصين من أبنائه استغلال ثرواته الكبريتيّة استغلالاً مباشراً؛ واستطاع أن يستثمر نفطه في «الرُّمَيْلَة» استثماراً مباشراً، واستطاع أن ينتزع نفط «كركوك» من أيدي الشركات الاحتكاريّة في اليوم الأوّل من حزيران (١٩٧٢ م)، واستطاع أن يخضع الشركات الأجنبيّة لإرادته في اليوم الأوّل من آذار (١٩٧٣ م). وهو اليوم يُشيّد المعامل «البتروكيمياويّة»، وينشىء الطرق. ويحسّن مواصلات النقل إذ هي من المقوّمات الأُولى في نمو التقدّم الصّناعيّ والزّراعي.

النفط في لغة العرب :

في لسان العرب: «النِّفْطُ، والنَّفْطُ: دُهْنٌ، والكسر أفصح. وقال ابن سيده: النِّفطُ والنَّفْطُ الذي تُطلى به الإبل للجَرَب والدَّبَر والقِرْدان. وهو دون الكُحَيْل [وهو النفط أو القَطِران يطلى به الإبل]. وروى أبو حنيفة: أن النَّفْط والنِّفْط، هو الكحيل. قال أبو عُبَيْد: النِّفط عامّةُ القطران. وردّ عليه ذلك أبو حنيفة، قال:

وقول أبي عُبَيْد فاسد ؛ قال : والنَّفْطُ والنِّفْطُ حلابة جبل في قعر بئر توقد به النار ، والكسر أفصح . والنَّفَّاطَةُ والنِّفَّاطَةُ : الموضع الذي يستخرج منه النِّفط . والنَّفَّاطاتُ : والنِّفَّاطاتُ : ضَرْبٌ من السُّرُج يُرمى بها بالنَّفط ؛ والتَّشديدُ في كلٍّ ذلك أعرفُ . التهذيب : والنَّفَّاطات ضرب من السُّرُج يُسْتَصْبَحُ بها ؛ والنَّفَّاطات أدواتٌ تُعمل من النحاس يُرمى فيها بالنِّفط والنَّار . وفي « القاموس » وشرحه « تاج العروس » : « النِّفط بالكسر : وقد يفتح ، و الفتح (خطأ) ؛ قاله الأَصمعيّ ، وأَنْشَد :

كأنَّ بينَ إبْطِها والإِبْطِ
ثوباً من الشُّوم ثوَى في نِفْطِ »

وفي الصّحاح : والكسر افصح (م) . قال الجوهري : دُهْن ... وقال الزَّمَخْشَرِيّ : النِّفط بلغة هُذَيْل : الجُدَرِيّ يكون بالصّبيان والغنم » . قلت : (وهو ليس بالجُدَرِيّ الحقيقي بل ما يسمّى جُدَرِيّ الماء . أبو خريّان بالعامية العراقية) .

في « الموسوعة العربيّة »[1] أن القدماء استعملوا المواد الملتهبة في القذائف ، كالسهام الملتهبة والصواريخ . وقيل : إن عبدالله بن الزبير استعمل في حصار مكّة (٧٣ هـ – ٦٩٢ م) آنية من النفط الملتهب في حجم قنابل اليد . واخترع البيزنطيون النار الإغريقيّة وهي مزيجٌ من النِّفط والقار والزيت النّباتي والشحم ومعادنَ عدّة ، ومواد ملتهبة أخرى. وقد نقلها العربُ عنهم واستعملوها بنجاح ضد الصليبيين في مصر والشام . والنّفاطة هي قاذفة النفط . ورامي النفط يُسمّى النّفّاط ؛ ويلبس ثوباً خاصاً لكي لا يُصاب بأذى .

النِّفتا Naphtha ، Naphta : يونانيّة ، مقتبسة من العربية (النفط

(١) دار الشعب ومؤسسة فرانكلين. ص١٨٤١/القاهرة ١٩٦٥

ويعرّف « النّفتا » في الكيمياء بأنّه مجموعة من المواد «الهيدروكاربونيّة» ذات درجات غليان واطئة . وتنتج في أثناء عمليّات تقطير النّفط ، أو الفحم، أو المواد القيريّة الأخرى . ويتكوّن « النفتا » من ثلاثة أصناف .

١ — نفتا النّفط « Petroleum Naphtha » ، ويحصل عليه من تقطير النّفط الخام .

٢ — نفتا قَطِران الفحم Cool - tar Naphtha ، ويحصل عليه من تقطير قَطِران الفحم .

٣ — نفتا المُتَحَجِرات الصَدَفيّة « Shale Naphta » ويحصل عليه من تقطير المواد الصدفيّة . « البيتومينيّة » .

البترول : « Petroleum » معناه : زيت الحجر « Rock Oil » وقد أُطلقت على النّفط ، والكلمة مأخوذة من اليونانيّة « Petros » — الحجر ، واللاّتينيّة « Oleum » أي الزّيت .

البيتومين « Bitumen » : هي بالمعنى الضيّق القير الطّبيعي ، أو الزّفت المَعْدنيّ . ويقال : مواد بيتومينيّة ؛ ويقصد بها المواد القيريّةالمستخرجة من باطن الأرض . وقد تكون هذه الموادّ صُلبة مثلَ القير (أو القار) ؛ أو سائلة كالنفط ، أو غازيّة كالغازات الطبيعيّة (أو الأرضيّة) .

وهناك نوع آخر من الموادّ « البيتومينيّة » ، يطلق عليه اسم القَطِران « Tar » . وهو مادّة صناعيّة ، يُحضّر من التّقطير الإتلافيّ لمختلف أنواعِ الفحم أو الخشب ، أو يُحضّر من بقايا تقطير الموادالطّبيعيّة أوالصّناعيّة أيضاً (وسيأتي ذكره).

لقد استعمل (بلينيوس) « Plinius » [٢] المُتَوَفّى سنة ٧٩ م كلمة

(٢) ويسمي بلني عالم يوناني مشهور في التاريخ الطبيعي

« بيترمين » أوّل مرّة ، ووضّحها العالم الألماني (اردمان) « Erdmann » . بحسب المصطلح اللاتيني « Pix tumen » ، ومعنى ذلك أمواج الزّفت . ويقال إنأصل الكلمة من اللاّتينيّة والسنسكريتيّة بمعنى «Gum - Lac،Jat» أي صمغ اللّك .

القير : في لسان العرب : القيرُ والقارُ ، لغتان ، وهو صُعُدٌ يذاب ، فيُستَخرَجُ منهالقارُ .وهوشيءٌ أسودُ تُطلى به الإبل؛ ضد الجَرَب والقُراد ، والسُفُنُ بمنع الماء أن يدخل . ومنه ضربٌ تُحشى به الخلاخيل والأسْورةُ ، وصاحبه قَيّارٌ . والقارُ شجرٌ مُرٌّ (أي اسم لنوع من الشجر مرّ الطّعم).

قال بِشْرُ بْنُ أبي خازم :

تُسومُونَ الصّلاحَ بـذاتِ كَهْفٍ
وما فيها لَهم سَلَعٌ وقارُ

ويسمّى القير بالإنكليزيّة والألمانيّة « Asphalt » وهو من اليونانيّة « زفت الأرض » . والقير ضرب من ضروب الموادّ « البيتومينيّة » الطبيعيّة ، ويستخرج من باطن الأرض . ويكون على الحالة الصُلْبة ، أو الرَّخْوَة أو السائلة . وله لونٌ بُنّيّ غامق ، أو أسودُ أدكن . ويحصل عليه أيضاً من بقايا تقطير النّفط الخام. ويتكوّن القير كيمياوياً من مزيج لموادّ «هيدروكاربونيّة» مختلفة ، ذوات درجاتِ غَلَيانٍ عالية .

إنّ القير معروفٌ منذ زمن بعيد جدّاً ، وكان يستعمل في بناء الدور والسُّفُن الشّراعيّة ، وفي صناعة بعض الأدوات الزّراعيّة ، مثل المناجل ، وكذلك في صناعة الأسلحة البدائية : مثل « المكّيار » «والمكَوار» باللغة العامية العراقيـة .

وفي (كتاب التلخيص) [٣] : النّفْط ، بكسر النّون : القَطِران ،

(٣) كتاب التلخيص لأبي هلال العسكري، ص/٧٤١ دمشق ١٩٧٠

ويقال له : الكُحَيْل . القار والقير ، معروفان . الزِّيْت ، ويقال له السَّلِيطُ .

وفي كتاب « الإفصاح[5] » مصطلحات نفطيّة كثيرة ، نراها في غاية الدقّة من النّاحية الكيمياويّة .

النفط – معروف ، وأحسنه الأبيض ، والنّفاطة موضع يستخرج منه . وهو ضربٌ من السُّرُج ، يُستصبح به .

والنّفاطة – مَنْبِت النّفط ومَعْدِنُه ، كالمَلاّحة لمنبت الملح ، والجمع نفّاطات .

القَطِران – ما يَتَحلّلُ من شجر الأَبْهَلُ ، يُطلى به الإبل وغيرها .

وفي حاشية القاموس المحيط : القطران عصارة شجر معروف ، وفيه خُشُورة ، يُداوى به دَبَرُ البعير ولا يُطلى به الجرب .

الزِّيتُ – يقال لأوّل ما يخرج من القَطِران زيت ، وهو شيءٌ رقيق كأنّه دُهْن البان ، قليل السّواد ، خفيف الرائحة ، يخالطه ماء ، ثم يليه الخضخاض .

الخَضْخاض – يلي الزيت ، وهو أفضل القَطِران وأرقّه . وقيل الخَضْخاض نِفطٌ أسودُ رقيق ، تُهنأ به الإبل الجُرْبُ وليس بالقطران . فالخضخاض دَسِمٌ رقيق ، ينبع من عين تحت الأرض .

الذِّفْلُ – ما غلُظ من القَطِران ، وقيل : الذِّفْل القَطِران الرّقيق .

الكُحَيْل – الّذي تُطلى به الإبل للجرب ، وهو النِّفط أو القَطِران .

الزِّفت – إذا انقطع القَطِران ، فجاء شيءٌ شديد السّواد ثخين ، فهو الزِّفت .

المُهْل – ضَرْبٌ من القَطِران ، ماهِيٌّ ، رقيق يُشْبِه الزّيت ، يَضْرِب الى الصُّفْرة ، تُدهن به الإبل في الشّتاء .

(٥) كتاب الافصاح في فقه اللغة / ص ١/٥٥٦ لعبدالفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى دار الكتب / القاهرة / ١٩٢٩ م

الهِناء ــ ضرب من القَـطِران ، وقد هنأْت البعير أهنؤه (أي طليته) .
القير والقار ــ شيءٌ أسوَد ، يُطلى به السُفُن والإبل ، أو هما الزِّفت .
ويقال : قَيّرَ الحُبَّ والزِّقَّ ، طَلاهُما به . والقيّار : صاحب القِير .

النفط وما قيل فيه منذ خمسة آلاف سنة وإلى الآن :

نبذة تاريخية :

والنفط ، معروف منذ زمن قديم جداً ، فقد ورد في الأخبار التاريخية القديمة ذكر استعمال الزيوت الأرضية السائلة في التدفئة والإضاءة والوقود ؛ وذكر استعمال القار في البِناء (ملاط البيتومين) .

واستعمله المصريون القدماء في التحنيط قبل خمسة آلاف سنة ؛ حتى ان كلمة مومياء Mumie مأخوذة من موم «Mum» ، ومعناها الزِفت الأرضي وقد ذكر هيرودتس (٤٥٠ ق . م .) في كتابه وجود بئر للنفط في ضواحي قرية « سُوسة » قرب مدينة « دزفول » في « ايران » . ويذكر أيضاً أن بعض جدران مدينة بابل بُنيت بملاط « البيتومين » المستخرج من قرية السوس .

وقد دلت الكشوف الآثارية الحديثة في العراق على أن سكان «وادي الرافدين» استعملوا القار منذ عصور ما قبل التاريخ . استعملوه مثلا في صنع مناجل الصوان بتثبيت حجار صوانية محددة بإطار مقوس من القير ؛ وبهذه الطريقة صنعوا آلاتهم التي استعملوها للحصد قبل استعمال آلات المعادن . وقد اكتشفت مثل هذه المناجل في موقع « حَسُّونة » قرب « الموصل » وفي « جرمو » قرب « جمجمال » . وفي « المتحف العراقي » مناجل مختلفة الأشكال من هذا الطراز . وقد استعمله سكان « وادي الرافدين » في العصور التاريخية على هيأة ملاط في بناء قصورهم وسفنهم ، كما يلاحظ الآن في خرائب « بابل » ، وكما يروي هيرودتس .

ومن المواقع التي كانوا يستخرجون منها القير ؛ مدينة « هيت » ؛ ومن

الطريف ذكره أن الاسم « هيت » معناه باللغة السومرية والبابلية « قير » وقد ذكر بصيغة تقرب من العربية « أدو » وسميت « هيت » في العصور الرومانية واليونانية باسم « إيس » . على أنه من المرجح ايضاً أن القير جلب من مواضع أخرى غير « هيت » ؛ بعضه من « العراق » ؛ وبعض آخَرُ من خـــارج « العراق » . ولعل السبب في ذلك هو جودة هذا النوع ونقاؤه وصلاحه للبناء .

اما في مناطق « كركوك » ، فلا يعرف بالضبط استعمال أهل العراق القدماء النِفطَ في الإِضاءة والوقود . ولكن لا يستبعد أنهم عرفوا ذلك قياساً على ما نعرفه من قدم النار الأزلية المشهورة في منطقة « بابا كُرْكُر » . على أن المراجع القديمة تشير الى ان النفط في « كركوك » كان يتدفق على سطح الأرض ، أو بعد حفر في الأرض قليل . ونعرف ايضاً أن أسراً قديمة النسب كانت تستثمر النِّفط بجمعه من مناطقه قبل استثماره بالطرق العلمية الحديثة .

وقد بنى الفينيقيون قواربهم المدورة بالقار قبل الألف الثالثة قبل الميلاد ويذكر أن الصينيين حفروا آباراً للنفط سنة ٢٢١ ق . م . وفي « اليابان » وجدت أول بئر سنة ٦٦٨ ب . م . ومن المعلوم أيضاً ان الصليبيين استعملوا في الحروب الصليبية (١٠٩٦ – ١٢٠٠ م) الكبائر النفطية لحرق « القسطنطينية » . ويذكر ماركو بولو « سنة ١٢٧١ – ١٢٩٥م» : أن النفط كان يشحن في السفن من بلاد « أرمينية » الى « بغداد » لاستعماله دواءً . وفي سنة ١٥٢٧ م علم بوجود القير في « بيرو » ، واستعمله سكان امريكة القدامى الذين أطلق عليهم اسم « الهنود الحمر » في بناء الدور والشوارع . وفي سنة ١٦٢٧ م اكتشفت أول بئر للنفط في « أمريكة » في « ولاية نيويورك » . ويقال : إن أول أعمال التصفية أُجري في « روسيا » سنة ١٧٣٥ م ، وفي « أمريكة » سنة ١٨٢٨ م . وبدأت في سنة ١٨٥٩م علائم صناعة النفط في « أمريكة » حيث أسس « دراك E.L. Drake » معملاً لتقطير النفط قرب مدينة « تيتوس فيل » في إقليـــم

« بنسلفانية »، وكان النفط يستخرج من باطن الأرض بحفر الآبار حفراً يسيراً . ولا تزال « مؤسسة دراك » قائمة في الزمن الحاضر ، وتُعدُ من أهم المؤسسات العالمية . ثم أسست معامل أخرى في « أمريكة » وغيرها من البلدان . وكان عمل جميع هذه المؤسسات يقتصر على انتاج نفط الإضاءة : « الكيروسين » وحْده واستعملت بين سنة ١٨٨٥ م و ١٩٠٠ م زيوت التشحيم المعدنية بدلاً من الزيوت النباتية .

ثم أعقب ذلك استعمال « البنزين » ، وأصبح منذ سنة ١٩١٥ م أهم منتج من منتجات تكرير النفط الخام . ففي سنة ١٩١٢ م وضع تصميم أول سفينة حربيّة تستعمل النفط بدلاً من الفحم هي السفينة المسماة « الملكة اليزابيث » .

ولما زاد استعمال الآلات الميكانيكية أصبح من الضروري أن تكون كمية الوَقود مناسبة لزيادة الآلات ، فلا « مكاين » بدون وقود ، ولا جدوى للوقود بدون « مكاين » ؛ ولهذا السبب بُحِثَ كثيراً عن طريقة لانتاج أكبر كمية من « البنزين » . وأخيراً وفقت اليد الصناعية الكيمياويّة فاستحدثت طريقة السحق بالحرارة والضغط Cracking ، والحاجة أم الاختراع . وبهذه الطريقة يمكن إنتاج كميات كبيرة من « البنزين » من بقايا تقطير النفط الخام على ما هو موجود منه . وبعد نجاح هذا الاختراع بنيت أجهزة تقطير جبارة (أي معامل التصفية) للحصول على مختلف منتجات النفط . ومنذ سنة ١٩٢٥ م تقدمت الصّناعة في إنتاج زيوت التشحيم بتقطير بقايا النفط .

وفي هذه الحقبة من الزمن وجد العالم (ادليانو) طرقا جديدة لإنتاج موادّ التشحيم باستعمال مذيبات معينة . ومنذ سنة ١٩٢٩ أخذت الصناعة تبحث عن موادٍّ وقوديّة شديدة الحرارة . فتيسّر لها ذلك ، وبعد البحث العلمي الدقيق أمكن تحويل المواد النفطية الرخيصة الى « بنزين » ، وذلك بطريقة

(التحويل بالحرارة والضغط – Reforming) ، وكذلك طرق « الهَـدْرَجَـةَ » بالضغط العالي وغيرها .

وبعد الحرب العالمية الثانية ، أخذ العلم يبحث عن وسائل أخرى ، غير حربية ، لاستعمال « الذَّرة » ، واستعمالها في الأغراض السلمية ، فبنيت محطات القوة الكهربائية ، وبنيت السفن التي يعتمد وَقُودُها على « الذَّرة » لا على الزيوت . ومما لا شك فيه أن العالم بأسره متجه الى استعمال « الذرة » مصدراً للطاقة ، وهي بغير منازع طاقة جبّارة في يد العقل البشري ، يستطيع تسييرها الى الشرّ أو الى الخير . فإذا سيّرها الى الشر ، هلك العالم ولا يعرف ماذا سيكون المصير . وإذا سيّرها الى الخير ، فـيسود العالم الاطمئنان ، ويذهب الذُّعر من النفوس ، وتصبح « الذّرة » حبيبة الى كلّ مخلوق ، عدا شركات النفط . ومع ذلك ، فلا خوف من كساد تجارة النفط ، فان المستقبل سيرينا ما لم نره من قبل ، لأنّ أمامنا الصّناعات « البتروكيمياويّة » التـي عمادها النّفط وغازاته . فإنّ هذه الصّناعات ، وما يتمخّض منها من مواد ، أهمّ من النّفط نفسه ، سواء أكان ذلك للفرد المستهلك لمثل هذه المواد الجديدة، أم لصاحب آبار النفط وحقوله .

النفط في الاضاءة والوقود :

فتّشنا بين طيّات ما تيسّر لنا من مصادر فلم نجد شيئاً كتب في النفط أكثر من مسألتين ، أولاهما : النفط في اللّغة ، إذ جاء ذكره في المعاجم والفهارس اللّغويّة ، و شُرحت مصطلحات وتعاريف للنفط ومنتجاته التي كانت معروفة عند العرب ، وقـد أجادوا فـي توضيحها ، وبيّنوا صحّة معناها العلميّ . وثانيتهما : النِفط في الطب ، إذ نجد في كتب الطب والمفردات الطبيّة العربيّة شروحاً جيّدة للنفط .

ويظهر لنا أن العرب لم يستعملوا النِفط في الإضاءة والوقود ، مع أنّهم عرفوا خواصه ، وكذلك تصفيته وتقطيره وأنواعه ، كما جاء في الكتب الطبيّة

وكتب المفردات. وعلمهم بتصفية النفط ودراسة خواصه وأنواعه ، يعني أنّهم استخرجوه من الآبار . ولكن كيف ؟ وما الكميات التي كانوا يحصلون عليها ؟ كلّ هذه الأمور مجهولة لدينا الآن، وقد يرينا البحث أشياء أخرى في هـــذا المجال من مجالات « التقنيّات » العربيّة .

ونرى أن عدم استعمال النفط في الإضاءة مَرَدّه الى أسباب مهمّة وكثيرة ، نذكر جملة منها :

١ – صحيح أن العرب استخرجوا النفط من آباره ، وقطروه وصفّوه ، ولكن ما مقادير هذه الكميّات التي حصلوا عليها ؟ نرى أنّها كانت قليلة ، لا تفي بالحاجة ، ولا تكفي في الإِضاءة (والوقود) .

٢ – لو فرضنا أنّهم حصلوا على كميّات كبيرة ، فكيف نُقلت هـــذه المواد من مواضع « التصفية » الى مواضع الخزن ؟ هذه مسائل في غاية الخطورة ؛ لأنّ الموادّ النفطيّة سريعة الالتهاب ، وفيها محاذير جمّة . وقد عرفوا ذلك جيـــداً .

٣ – ربّما عزف الناس عن استعمال النفط في الإضاءة ، لرائحته غير المقبولة ، وكذلك رائحة الغازات التي تنتج بعد الاِحراق ، لأنّها تحتوي على الكبريت ، وموادّ أخرى كريهة الرائحة . فالتصفية كانت بدائيّة طبعاً .

٤ – لم يستعمل النّفط في الإضاءة ، لأنّه سريع الالتهاب ، وليس من السهل السيطرة على المصباح الذي قد يلتهب ، في داخل الغرفة أو البيت ، لسببٍ من الأسباب .

٥ – من المعروف أن إحراق النفط يؤدّي الى تكوّن السّخام (= النّيلج) بكميّات كبيرة ، وهذا يؤدّي الى تكاثر الأوساخ وتراكمها في المصباح ، وهو أمرٌ غير مرغوب فيه إطلاقاً .

وقد يسأل سائلٌ : ماذا كانوا يستعملون في الوقود والإضاءة ؟ والجواب في غاية اليُسْر ، فالحطبُ والفحم هما مادتا الوَقُود منذ أقدم الأزمنة .

أما الإضاءة فكانت عندهم نوعين : إضاءة بالزيوت النباتيّة [٦] : وهي مألوفة ومعروفة وتستعمل في القناديل. وقد جاء ذكر « الزيت » في القرآن الكريم: (اللهُ نورُ السّماواتِ والأرضِ ، مَثَلُ نُورِهِ كمشكاة فيها مِصْباحٌ ، المِصْباحُ في زجاجةٍ ، الزجاجةُ كأنّها كَوْكَبٌ دريٌّ يُوقَدُ من شجرة مُباركةٍ زَيْتُونةٍ ، لا شرقيّةٍ ولا غربيّةٍ ، يكادُ زَيْتُها يُضيءُ ولَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ ...)[٧] .

وإضاءة بالشموع ، وهي معروفة وقديمة جداً ، ولا تزال تستعمل الى الآن . وثَمّةَ قِصّة طريفة في إضاءة الشموع ، وهي قصّة الشموع التي أوقدت في زواج الخليفة المأمون من (بوران بنت الوزير الحسن بن سهل واسمها الحقيقي خَدِيجة) . وتُعَدُّ ليلة الزفاف هذه من ابهى اللّيالي في التاريخ ، وخلاصة ما جاء عن الشموع : أنهم أوقدوا في تلك الليلة شموع العنبر والكافور ، وكان وزن الشمعة أربعين مَنّاً [٨] في تَوْرٍ من الذهب . فأنكر المأمون ذلك عليهم ، وقال : « هذا سَرَف » [٩] .

(٦) مثل زيت الزيتون ، او السمسم ، او الكتان ، وغيرها

(٧) سورة النور / الاية ٣٥ . يكاد زيتها يضيء اي هو زيت نقي

(٨) المن يعادل ١٨٠ مثقالا في الشرع ، و ٢٨٠ في السوق ، والمثقال يعادل ٥ غرامات ، وعلى هذا يكون وزن الشمعة (بحسب الوزن في السوق ، يساوي : $\frac{٢٨٠ \times ٥ \times ٤٠}{١٠٠٠}$ = ٥٦ كيلو غراما ، ووزنها (بحسب الوزن الشرعي) يساوي ٣٦ كيلو غراما . ونترك للقارىء الكريم الخيار في الوزنين .

(٩) وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٦٠ ، الطبعة الاولى / ١٩٤٨ .

تعليق :

قد يظن ظانٌّ أن شموع الكافور تُصنع من مادة الكافور ، وفي هذا التباسٌ ؛ إذ المقصود من ذلك العِطْر . وللتوضيح نقول :

الكافور مركب كيمياوي « C 10 H 16 O » معروف في الكيمياء جيّداً . ويستخلص من شجر الكافور ، وهو سامٌّ . ويحضّر صناعياً أيضاً ، وله رائحة قويّة ، تقبلها النفس ، (رائحة الكافور) .

الكافور (وجمعه كوافير) كلّ مادة نباتيّة تستعمل للتطيّب والتعطّر ، وقد ضرب المثل به لرائحته القويّة ، فقال تعالى (إنَّ الأبرارَ يَشْرَبُونَ من كَأْسٍ كان مِزاجُها كافوراً)[10].

أي — هو معطّرٌ بمادة طيّبة الرائحة .

وشموع الكافور ، هي الشموع المعطّرة بالكافور نفسه ، أو غيره من الموادّ ذوات الرائحة العطرة الطيّبة . وهذا يصدق على العنبر أيضاً ، أي الشموع المعطّرة بعطر العنبر النفيس .

وتُصنع الشموع من مختلف أنواع الشحوم الطبيعية ، أو الشموع الطبيعية (مثل شمع العسل) . أمّا في الصّناعات الحديثة ، فتصنع الشموع — في الغالب — من موادّ شحميّة صناعية أو طبيعيّة ، (برافينات « Parafines » ومن مواد شمعيّة — صناعيّة أو طبيعيّة أيضاً « Waxes » ، وتلوّن هذه الموادّ بأصباغ خاصّة ، وتُعطّر بالطعور .

النفط في الحضارة العربية

النفط في الطب :

كان النفط يستعمل في الطب القديم في أغراض كثيرة ونورد هنا بعض ما جاء عنه في الكتب العربية المهمة :

---

(١٠) سورة الانسان (آية ٦)

١ – مفردات الطب لابن البيطار :

« ديسقوريدس : النِّفْط هو صفوة القير البابليّ ، ولونه ابيض ، وقد يوجد منه أسود ، وله قوة تُستلهب بها النار ، فانه يستوقد من النار ، وإن لم يمسّسْها » والمعروف أن لبعض اجزاء النِّفط خاصّية الاحتراق الذاتي ، وخاصة المواد ذوات درجات الغليان الواطئة ، مثل « البترول إيثر » و « البنزين » الخفيف) ثم يذكر ابن البيطار منافعه الطبية الكثيرة ، وفيها مبالغة فيقول : «ففيها منافع لبياض العين ومائها ..... الخ » .

الطبريّ : « النفط هو لونان ، أسود وأبيض ، وكلاهما حارّ ، والأبيض أقوى ، وصالح للتنقية من الديدان الكائنة في الشرج ... الخ » .

ابن سينا : « النفط لطيف ، وخصوصاً الأبيض ، محلّل ، مذيب مفتّح للسُّدَد ، نافع من أوجاع المفاصل ، ويسكن المغص ، ويكسر من برد الرّحِم وريحها . والأزرق منه ينفع في وجع الرّحِم والأذن الباردة قطوراً » .

الرازيّ : وقد وصف النفط على غِرار سَلَفه من الحكماء .

٢ – تذكرة داوود الأنطاكي :

« النفط ، هو ثالث الأدهان بعد الآجُرّ والبَلَسان في سائر الأفعال ، وهو مَعْدِن بأقصى « العراق » كالزّفت والقار . والنفط . يستحلب غليظاً ، ثم يستقطر أو يصعّد ، فأوّل دُفعة منه الأبيض ، ثم الأسود ، فإنْ صُعّد الأسود ثانية ألحق في الأبيض (وهذه العملية هي عملية التقطير التجزيئي – أي عملية التكرير بعينها ، وأقلّ صُوَرها) . ثم يقول : « ويوجد بجبل الطُّور » من اعمال « مصر » بجانب البحر نوع منه يسمى (زيت الجبل) ، وأجوده الحارّ الصافي الأبيض » ثم يذكر فوائده الطّبّيّة التي لا حصر لها – كما هي العادة في كتب الطب القديمة – فيقول مثلا : «هو تِرياق كل مرض، بارد شرباً

وطلاءً ، خصوصاً للفالج والرعشة والكُزَاز والخَدَر وتعقد العَصَب والاسترخاء والبواسير ... ثم إنه ينفع في قيح الصدر والسُّعَال وحرقة البول والحصى ودويّ الأذن والديدان مطلقاً ... ويصلحه الخَشْخاش . وشربته الى مثقال ... الخ » .

٣ — المعتمد في الأدوية المفردة [١١] :

نقل ما ورد عن النِّفط في « مفردات الطب » لابن البيطار (ولا داعيَ للتكرار) . وذكر أيضاً مما جاء عن النفط في كتاب المنهاج لابن جزْلة ، أن « النفط الأبيض هو معدن ، وقد يُصاعَدُ الاسود بِقَرْع أو إنبيق ، فيخرج ابيضَ (اي يقطر) ، واجوده أشدُّهُ بياضاً (أي نقياً من الشوائب) ... » .
ثم يعدد فوائده الطبية على غرار ما سبق ذكره . ويقول صاحب « المعتمد »:
« جاء في كتاب الحكيم أبي الفضل حسين بن إبراهيم التّفليسيّ : النفط معروف ، وهو صنفان : أبيض ، وأسودُ . وأجوده الأبيض الذّكيُّ الرائحة . وهما حارّان يابسان . وهو ينقّي الأمعاء ، وينفع من الفالج واللّقْوَة ، ويضر بالرئة وآلات التنفس ، وترفع مضرته بلُعاب السَّفَرْجَل، والشُّرْبَة منه درْهَم .

* * *

(١١) تأليف الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول الغساني التركماني ، صاحب اليمن ، المتوفى سنة ٦٩٤ ﻫ الطبعة الثانية ١٩٥١م مصر

مُتَطَلَّبَاتُ التكامل

بين التعليم النظامي والتعليم غير النظامي

الدكتور ساطع حسن الراوي
عضو المجمع العلمي العراقي
ورئيس الجهاز العربي لمحو الامية
وتعليم الكبـــار

إن الهدف من هذه الورقة هو التعرف على :

(١) كيفية تحقيق التكامل بين التعليم النظامي المدرسي والتعليم غير النظامي المتمثل في محو الأمية وتعليم الكبار .

(٢) متطلبات هذا التكامل لتكون المواجهة شاملة ، والبحث في القنوات والجسور التي تضمن تحقيق التكامل بين النمطين من التعليم النظامي وغير النظامي يقتضي منا عطاء توضيحات وخلفيات للأمور الآتية .

- مبدأ التكامل من حيث المفهوم .
- تحليل واقع التعليم النظامي في البلاد العربية المتمثل في المدرسة النظامية .
- تحليل واقع التعليم غير النظامي المتمثل في حملات محو الأمية في البلاد العربيـــة .
- تأثير التعليم النظامي على تفشي الأمية في البلاد العربية .
- تأثير تفشي الأمية على التعليم النظامي في البلاد العربية .

أولاً : مبدأ التكامل من حيث المفهوم :

_ هو النظرة الشمولية الكلية للحياة واعتبار المجتمع كلا واحدا متناسق الجوانب والقطاعات ، وهذا يعني أن تسير التنمية في المجتمع بصورة متوازية في كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتربوية ، ولعل نجاح الثورات وتحقيق أهدافها يعتمد في المقام الأول على مدى الاهتمام ببنية المجتمع ونظامه ككل وعدم التركيز على ناحية من نواحي المجتمع وترك النواحي الاخرى . .

ان تقدم جزء من المجتمع أو احداث تغيير في أحد قطاعاته بمعزل عن الجوانب الأخرى ليس من الضروري أن يؤدي الى تغيير في المجتمع كله وقطاعاته الاخرى. أما النظرة الكلية والتغيير الجذري لبنية المجتمع ونظامه فيمكن أن يهيئ المجال لحدوث تغييرات في اجزائه المختلفة ، وعليه فان معالجة قضية تخطيط التربية بمعزل عن خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية وعدم ربطهما معا سيؤدي الى ضياع في الوقت واهدار في الجهد وتبذير في المال وعدم ضمان في النتائج ، وبنفس الوقت أصبح ربط خطط التربية بعضها ببعض في كل مستوياتها كافة ومراحلها المختلفة أمراً ضرورياً ، كما أن مفهوم التكامل يعنى في أعمق معانيه التوافق بين المبدأ والتطبيق والاتساق بين النظرية والتجريب .

وتجسيد هذا المفهوم الواسع للتكامل وتطبيقه في الحياة العملية يعني اذابة الفوارق بين العمل الذهني والعمل اليدوي ، وبين حياة الريف وحياة المدينة وبين حياة العمال والفلاحين وحياة المثقفين . ان ازالة هذه الفوارق الثلاثة يدعو بالضرورة ليس الى ربط النظام التعليمي بالعمل النافع اجتماعياً والتصاق المتعلمين بحياة الجماهير ومتطلبات المجتمع فحسب بل يتضمن أيضاً دفع الطبقات الكادحة من عمال وفلا حين الى التعليم والتعليم اكثر ، والتدريب والمزيد من التدريب اثناء العمل للنمو الذاتي وزيادة الانتاج .

كما يعنى مفهوم مبدأ التكامل مد الجسور والمعابر بين التعليم النظامي المتمثل بالمدرسة والتعليم غير النظامي المتمثل بمؤسسات محو الامية وتعليم الكبار في اطار التعليم المستمر والتربية الدائمة مدى الحياة .

ثانياً : واقع التعليم النظامي في البلاد العربية : وتحليله :

تعرف التربية من وجهة نظر المربين المحدثين بانها حياة ، وعليه فنظامها نظام حياتي في جرهرة يتأثر ويؤثر ، يقود ويقاد . اما العوامل التي تؤثر في صياغة فلسفته وأهدافه ومناهجه ومحتواه وطرائقه وأساليبه فهي عوامل داخلية وعوامل خارجية . والعوامل الداخلية تتمثل في التلاميذ – عمرهم الزمني وعمرهم العقلي، حاجاتهم ، مشكلاتهم ، ميولهم ورغباتهم – اما العوامل الخارجية فهي تتمثل بالمجتمع فلسفته ، نظامه السياسي، حاجاته ، مشكلاته ، تطلعاته المستقبلية . والنظام التعليمي الحي ذو المردود الانتاجي الجيد هو النظام الذي يوفق بين المتغيرين : يلبي حاجات التلاميذ ورغباتهم ويحقق أهداف المجتمع وتطلعاته في الحياة الحرة المتجسدة في توفير الخبز مع حفظ الكرامة لجماهير الشعب كافة من دون تمييز طبقي أو اجتماعي .

والسؤال الذي يطرح نفسه : هل الانظمة التعليمية في الوطن العربي تتسم بهذه السمة الشمولية في تلبية حاجات التلاميذ وتساهم في تحقيق أهداف المجتمع العربي في التصدي للمشكلات المصيرية التي تتحدى ضميره وتهدد كيانه ووجوده ؟ .

ان الاجابة على هذا السؤال يستدعي منا التقصي في الجذور التاريخية لهذه الانظمة التعليمية ثم تحليل واقعها وابراز أهم السمات التي تتسم بها هذه الانظمة مما سيساعد على إعطاء الحكم والاجابة عن السؤال .

أن الموضوعية تتطلب منا الاعتراف بان أغلبية الدول العربية اهتمت بنشر التعليم

النظامي والانفاق عليه . فلقد بلغ متوسط الانفاق على التعليم ٥٪ من مجموع الدخل القومي و ٢٥٪ من الموازنة العامة . ونتج عن ذلك توسع كمي كبير. حيث ارتفع عدد المسجلين في التعليم الابتدائي من حوالي ٧ ملايين تلميذ وتلميذة عام ١٩٦٠ الى قرابة ٢٠ مليون في عام ١٩٨٠ وارتفع عدد المسجلين في التعليم الثانوي بانواعه المختلفة من حوالي ٢/١ مليون الى حوالي ٨ ملايين خلال نفس المدة . اما بالنسبة للتعليم العالي فقد ارتفع العدد من ١٦٣ الف الى ٢/١ مليون طالب وطالبة . وقد نجم عن هذا التوسع ؛ ارتفاع في نسب التسجيل الاجمالية من ٤٦ ٪ الى اكثر من ٧٥ ٪ في المرحلة الاولى ومن ١١ ٪ الى ٣٥ ٪ في المرحلة الثانية ومن ٣ ٪ الى ٧ ٪ في التعليم العالي خلال العقدين المذكورين .

وقد نشأ التعليم النظامي في الأصل لخدمة القطاع الحديث في النشاط الاقتصادي والاجتماعي ، وخاصة لخدمة الادارة الحكومية . وقد تم لذلك توسع كبير في المرحلتين الثانوية والعالية بهدف تغطية الاحتياجات من القوى العاملة المؤهلة للاعمال المكتبية والحكومية .

وقد جرى نقل نظام التعليم النظامي في مجموعة من نماذج خارجية دون تفاعل يذكر مع البيئة المحلية في الاقطار العربية وقد أعطيت الاولوية ، في النظم التعليمية ، لتعليم الصغار ، وبخاصة في المرحلة الابتدائية ولم يعتن عناية تذكر بتعليم الكبار خارج المدرسة . ومن ناحيه أخرى فقد خضع توجيه التعليم لاعتبارات الطلب الاجتماعي والمواءمة السياسية بدلا من ان يوجه لسد مطالب التنمية من الكوادر الفنية المؤهلة . وقد ادى هذا اولا الى توسيع التعليم العام خاصة في المرحلة الثانوية على حساب التعليم الفني ، كما ادى ثانياً الى التوسع الكمي على حساب الكيف التعليمي . ورغم ذلك التوسع فما زالت الانظمة التعليمية العربية قاصرة عن استيعاب الاعداد المتوافرة بالدرجة اللازمة خاصة في المرحلة الاولى مما ساهم في تفاقم مشكلة الامية . ويلاحظ في هذا المجال انخفاض التسجيل

الصافي بمقدار كبير عن معدل التسجيل الاجمالي . فبينما بلغ معدل التسجيل الاجمالي في المرحلة الابتدائية في عام ١٩٧٩ ، ٦٨ ٪ كان معدل التسجيل الصافي ٥٨ ٪ فقط ، أي انه من بين مجموع أطفال الامة العربية البالغ عددهم ٢٤ مليوناً آنذاك ، بقي خارج المدرسة الابتدائية نحو ١٠ ملايين طفل تقريباً ، فاذا أضيف المتسربون من المدارس الابتدائية الى هؤلاء ارتفع العدد الى نحو ١٣ مليون طفل وطفلة يغذون رصيد الامية في الوطن العربي خلال سنة واحدة . ونتيجة لغلبة كفة التعليم العام والأكاديمي على التعليم الفني في الاقطار العربية حدثت اختلالات مهمة بين تركيبة المهارات التي اخرجتها الانظمة التعليمية وحاجات النشاط الاقتصادي الاجتماعي المختلفة ، مما ادى الى بطالة الخريجين في بعض الاختصاصات مع وجود اختناقات في اختصاصات أخرى . ولم يساهم التوسع التعليمي في الاقطار العربية في احداث حراك اجتماعي كبير ولم يزل التعليم الثانوي والعالي يقدم للقلة ويستأثر باكثر مخرجاته ذوو المكانة والمنزلة الاجتماعية والاقتصادية المميزة . كما أن التعليم لما يزل متحيزا للمدينة على حساب الريف وللبنين على حساب البنات (١) .

أما من الناحية النوعية فيمكن القول بأن الانظمة التعليمية في البلاد العربية بصورة عامة أنظمة غريبة عن الوطن العربي تؤدي في كثير من الأحوال الى فصل العناصر المتعلمة عن بيئتها وتحولهم الى افراد ذوي انماط سلوكية استهلاكية فوق مقدور مجتمعاتهم النامية لانها من حيث فلسفتها وأهدافها في الغالب مستمدة من أنظمة الغرب ومنقولة من نماذج خارجية دون تفاعل واضح أو جدي مع البيئة العربية لذا فهي ما زالت تفتقر الى الاصالة والارتباط المباشر بتربة الوطن وجذوره التأريخية ويبدو عليها :

---

(١) دكتور ابراهيم سعدالدين وآخرون ،الوطن العربي سنة ٢٠٠٠ : المستقبل العربي مركز دراسات الوحدة العربية عدد ١٩/ايلول سنة ١٩٨٠ ص ٩ — ١٠ .

(١) انها تقليدية وليست حديثة لانها تفتقر في جوهرها الى المعاصرة والتجديد .
(٢) انها نظرية لاهمالها النواحي العملية .
(٣) انها متحيزة لانها موضوعة لتناسب الصفوة المختارة من التلاميذ عقلياً واجتماعيا.
(٤) انها برجوازية وليست شعبية لانها تهمل الاغلبية الساحقة من الجماهير المسحوقة لاسيما تلك الفئة التي حالت ظروفها دون الاستفادة من التعلم .
(٥) انها جزئية وليست كلية شاملة لانها تركز على الجوانب المعرفية للشخصية وتهمل النواحي السلوكية والوجدانية والمهارية .

لقد ادرك كثير من المسؤولين في البلاد العربية ان الانظمة التعليمية العربية انظمة فيها كثير من السلبيات و تحتاج الى اصلاح بل تغيير في جوهرها ومحتواها . ولا ينكر أن بعض البلاد العربية بذلت ولا تزال تبذل المحاولات المتواصلة للتجديد وتسعى الى التصدي للمشكلات التي تعاني منها هذه الانظمة التعليمية بهدف اصلاحها ، الا ان هذه الاصلاحات التي اجريت جاءت على العموم اصلاحات جزئية وليست كلية ، اصلاحات ترقيعية وليست جذرية : اصلاحات شكلية وليست جوهرية لأن اصلاح التربية لا يكون الا بتغيير نظامها بصورة كلية : فلسفة ، وأهدافاً ومحتوى ؛ وهذا لا يمكن ان يتحقق الا في اطار تغيير فلسفة المجتمع ونظامه الكلي .

ثالثاً : تحليل ظاهرة الامية في البلاد من حيث الحجم والاسباب والنتائج :

العالم الذي نعيش احداثه اليوم عالمان ، عالم معاصر يعيش في تقدمه ، وعالم متخلف يعيش في تأخره . والظواهر والصفات التي تميز المجتمعات المتقدمة عن المجتمعات المتخلفة كثيرة ومتعددة ؛ ولعل أبرز هذه السمات المميزة هي مدى انتشار الامية بين جماهير الشعب وقواه العاملة . فالامية اذن ظاهرة حضارية متخلفة مرتبطة بالبيئة الاجتماعية والنظام السياسي والاقتصادي للمجتمع . بل هي

حصيلة هذا التردي والتخلف في الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية كما أنها احدى الافرازات الضارة لهذا التخلف في البيئة الاجتماعية والنظام السياسي . انها عامل مؤثر وسبب فعال في تكريس وتعزيز التخلف والتأخر في هذه الانظمة . وهذا يعني أن الأمية المتفشية بين الاوساط العريضة من الشعب تعتبر بحق أكبر وأخطر معوق للتقدم السياسي والاقتصادي والاجتماعي في المجتمع فالامية ظاهرة عالمية خطيرة تهدد أمن البشرية وسلامها وقد اعتمدت الامبريالية العالمية سياسة التجهيل ونشر الامية بين صفوف الشعوب المضطهدة من أجل إحكام عملية السيطرة والتسلط واستمرار استغلال الطاقات البشرية والثروات المادية في هذه البلدان كما انها ظاهرة لا إنسانية تحرم الانسان من انسانيته وتبعده عن آدميته وكونه من البشر يختلف في طراز معيشته عن الحيوانات ـ المتجاوبة مع الظواهر الطبيعية من دون تغيير أو تحوير لها .

وعلى الرغم من التقدم الذي احرزته البشرية على أثر الثورة العلمية التكنولوجية المعاصرة الا أن جزءاً كبيراً من العالم وخاصة في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية الذي يوصف بالعالم النامي لا تزال تعيش الغالبية الساحقة من مواطنيه عيشة بدائية متخلفة ، قوامها الحرمان من الحد الادنى لمتطلبات الحياة الكريمة فالمستوى المعاشي للفرد متردٍ ، والامراض واسعة الانتشار والجهل والامية كثيرة التفشي . ان نسبة الامية في العالم الثالث أصبحت عالية تجاوزت ٤٧٫٧٪ وهذه نسبة رهيبة تهدد مصير هذه المجتمعات ووجودها ، اما عدد الاميين فقد ازداد الى الحد الذي جعل العالم محروما من أهم مقومات التنمية والتقدم وخاصة بعد أن أصبحت تنمية الثروة البشرية أغلى رأسمال بل هي المولدة للثروة المادية وبانية الاقتصاد الوطني ومحرر عمليات التنمية والتقدم .

رصد الواقع العربي وتحليله : ـ

ان الوطن العربي وهو جزء من العالم الثالث الذي تعاني شعوبه من وطأة

التخلف يجابه اليوم أكبر تحد حضاري معاصر عرفه تاريخها – ان هذا التحدي الحضاري مكنه في المواجهة الشاملة للامية المتفشية بين الجماهير الشعبية – جماهير الكادحين من عمال وفلاحين وكسبة ؛ وهذه الجماهير التي هي عماد الاقتصاد القومي وهي ركن الجيش الرسمي والشعبي المجابه للاستعمار وحليفته الصهيونية والتخلف . وتشير معظم الوثائق المعنية بتقدير حجم مشكلة الامية الى انخطر الامية ما يزال متفاقما رغم الجهود الطويلة التي بذلت وتبذل لمواجهتها ، حتى أصبحت هذه المشكلة عبئاً ينوء به كاهل كل قطر عربي لقصور الامكانات البشرية والمادية والفنية عن التصدي لمصادرها ومظاهرها وآثارها .

وبرغم المبادرات التي قدمت في سبيل تطوير اساليب المواجهة الا ان الواقع يفزع من يتعمق فيه ويكشف بوضوح عن أن الجهود المبذولة وحتى الآن قد عجزت عن الوفاء بمتطلبات النجاح كما وكيفا :-

فمن حيث الكمْ يكشف الواقع العربي عن أن نسبة المستوعبين في التعليم الابتدائي من الاطفال في سن الالزام يبلغ في متوسطها ٦٧٫٢٪ عام ١٩٧٨ اي ان عدد الملتحقين بالتعليم الابتدائي هو ١٩٫٥ مليون اي ما يقارب ٩٫٥ مليون طفل عربي هم خارج التعليم الابتدائي ، وهذه الحقيقة تعني أن حوالي ثلث الاطفال العرب في سن الالزام لا يجدون مكانا في التعليم الابتدائي .

وهذه النسبة لو أضيفت الى المتسربين عن التعليم الابتدائي ، ثم اضيفت اليهما نسبة من لا ينجحون في الشهادات الابتدائية ، كل هذا يكون رصيدا متجددا سنويا يضاف الى الرصيد الحالي للاميين .

ويكشف الواقع العربي ايضاً ان نسبة المستوعبين من أطفال الحضر اكبر بكثير من مثيلها للاطفال في الريف والمناطق البدوية كما ان نسبة المستوعبين الذكور أعلى من مثيلها لدى الاناث في جميع الاحوال .

والامية في البلاد العربية مشكلة ليس من الميسور تقدير حجمها تقديراً دقيقاً

فالاحصاءات المنهجية في هذا المجال لم تثبت بعد قواعدها ولم تقنن اصولها ، مما يفسح مجالا للظن في ان تكون المقولات الاحصائية في هذا الشأن قابلة للزيادة او النقصان . الا أن ذلك لا يبرر النسب المرتفعة التي استمر تداولها عن قصد . اما تقليلا لشأن الامة العربية وأما تضخيما لحجم الامية لتبرير العجز عن مواجهتها.

ففي دراسات حديثة اجراها الجهاز العربي لمحو الامية وتعليم الكبار مستندا فيها على البيانات الرسمية التي قدمتها خمس عشرة دولة عربية أمكن الوصول الى نسبة الامية في الفئة العمرية (١٥ - ٤٥) في الوطن العربي في عام ١٩٧٨ تتراوح بين ٢٤٫٩ - ٧٧٦٫٦٪ ، بمتوسط بلغ ٤٦٫٩٥٪ ، ويأخذ نسبة الانخفاض ٢٫٤٢٪ ، وتقدر الدراسة اعداد الاميين في الوطن العربي في عام ١٩٨٠ بحوالي بحوالي ٢٨٫٨ مليون امي في الفئة العمرية (١٥-٤٥) سنة ، والجدولان الآتيان يوضحان نسبة الامية في الاقطار العربية مقارنة مع نسبتها في العالم المتقدم والعالم النامي .

وتصل الدراسة في تقصيها لاوضاع الامية في الوطن العربي الى الحقائق التالية :

- ان نسبة الامية في الوطن العربي ما زالت بمستوى المتوسط العالمي .
- ان نسبة الامية بين الاناث اعلى منها بين الذكور ، فبين كل خمسة اميين هناك ثلاث اناث .
- ان النقص في نسب الامية يسير بمعدلات اسرع من المعدل العالمي .
- ان النقص المتميز في نسبة الامية لا يمنع من الزيادة المستمرة في العدد المطلق للاميين .
- وان معدل التناقص في نسب الامية يتجه نحو التفاوت بين الدول العربية.

لقد عجزت الجهود حالياً عن الوفاء بمتطلبات النجاح اوقيست بمقياس الكم او بمقياس الكيف . فمن حيث الكم تبدو الجهود المبذولة ضئيلة قاصرة اذا قيست بحجم المشكلة في شتى ابعادها فبكل ما توافر لهذه الجهود من امكانات مادية وبشرية لم تزد نسبة الانخفاض السنوية عن ٢٫٤٪ من متوسط نسبة الامية في

جدول رقم (١)

نسبة الامية في البلاد العربية في السنوات ٦٨/٧٣/١٩٧٨

الدولة	نسبة الامية المقدرة %		
	١٦٦٨	١٦٧٣	١٦٧٨
الاردن	٤٥ر٦٠	٣٤ر٦٠	٣٤ر٩٠
الامارات	٦٦ر٥٠	٤٨ر٧٥	٣١ر٠٣
البحرين	٦٥ر٠٠	٤٨ر١٦	٣٦ر٠٦
تونس	٦٨ر١٠	٥٨ر١٠	٤٨ر٣
الجزائر	٧٨ر٣٠	٧٣ر٣٠	٦٨ر٣٠
السعودية	٨١ر١٧	٦٩ر٧٧	٥٧ر٩٢
السودان	٧٥ر٥٠	٦٢ر٠٠	٤٨ر٢٠
سوريا	٥٥ر٨٠	٥٠ر٠٥	٤٤ر٣٠
الصومال	٧٤ر٥٠	٥٧ر٠٠	٣١ر٥٠
العراق	٧٥ر٢٠	٦١ر٢٠	٤٧ر٢٠
الكويت	٧١ر٠٠	٥٢ر٦٤	٣٦ر٥٠
ليبيا	٦٦ر٠٠	٥٢ر٠٠	٣٨ر٠٠
مصر	٦٥ر٧٠	٥٩ر١٠	٥٢ر٥٠
اليمن العربية	٩٢ر٠٠	٨٤ر٠٠	٧٧ر٦٠
اليمن الديمقراطية	٨٠ر٢٠	٦٦ر٢٠	٥٢ر٨٠
المتوسط	٧٠ر٧٦	٥٨ر٥٢	٤٦ر٩٥

جدول رقم (٢)

نسبة الامية في مناطق العالم لعام ١٩٨٠

المنطقة	ذكور	اناث	اجمالي	اعداد الاميين بالالاف
الوطن العربي	٢٧ر٧	٥١ر٥	٤٢ر٢	٢٨ر٨٠٠
العالم	٢٣ر٠	٣٤ر٧	٢٨ر٦	٦٢٦ر٥٢٤
افريقيا	٤٨ر٠	٧٢ر٨	٦٠ر٦	١٥٥ر٧٦٣
امريكا اللاتينية	٢٤ر٨	٣١ر٣	٢٨ر١	٤٤ر٢٨٠
امريكا الشمالية	٠ر٥	٠ر٥	٠ر٥	٩٤٨
اوربا	١ر٨	٤ر٣	٣ر١	١١ر٥٦٤
اوربا الغربية	٠ر٥	٠ر٥	٠ر٥	٦١١
اوربا الشرقية	٢ر١	٣ر١	٢ر٢	١٠ر٨٤٥
شرق آسيا	١ر١	٣ر٧	٢ر٤	٢ر٨٦١
جنوب آسيا	٣٩ر٢	٦٣ر٢	٥١ر٠	٤٠٢ر١٥٧
اوقيانوسيا	٧ر٠	٩ر٧	٨ر٣	١ر٣٤٨
الاتحاد السوفيتي	٠ر٥	٠ر٥	٠ر٥	١ر٠١٥
العالم المتقدم	١ر٢	٢ر٣	١ر٨	١٥ر٩٤٤
العالم النامي	٣٧ر٢	٥٨ر٣	٤٧ر٧	٦٠٤ر٠١٤

الوطن العربي : والناجحون لم تتعد نسبتهم ١٪ من جميع الاميين سنويا وهو عائد غير مشجع بأي مقياس ، ولو سرنا بالمعدل الحالي فلا ينتظر ان نمحو الامية قبل قرن من الزمان هذا على افتراض ان عدد الاميين ثابت وهو افتراض يهدمه النمو المطرد من الزيادة السكانية في الوطن العربي ، كما ان قصور التعليم الاساس عن استيعاب جميع الملزمين يزيد من حجم المشكلة وتعقيداتها .

ويكشف الواقع العربي من حيث الكيف ان الجهود المبذولة لم ترق بعد لمستوى المواجهة من حيث المسايرة لمتطلبات التقدم الحضاري المعاصر وبخاصة في الجوانب المادية التي تتمثل في التقدم التكنولوجي ، وما يزال أمر مواجهة الامية محصوراً بين براثن الابجدية التي تؤكد على توصيل مهارات القراءة والكتابة والحساب للاميين دون ربطهم ببيئتهم ربطاً عضوياً يرقون فيه لمستوى الوعي بما يدور في مجتمعاتهم والعالم المحيط سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ، للتمكن من الاسهام الكفوء والفعال في تطوير انفسهم ومن ثم تطوير مجتمعاتهم .

ومعنى هذا أن الجهود الحالية بالاسلوب التقليدي لم تكن في مجموعها — كما وكيفا — على مستوى المسؤولية القومية والتاريخية الملقاة على عاتق الامة العربية ؛ ومن ثمة كان من الضروري البحث عن مخرج من هذا المأزق التاريخي الذي وقعت فيه الامة العربية ، وهذا المخرج يتمثل في الاستراتيجية العربية لمحو الامية في البلاد العربية التي أخذت بالمفهوم الحضاري للامية باسلوب المواجهة الشاملة .

رابعاً : تأثير التعليم النظامي على تفشي الامية في البلاد العربية :

قبل أن نبدأ في مناقشة العلاقة بين التعليم النظامي المدرسي وحملات محو الامية من حيث الاسباب والنتائج نود أن نؤكد على أن اهتمامنا في معالجة مشكلة الامية لا يعني أبعاد هذه المشكلة عن عمليات تعليم الكبار ومبدأ التعليم المستمر والتعلم الذاتي ، لان مكافحة الامية هي أصلا عنصر من عناصر تعليم الكبار

ووجه من وجوهه ، كما أنها الخطوة الاولى في طريق التعليم المستمر والتربية الدائمة مدى الحياة ، فضلا عن أنها أساس التعلم الذاتي ؛ ولذلك فالتركيز على حملات مكافحة الامية ليس الا بحكم ترتيب الاولويات وتنظيم الاسبقيات لاكثر المشاكل الاجتماعية والتربوية التهابا والحاحا وأهمية بل خطرا على مستقبل الشعب العربي وأهدافه في تحقيق الوحدة العربية والتحرر من الاستعمار والصهيونية والتخلف .

ان ادراكنا لنشاطات محو الامية بصورتها القائمة كنشاط مرحلي مؤقت سينتهي في المستقبل ، يدعونا الى ضرورة التفكير في أن يكون من أهداف استراتيجية محو الامية الرئيسية هو تطوير فلسفة ومجالات تعليم الكبار في اطار التعليم المستمر والتربية الدائمة مدى الحياة .

• مصادر الامية في البلاد العربية :

لو نظرنا الى فئات الاميين في المجتمع العربي لوجدنا انهم ينتمون الى ثلاث فئات رئيسية هي :

— الفئة الاولى :

وتشمل الافراد الذين فاتتهم فرص التعليم في المدارس الابتدائية بسبب ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية المتردية وبسبب عجز الدولة وتقصيرها عن تقديم التعليم لهم في سن المرحلة الابتدائية ، ولقد كشفت الاحصاءات على أن ما يضاف الى قائمة الاميين من الاطفال الذين لم ينضموا الى التعليم الابتدائي اكثر بكثير ممن محيت أميتهم والذلك فلا أمل لمكافحة الامية الا بمعالجة هذه المشكلة وسد المنبع من مصدره .

— الفئة الثانية :

وهي فئة المتسربين من الاطفال ممن يتركون المرحلة الابتدائية قبل نهايتها لاسباب

تربوية ونفسية واجتماعية واقتصادية . ونسبة التسرب في المدارس العربية نسبة كبيرة تؤدي الى ضعف مردود النظام التعليمي وزيادة كلفته .

— الفئة الثالثة :

وهي فئة المرتدين الى الامية بعد أن محيت اميتهم الاولية ولم يتابعوا التعليم على المستوى الوظيفي ، كما تشمل هذه الفئة المتسربين من مراكز محو الامية في مرحلتي الاساس والتكميل والذين انقطعوا عن الدراسة لاسباب تربوية تتعلق « بغياب المنهج العلمي المتكامل في عملية محو الامية وعدم نشوء علم يلم بأصول العملية التربوية للكبار بالاضافة إلى الاسباب الاجتماعية والاقتصادية »[1]

من هذا العرض لتصنيف فئات الاميين ونوعياتهم وللاسباب الرئيسية التي أدت الى اصابتهم بهذا المرض الاجتماعي القتال الذي ينخر بجسم الفرد المصاب وكيان المجتمع الذي يعيش فيه يتبين لنا أن المصدر الاول للامية هو مجموعة الاطفال ممن تتراوح أعمارهم بين ٦ — ١٥ سنة ولم يقبلوا في المدرسة الابتدائية . وقد كشفت الاحصاءات لعام ١٩٧٨ أن نسبة المستوعبين في التعلم الابتدائي : من الاطفال العرب الذين في سن الالزام ، قد بلغت ٦٦٪ في المتوسط ، على ان هذه النسبة قد تزيد او تقل في بعض البلدان العربية بحسب ظروف كل بلد . وهذا يعني ان ما يقرب من ثلث الاطفال العرب الذين في سن الالزام لا يجدون مكاناً في التعليم الابتدائي . وبالتالي يكونون رصيدا متجددا من الاميين يضاف الى الرصيد الحالي في كل عام .

ومن الملاحظات المهمة في هذا الصدد . ان نسبة المستوعبين في التعليم الابتدائي من اطفال القرى اقل بكثير من نسبة المستوعبين بين اطفال المدن كما ان نسبة المستوعبين من الاطفال الاناث تقل عن نسبة المستوعبين من الاطفال الذكور في جميع الاحوال .

(١) د. محيي الدين صابر / حوار حول قضايا محو الامية / مجلة تعليم الجماهير / الجهاز العربي لمحو الامية وتعليم الكبار . العدد الاول / سبتمبر ١٩٧٤ ص ٢٣ .

من هنا تظهر العلاقة العضوية بين التعليم النظامي في المرحلة الابتدائية وتفشي الامية . فكلما استوعب النظام التعليمي النمطي المدرسي كل الاطفال ممن هم في سن التعليم الابتدائي من الفئة العمرية ٦ ـ ١٥ سنة ، قلت الامية بل انعدمت . وظاهرة غياب الامية نجدها في الدول المتقدمة التي قامت على توسيع التعليم وتعميمه وتطبيق الزاميته ليس في المرحلة الابتدائية فحسب بل مده للمرحلة المتوسطة ، والمرحلة الثانية في النظام التعليمي . .

ان التحليل البسيط للعلاقة بين التعليم الابتدائية ومحو الامية يبين لنا كيف أن المصدر الاساسي والمستودع الممول للامية هو التعليم الابتدائي . وسيبقى عجز النظام التعليمي وعدم قدرته على استيعاب كل الاطفال من ذكور وأناث ممن هم في سن التعليم الابتدائي المنبع الرئيسي والممون السخي لجيش الامية ، وستبقى الامية منتشرة بنسبتها العالية وحجمها المتزايد طالما هناك اطفال ليس لهم فرصة للتعليم ومكان في المدارس وهنا تظهر بوضوح عماية التكامل بين التعليم المدرسي ومحو الامية .

أما المصدر الثاني الممول لجيش الامية فهو فئة المتسربين والمفقودين والمنسحبين من التعليم الابتدائي . ان ارتفاع نسبة التسرب والفاقد في التعليم الابتدائي يبرز ضعف الكفاءة الداخلية لهذا التعليم وعدم قدرته على تحقيق غاياته والحصول على مردود يتناسب ومستوى الجهود المبذولة والاموال الكبيرة التي تنفق من خزينة الدولة عليه .

أن ظاهرة التسرب والرسوب ان دلت على شيء فانما تدل على ان التعليم في وضعه الحالي في البلاد العربية تجارة غير مستثمرة استثماراً رشيدا لان ما ينفق عليه لا يوجه الا لتنمية عدد قليل من الثروة البشرية . ولعل من نافلة القول ومكرر الكلام ان تبين كيف أن التربية لم تعد عماية استهلاكية بل أصبحت عملية استثمار الرأسمال البشـــري وتوجيهه لخدمة التنمية القومية . فلقد دلت الدراسات

التي اجريت في البلاد الرأسمالية والبلاد الاشتراكية على أثر التربية في زيادة الانتاج ومضاعفة الدخل القومي وتحسين مستوى معيشة الفرد والتعجيل في عملية التنمية القومية والتقدم الوطني . » كما أن التجارب تشير الى أن التعليم البسيط الذي حصل عليه العامل في سنة واحدة زاد من انتاجيته بنسبة ٣٠٪ والذين تعلموا في (٤) سنوات زادت انتاجيتهم على انتاجية الاميين بنسبة ٣٤٪ والمتخرجين في الثانوية العامة تزيد انتاجيتهم على انتاجية الاميين بنسبة ١٠٨٪ ، أما خريجو الجامعات فتزيد انتاجيتهم على انتاجية الاميين بنسبة ٣٠٠٪ »[1] .

أما المصدر الأخير للامية فهو فئة المتسربين من مراكز محو الامية والمرتدين الى الامة ثانية لغياب المتابعة والاستمرار في التعليم .

خامساً : تأثير تفشي الامية على التعليم النظامي في البلاد العربية :

. بعد أن بينا مدى تأثير التعليم المدرسي النظامي على زيادة حجم الامية وانتشارها سواء أكان من الناحية الكمية لعدم قدرة التعليم الابتدائي على استيعاب كل الاطفال الذين هم في سن التعليم أو من الناحية النوعية وأثرها في رفع نسبة الرسوب بين الاطفال المقيدين في المرحلة الابتدائية ، يجدر بنا أن نتناول تأثير الامية وانتشارها بين الجماهير على التعليم النظامي المدرسي . ولعل من البديهي التأكيد على العلاقة الوطيدة بين ظاهرة الفقر وظاهرة الجهل من حيث النتائج والاسباب ، وهذا يعني أن الفرد الجاهل الفقير (الامية المركبة) لا يعرف قيمة العلم ولا يدرك طعم المعرفة كما أن التعليم المدرسي بمفهوم الامي ليس الا امتيازاً للاغنياء وأصحاب النفوذ ممن يقدرون على تحمل أعبائه المالية والحياتية . فجهل الامي بأهمية المعرفة والعلم ونظرته الى التعليم المدرسي على أنه امتياز ينعكس على مستقبل عائلته من

---

(١) زهدي الخطيب / مشروع اليونسكو لتخطيط التربية وتطويرها في سلطنة عمان / مجلة تعليم الجماهير / الجهاز العربي لمحو الامية وتعليم الكبار ، العدد ٥ يناير ١٩٧٦ ، ص ٢٩ .

بنين وبنات . فكلما زاد الوعي الاجتماعي بين الجماهير وكلما قضي على الامية أمية المجتمع ، كلما أدرك رب الاسرة أهمية العلم ولمس منفعته وأصبح الاقبال على التعليم المدرسي أكثر وأوسع ، لان المجتمع أخذ يدرك أن لا مكان ولا مستقبل لمن لا يتعلم ويستثمر امكانيته عن طريق التعليم ، فالمجتمع الامي يفرز أميين والمجتمع المتعلم هو مجتمع معلم يفرز متعلمين وينبذ الاميين ، وهنا يأتي دور الحوافز والتوعية في حملة مكافحة الامية الشاملة .

كما أننا نجد انعكاسات المجتمع الأمي والعائلة الأمية على التعليم المدرسي في المواظبة والدوام ، فقلما تتحقق مواظبة مدرسية كاملة من قبل الاطفال الذين يعيشون في مجتمع أمي أو أسرة جاهلة وهذا مما يؤدي الى ارتفاع نسبة الرسوب وبالتالي زيادة المتسربين والمرتدين الى الأمية .

هذا بالاضافة الى أن الاطفال في المجتمع الامي أو الاسرة الامية هم عرضة أكثر من غيرهم لنسيان ما تعلموه بعد فترة قصيرة من تركهم المدرسة مما يؤدي بهم الى الانتكاس والارتداد مرة أخرى ليصبحوا أميين لغياب الجو المناسب في البيت ذلك الجو المساعد على المذاكرة ومواصلة الدراسة [1] . فاقبال الاطفال على التعليم المدرسي والمثابرة على حصوله ومتابعة الدراسة فيه مقترن الى حد كبير بالمستوى التعليمي للوالدين بالاضافة الى المستوى الاقتصادي والاجتماعي . وقبل أن ننهي مناقشتنا في تأثير الامية ، أمية البيت والمجتمع على التعليم المدرسي النظامي ، يجدر بنا أن نشير الى أن تربية الاطفال في الفترة السابقة لدخولهم المدرسة الابتدائية سواء تمت في البيت أو في رياض الاطفال تعتبر مرحلة أساسية في تحديد مستقبل

(١) د. اوكيدارا / العلاقة بين التعليم النظامي وغير النظامي في افريقيا / مجلة تعليم الجماهير / الجهاز العربي لمحو الامية وتعليم الكبار ، العدد ٥ يناير ١٩٧٦ ، ص ٤٩ .

الاطفال ، فلقد كشفت البحوث والدراسات المعاصرة أهمية هذه المرحلة الحيوية في تفتح القابليات وتنمية المواهب والاتجاهات والمواقف والقيم مما يؤثر في تكوين شخصية الطفل وصياغة عقليته ، ولعل أحدالاسباب في فشل المحاولات الاصلاحية السابقة في النظام التعليمي في البلاد العربية هو اهماله هذه المرحلة ، وبدون الاهتمام بهذه المرحلة وإنشاء مدارس لرياض الاطفال ستضاعف جهود المدرسة الابتدائية وتصبح مهمتها لا تقتصر على التربية بل إعادة بناء التربية والخبرات التعليمية التي اكتسبها الاطفال من البيت وهي تتضمن عملية هدم وبناء . وعليه إن رسم أي سياسة تربوية شاملة أو وضع أي استراتيجية لمكافحة الامية لا يمكن أن يضمن لها النجاح الا اذا شمل في التصور رياض الاطفال ودور الحضانة .

الوسائل المقترحة لسد ثغرات الامية في اطار النظرة الشمولية للتربية :

أن هذه الخلفية للعلاقة السببية تأثرا وتأثيراً بين تفشي الامية والتعليم النظامي يدعونا الى التفكير في رسم الطرق لربط حركة محو الامية بالتعليم النظامي المدرسي في مراحله المختلفة والسعي لايجاد الوسائل ومد القنوات التي تصل بينهما تحقيقاً لمبدأ التكامل والنظرة الشمولية للتربية وأجهزتها ومن هذه الوسائل :

١- تعميم التعليم الابتدائي وتطبيق الزاميته للاطفال الذين هم في سن المرحلة الابتدائية . إن تبني ديمقراطية التعليم وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص لكل الاطفال العرب في سن التعليم الابتدائي يتطلب تهيئة شروط نجاح التجربة والا أصبح المبدأ حبرا على ورق وتشريعا بالشكل من دون محتوى ومضمون . . .

ولسنا هنا بصدد استعراض مقومات نجاح تطبيق الزامية التعليم في البلاد العربية كالشروط التربوية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها لان هذا يتطلب بحثا منفرداً يستحق كل عناية واهتمام للافادة منه في وضع استراتيجية للمواجهة الشاملة للامية . ولكن يجدر بنا أن نذكر أن تعميم التعليم الابتدائي وتطبيق الزاميته على الاطفال العرب مع الابقاء على وضع النظام التعليمي من حيث فلسفته وأهدافه ومحتواه ليس

مضرا بل خطرا على مستقبل التربية في البلاد العربية للنتائج السلبية التي يترتب عليها هذا الاجراء من تسرب ورسوب وضعف في الكفاءة الداخلية للتعليم الابتدائي مما يؤدي بالتالي الى إهدار وضياع للثروة المادية والبشرية وإفشال لتجربة الزامية التعليم الابتدائي ، أن الأخذ بمبدأ التوسع الكمي في حجم التعليم وتيسيره للاطفال في عمر السن الدراسي ينبغي أن لا يكون بعيداً عن مبدأ التجويد والتجديد ، فالناحية النوعية يجب أن تتمشى جنباً الى جنب مع الناحية الكمية لان التوسع في حجم التعليم-وزيادة عدد الاطفال في المدارس ليس غاية بحد ذاته بل الاهم منه هو نوعية التعليم والخبرات التربوية التي يتعلمها الاطفال ومدى توظيفها والانتفاع منها اجتماعياً . ان الهدف ليس تيسير التعليم بمعناه المجرّد بل تيسير نوع خاص من التعليم هو التعليم الوظيفي النافع اجتماعياً .

٢ــ القضاء على ظاهرة التسرب والرسوب في النظام التعليمي المدرسي ويكون ذلك بمعالجة الاسباب الرئيسية التي تولد هذه الظاهرة ، وفي مقدمتها الاسباب التربوية التي تستدعي بالضرورة اعادة النظر بالنظام التعليمي المدرسي بصورة جذرية واحداث تغييرات جوهرية في فلسفته وأهدافه وتقنياته ووسائله ليلائم لا القلة والصفوة الممتازة اقتصادياً واجتماعياً وذهنياً بل ليكون نظاماً تعليمياً شعبياً متنوعاً يهتم بالجماهير ويتمشى مع قابليات المتعلمين ونوعيتهم وينطلق من الخلفية الاجتماعية والرؤية الجديدة لمستقبل الامة العربية كما تحدده آمال افراده وارادتهم في التغيير لتحقيق الاهداف الكبرى للشعب العربي والوحدة الوطنية : والوحدة العربية والاشتراكية والتحرر من الاستعمار والصهيونية والتخلف . ان هذا الاتجاه يؤدي الى انتقال المدرسة العربية بصفتها عملية استثمار للرأسمال البشري من سلاح في يد الفئات الاستغلالية التي تستخدم المدرسة للسيطرة والتحكم الاجتماعي وترسيخ البورجوازية الى أداة تغيير وثورة في يد الجماهير الشعبية وقيادتنا السياسية للاسهام في بناء المجتمع العربي الموحد الجديد [1] . الذي يهدف الى خلق الانسان الذي يحتاجه هذا المجتمع

(١) د. مسارع الراوي . نحو استراتيجية جديدة للتربية في العراق . مطبعة التقدم ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ١٠٩ ، ١٢٣ ، ٤٣ .

الجديد ويحشد كل امكانياته من أجل تنمية مواهبه وتفجير طاقاته الخلاقة لخدمة نفسه وخدمة مجتمعه وأمته والانسانية جمعاء .

٣- محو امية الكبار واليافعين في اطار الاستراتيجية العربية لمحو الامية .

ان العوامل التي تسبب تسرب الدارسين من مراكز محو الامية كثيرة ومتعددة واعل من أهمها وأبرزها هي الاسباب التربوية والنفسية ؛ تلك الاسباب التي تهمنا أكثر من غيرها في هذا المقام . فالدارسون الكبار لهم شخصياتهم المميزة من حيث حاجاتهم النفسية ومستواهم العقلي والتي تختلف عن شخصيات ونفسيات المتعلمين الصغار ، لذا من الضرورة أن يتم التعامل معهم بطريقة تختلف عن طريقة معاملة الصغار . وهنا وجب على المسؤولين عن قيادة حملة محو الامية الاهتمام باعداد المدرس الكفوء العارف لشخصية الكبار ، والقادر على التعامل معهم حسب عقولهم ووفقاً لحاجاتهم ، كما أن الكتاب المقدم للكبار يجب أن يكون هادفاً ونافعاً ومثيراً للشوق والرغبة في التعليم ، ولكي يحقق الكتاب المدرسي المقرر هذا الهدف النافع الممتع ينبغي أن تكون مادته ملائمة لنفسية الكبار ومرتبطة بحياة الامي وحاجاته ومنبثقة من البيئة المحلية . كل هذا يدعونا وفي أسرع وقت الى تأصيل علم تعليم الكبار وتقنينه واعتبار تعليم الكبار فلسفة وأهدافا ومحتوى وطرائق وتقنيات ، ونوعية المدرس علما جديدا يختلف عن عام تعليم الصغار ومهنة تعليمية متخصصة لها أسسها العلمية وأصولها الفنية .

مما لا شك فيه أن إحكام سد الثغرة الاولى بتيسير التعليم الابتدائي وتطبيق الزاميته سيؤدي في المستقبل إلى غياب الامية في المجتمع العربي وسد الثغرة الثانية بتحسين نوعية التعليم وجعله شعبياً مناسباً للمتعلمين سيمنع الاطفال من الارتداد الى الامية وترك المدرسة . أما سد الثغرة الثالثة فسيؤدي الى القضاء على الامية القائمة أمية الكبار ممن تتراوح أعمارهم بين ١٥ - ٤٥ سنة .

السؤال الذي يطرح نفسه بعدئذ لتكميل الصورة هو هل سد هذه الثغرات الثلاث

تمحو الامية وتقضي عليها ، أم تبقى من الشعب فئة من الاميين لم تشملهم الحملـــة .

الواقع أن فئة كبيرة من الاطفال ممن تتراوح أعمارهم بين ١٠ – ١٥ سنة لم تشملهم الحملة لانهم لم يقبلوا في المدرسة الابتدائية لتجاوزهم سن القبول فيها ولانهم لم يصلوا الى العمر الذي يحق لهم أن يقبلوا في مراكز محو الامية .

إن الاهتمام بهذه الفئة من الشعب يجب أن يكون ضمن الحملة الشاملة لمكافحة حل طارئ مؤقت وخطوة مرحلية لايصال الخدمات التعليمية الى فئة محرومة من فرص التعليم . وبحكم كون هذه المدارس مؤقتة فهي لا تستهدف ثنائية في التعليم الابتدائي وانما تهدف أولا وأخيرا مساعدة كل من فاتته فرصة التعليم . ومع التوسع في التعليم الابتدائي والنجاح في تطبيق الزاميته ستزول مبررات مثل المدارس .

تضافر جهود التعليم النظامي المدرسي مع حملات محو الامية :

اذا كان سد الثغرة الاولى للامية بتعميم التعليم الابتدائي وديمقراطيته وسد الثغرة الثانية بالقضاء على ظاهرة التسرب في التعليم الابتدائي هي اجراءات وقائية وحصانة بل مناعة ضد الامية في المستقبل ، فسد الثغرة الثالثة بمحو أمية الكبار واليافعين في اطار التعليم المستمر ما هو الا علاج لتصفية جيوب الامية وانجاح تعميم التعليم وتجويده : والسؤال الذي هو بيت القصيد ومحاولة الاجابة عليه من أهم أهداف هذه الدراسة هو :

كيف تتضافر وتتكامل جهود التعليم النظامي المدرسي مع حملات محو الامية لتكون المواجهة شاملة والتجربة ناجحة ؟

لما كانت المكافحة الشاملة للامية تستوجب التغيير العام وتجنيد كل المؤسسات الحكومية والتنظيمات الشعبية والمهنية لخدمة هذا الهدف الوطني النبيل، ولما كانت كوادر التعليم النظامي والعاملين فيه اساتذة ومدرسين ومعلمين وطلبة أكثر الفئات قدرة وتأهيلا للقيام بهذه المهمة وتحمل هذه المسؤولية التاريخية ، لذا وجب حشد

هذه الطاقات والقدرات البشرية للاسهام في حملة مكافحة الامية الشاملة في كافة مراحلها سواء أكانت في مرحلة التخطيط أو التنفيذ أو المتابعة والتقويم . ففي مرحلة التخطيط يمكن أن تلعب وزارة التربية والعاملون بها في مديرية التخطيط والبحوث والاحصاء والتوثيق وكذلك الجامعات وما فيها من مراكز بحوث وأساتذة متخصصين في علوم التربية والاقتصاد والاجتماع دورا فعالا وبارزاً في وضع استراتيجية لمحو الامية ؛ كما يمكن للمدرسة النظامية كمؤسسة تعليمية ومركز اشعاع ثقافي أن تتعاون مع المؤسسات الثقافية والاعلامية الاخرى كالراديو والتلفزيون والمسرح ودور العبادة والنوادي والاحزاب ، في نشر الوعي بين الجماهير وتبصيرها بأهمية العلم وخطر الامية على الفرد والمجتمع ووضع منهجية واضحة لاساليب التوعية في استخدام كافة وسائل الاعلام المتاحة كاعداد برامج اذاعية وتليفزيونية ومقالات ومواد صحفية وانتاج أفلام وإقامة معارض ، أما المرحلة التنفيذية فلعل تجنيد الاساتذة والمدرسين والطلبة (*) على الاسهام الفعلي في حملة محو الامية بعد حصولهم على التدريب اللازم في كيفية تعليم الكبار والتعامل معهم مما يسهل هذه المهمة وييسر النجاح ؛ كما يمكن استخدام التعليم النظامي وما فيه من امكانيات في عملية متابعة حملات محو الامية وتقويمها لتلافي الاخطاء وتجنبها في المستقبل ؛ كما أن كليات التربية ومراكز البحوث بالتعاون مع الهيئات المسؤولة والمشرفة على حملة محو الامية يمكن أن تسهم في إعداد وطبع الكتب المدرسية المتطورة في مجالي محو الامية وتعليم الكبار في المرحلة الاساسية ومرحلة التكميل وفقاً لنفسيات الكبار وفي ضوء الاساليب والطرق التربوية الحديثة . أما في مجال التدريب فيمكن لكليات التربية ومعاهد اعداد المعلمين المشاركة في إعداد الدورات التدريبية اللازمة لقيادات محو الامية وتعليم الكبار في اطار منهجية شاملة وكذلك

* يستحسن ان لايقل مستوى الطلبة المشاركين في حملة محو الامية على الحصول على شهادة الدراسة المتوسطة .

تنظيم الحلقات الدراسية والندوات الفكرية للخبراء في تأصيل علم الكبار وبحث المشكلات والصعوبات التي تعترض تجربة محو الامية .

ان هذه المسؤوليات لدور الجامعات وكليات التربية ومراكز البحوث فيها يدعو الى ضرورة اضافة مقررات دراسية وفتح قسم لمكافحة الامية وتعليم الكبار في كليات التربية ومعاهد اعداد المعلمين بهدف اعداد المعلمين اللازمين لمحو الامية وتعليم الكبار وكذلك يتطلب الامر توجيه طلبة الدكتوراه والماجستير في الكليات المعنية ومراكز البحوث الى بحث الموضوعات واعداد الدراسات والاطروحات . الاكاديمية والميدانية المتصلة بمشكلات محو الامية وتعليم الكبار والتربية المستمرة

ان كل هذه الاجراءات من الامور الفعالة التي تجعل النظام في خدمة الحملة الشاملة لمكافحة الامية . فالجسور والقنوات التي مدت بين التعليم النظامي على كل المستويات لخدمة المكافحة الشاملة للامية برأينا لا تكفي اذا لم يدرك الامي بطريقة الممارسة والتطبيق الفعلي بأنه لا يسير في طريق مسدود كما هو الحال الواقع ، بل في طريق مفتوح المسار الى آخر الشوط في المستويات العليا من التعليم الجامعي وبشكل متناظر ومواز للتعليم النظامي ؛ وهذا الامر يتطلب ضرورة التفكير في صيغ تعليمية غير تقليدية وطرح بدائل جديدة لمعالجة الوضعية القائمة في تحرير الاميين من أميتهم مما يساهم في إدخال الاصلاحات اللازمة للنظام التعليمي من خارجه عن طريق التعليم النظامي الذي يساهم في تحقيق المجتمع المعلم المتعلم في اطار التعليم المستمر والتربية الدائمة .

ان هذا التعليم الموازي للتعليم النظامي المدرسي على عكس رديفه التعليم النظامي ليس مكلفاً ولا يستلزم وقتاً طويلا من عمر الانسان حتى تظهر نتائجه وجدواه الاجتماعية ومردوده التنموي والاقتصادي .

كما أن هذا النظام المقترح يختلف عن النظام التعليمي القائم من حيث فلسفته وأهدافه ومحتواه ومبررات وجوده لانه منبثق من حاجات الدارسين يافعين وكبارا ولانه يسعى لتلبية حاجات المجتمع ومتطلبات التنمية فيه .

ان هذا النظام الرديف للتعليم المدرسي يؤكد على الناحية العملية والنواحي النافعة

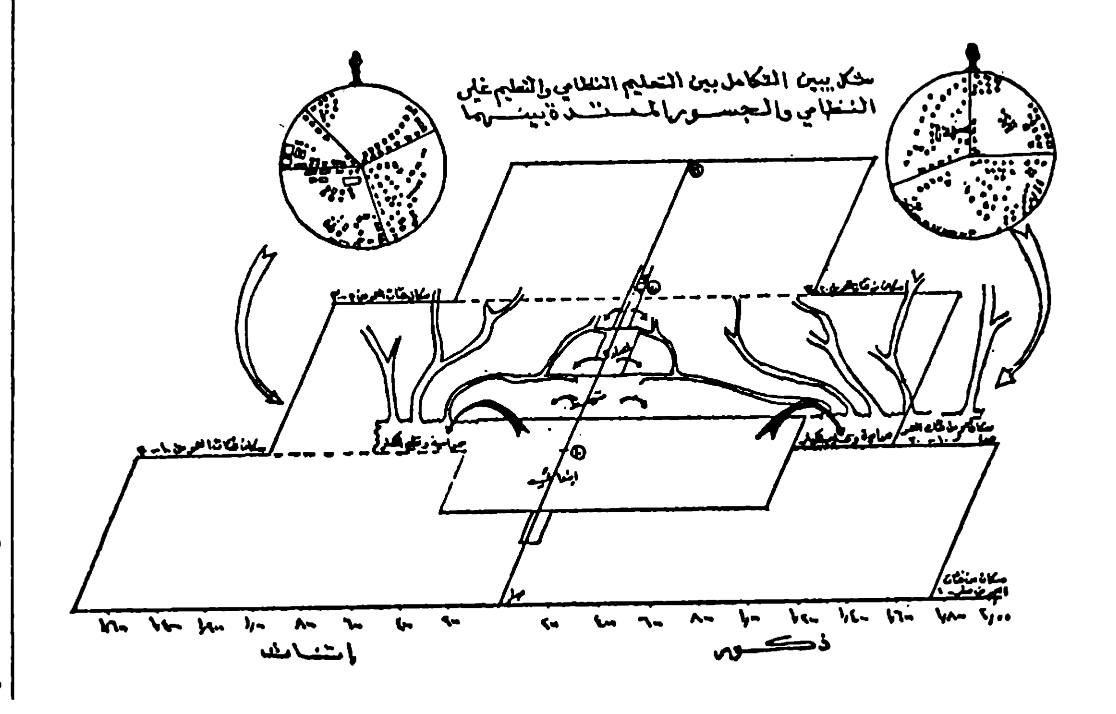
اجتماعياً ، انه يؤكد على قضايا التحضر ويناهض التخلف ، انه يفتح الابواب ، أبواب المعرفة للاميين كبارا ويافعين ممن فاتتهم فرص التعليم لاسباب اجتماعية واقتصادية ؛ لانهاء مرحلة الاساس والتكميل ثم المتابعة في المدارس الشعبية الى مستوى يوازي الصف السادس الابتدائي . وتقتضي الضرورة بعد ذلك فتح قنوات التعليم المختلفة للذين تحرروا من اميتهم وأنهوا المدارس الشعبية بتهيئة الفرص المناسبة لبعضهم لمواصلة الدراسة الاكاديمية لمن يرغب وعنده القدرة والطموح : وبالنسبة للفئات الاخرى من المتحررين من أميتهم فيجب افساح المجال لهم للتأهيل والتطوير المهني ، وأما الباقون فيمكن ان يستوعبهم برنامج هادف ومخطط للتثقيف الجماهيري والثقافة العامة .

ان هذا التثقيف يقتضي بالضرورة التفكير في إنشاء مؤسسات متخصصة تعليمية على مستوى التعليم الثانوي والتعليم الجامعي الشعبي تحقق هذه الاهداف الثقافية والتدريبية والاكاديمية .

إن الاخذ بهذا النمط من التعليم غير النظامي الموازي للنظام التعليمي القائم كفيل بأن يؤثر على النظام التعليمي ويدفعه للتغيير ليناسب حاجات التلاميذ ومتطلبات المجتمع وخاصة اذا ما فتحت القنوات بين النظامين وأعطيت الحرية للانتقال من النظام الموازي الشعبي المسائي الى النظام التعليمي الصباحي وبالعكس . اننا بهذا الاجراء نخلق جوا من التنافس بين النمطين من التعليم – التعليم الشعبي والتعليم النظامي – مما سيؤدي الى التعاون في نقل الخبرات الجيدة التي يعززها النظام الموازي .

عندئذ ينزل التعليم النظامي المدرسي بكافة مراحله من ابراجه العاجية وطابعه الاكاديمي النظري الى الواقع العملي ليكون تعليماً شعبياً لا للصفوة المختارة اجتماعياً وذهنياً بل للمواطنين كافة على اختلاف قابلياتهم وانتمائهم الاجتماعي ، كما ترتفع الدراسة في مؤسسات التعليم غير النظامي ليكون بمستوى التعليم النظامي الجديد ذلك التعليم المتسم بالديمقراطية والشعبية والانتاجية والنافع اجتماعياً .

والشكل التالي يوضح صور التكامل بين التعليم النظامي والتعليم غير النظامي :


شكل يبين التكامل بين التعليم النظامي والتعليم غير النظامي والجسور الممتدة بينهما
ذكور
إناث

خاتمـــة :

في ختام دراستنا الهادفة الى ابراز أهمية التكامل والتضافر في جهود محو الامية والتعليم المدرسي النظامي كاحدى المقومات الرئيسية لانجاح الحملة الشاملة لمحو الامية في البلاد العربية يجدر بنا الاشارة بل التأكيد بصورة صريحة وواضحة الى أن التكامل ينبغي أن يكون ضمن إطار الخطة الشاملة للسياسة التربوية وإن تكامل الخطة التربوية وشمولها ينبغي أن تكون ضمن أطـــار خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية للقطر واعتبار خطط التربية بما فيها خطط محو الامية وتعليم الكبار جزءاً متكاملا من الخطة التنموية الشاملة . كما أن التخطيط لمحو الامية ورسم السياسة التعليمية ضمن اطار خطط التنمية يجب أن يكون منطلقاً من قومية العمل العربي على اعتبار أن التجربة في أي قطر عربي هي تجربة عربية انسانية تتغذى بالفكر العربي وتستهدى بالخبرات العالمية مما يدعو الى تجنيد المؤســات العالمية والاجهزة القومية العاملة في محو الامية والعمل على توجيه امكانياتها المادية والبشرية والفنية لخدمة التجارب القطرية والسعي لانجاحها وجعلها تجارب طليعية . كما أن نجاح التجارب القطاعية يتطلب حشد الجهود القطرية – الرسمية والشعبية – والقومية والعالمية مما سيؤدي بالتجربة الى الارتفاع الى مستوى الريادة والنموذج الذي يحتذى به وينتفع منه في الوطن العربي ودول العالم الثالث.

وبناء على ذلك تكون أي تجربة هي بالتالي تجربة قومية تتحدى ضمير القطر على المستوى الرسمي والشعبي وضمير الامة العربية وكل المخلصين الشرفاء ممن تهمهم مصلحة تعليم الجماهير العربية وتنمية الثروة البشرية في الوطن العربي وتوجيهها لخدمة أهداف الامة العربية في الوحدة والتحرير السياسي والاقتصادي . كما ينبغي التنبيه مرة ثانية الى أن محو الامية – أمية اليافعين والكبار – ما هو الا اللبنة الاساسية والخطوة الاولى في طريق التربية المستمرة والتعليم الدائم مدى الحياة ، لان نشاط محو الامية في صورته القائمة ما هو الا نشاط مرحلي مؤقت سينتهي

في المستقبل ، ومن هنا فان تطوير فلسفة ومناهج وأدوات ومجالات تعليم الكبار في اطار التعليم المستمر ، ينبغي أن يكون من أهداف استراتيجية محو الامية[1]

وفي الختام دعنا نستمع الى بروتولت بريخت الشاعر الالماني الشعبي في انشودته الرائعة « تعلم » التي نود لو تكون أملا للتحدي وشعاراً للتطبيق وأغنية للانشاد لانها تجسد الدعوة الى مكافحة الامية وتعليم الكبار في اطار مفهوم التعليم المستمر مدى الحياة ومبدأ التعليم الذاتي .

« تَعَلّم .... »

لأن يتعلموا بسيط الأشياء

أولئك الذين آن أوانهم

ليس أمراً متأخراً البتة

تعليم الابجدية أنها لا تكفي ولكن تعلمها أبدا

عليك أن تعرف كل شيء

عليك أن تأخذ الصدارة

• • •

تعلم يا رجل في المصنع

تعلم يا رجل في السجن

تعلمي يا امرأة في المطبخ

عليك أن تأخذي الصدارة

(١) تقرير وتوصيات أعمال لجنة متابعة وتنفيذ توصيات مؤتمر الاسكندرية ١٩٦٤ و ١٩٧١ المنشور في مجلة تعليم الجماهير العدد (٥) يناير ١٩٧٦ ، ص ١٨٢.

• • •

واظب على المدرسة دون مأوى
وأمّن لنفسك المعرفة
أنت المحس بالبرد
الجائع ؛ أمسك الكتاب
فالكتاب سلاح
عليك أن تأخذ الصدارة

• • •

لا تتهيب طرح الاسئلة
لا تقلق بشأن الحساب أيها الرفيق
أنظر نفسك
فما لا تعرفه أنت بنفسك
لا تعرفه
اضبط الحساب
فأنت الذي تدفعه
ضع الاصبع على كل مرتبة
واسأل ماذا يفعل هذا الرقم هنا
عليك أن تأخذ القيادة

• • •

وأخيراً تعلم

فليس المرء يولد عالماً

وليس أخو علم كمن هو جاهل

فان كبير القوم لا علم عنده

صغير اذا التمت عليه المحافل

* * *

البطشة الكبرى

بين ابن زيدون وابن عمار

القسم الثاني (*)

الأستاذ عبدالرحمن الفاسيّ
(عضو المجمع المؤازر)

يتصدر الأستاذ علي عبدالعظيم ، برسالته الجامعة : (ابن زيدون حياته وأدبه) : جمهرةَ الباحثين الذين نصوا — أمام سكوت القُدامى على أن أبا الوليد بن زيدون كان وراء الإطاحة بدولة الجهاورة (٤٢٣ - ٤٦٣ ﻫ) التي أطلق عليها شيخ مؤرخي الأندلس أبو مروان بن حيان : « البطشة الكبرى » .

وقد رجح الأستاذ علي عبدالعظيم القول بذلك ، مستنداً الى جملة نصوص ، والى اعتبارات وملابسات ، مما يحف بالأحداث وبالرجال .

ويتضح من كلّ ما جاء في المقام أن ترجيحه يقوم على رؤيته التي يتعامل على وَفْقِها مع النصوص ، وعلى مقتضاها يبسط الاعتبارات والملابسات التي يستنتج منها أن ابن زيدون كان وراء تلك المأساة ، من البداية الى النهاية .

وهكذا يرتكز على هذه المنطلقات .

(*) نشر القسم الأول في ج ٣ — ٤ من المجلد ٣٢ ، من المجلة .

المنطلق الأول : ان ابن زيدون كان يملك تأثيراً [1] على المعتضد عباد ، وتمكناً من قلبه [2] .

المنطلق الثاني : أن نقمة ابن زيدون على بني جَهْوَر هي التي دفعته الى الانتقام بالتحريض عليهم .

المنطلق الثالث : أن المعتمد ابن عباد قد أقر ابن زيدون في منصبه الذي كان له على عهد والده المعتضد ، فكان له بحكم الوزارة المثناة التي أقرّت له ، التأثيرُ نفسه ؛ والتوجيه الذي كان له على عهد المعتضد .

ومن المنتظر حقاً والمفهوم في باديء الأمر ، أن يكون الوزير المعروف بحظوته [3] أول من يثب نحوه النظر ، ويتجه اليه الانتباه ، عند البحث عن هذا الذي كان من رجال الدولة وراء حدث « قُرطبة » . ومن الواضح أيضاً أن القول بأن ابن زيدون قد كان له تأثير في المعتضد ، على ذلك الوجه الذي يعرضه الأستاذ عاينا في كلامه المنقول سابقاً بحروفه ، لن يكون إلا مستوحىً من دلالة نص ابن خاقان في باديءْ الأمر ، وعنه صدر في محاولته عن طريق الاستنتاج والتقدير — عرض مظاهر وأسباب تأثير ابن زيدون في المعتضد ؛ حسبما يعلم من مواضع الاستشهاد التي سنرى أنه رجع فيها الى هذا النص نفسه ، ووجه الاستيحاء منه أن مِنْ شأن مَنْ أظهر صونة المعتضد — كما يقول ابن خاقان « ودبر دولته » ، «وأغراه بالأعداء» ، و« زيّن له الإيقاع بالوزراء » ، الى آخر تلك المعطوفات ، أن يكون له ذلك التأثير في المعتضد ولامراء ، غير أنه من الملاحظ أن الأستاذ يستبعد إفادات نص ابن خاقان المهولة : كالإغراء بالوزراء ؛ وتزيين الإيقاع بالعمال ، مثلما يستبعد كل ما هو من هذا القبيل ممّا رماه به خصومه ؛ كالتحريض على الفتك بالخاصة

(1) رسالة الأستاذ علي عبدالعظيم (ابن زيدون حياته وادبه) ، ص ٢٨٥ .
(2) الصفحة ٢٦٤ .
(3) انظر كتاب الأستاذ علي عبدالعظيم عند النبذة الواردة بعنوان : (مناصب خطيرة) ٢٥٩ — ٢٦٥ .

والأبناء ؛ وقبض أرواح الندماء ، وكل ما « يقوم به الأمير من بطش وانتقام » على حد تعبيره [٤] ، فهو يرى أن هذه الكبائر والموبقات إنما هي من مغالاة الخصوم [٥] الذين (ادعوا أن المعتضد ما كان ليقوم على أمر إلا بعد استشارة مشيره الأكبر ووزيره الأول ابن زيدون) . وبأثر كلامه هذا ، يورد مباشرة نص ابن خاقان مثالاً للمغالاة . وهذا يساير الروح السائدة في كتابه حيث نزع الى تفنيد جميع ما قرف به الخصوم ابن زيدون من كبائر التحريض على الفتك والبطش ؛ كما اتجه الى الدفاع عنه [٦] تجاه كل ما اعتده المعلقون على طبعه الحادّ ، وما سجلوه على سيرته من مآخذ ، وأعني أنه يدرأ عن ابن زيدون كل ما يتسم بصبغة التحريض والإغراء .

وقد كان المنتظر منه ، وهو الذي برأ ساحة ابن زيدون مما اتّهمه به خصومه من تحريض وسواه ، أن يبرئه أيضاً مما هو من قبيل التحريض بالبطش والانتقام [٧] والفتك [٨] ، بل والسلب والنهب ، — وكلها سخرت عند فتح قرطبة — (البطشة الكبرى) . ولكنه وقف من هذه موقفاً غير منتظر ولا مفهوم ، أعني أنه نسب اليه باجتراح البطشة الكبرى ما قال فيه — حسبما عرفنا من قبل — : انه مثال للمغالاة في نص ابن خاقان ، وإنه أيضاً من ادعاء الخصوم [٩] ؛ وأدرج دحضه لبهتان أولئك الخصوم تحت عنوان (وشايات دنيئة) : ولا يسَعُ الباحث إلا أن يعزز هذا ، ولا يلقي بالاً الى كلمة سائرة رواها ابن سعيد في «المُغرب»

(٤) انظر ص ٢٦٥ تحت عنوان : (سحابات عارضة) ، وص ٢٨٠ تحت عنوان : (وشايات دنيئة) .
(٥) راجع ص ٤٤ ، عند ترجمة المعتضد ، وانظر تحت عنوان : (وشايات دنيئة) ص ٢٨٠ ، تحت عنوان : (مناصب خطيرة) و ص ٢٦٤ ، وتحت عنوان : (سحابات عارضة) ص ٢٦٥ .
(٦) انظر ص ٢٩٥ .
(٧) انظر ص ٢٦٥ من كتاب الأستاذ في «ابن زيدون» .
(٨) انظر ص ٢٨٠ .
(٩) انظر ذلك في صفحات رسالته المشار اليها في التعليق (٥) .

حين قال : إن « ابن زيدون لا يؤمَن شره ولا يرجى خيره » ، لأنها ليست إلا صدى لما كان يروّجه خصومه في بداية عهد المعتمد ، حين لاحظوا بوادر رعاية سابقته ، وأنه سيحتل في دولة الولد المعتمد مركزه نفسه في عهد الوالد المعتضد . وأهم ما يدفع به الباحث تقريف أولئك الخصوم ، القصيدة التي دسوها في يد المعتمد صدر دولته [10] ؛ فليس فيها زائد على ما كان قرف به الخصوم ابن زيدون لدى بني جهور ، ولا تخرج وشايتهم عن أنه يبطن خلاف ما يظهر لأولياء نعمته ، وبذلك خلت القصيدة من أيّ عنصر من شأنه أن يغزو عواطف المعتمد ؛ كتذكيره مثلاً بجريرة التحريض على خنق المعتضد ولده اسماعيل بيد نفسه ، أو بزلة محاولة مثلها بالنسبة الى أبي القاسم المعتمد نفسه ؛ وأعني أن أبا الوليد بن زيدون لو كان معروفاً يومئذ بذلك الإغراء والتحريض ؛ ويدخل فيه ما يتعلق بالمعتمد ، لخرجت القصيدة المدسوسة في يد المعتمد عن مَهْيَع تكرار التأليب الى طريقة إثارة غريزة الإنسان في المعتمد ؛ وذلك بالتركيز على جرائم القتل بالتصريح أو التلويح . وظاهرة خلوّ القصيدة من عناصر الإثارة من هذا القبيل ، تتيح القول بأن كبائر الإيقاع بالآل والخاصة والمنافسين التي رآها الرواة من تحريضه وإغرائه ، إنّما هي في الواقع صدى لقولة ابن خاقان ، واجتهاد من الرواة محمول عليها في عصره أو بعد حين .

وهكذا فبالمستفاد من هذه القصيدة نؤكد ما أخذ به الأستاذ علي عبدالعظيم من أن ما ينسب الى ابن زيدون من تحريض إنما هو مثال للمغالاة في نصّ ابن خاقان ؛ وأنه من ادّعاء الخصوم . ولكننا نلاحظ أن الأستاذ يقول في ابن زيدون ، وكأنه ينطق بلسان هؤلاء الخصوم الذين قال إنهم أدعياء مغالون [11] :

---

(10) المعروف ان المعتمد بن عباد ضرب في نحر اولئك الخصوم بقصيدة رداً على القصيدة التي دسوها في يده وعلى نفس الروي والميزان ، فكانت منه نغمة البراءة رداً على نغمة الوشاية ، ولابي الوليد بن زيدون قصيدة ميمية في المقام وعلى نفس الروي والميزان ايضا ، وقد اورد الفتح في « القلائد » القصائد الثلاث في ترجمة المعتمد .

(11) انظر ص ٢٧٥ – ٢٨٥ .

« إنه كان يذكي في المعتضد شهوة فتحها (أي قرطبة)، ويسهّل عليه أمر اقتحامها، ويدبّر له وسائل نيلها »، كما يؤكد أيضاً أنه « يرجح » أنه هو الذي (حرّض) ابنه اسماعيلَ على مهاجمتها. فلما خاب أمله فيه، عاود تذكير المعتضد بها: فشرع يدبر لها الوسائل، ويحوك الدسائس، ويقول بعبارة أخرى على سبيل الترجيح: إن الوزير كان « يذكي نهم ابن عباد الى التهام قرطبة حيناً بعد حين »، وأنه « اشترك مع المعتضد في تحريض عبدالملك بن جهور على الفتك بابن السقاء ». والغريب أن الاستاذ نفســه يسمّي [١٢] هذه المداخلة دسيــة قبل صفحة واحدة من هذه العبارات.

ونتساءل أيضاً: أيُّ جامع بين قول الأستاذ في (ص ٢٨٦): « ومن الطبيعي أن لا يقدم المعتضد وابنه المعتمد على أمر خطير كفتح قرطبة إلا بتدبير من ابن زيدون »، وبين قوله: في (ص ٢٨٠) وهو يتحدث عن مغالاة خصومه: إنهم: « ادّعوا أن المعتضد ما كان ليقدم على أمر إلا بعد استشارة مشيره الأكبر ووزيره الأول ابن زيدون »؟

وهكذا ينفي الأستاذ عبدالعظيم الشيْ ويثبته في حق شخص واحد، ومن ثَمَّ نراه لا يني عن تعداد الوسائل والدوافع التي تشير الى تأثير ابن زيدون في المعتضد؛ وتمكنه من قلبه؛ حتى أتاحت له أن يكمن وراء قضية قرطبة نفسها. فهو يتشبّث مرة أخرى بنص ابن خاقان الذي رفض من قبل أكثر إفاداته؛ لأنها عنده من قبيل المغالاة، وبذلك لم يَصْفُ للأستاذ من ذلك النص غير الفقرتين اللتين جاء فيهما: « وقد كان ابن زيدون وزير أبيه المعتضد الذي أظهر صولته ودبر دولته... ». ومن هاتين الفقرتين استوحى أحد مظاهر تأثير ابن زيدون في المعتضد (*)؛ فقال: « إن ابن زيدون ما كاد يتصل بالمعتضد حتى توالت فتوحاته واتسعت رقعة مملكته ». ويبدو من إفاداته هذه أنه حمّل هاتين الفقرتين أكثر

(١٢) انظر ص ٢٨٤.

(*) ص ٢٦١، ٢٦٤.

مما تحملان ، وألبسهما فَضْفَاضاً فوق نضفاض زخارف أسجاع ابن خاقان ، فبدا ابن زيدون من خلالهما وكأنه المعنيّ بقول الشاعر : « كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد » . فأين يا ترى ابن زيدون من فتوح المعتضد عباد أسد الجزيرة ، ومن مخطط أسلافه المعروف في الامتداد والامتلاك ؟ وأين كان من عزمات الأسرة العبادية في ضم قرطبة منذ أزمان ؟ ويكفي أن نقول إن ابن زيدون ما استقر رأيه بعد ضرب الأخماس بالأسداس ، وما حط رحاله للمرة الأخيرة في كَنَف بلاط اشبيلية وجذبته اليه أضواء خلوانه النيرات ، الا في عام ٤٤١ﻫ ، وقد كان المعتضد عباد عندها قد سار بعد والده شوطاً بعيداً في تنفيذ مخطط فتوحهم تُجاه ناحية الغرب ، وتحركهم فيها بين إقبال وإدبار ، وهزيمة وانتصار . وليس معهوداً ولا منتظراً من مثل المعتضد عباد أن يلقي بمقاليد الأمور وبزمام المملكة وأمر الفتوح في السنة نفسها التي قدم فيها عليه ابن زيدون ، أو في السنة التي بعدها ، حتى لكأن حركة دواليب الدولة كانت معقودة بوصول هذا الوزير العاشق الذي خلف شطراً من قلبه معموداً في قرطبة ، وشطراً آخرَ منه ما زال بمنازل أنسه في مالقة [١٣] ، والمفهوم من إلحاح ابن زيدون في شعره وإلحافه بالوساطة [١٤] للحصول على منصب الكاتب الذي شغر في بلاط المعتضد عبّاد بصرف أبي محمد بن عبد البر عنه ؛ أنه لم يظفر بتثنية الوزارة ، الا بعد أمد طويل ، وجهد جهيد . وتثنية الوزارة نفسها لا تتيح له أكثر من مجرد التصرف كما هو معروف عن أكثر ذوي الوزارتين في تلك العهود ؛ فكيف بتدبير أمر الفتوح ، وذلك ما لا يسمح بالقول : « إنه ما كاد يتصل بالمعتضد حتى توالت فتوحاته . . . » ؟ ثم لو أن كل وزير واكب فتوحات ملك فاتح ، وعزيت الى عبقريته فتوح ملكه ومشاريعه في امتداد رقعته ، لتغير وجه كتابة التاريخ ، وانقلب مضمون سير الفاتحين رأساً على عقب . ثم إن التأثير في شخصية المعتضد الى حد توجيهه

(١٣) انظر قصة سفارته لدى صاحب «مالقة» في الذخيرة لابن بسام، القسم ١ ، ١ ص ٢٩١ .

(١٤) «الذخيرة» القسم ١ ، ج١/٢٩٠ .

في فتوحه التي تُعَدُّ طابَعَ شخصيته ، وتكون أكبر مقوماته ، لَمِمّا يُعَدُّ بعيدَ المنال ، بعيداً عن الانطباع حتى في الخيال . ولو صح أن ابن زيدون كانت له يد أو مطلقُ تأثير على المعتضد في فتوحاته واتساع رقعة مملكته لتغيرت معالم ترجمته في كتب التراجم ، ولتعادلت السياسة والأدب في ميزان مقوماته . وواقع الأمر في هذا أن الباحث اذا استثنى خبر سفارات ابن زيدون في قرطبة وفي اشبيلية ، فلا يمدّنا شعره — وديوانه أو المختار منه بين أيدينا اليوم — ولا تفيدنا أخباره عند مترجميه ، ولا يشعرنا أيضاً تاريخ عصره بما يقيم لاسمه ذكراً وسط هدير حركات المعتضد في شرقيّ الجزيرة وجنوبيّها وغربيّها ؛ وكأن قريحته أيضاً قد ظلت جامدة أمام هول تلك الأحداث التي دهمت بها حركة الاسترداد ممالك الجزيرة في الغرب ، ثم في الشرق ، فغيرت معالم الديار ، وقلبت نفوس الرؤساء من حال الى حال ، وكبست على أسد الجزيرة عباد عرينه ، وأسكتت دوي وحي الدهاء الذي كان ينزل عليه في « العريسة » ، حتى لكأن ابن زيدون الشاعر (والمستشار الأول — كما يقال) كان بمعزل عن دنياه ، أو أنّ حواسه كلها — ولا سيّما حاسة التأثير في المعتضد ، لو ثبت له هذا التأثير — قد غرقت كلها في جحيم هواه .

وبعد هذا ، فما زلنا مع الفتح بن خاقان ، ومع محاولة أخرى من الأستاذ علي عبدالعظيم لإثبات تأثير ابن زيدون في المعتضد ، وذلك عن طريق المناصب الخطيرة التي وليها في بلاطه ، فأقامته مقرباً اليه ، قريباً منه .

والاستاذ يتخذ من إلحاح المعتضد عبّاد في جذبه اليه ، والاختصاص به ، ثم من الحظوة التي نالها منذ قدومه عليه ، والإكرام الذي نعم به في ظله ، مدخلاً للملاءمة والمجانسة بين تقريبه اليه كشاعر وكاتب ، صاحب مواهب فكرية ، وسليل أسرة سَرِيّة ، وسمات جمالية ؛ وبين تقريبه اليه في صورة وزير ، فيفسح للوزير في تدبير دولة المعتضد بقدر ما فسح للشاعر النديم في صدره وفي خلواته

ومجالس أنسه ؛ وإنهما لينسجمان حقاً في مشارب وأهواء ، فتجمع بينهما مطارحات الأشعار ، وبنات الأفكار ، وتوشج بينهما مجالس الأسمار ، ومعاطاة كؤوس العقار ؛ فكان حقيقاً بأن يخفّ على قلبه ، ويتمكّن منه ، حتى يصبح من خواصه ويجالسه في خلواته ، ويهاديه ، ويكرمه بدخول حمامه ، والتّنزّه مع حريمه في جِنانه ، ولكن الواقع أيضاً أنه يفرق بينهما ما يحول بين التأثر والتأثير في غير ذلك السبيل ، وقد عُرف ابن زيدون بأنه أنشد هذين البيتين ساعة بلغه موت المعتضد :

لقد سرّنا أنّ النّعِيّ موكّلٌ
بطاغيةٍ قد حُمّ منه حِمامُ

تجانف صوب الغيث عن ذلك الصّدَى
ومَرّ عليه البرقُ وَهْوَ جَهامُ

ولا ننسى أيضاً أن ابن زيدون قد أجاب حين سُئل عن سر انفراده بالسلامة من ذلك الذي لم يسلم من بطشه الخاصة ، ولا أمِنَ مِنْ بَدَواته العامة ، فقال : « كنت كمن يمسك بأذُنَي الأسد ، يتقي سطوته : تركه أم أمسكه » !

ولقد سلم حقاً بواسطة هذا التّأنّي ، وهذا التّأنّي ، حتى ليقال إنه نوع من التلاقي والانسجام . ولكن التكاف واضح ، والافتعال مرموق ، ولن يخفى على ألمعية الرجال من أمثال المعتضد وابن زيدون . ولنتذكر أن صاحب هذا البلاط هو الّذي قال :

قسّمْتُ زماني بينَ كدٍّ وراحة
فللرأيِ أسحارٌ ، وللطّيب آصالُ

فأمسي على اللذات واللهو عاكفاً
وأُضْحِي بساحات الرياسة أختالُ

وأحسب أن الذي قسم زمانه بين مجالس اللذات ولهو الليل ، وبين ساحات الرياسة بالنهار ، حقيق بأن يقسم رجاله أيضاً الى طائفتين ، يتعاقبان في الضحى

والمساء ، والأسحار والآصال ، ويقسم بينهما في التقريب بحسب الصلاحيات والاستعدادات .

وعلى كل حال ، فالوضعية كما يراها الأستاذ علي عبدالعظيم ، وبحسب ما يوحي به صنيعه : تقدم إلينا الشاعر النديم مقرباً في ساحة الرياسة : على وَفْق تقريبه وتكريمه في خلوات الشعر والمُدامة [١٥] ؛ ويجد في صنعة الفتح بن خاقان متسعاً لاستنباط هذا من نصه الثاني حين قال : « فهشّت له الدولة ، وتاهت به الجملة ؛ فأحمد اليها قراره ، وأرهفت النكبة غراره . . . » . ولكنّ للباحث متسعاً رحباً ليقول: إن هذا النص لا يفيد أكثر من سرور الدولة وحبورها بالحصول على ما كان يتنافس فيه أمراء الجزيرة من الاستئثار بذوي المواهب من الشعراء وقهارمة الكتاب ، تنافسهم وتهالكهم في جلب السراري والقيان ، وقُصارى ما يصحّ التمسك به هو منصب (ذي الوزارتين) ، وذلك ما يستفاد من نص ابن حيان السالف ؛ وبه حلاّه ابن خاقان نفسه ؛ وابن الأبار ؛ وابن بسام . وجاء في عنوان ترجمته له : « ذو الوزارتين الكاتب » ، ولم يزد ابن دحية في كتاب المطرب عند ترجمته [١٦] على لقب « ذي الوزارتين » ؛ في حين يلاحظ أنه لما ترجم لأبي بكر بن عمار حلاّه بذي الوزارتين ، ثم زاد : « ووزير الشورى » ، وفي صلب ترجمته قال فيه : « أنهضه (المعتمد) جليساً وسميراً ، وقدمه وزيراً ومشيراً » مما يؤكد أهمية الشورى وبُعد منالها، واختصاص ابن عمّار بها . وقد خرج الأستاذ علي عبد العظيم عن هذه المنصوصات ، وعمد الى تعداد مناصب المعتمد مدرجاً فيها أيضاً الشورى وإمارة الشعراء ، وذلك لغاية اظهار زيادة التقريب المفضي الى التأثير في المعتضد ، فهو عنده — ناصح في مرتبة وزير — و — مرفع لرتبة ذي الوزارتين — و — سفير لدى أمراء الطوائف — و — أمير الشعراء — أو شاعر المصر كما كان يقال ؛ ثم — كاتب الانشاء .

(١٥) ص ٢٥٩ ، وما بعدها ، تحت عنوان : « مناصب خطيرة » .

(١٦) المطرب ، لابن دحية ، ص ١٦٩ ، ط : دار العلم للجميع .

وهذه المناصب مستخرجة عنده من نص ابن حيان الثاني المذكور آنفاً ، وهو تمطيط ، قد يستجاد لو ساعدت عليه دلالات الألفاظ . ولكن الأستاذ يلحظ في ذلك النص ايجازاً ، بالرغم من التوسع في توليده بمناصب جُلّى ، فيعمد الى بسطه [17] في قائمة مناصبه المذكورة كما ترى .

نعم ، يبقى أن يقال إن الوزارة المثناة قد تعني وزارة الشورى الى جانب وزارة الكتابة ، ولا سيما بعد انتهاء مهماته في السفارة التي كانت تعد وزارة . وقد يصح هذا في الاحتمال ، لو لم نكن أمام وضوح وتبيان في نص ابن حيان ، ووزارة الشورى أكبر من أن ينساها شيخ المؤرخين وهو في معرض التعداد ، ولا يعرف له أرَب في التجافي عن التنويه عنها ، وقد ترجمه بلسان رطب، ، ووفّاه حقه ، ورفع قدره ، ويروون أيضاً أنه جمع شعره . وإن اقتصار ابن حيان على ما ذكر ليثير في نفس الباحث كثيراً من الشك في حقيقة ما رددته أشعار ابن زيدون عن الظفر بنصح الأمير ، ومن اللهج بشوراه ، وتكاد توحي الظاهرة أنها كانت منه مجرد تمنيات وإلحاحاً منه على مولاه ، وجرى ذلك على لسانه تعبيراً عن استجابات معتضديّة عابرة في إحدى ساعاته الرضية ، فانطلق الشاعر ليباهي بها شورى نفذت تنفيذ ما يصدر عن البلاط بالطابع والمرسوم عزماً ، فيقول :

حسبيَ النّصحُ والودادُ وشكرٌ عطّر الدهرَ منه مِسكٌ فظيظُ

والبادرة التي تثير هذا الشك في أصل هذه الشورى التي يتباهى بها في شعره ، هي تلك التي صدرت عنه عند هجرته الأولى الى اشبيلية أثرَ خلاصه من السجن ، وفي وقت كان مهتماً فيه — كما يؤخذ من أشعاره — بإصلاح ما فسد بينه وبين الجهاورة ، ولم يكن قد قر قراره يومئذ على الهجرة النهائيّة لإشبيلية ، فلم يقم في البلاط العبادي غير أسابيع معدودة كاد يخفى أمرها على الرواة ، ومع ذلك قال :

جهدُ المقلّ نصيحة ملحوظه أفردتُ مهديَها فلا إشراكا

---

(17) ص ٢٦٠ .

وما كان يصح لعابر مثله لم تعرف بعد وجهته أن ينال وزارة النصح والشورى، وليس له عندها وجه يحمل عليه في قصر عباد ؛ فلا مفر من القول إنها أضغاث أحلام شاعر ، وطماح وزير مفصول عن بلده ومنصبه ، مفجوع في صبابته . ولقد حقق الأستاذ علي عبدالعظيم ظروف هجرات الشاعر الى بلاط اشبيلية بما لا مزيد عليه من التدقيق ، وبوحي من تحقيقاته نفسها ، ذهب أحدنا في هذه القضية الى شمال والآخر الى يمين .

ويمعن الأستاذ في توسيع صلاحيات ابن زيدون التي عددها وخطره ، تكميلاً لما أوجزه ابن حيان ، فيرى [18] أن أمور الدولة أصبحت موكولة اليه بعد تجمع هذه المناصب بين يديه ، فيورد نص الصفدي السالف [19] ، وقد جاء فيه : « وجعله من خواصه ، يجالسه في خلواته ، ويركن الى إشاراته في صورة وزير » كما يورد نص ابن دحية المذكور سابقاً ، ومحل الشاهد فيه قوله : « وألقى مقاليد أموره إليه » . وأخيراً يكر بالرجعة نحو نص ابن خاقان الذي أصبح في هذا الموضوع بئراً ثرة يمتح منها الحاضر والبادي ، والقديم والمحدث على السواء وذلك حين سجع بهذه العبارات المعهودات : «أظهر صولته ، ودبر دولته ، وأدجى ضحاها ، وأدار بالمكاره رَحاها » .

وهكذا نجد أنفسنا مرة أخرى وجهاً لوجه أمام ابن خاقان ، وذلك مباشرة مع نصه هذا بواسطة الصفدي وابن دحية وابن نباتة ؛ لأن هؤلاء قد صدروا كما عرفنا قبل صفحات ، عن نص ابن خاقان الأول من طريق دلالته العامة ، وعن نصه الثاني الذي جاء فيه : « وألقى بيده مقاد ملكه وزمامه ، واستكفى به نقضه وإبرامه » كما أن معالم الاقتباس من نص ابن حيان ظاهرة في بعض ألفاظ الصفدي ، وإن لم يسجله بنصه الكامل في مقدمة شرحه « تمام المتون [20] . أو لو

(18) انظر ص ٢٦٤ .
(19) انظر ص ٢٦٠ .
(20) تمام المتون ، مقدمة الشرح ، ص ٦ .

لم يصرح في هذه المقدمة بأن ابن زيدون عند ابن خاقان وابن بسام مذكور ، وعن ابن حيان ينقل ابن بسام كما هو معلوم ، واقتباس ابن دحية منه واضح بيّن ، وقل مثاله في نص ابن نباتة الذي جاء فيه صدوراً عن ابن خاقان : « وولاه وزارته ، وفوض اليه أمر مملكته ، وكان حسن التدبير » . وباستيحاء هؤلاء من ابن خاقان وابن حيان ، يعلم أنهم في هذا ليسوا بالرواة ، حتى نعتد بافادتهم ، وإنما هم مجتهدون في فهم نص نقلوا عنه مع زيادة في معناه ، فلا عبرة بهذه الفروع ما دامت النصوص قائمة الأصول ؛ وهي كما علمنا بين موضح مخصص ، كنصّ ابن حيان المعاصر ؛ وبين مسجع معمم ؛ كنصّ ابن خاقان ، ودلالته العامة مفتوحة – كما رأيت – لألوان التقولات والتزيدات بطريق التقدير والاستنباط .

وقد زكّى الأستاذ علي عبدالعظيم [21] هذه النصوص بإيراد تحليتين ؛ وردت إحداهما على لسان صاحب «المعجب» ؛ حيث لقب ابن زيدون «ذا الرياستين»، [22] وجاء الذهبي [23] بالثانية حيث حلاه بـ « بالصاحب » . وينبه الأستاذ الى أن لقب « الصاحب » كان يطلق عندهم على رئيس الوزارة المطلق التصرف في شؤون الدولة كالصاحب ابن عباد ؛ كما أن الأستاذ يقصد ، ولا ريب ، من التلقيب بذي الرياستين أن العدول اليه عن التلقيب بذي الوزارتين هو الزيادة في المعنى تفيد زيادة التصرف في شؤون الدولة .

وكل هذا واضح ؛ ولكن هناك ما هو أوضح منه ، وذلك أن الذهبي مؤرخ مشرقي وقع على نص ابن خاقان وابن حيان وعلى النصوص المقتبسة منهما ؛ ثم أضفى على الوزير المغربي لقباً مشرقياً ممدوداً على أوسع دلالات النصوص المغربية والمقتبسات منها .

والأمر أيسر بالنسبة الى صاحب « المعجب» ؛ فالمنتظر أن لا يغيب عنه أن

(21) انظر ص ١٠١ ..

(22) المعجب ، ط : سلا ، ص :

(23) سير النبلاء، بواسطة الأستاذ علي عبدالعظيم ، ج11 ، سفر ٢٠١/٢

مترجمي ابن زيدون من أهل أفقه ، كابن حيان ، وابن خاقان نفسه ، إنما حلوه بذي الوزارتين ، وأن ذا الرياستين لم يكن من ألقاب الوزارة في الجزيرة ، وإنما هو من ألقاب بعض الرؤساء والأمراء ، كذي الرياستين أبي مروان عبد الملك بن هذيل صاحب « السهلة » ، ومثله « ذو السيادتين » الذي اتخذه عبدالملك ابن جهور لقباً له . فالذي يبدو أن المراكشي الذي ألف كتابه في المشرق ، قد وضع لقب « ذي الرياستين » موضع « ذي الوزارتين » ، ليقرب الى أذهان المشارقة مرتبة الوزير المغربي بما يشبهها عند المشارقة ، قاصداً أنه من الخاصة المقربين ، وغاشية صاحب الأمر المحبوبين ، وإلا فان إحدى الرياستين تعني عندهم رياسة السيف ، وما كان لابن زيدون غير سيف لسانه الذي أشرعه في صدر طالما جالت فيه أنامله ، وضاعت بين ألطافه أنفاسه . وقد يكون قصد صاحب (المعجب) مجرد الإشارة الى رياسة الأدب ورياسة الحكم ، غير ناظر في ذلك الى اللقب المعهود في الرسميات والمصطلحات .

ويعزز الأستاذ [24] في الأخير ما يراه من خطورة مناصب ابن زيدون بأقوال المحدثين ، فجلب نص « المستشرق كور » في « دائرة المعارف الاسلامية » : « وكان كاتم سر المعتضد ، ثم كبير وزرائه » ، ثم ساق قول الأستاذ فيليب حتي في « تاريخ العرب المطول » : « ولاه رئاسة الوزارة وإمارة الجيش » . وليس من شك في أن المستشرق « كور » إنما استقى من السابقين ابتداء من ابن خاقان ، ثم عبر عن إفادتهم المذكورة المعممة في التفويض والتقليد بما يماثل ذلك من مناصب أهل العصر ، التي فيها زيادة التصرف بالنسبة الى تصرف مطلق وزير ، وذلك ككاتم السر ، أو كبير الوزراء كما هو بين . وأما عبارة الأستاذ « فيليب حتى » فلا تستند في التاريخ الى أساس ، ولا إلى اصطلاح ، فإطلاق رياسة الوزارة إنما هو تعبير من عندياته لإفادة زيادة التصرف ، وليس هذا مما يصح الاستشهاد به . وإمارة الجيش في عبارته قد استبعدها الأستاذ علي عبد العظيم نفسه ، لأنها غير

(٢٤) انظر ص ٢٦١ من كتاب ابن زيدون للأستاذ علي عبدالعظيم .

منصوص عليها عند المؤرخين . وأضيف الى ذلك أن الاستاذ فيليب حتي قد اختلط عليه هنا ابن زيدون بابن عمار ، فهو الذي كان يُسيّر على رؤوس الجيوش [٢٥] كما شاعت غبطة المعتمد فيه التي لم تعرف لها حدود ، وفي ذلك يقول :

ومَنْ ذا الذي قاد الجيادَ الى الوَغى
سِوايَ ؟ ومن أعطى الكثير ولم يُكْدِ ؟

ومن الملحوظات التي يتعين الالتفات اليها في انتقام أن عبارة ابن خاقان : « أظهر صولته ، ودبر دولته » ، ثم عبارته الأخرى في نصه الثاني : « وألقى بيده مقاليد ملكه وزمامه ، واستكفى به نقضه وإبرامه » ، ومثيلاتهما ، كقولهم : « ألقى مقاليد وزارته اليه » ،و« فوّض اليه أمر مملكته » ، أو كقول ابن بسام [٢٦] في ذي الوزارتين الكاتب أبي القاسم محمد بن عبدالغفور صاحب المعتمد ورضيع لبان كأسه وأنسه : إنه « أرعاه تلاعه ، وعصب به خلافه واجماعه » ، ونظيراتها كثيرات : هذه الفقرات تعد كلها من العبارات والإفادات التقليدية المسجعة والمحفوظة على غرار العبارات المتداولة المعروفة بتلفيقات الموثقين الفقهاء ؛ وأكثر ما ترد في نصوص المؤرخين الأدباء ، وأشير على سبيل المثال الى قول ابن الأبار [٢٧] في ترجمة أبي بكر بن القصيرة ، وقد كان المعتمد على الله ثَنّى وزارته : « إنه عظمت حاله ، واتّسع مجاله ، واستولى على دولته استيلاء قصر عنه أشكاله » . وهذا على غرار ما سمعناه آنفاً بحروف أخرى ، موهماً تصرف ابن زيدون المطلق بغير حدود ، مع أن المعروف أن ابن القصيرة قد استكتب بعد ابن عمار الوزير المشاور ؛ وما كان المعتمد بن عباد ليلدغ من جُحْر مرّتَيْن بعدَ الذي جرى وكان من ابن عمار الوزير العديم

(٢٥) المطرب ، لابن دحية ، ص ١٦٩ ، ط : دار العلم للجامعيين .
(٢٦) مخطوطة الذخيرة ، لابن بسام ، الجزء الثاني من تجزئة احدى نسخ «الخزانة الملكية» العامرة بالرباط ، رقم ٩١٤٤ .
(٢٧) اعتاب الكتاب ، ط : مجمع اللغة العربية بدمشق ، ص ٢٢٢ ، وما بعدها.

السياسة والتدبير [٢٨] في الدولتين ، وهو الذي اتسع حقيقة ومجازاً مَجَالُه ، واستولى على دولة المعتمد استيلاء لم يتطلع اليه أشكاله ، فوضع ابن القصيرة ، ولو أنه رقي عند المعتمد الى ذي الوزارتين ، ما كان ليظفره عنده بذلك الاستيلاء الذي قصر عنه أشكاله ، كما يعبر ابن الأبار ، وإنما المقصود من مثل عبارته التي رمت الى الصِّناعة اللفظية ، أكثر مما نظرت الى الحقيقة التاريخية ، أنه أصبح يتصرف كثيراً في عهد المعتمد: بعدَما كان تصرفه قليلاً في عهد سلفه المعتضد ، لا سيما وابن الابّار يقول أيضاً في ابن القصيرة في السياق نفسه : « وأكثر ما عوّل عليه في السفارة » .

ويعترضنا صاحب « قلائد العقيان » [٢٩] في نهاية هذا المقام : مثلما استقبلنا في بدايته ؛ فنجده يقول في أبي بكر بن القصيرة بعد سجعات أقامته غُرَّةً في جبين الملك ، وجعلت الأيام تباهي به ، والأقلام تتيه في يمينه : « فاشتملت عليه الدول اشتمال الكِمام على النَّوْر ، وانسربت اليه الأماني انسراب الماء الى الغَوْر ؛ وأتت الدولة اليوسفيّة ففازت به قِداحُها ؛ وأورى زندَه اقتداحُها » فهذه التهاويل الصناعية تكاد تنحرف بالقارئ عن صميم الموضوع ؛ ولولا أنه أردف فواصله وأسجاعه بما يفيد أن رفع أمير المسلمين يوسف من شأن ابن القصيرة على ذلك المنوال ؛ انما هو منوط بالإنشاء والبيان ؛ لذهب الفهم في نصه كل مذهب ؛ ولقيل عن صدارته في الدولة اليوسفية ما قيل وفهم عن صدارة ابن زيدون في الدولة المعتضدية .

والواقع أن كل العبارات من هذا القبيل ، يتعين أخذها بهذا المأخذ ؛ وإلاّ ضل الباحث عن الفهم ؛ وفاته القصد ، وذلك ما لم تتوارد النصوص وتشهد الأحداث بأن التفويض كان كاملاً ؛ وان الزِّمام كان مرسلا ؛ كما دوَّت الأخبار بذلك عن أبي بكر بن عمار ، ولا يقع الباحث على مثل ذلك بالنسبة الى أبي الوليد ابن زيدون في سفر من الأسفار .

(٢٨) المطرب ، لابن دحية ، ط : دار العلم للجامعيين ، ص ١٦٩ .
(٢٩) ترجمة ذي الوزارتين ابي بكر بن القصيرة .

واتجه الأستاذ علي عبدالعظيم نحو مسلك آخر ، اعتمده لإثبات تأثير ابن زيدون في المعتضد ، وذلك بوسيلة الافتراضات والتقديرات التي تشكل اعتبارات من شأنها أن تسند مفاهيم الافادات التاريخية التي لم تكن نصوصاً قطعية في المراد ، وفي هذا الصدد يقول الأستاذ علي عبد العظيم [٣٠] : « وكان المعتضد يعلم عن ابن زيدون أنه يتقن فن السياسة ، مما يؤهله لبذل النصح الثمين : ويعرف أنه اتصل بملوك الجزيرة ، وخبر أحوالهم ، ودرس طبائعهم : وعرف مكان الضعف فيهم ، فهوَ جدير بأن يبصر المعتضد بالخطة المثلى في الحروب أو السلام » .

ورؤية الأستاذ هذه تنصب على «صميم» الموضوع ، وكأنها خلاء من أيّ شاخص يعكس ظلاً ، أو نسمة تنبعث من أنفاسها نأمة ، فكيف وعلى ظهرها المعتضد العملاق الذي رجّها رجّاً : وأثار بخطواته القارعة هولاً ؟ وأعني أنه لا مناص للباحث من أن يجعل نصب عينيه أن المعتضد — كما يصوره المؤرخون قاطبة — لم يكن من هذا النوع من الساسة الذين يقتفون أساليب بعينها ، أو يهتدي بتجربة رجل سياسة ، أو خبرة صاحب اطلاع ومعرفة ، فالمعتضد إنما كان ينظر في وزيره ابن زيدون قبل كل شيْ الى النديم لا الوزير : وكان يشرئبّ فيه الى قنّة الفكر والشاعر الكبير ، ويرنو الى النجم الذي سيتلألأ في بهرة خاواته بين السامرين والمغتبقين ، وما أحسب أنه كان له أربٌ في ابن زيدون حلس الدّواوين ، فقد كان بلاطه يتوفر على نخبة من هؤلاء ذوي الخبرة والتجربة الذين كانوا — فيما يظهر — يسمعون عنه ويأخذون أكثر مما يعطون : وشأن ابن زيدون كشأن كل ذي وزارة ، أو ذي وزارتين : وقد كان ثالث ثلاثة من كابري [٣١] وزراء المعتضد ، كما عبر ابن حيان ، ومع ذلك فوضعيته هي وضعية ذوي الدراية منهم نفسها من غير زيادة ولا نقصان ، كالوزير أبي عامر ابن مسلمة الذي وطأ لشاعرنا البساط في ذلك البلاط : والوزير أبي الوليد بن

(٣٠) ص ٢٥٠ .
(٣١) الذخيرة ، القسم الاول ، المجلد الاول ٣٥٥ .

عبد العزيز بن المعلم ، فهم جميعاً ؛ وان ثنيت وزارتهم ، منزلون منزلة الأدباء والشعراء ، الذين يعج بهم البلاط ، كأبي جعفر أحمد بن الأبّار ، وكالأديب أبي الحسين علي (ابن حصن) منافس ابن زيدون . فما كان المعتضد يرجع اليهم لغير كتاب يصدر عنه ، أو لجلوس على وَفْق مراتبهم بين يديه ، وذلك لأن أمر هذا الملك إنما قام — كما عرفنا — على وحي عبقريته ؛ فكان ديوانه أريكته في عريسته ؛ وهي خلوته التي يستوحي في صمتها المطبق عمل يومه وساعته لتسيير شؤون الرعية ، وإدارة الجيوش ، وتسيير المعارك ؛ كما نقله المؤرخون . فقصارى أمر وزرائه أنهم زينة في مجلسه ؛ والمحظوظ بينهم من أهّله استعداد كابن زيدون لمطارحة الأشعار ومعاطاة كؤوس العقار ؛ وفيهم من كانت تستدرجه شهوة المعتضد لخلوات الليل النيرات ؛ وإن لم يكن من أهلها ؛ كالوزير ابن مسلمة ، ولكنه كان يداري ويساير حين يدعى لها ، فيهطع اليها ؛ وإن الصورة التي رسمها لنا ابن بسام [٣٢] لصراع الحظوة والحظوظ بين ابن زيدون ومنافسه الشاعر ابن حصن ؛ لتثير الشك في جدية تعلق المعتضد بخبرة رجال بلاطه ، وبمعرفة ابن زيدون بالخطط المُثْلى في معاملة الرؤساء والملوك ؛ فمن خلال ما يرويه ابن بسام في ترجمة ابن حصن يتبرج لخيالنا مشهد من مشاهد حلبات صراع الديكة في هذه العصور ، فنرى المعتضد يرسل أحد الشاعرين المتنافسين على الآخر ، ليرضي شهوته القاهرة بِتَنابُزِهما وبدَوَران الشنائين الذين يطلقهم بينهما .

وهكذا في مثل هذا الجو يبدو أن الخبرة الخاصة التي يقدر الأستاذ أنها خبرة سياسية واجتماعية تؤهل ابن زيدون « لبذل النصح الثمين » ، وتجعله « جديراً بأن يبصّر المعتضد بالخطة المثلى في معاملة ملوك الجزيرة » إنما هي في نظرة المعتضد خبرة الشاعر بالطبيعة والمزاج ، وأصالة النديم بقيام الليل والتعود للكأس ، قبل أن

(٣٢) الذخيرة ، مخطوطة القسم الثاني ، في ترجمة ابي الحسين علي (ابن حصن) .

ينطوي تحت برديه الوزير بالممارسة ولعبة السياسة في ساحة الملوك والرؤساء . وقد كان ابن زيدون حقاً وزيراً مكايداً مصابراً نعرف من قصة مصير ابن حصن الذي مكر به وأرداه ، وكما نعلم أيضاً من قصة ظفره بالكتابة عن المعتضد التي كاد فيها لسلفه ابن عبدالبر ، وداورَ ليحل محل الباجي المرشح ؛ ولكنه كان حتى في كيده ومكره شاعراً مغلباً لطماحه ؛ ومكشوف السريرة ، بلسان حادّ تديره أعصاب مهتاجة ، لا تحد طغيانها قيود رويّ أو قافية .

ويقربنا من هذا الذي أراه أنّ ابن زيدون ما حمل في مناصبه أو في صداقاته إلّا على وجهه الأدبي الذي أشرق في سماء بني جهور : فاختص به أبو الوليد ابن جهور قبل مصير الأمر اليه، صديقاً ونديماً في ساعات لهوه وغواياته . وحينما ارعوى الأمير ابن جهور وتبتل ، ثم انصرف الى جد أمانة الحكم التي صارت اليه ، بعد أبي الحزم والده ، كان وجه ابن زيدون الشاعر المنادم داعية صرفه عن وزارته ، والعدول بها عنه الى غيره . وحينما راجع نظرته اليه وصرفه في السفارة[٣٣] لم يرجع فيه الى الخبير العارف بأحوال الرؤساء ؛ وإنما الى صاحب العارضة واللسن. وعن مؤهلاته هذه للسفارة قال ابن حيان : « وصرفه في السفارة بينه وبين رؤساء الأندلس فيما يجري بينهم من التراسل والمداخلة ، فاستقل بذلك ؛ لفضل ما أوتيه من اللسن والعارضة ، فاكتسب الجاه والرفعة » .

ولما ألمّ بإدريس العالي بمالقة في سفارته الشهيرة ، لم تُغْرِ هذا الشريفَ الأميرَ شخصيةُ ابن زيدون السياسية وخبرته الأندلسية ؛ التي قد يستفيد منها لدعم إمارته ، وانما استيقظت فيه غبطة الأمير اللاهي الذي طلع عليه السفير الشاعر بالمنادم الذي « خف على نفسه ، فأحضره مجالس أنسه»[٣٤] . وأخيراً هاجر الى المعتضد عباد ، فقال ابن حيان ، مرتباً صلاحياته في بلاطه على هذا

(٣٣) الذخيرة : القسم ٢٩١/١ .
(٣٤) الذخيرة : القسم ٢٩١/١ .

المنوال : « وصار من خواصه وصحابته : يجالسه في خلواته ، ويسفر له في مهم رسائله » .

وقد عرفنا أن ابن حيان لم يذكر له بعد السفارة ذات المؤهلات المشار اليها غير الكتابة عن المعتضد عباد ، وهي وزارة إنشاء ، اضطلع بها قبله وبعده في ذلك البلاط أدباء ، أوردت ذكرهم في غير هذا المقام ، وهم عند مترجميهم فرسان أقلام ، وقيارمة بياض وسواد ، وليس من مهماتهم نصح أو شورى ، ولا سيما ونحن في ساحة المعتضد عباد .

نعم ، إننا أمام ظواهر خبرة ، فالأستاذ علي عبد العظيم يقول [٣٥] : « كان المعتضد يتطلع الى التهام قرطبة ، فكان يفسح صدره للمهاجرين منهم ، ويغمرهم بآلائه ، فاذ ظفر بابن زيدون الذي ولي وزارتها ، وسفر لها ، وخبر أمورها ، فقد ظفر بغُنْم عظيم ، يسهل عليه سبل التهامها » .

وعن ولده وخلفه المعتمد ، ذكر تحت عنوان « فتح قرطبة » كما نقلت قوله سابقاً بحروفه : أنه كانت به حاجة قوية الى خبرته وحنكة تجاربه .

وهكذا يعترضنا الأستاذ أيضاً بظواهر الخبرة والحنكة ، التي استفاد منها السلف والخلف ، ولكنها منوطة كلها بتحريضهما على قضية فتح قرطبة ، وبها وعندها ابتدأت وانتهت النصيحة والمشورة .

ونجد هذا التحريض مسجلاً بعبارات مختلفة ، فهو « يذكي في المعتضد شهوة فتحها » [٣٦] « ويسهل لهم هذا الفتح » [٣٧] ، و « يسهل له سبل التهامها » [٣٨] ، « ويؤجج فيه هذه الرغبة » [٣٩] ، « ويذكي نهم ابن عباد الى التهامها » [٤٠] .

وهي غريبة حقاً أن لا تقع بين دفتي كتاب الأستاذ علي أيّ مظهر من مظاهر خبرة ابن زيدون وحنكته في غير ما يتصل بهذا الفتح المبير .

(٣٥) ص ٢٥٠ . (٣٦) ص ٢٥٠ .
(٣٧) ص ٢٤٩ . (٣٨) ص ٢٥٠ .
(٣٩) ص ٣٧ . (٤٠) ص ٢٨٥ .

وهكذا ، تبعاً لهذه الافادات ، ونتطلع المعتضد الى قرطبة ، أفاءت عليه قرطبية ابن زيدون من ريعها – كما يرى الأستاذ – من حيث هو ابنها الأصيل ، الذي كان من ورائه أهل وأحباب ، وشيعة وأنصار « حتى في بلاط بني جهور » وأن هؤلاء قاموا كما يعلم من نص [41] الأستاذ المسوق سالفاً بلفظه بدور الكتيبة الخامسة في قلب قرطبة ، وبترجيه ابن زيدون أجمعوا أمرهم على خلع عبدالملك ابن جهور والدعوة لبني عباد .

وتتمة لهذا الافتراض والتقدير ، وانسياقاً مع ما أوحت به خبرة ابن زيدون ودفع اليه تحريضه – بحسب ذلك الافتراض – بطرقه المختلفة ، اندفع المعتضد الى مداورة كان ابن زيدون يتراءى فيها الربح المضمون واللعب على ذقن المأمون بن ذي النون ، وذلك انه ضلله ، وهو بالطمع في قرطبة مجنون ، فتظاهر له بأنه لن يضايقه في الاستيلاء عليها ، على أن يكون العوض تسليمه « قرمونة » [42] ،

(٤١) انظر كتاب (ابن زيدون) للأستاذ عبدالعظيم ، ص ٢٨٥ .

(٤٢) كل هذا ملخص من منطوق نص الأستاذ علي عبدالعظيم ومفهومه الذي اوردته بلفظه سابقا ، وتجده في (ص ٢٨٥) من كتابه . وقصة «قرمونة» قد اختصرها الاستاذ اختصارا يفهم منه ان «قرمونة» كانت في الاساس من املاك المامون ، والواقع انها كانت من املاك الرئيس عبدالعزيز بن اسحاق آخر امراء البرازلة اصحاب «قرمونة» و «استجة» و «المدور» ، وكانت بينهم وبين العباديين ثارات ، وشاخت الحرب بينهم ، وضاقت احوال هذا الامير باعتداءات المعتضد على تراب امارته ، فحاول أن يكيد المعتضد بعرض تقدم به الى المأمون بن ذي النون صاحب «طليطلة» ، لما يعلمه من ان المنافسة بينهما في الزعامة قائمة سائرة . وذلك انه عرض على ابن ذي النون ان يتنازل له عن «قرمونة» ، لقربها من املاكه ، على ان يعطيه عوضها في بلاده الجوفية ، حتى يكون بنجوة من الاعتداءات العبادية ، وتم التنازل ، واستقر الامير البرزالي في «المدور» ينتظر تمام الصفقة ، واذا بالمعتضد ينهد للعمل في حينه ، فيداخل المامون ، ويطمعه في المساعدة على تملك قرطبة ، في مقابل تسليم «قرمونة» ، ونجعت الحيلة ، وتنازل المامون للمعتضد عنها ، وظل صاحبها العزيز البرزالي يدور في «المدور» الى ان تلاشى ، فكان آخر العهد به ، وبمملكة هؤلاء

وتمت الصفقة وانطلت على المأمون الحيلة ، واستشف المعتضد جدوى خبرة ابن زيدون القرطبية ، الذي يعلم أن المأمون وهو بربري « سيجد مقاومة عنيفة من أهل قرطبة ، موقناً (أي ابن زيدون) أن بغضهم للبربر سيحملهم على الاستعانة بابن عباد » ، ومعنى هذا أن المأمون ستخرج من يده مالقة ، ولن يستولي على قرطبة ، وتصبح كل منهما في ملك المعتضد عباد ، وذلك ما كان .

وهذه القرطبيات ليست بالاعتبارات القوية التي يمكن أن يُستأنَس بها لإثبات تأثير ابن زيدون في المعتضد كما هو المراد ، لأنها لا تنبع من حقائق تاريخية ، ولأن بعضها لاينسجم مع ما يتمثاه الباحث من الأوضاع السابقة واللاحقة لممالك الجزيرة ؛ وفي هذا يقال : إن قرطبية ابن زيدون بمشخصاتها ومقوماتها المذكورة مما يثير الغبطة حقاً فيه عند عباد ، ولكن الى حد محدود ، لأن اشبيلية العباديين كانت تعجّ في ذلك التاريخ بالكثير من القرطبيين ذوي الخبرة وأصحاب المواهب الفكرية الذين هاجروا اليها منذ بداية الفتنة ، فقد كان محمد بن اسماعيل جد المعتضد عباد يؤوي صنوف جالياتهم ، ويرحب بالتجائهم . ولابن الأبار في هذا المعنى نص معروف جلبه الأستاذ نفسه حجة في المقام . ولكن النظر اليه الآن من زاوية أخرى أخرجه – كما ترى – عن سياقه هناك الى هذا المساق .

وقد كانت للشخصيات القرطبية هجرة أخرى الى كَنَف بني عبّاد ، وذلك حين أعلن القاضي أبو القاسم والد المعتضد أخلوقة هشام المؤيد ، وهذه الهجرة محتملة متوقعة ، وإن لم ينص عليها التاريخ ، ولم تذكر أسماء المهاجرة من أعلام القرطبيين وأعيانهم ، فمن المتوقع أن يزعج اليها مبدأ التشبث بالخلافة في إشبيلية ، بعد أن زاغ عنه أبو الحزم بن جهور في قرطبة ، ولج في معارضة القاضي ابن عباد ، على الوجه الذي عرفناه .

= البرازلة . البيان المغرب ، الجزء الثالث ٢٨٣/٣ و ٢٦٩ . ذيل البيان المغرب ، ص ٣١٢ . تاريخ ابن خلدون ج ٥٧/٤ . اعمال الاعلام ، ٢٧٣/٣ الخاص بالاندلس .

والقرطبية الثانية تطالعنا بغرابة أخرى حين نتصور أن بني عبـــاد سواء منهم المعتضد ، أو والده القاضي ، أو ولده أبو القاسم المعتمد – قد كانت بهم حاجة الى من يحرضهم على فتح قرطبة ، بعد الذي عرفنا من أن سياستهم في الزعامة كانت قائمة على امتلاك ناصية دار الخلافة ، وذلك شأن كل متزعمة ذلك العهد الذين كانوا يتطلعون اليها . وقد تجاوز العباديون التطلع الى العزمات بحسب تعبيرات سالفات ، ومازلنا نذكر عزمة القاضي ابن عباد والد المعتضد ، حين نازلتها كتائبه بقيادة ابنه وقائد جيشه اسماعيل في جولتين : وكان حتفه في الثانية عام ٤٣١ هـ . وأهم ما يذكر الذاكر على هامش هذا أن ابن زيدون قد سفر لأبي الحزم بن جهور لدى باديس صاحب غرناطة ، في شأن الشكر على النجدة التي شتّتت أجناد العباديين ، وحزت رأس قائدهم اسماعيل . ومنذ ذلك اليوم أصبح الدم العبادي المهراق على ثرى أرباض قرطبة ، وصراخ هامة ابنهم اسماعيل ، يذكيان فيهم النهم المسعور للظفر بها ، فأين يا ترى نضع تحريض ابن زيدون المفترض الماثل طوال اثنين وعشرين عاماً ؟ في باب المحرّضات ، أم في باب ثارات الدماء ؟

وشيعة ابن زيدون وأنصاره : كيف جاز أن تصح لهم مداخلة مع أهل قرطبة ، من ابن زيدون ، أو بمحض الاقتصاص له من الجهاورة ، حتى تكون من أسباب الإطاحة بدولتهم المنكودة : ثم لا يكون للمؤرخ شاهد البطشة الكبرى وغيره من المؤرخين خبر هذه الشيعة الزيدونية التي شاركت في الإجهاز على دولة ، ورفع الراية لأخرى ؟ مع أن أهل قرطبة في غنى بطبيعتهم عن كل تحريض وإثارة ، فقد كانوا كما نقل ابن سعيد عن والده : « أكثر النّاس فضولاً ، وأشدهم تشنيعاً وتشغيباً : ويضرب بهم المثل بين أهل الأندلس في القيام على الملوك والتشنيع على الولاة وقلة الرضا بأمورهم » . وفي هذا يروون أيضاً [٤٣] عن السيد أبي عيسى بن يعقوب بن عبدالمؤمن أنه قيل له حين انفصل عن ولايتها : « كيف وجدت أهل قرطبة ؟ قال : مثل الجمل ، إن خففت عنه الحمل صاح ، وان أثقلته به

(٤٣) نفح الطيب ١٥/٣ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد .

صاح ! ما ندري أين رضاهم فنقصده ، ولا أين سخطهم فنجتنبه ؛ وما ساط الله عليهم حجاج الفتنة حتى كان عامتها شراً من عامة العراق ، وإن العزل عنها لما قاسيتُ من أهلها عندي ولاية ، وان كلفت العودَ اليها لقائل : لا يلدغ المؤمن من جُحْر مرتين » .

وبإزاء هذا ، كانت سيرة عبدالملك بن جهور الذي كان يومئذ بيده الأمر ، كافية لإثارة هذه النزعات القرطبية : فقد استبد وطغى وفجر وتكرَّه الى الناس ، بحسب تعبير ابن خلدون في المقام ؛ وأصبح الغويّ الظالم في لسان أهل الزمان ، فلا غرو أن ينحازوا من تلقاء أنفسهم الى العباديين الذين أجلوا المأمون عن الحاضر ، واستولوا عليها غِرَّةً في اللحظة التي كان يتهيأ عندها عبدالملك لتوديع عسكرهم وشكرهم على دفاعهم .

فلن يصح في التقدير اعتبار مداخلة من شيعة ابن زيدون ، أو احتياج الى تحريض منها كما هو مفهوم .

ودونك أيضاً قصة انتزاع المأمون بن ذي النُّون قرطبة من يد العباديين بعد ذلك في (جمادى الأولى ٤٦٧ هـ/ ديسمبر ١٠٧٤ م) بنزوة ابن عكاشة ؛ فهي تعرضهم علينا وهم يشاركون في البطش بابن مرتين ؛ قائد حامية قرطبة والمساعد بالجنب لواليها الظافر عباد بن المعتمد ، وابن مرتين هو هو نفسه الذي بيتوا معه من قبلُ الانتقاضَ على الجهاورة ، والمناداة بحكم العباديين ؛ وقد قال الفتح بن خاقان ؛ وهو يحكي القصة ، ويشير الى مأساة الظافر [٤٤] : « ولم يزل فيها آمراً وناهياً ؛ غافلاً عن المكر ساهياً ، حسن ظن بأهلها اعتقده ؛ واغترار بهم ما رواه ولا انتقده ؛ وهيهات ! كم من ملك كفنوه في دمائه ؛ ودفنوه بذمائه ؛ وكم من عرش ثلوه ؛ وعزيز أذلوه » .

(٤٤) قلائد العقيان ، تصحيح : سليمان الحرائري ، ص ١٢ .

وما أحسب بعد هذا أن بأهل قرطبة – وقد كانوا في هيْعة – حاجة الى تنغيم من ابن زيدون ، لتعروهم هزة الانقلاب ؛ كلما تغيرت الأحوال : وعرفت الساحة الغالب والمغلوب! ومن المستبعد أيضاً أن يعتقد وينظر الى المأمون بن ذي ذي النون ، على أنه في عداد العناصر البربرية التي كان القرطبيون يضمرون لها حقداً موروثاً ، وأن يرتب على هذا « أن بغضهم (أهل قرطبة) للبربر سيحملهم على الاستغاثة بابن عباد » . وبهذا لن يتم لابن ذي النون البربري في قرطبة مراد .

وهذه النظرة الى المأمون بن ذي النّون التي رتب عليها الأستاذ افتراضه وتقديره ، منطلقة ولا ريب من الأخذ بظاهرة الصراع بين العنصرية العربية والعنصرية البربرية ، الذي كان له تأثيره في سير بعض أحداث الجزيرة ، وفي تصرفات بعض رجالها . وذلك رعياً لِما كان لصراع المضرية واليمنية من تأثير ، إنْ في الأحداث المشرقية ، أو المغربية بالجزيرة الأندلسية . ولكن الذي تتعين مراعاته والأخذ به في هذا المقام ، هو أن ينظر الى بربر الجزيرة على أنهم عنصران اثنان : برابرة قُدامى « تأقلموا » بمرور الأجيال ، وانصهروا مع العرب ومع أبناء البلاد من المولدين والمسلمة المتعربين – والعنصر الثاني برابرة طارئون عرفوا بالطوارئ وبمرتزقة البرابر ، ولايطلق هذا التعبير أساساً على حشود قبيل برابرة صنهاجة الذين فسح لهم عبدالملك بن أبي عامر في الدخول الى الأندلس بالرغم من أن والده المنصور قد استنكف قبله من إقامتهم بها . وهذا هو العنصر البربري الذي عرف بالتشغيب ، والقيام بالفتن ، ودواهي التخريب في قرطبة ، وخلف في نفوس أهلها حقداً على مر الزمان .

وقد كان دخول هذا القبيل من صنهاجة خاصة الى الجزيرة مثيراً للعرب الذين شاءت لهم سياسة الاحتراس ، التي أخذ بها المنصور بن ابي عامر من قبل ،

أن تزخرهم عن مقامات الدولة ، وتسقطهم من مراتبها الكبرى [٤٥] ، ومن ثـَمّ كان دخول حشودهم الجزيرة سببَ قيام تضامن ، جمع كلاً من العرب الذين أصبحوا أقلية يومئذ ، والبرابر القدامى ، ثم المولّدين من أهل البلاد والمستعربين المسلمة منهم ، وألّف هذا التضامن جبهة لمواجهة كل من الصقالبة والبرابرة الصنهاجيين الطارئين . وعن هذا التكتل تولدت عصبية جديدة أطلق عليها العصبية الأندلسية [٤٦] : وقوامها الأصالة الإقليمية ، تلك التي أمدتهم – عرباً وبربراً – بمقومات حضارية وذوقية ، فكانت حواضرهم على مستوى واحد من القيم والمشخصات التي انتهت الينا آثارها الفنية ، وأخبارها العلمية والأدبية ، وكأنها تراث مملكة واحدة متحدة العرق واللغة .

وفي ظل هذه العصبية الأندلسية الجديدة قامت زعامة العباديين الذين كانوا يشرئبّون من عاصمتهم اشبيلية الى توحيد ممالك البربر الأندلسيين ، كبني ذي النون أصحاب طليطلة ، وبني الأفطس أصحاب « بطليوس » وبني رزين أصحاب « السهلة » ، مثلما تطلع العباديون الى احتواء الممالك الصقلبية التي دفعتها مصالحها في الأخير الى الانضمام الى هذه الكتلة الأندلسية بعد سابق جنوح الى هؤلاء تارة ، والى أولئك أخرى ، وذلك بأثر قيام إماراتهم الصغيرة المعروفـة بالإمارات العامرية في شرقيّ الجزيرة .

وقد تنبه المؤرخون القدامى الى هذه الظاهرة ، فنقع على تعبير (أهل الأندلس) عندابن بسام ، نقلاً عن ابن حيان ، حين يقول [٤٧] عند ذكر خبر مقتل الأمير

---

(٤٥) تاريخ ابن خلدون ١٤٨/٤ .

(٤٦) راجع الفصلين المهمين ، الثالث والرابع ، من كتاب : «قرطبة حاضرة الخلافة الاموية» للدكتور عبدالعزيز سالم . وارجع ايضا الى شذرات مبثوثة في كتاب : «نفح الطيب» تعد اصلا ومصدرا لاستقراء معالم هذه الظاهرة .

(٤٧) الذخيرة ، القسم الاول ، المجلد الاول ٣٩٨ ، الطبعة الاولى .

المرتضى ، وذلك على لسان المنذر بن يحيى الذي مر بسليمان بن هود صاحبه ، وهو ثابت للافرنجة لا يَريم موقفه ؛ فصاح به : « النجاة يا ابن الفاعلة : فلست أقف عليك ، فقال له سليمان : جئت والله بها صلعاء ، وفضحت أهل الأندلس » . ثم حين يقول [48] مرة أخرى في الفصل نفسه : « ولهول ما عاينه زاوي الصنهاجي من اقتدار أهل الأندلس في تلك الحرب » ، ثم عند ابن عذاري [49] وهو يتحدث عن مساوئ عبدالرحمن بن ابي عامر : « ونادم وجوه الجنسين أعني البرابر والأندلس » . وبأوضح من هذا نجد ابن الخطيب [50] يصرح بعبارة (العصائب الاندلسية) ، فيقول وهو يتحدث عن دولة علي بن حمود بقرطبة : « ولما التف البرابرة والمغاربة بسليمان استيحاشاً من العصائب الأندلسية » ؛ وتارة يصرح [51] بعبارة (العصبية الأندلسية) .

ويفهم من هذه النصوص أنها صورت الوضع بعيد ظهور بوادرها تقريباً الى أن تبلورت الظاهرة في التعبير الواضح بالعصبية عند ابن الخطيب ، مع العلم بأن تعبير ابن حيان المنقول عن ابن بسام ينم على « تبلور » سابق ، لم يخف على ذلك الألمعي الذي زوده الله بحاسة سادسة ، زيادة على ما كرم به بني قومه من فطنة وألمعية .

وهكذا يمكن أن نقول إن اعتبار المأمون بن ذي النون من قبيل تلك العناصر البربرية التي بذرت البغض والإحنة في نفوس أهل قرطبة ، هو مما لا ينسجم مع هذه الظواهر التي تنبه اليها القدماء ، وحللها المحدثون على أنها حقائق تاريخية جديرة بالالتفات . هذا ، مع العلم بأن أهل قرطبة لم يكونوا ليروا في المأمون بن ذي

(٤٨) الذخيرة ، القسم الاول ، المجلد الاول ٤٠١ .
(٤٩) البيان المغرب ، ٣/٢٧٠ .
(٥٠) اعمال الاعلام ، جزء الاندلس ، طبع بيروت ، ص ١٣٨ .
(٥١) اعمال الاعلام ، ٨٧ .

النون – لأسباب أخرى سبقت الإشارة اليها – ذلك البديل الذي يسد مسدّ الجهاورة أو بني عباد الذين خلفوهم في الحاضرة .

فما حاجة قضية بني عباد القرطبية لشيعة ابن زيدون ومداخلاتها في قلب قرطبة ، وقد غوي صاحبها عبدالملك وتكرّه الى أهلها ، وكسبها المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة ، وبمَهامزِ قشتالةَ ركض في أرباضها ؟

ونستطيع أن نسجل الآن أننا لم نعثر في هذه الفروض والتقديرات على ما من شأنه أن يدلنا على تأثير ابن زيدون في المعتضد عباد ، ذلك التأثير الذي يجعل أمور الدولة كلها . ومنها الفتوح ، موكولةً اليه ، والزمام مطلقاً في يديه على مدى أصداء سجع ابن خاقان . وهذا ، مع العلم أن حظوته في البلاط وحلوله من المعتضد بذلك المكان الذي حلّ ، قد أتاحت له أن يتصرف بالرفع والوضع ، ويصرف السلطان بالضرّ والنفع ، ولا ريب أن هذا ما ضاق به خصومه ، لئلا يصبح سلطان المانّة على عهده فوق كل سلطان ، ومقام الأستاذيّة فوق كل المراتب والألقاب .

المنطلق الثاني للجواب عن سؤال : من كان وراء(البطشة الكبرى)؟ ويرتكز على أن نقمة ابن زيدون على الجهاورة هي داعية انتقامه بالتحريض المتوالي على (البطشة الكبرى) ؛ أو بالوقوف وراءها ، كما في عبارة السؤال ، ومردّ هذا الانتقام الى ما كان دُهي به ابن زيدون كما هو معروف من (تهمة اغتصاب المال) الشائنة ، التي اتخذت ذريعة لمتابعته بالقضاء ، وبضجة العيان ؛ وألقت بـه في غَيابات السجن ، وأجلَتْه عن قرطبة ، وفيها معقَد تمائمه ؛ ومرتع عزّه ، وجميع مُنَى نفسه ، ويقول الأستاذ [٥٢] علي عبد العظيم في هذه التهمة التي قلبت حياته من حال الى حال : إنها كانت « صدمة أليمة على الشاعر ، لأنها متعددة الجوانب ، متشعبة الأهداف ، فقد أصابته في مكانته ؛ وجاهه ، كما

(٥٢) ص ٢٠٤ .

أصابته في حبّه المرجوّ ، وفي سمعته الأدبية والخلقية ، وكل هذا يهون الى جوار شماتة الأعداء وتشفّيهم ومما يزيد الصدمات حدة أنها وقعت على رجل مترف ، نشأ في مهاد النعمة ، ، وتقلب في أعطاف النعيم ، واعتاد أن تكون له الصدارة في كل مجال ، وهو إلى هذا رجل مرهف الحس ، مشبوب العاطفة ، تتلقى أعصابه الصدمات مضاعفة » .

ومن دواعي انتقامه أيضاً ما نقله الأستاذ عن صاحب « المعجب» إذْ يقول :[53] « كان يبلغه عن بني جهور ما يسوؤه في نفسه وقرابته » ، ويرتب عليه الأستاذ : « أن من المألوف أن يدبر الوسائل للانتقام منهم بما يملكه من تأثير على بني عباد » .

بهذه الدوافع النفسية ينساق ابن زيدون ، ليكون وراء حدث قرطبة ، وكأن هذا كاف لتسويغ الانتقام بمثل تلك (البطشة الكبرى) . ومن الواضح أنها نظرة من زاوية قد لا تتوافق مع رؤية ثانية من زاوية أخرى ، ذلك أن هذه المكاره كلها ، وفيها ما يبلغه عن قرابته في غيبته ، كانت على عهد أبي الحزم ابن جَهْوَر ، لأسباب لا يعنيني تفصيلها هنا ، وقد اختار الله أبا الحزم الى جواره عام ٤٣٥ هـ ، وخلف من بعده ولده أبا الوليد صديق الشاعر ، الذي جازف في حياة والده الرئيس بالإقدام على انتشال ابن زيدون من محنته في جسمه ونفسه وقرابته ، مقدّماً حق صداقة الصديق على جوانب رعاية ما أراده الوالد ، وصلو به حكم الحاكم . ثم لما خلف أبو الوليد بن جهور والده أبا الحزم نجحَ في تقريب ابن زيدون وتقديمه « بين الذين اصطنعهم لدولته » ، وكرمه بالسفارة لدى أدريس (العالي) صاحب مالقة يومئذ ، وبعد الذي كان منه في سفارته العابثة هذه التي عزله عنها ، سرعان ما « عاد الى جميل رأيه فيه ، وصرفه في السفارة بينه وبين رؤساء الأندلس فيما يجري بينهم من التراسل والمداخلة » ،

(٥٣) المعجب للمراكشي ، ص ٦٢ ، ط : سلا ــ ابن زيدون للأستاذ علي عبدالعظيم ، ص ٢٨٥ .

وتلك كلها انعامات سجلها المؤرخ ابن حيّان . فالمفهوم أنه فارق قرطبة وهو رضيّ النفس ، رفيع الشان ، وهذا فيما أقدر — هو داعي الرسالة التي وجهها من بلاط المعتضد عباد الى أبي الوليد بن جَهْوَر ، يشكر فيها نعمته ، ويشيد بإفضاله عليه،والأستاذ نفسه يرجح —وقد أصاب— أن ابن زيدون ما سجن إلا مرة واحدة على عهد أبي الحزم ، ويضعف رواية سجنه على عهد أبي الوليد ابن جهور ، ثم هناك رائية ابن زيدون التي رثى بها أبا الحزم [٥٤] ، ومثلها التي رثى بها أم خلفه ولده أبي الوليد ، ثم أضفْ الى ذلك قصائده فيه بعدَ المحنة ، وأظهرُها في هينة ما بقي في نفسه من إحنة ، داليته التي يقول فيها :

هل النداءُ الذي أعلنت مستمعُ أم في المتات الذي قدمت منتفَعُ

ومع ما هو مفهوم من أن هذه الأشعار ليست الا صوت المجاملات ، وقصائد جاءت بها المناسبات ، فان من شأنها أن تلطف حقده ، فلا يستحرّ على مدى السنين جمرات ملتهبات .

ويلاحظ أن نص ابن حيان [٥٥] الذي يسجل إنعامات أبي الوليد بن جَهْوَر على ابن زيدون ، قد عنى بتعدادها فقال : « أوسع راتبه ، وجلله كرامة لم تقنعه » ، ثم قال في آخر فقرة من هذا النص في حالة ابن زيدون أثر هذه الأيادي السوابغ : « فاكتسب الجاه والرفعة ، ولم يبعد في ذلك عن التهافت في الرقي لبعد المهمة » . وهذا نص ناطق بأنه فارق قرطبة ، وهو على جاه ورفعة شأن ، وسليم من شوائب الأضغان .

ولعل هذا التهافت على الترقي الذي يعني طموحاً مشبوباً ، وظاهرة عدم قناعة سجلها عليه ابن حيان بلفظها [٥٦] ، مما يتيح القول بأن الأستاذ عبدالعظيم أراد ،

(٥٤) الذخيرة ، القسم : ١ ، المجلد : ٣٦٦/١ ، وما بعدها . ط ١ .
(٥٥) الذخيرة ، القسم : ١ ، المجلد : ٢٩١/١ .
(٥٦) سيقدم لنا الأستاذ علي عبدالعظيم أحد مظاهرها ، حين غضب ابن زيدون لفوز ابن السقاء بوزارة كان شاعرنا يؤمن بانه هو القمين بها .

وهو يوجه دواعي الانتقام ، أن يحلل نفسية شاعر إنسان تجاه محنته ، ولكننا لا نقع تحت ركام أخباره هذه ، ولا نرى من خلال ثلاثين سنة أو تزيد ، قضاها كما رأى الأستاذ في التحريض على المكاره ، ولا نظفر في ذلك القابع وراء (البطشة الكبرى) – كما يرجحون – إلا بمجرد آدمي ليس بالانسان ولا بالشاعر .

فهل يصح أن تتأصل جذور الانتقام في خلد إنسان ، وتظل متأججة زافرة تلهبه بالتحريض والإثارة طوال ثلاثين عاماً أو تزيد ، وأعني منذ تاريخ محنته بالسجن عام ٤٣٢ هـ الى تاريخ « البطشة الكبرى » عام ٤٦٢ ؟

وأي (عاطفة مشبوبة) هذه عنده الشاعر ، وهي التي تأخذ الولد أبا الوليد بوزر أبي الحزم الوالد ؟ .

وكيف يصح من رجل مرهف الحس أن تنطلق من سعيه ، وبعد ذلك الأمد المديد غلاظة « البطشة الكبرى » ، وكأن وقع المحنة ما زال طرياً يرعش في أعصابه ، بعد تصرّم هذا العهد الطويل ، فيأخذ الشيخ المفلوج وحريمه ذلك الأخذ الوبيل ، وهو رهين الزمانة التي لم يكن له معها حول ولا طول ، ولا بيده عندها نهي ولا أمر ، وهو ، هو نفسه أبو الوليد بن جهور ، خدن أبي الوليد ابن زيدون في الخلوات ، وشاب الأمس الذي آل اليه الأمر فتغاضى عن كل ما كان ، ولم يلق أذنه لما تهامس به الناس ، مما لا يتهاود في شأنه أصحاب السلطان ، وإنما رده الى مهاد نعمته ، وأفضل عليه حتى أضاف ترفاً الى ترفه .

فأيهما كان وراء (البطشة الكبرى) ؟ أهو ابن زيدون الشاعر الإنسان ؟ أم هو ذلك الحيوان الذي لم يجمله الله بروية ، ولا بحاسة إنسانية ، وما تغنّى على إيقاع رويّ ولا قافية ؟ !

ويدخل في باب الدوافع النفسية أيضاً ، التي سوّغت بطشه وانتقامه ، ما سجله الأستاذ علي عبدالعظيم بعد نصه السابق ، انسياقاً مع طريقة تعداد الدواعي

والأسباب، وذلك حين قال [٥٧]: ، إن ابن زيدون كان يتمنى أن يصير الوزير الأكبر لأبي الوليد ، ولكن هذا آثرَ عليه ابن السقاء » . ويعلق الأستاذ على هذا فيقول : « فمن المألوف أن يشترك هو والمعتضد في تحريض عبدالملك بن جهور (ابن أبي الوليد بن جهور وخافه) على الفتك بابن السقاء » .

وأعتقد في الجواب عن هذا أنَّ من وجد ضالّته وزيراً أكبر ، ومشيراً أولَ ، على حد تلقيب الأستاذ علي عبدالعظيم ، الذي عزاه لإجماع المؤرخين ، وأن من فضل هوايته في اشبيلية على هواه في قرطبة ، ومن انصاع الى صوت طماحه وشهواتـه في قول القائلين على حد تعبيره :

يقولون : شَرِّقْ أو فغَرِّبْ صريحـة
الى حيثُ آمالُ النفوسِ نِهـابُ
فأنتَ الحُسامُ العَضْبُ عُطِّلَ مَتْنُهُ
وعُطِّلَ منه مضرِبٌ وذُبـابُ
وإنَّ الذي أمّلْتَ كُدِّرَ صفـوُهُ
فأضحى الرِّضى بالسُّخْط منه يُشابُ
وقد أخلفتْ مِمّا ظننتَ مَخـايِلٌ
وقد صَفِرَتْ ممّا رجوتَ وِطـابُ

وأن من أبدل الله درهَم سفاراته لبني جَهْوَر في قرطبة ، بدينار سفارتـه ووزارته المثنّاة في اشبيلية ، وأن من تصدر في مجلس كانت لأهل الأدب فيه سوق نافقة [٥٨] ، وتلألأ في خلوات كانت صهباؤها مشرقة ، وأن من امتلأ جوفه بهذه السعادة ، واستغرق قلبه حبه لولادة ، لن يفضل في نفسه — فيما أقدر — ولو

(٥٧) ص ٢٨٥ .
(٥٨) ابن القطان ، بواسطة البيان المغرب ، ٣/٢٨٤ .

مغرز إبرة لطارق الحقد على بني جهور ، حتى يجعل من وُكْدِه التحريض على هدم دولة ، وتشريد أسرة ، والكفر بنعماء وصداقة .

وقد يصح أن يسجل الباحث وهو يتمثّل الأحداث في سير أبطالها ، ويتطلع الى دوافع حركاتهم وسكناتهم النفسية والاجتماعية ، أن يسجل أن أبا الوليد بن جهور ما عدل بوزارته عن ابن زيدون الى ابن السقاء ، لأنه كان يرى في صديقه شاعرنا خلال تلك الظروف نفسها ما كان شاعرنا نفسه يراه في الوزير ابن عبدوس من أنه « الساقط سُقوطَ الذباب على الشراب ، المتهافت تهافُتَ الفَراش الى الشهاب » ، وذلك أن أبا الوليد بن جهور كان قد ارعوى منذ حياة أبي الحزم والده عن سهرات لهوه ، وعن أباريقه وكاساته . وفي عهد والده أبي الحزم ، أو في عهده، كُسِرت الدِّنان ؛ إيذاناً بتحريم المُدام . وقد كان هذا شعار النزعة الدينية في الحكم ، والرجعة الى طريق الصلاح ، واتخذ مثله في ظروف معينة بالمغرب والمشرق على السواء ، لدواع في سياسة الحكم واحتواء الدَّهْماء . والمعروف أن ابن زيدون وأبا بكر بن ذكوان كانا خَدِينَيْ أبي الوليد بن جهور في لذاته ، وفرسَيْ رِهان في حَلْبَة غَواياته . وغالت المنية أبا بكر ، وانصرف أبو الوليد ابن جهور الى شؤون الحكم، وتَبِعات العهد ، فلم يَسَعِ ابن زيدون إلا أن يظهر التوبة والانصياع مع الغاوين التائبين ! ويعلنها في شعره نغمة صوفية ، ولكنها ترشح بدُوار الخُمار ،ورائحة الخمر.وقد رويت له أبيات عابَتَ بها أبا العباس ابن أبي حاتِم بن ذكوان ؛ يقول فيها [٥٩] :

لست من بابة الملوك أبـــا العبــــ
ـــاس دَعْهُمْ فشأنهم غير شانِكْ

---

(٥٩) الديوان ، ص ١٤٨ ، بتحقيق : الأستاذين : كيلاني وخليفة .

ما جزاء الوزيـــر [٦٠] منك اذا اختـــ
ـــصّك أن تستمرّ في إدمانِكْ
أتـــــراه لا يســتريـــبُ لإمـــا
كك ســـعد العِراق تحتَ لســانِكْ
قد نهـــانا عن المُدام . انتهينـــا
مَعَ أنّا نُعَدّ في غِلمانكْ

ولكل وجهته على كل حال ، فقد أصبح أبو الوليد بن جهور يواجه ظروفاً معتمة بحرب دائرة ، وشماتات سائرة ، وينصرف الى ترتيبات جادّة للسير بشؤون الرعية على وَفْق ما عهدت من ازدهار وصلاح ، وآنست على عهد والده أبي الحزم من سَداد ، فألحّت عليه هذه المواجهات في اتخاذ وزير يشدّ أَزْرَهُ ، ويضبط أمره . وما اعتقد أنه رأى في ابن زيدون الصديق ، خِدْن أيام اللذات ، قريناً لذلك اللّهْذَم النافذ في الميدان ، الذي يضبطِ السلطان ، ويحسم عن الدولـــة الأطماع ، ويخيف الأنداد ، ويَغيظ الأعداء والحساد ، وإنما كان يصلح لها ابن السَقّاء . وبتلك المقومات ؛ وصفه ابن حيان [٦١] وابن القطان [٦٢] ، ودلت أخبار هذا الوزير على جودة استقلاله ، ورجاحة وزنه ؛ ونصحه المتهالك في عمله وطاعته ؛ بقطع النظر عن غمزات ابن حيّان ولذعاته في أولياته وبداياته .

والغالب أن ابن زيدون كان متنعاً في غَيابات نفسه بأن جوّ أبي الوليـــد الجديد اليوم غيرُ جوّه بالأمس . فلا أَرَبَ له فيه ، ولو صفت الأحوال ، ولكنّ

(٦٠) لقب «الوزير» من القاب الرؤساء في اصطلاح الاندلسيين ، وقد كان يلقب به أبو الحزم وابو الوليد ، كما أن لقب «الحاجب» لقب به بعض الملوك ، والملاحظ ان بني جهور لم يضفوا على انفسهم القابا قبل عبدالملك الـذي لقب نفســه بذي الرئاستين . ولكن الأستاذ علي عبدالعظيم قد درج على ان يطلق لقب الأمير ولي العهد على ابي الوليد بن جهور ، مع أن هذا لـم يلقب به ابو الوليد ، ولا اضفاه عليه مؤرخوه .

(٦١) الذخيرة القسم ١ ، المجلد : ١٢٣/٢ ـ القسم ٤ ، المجلد ١٨٧/١ .

(٦٢) البيان المغرب ٢٥١/٣ .

دالّة شاعرنا على الدولة – كما يفيد شعره–، ومركز بيته في قرطبة ، وطبقته الفكرية ، كانت تصور له ابن السقاء غير أهل لها ، وما هو بالذي يستطيع منازلته في ميدانها .

وأحسب أن إلقاءه عصا التسيار ببلاط بني عباد الرافل في اللألاء ، والمنير له طريق العلياء ، قد كان المآب الطبيعي الذي جعل حدّاً لذلك الصراع بين ما كان يعتقده في نفسه وما كان يتصوره عن وزير أبي الوليد الجديد . فمجالس عباد الأدبية وسهراته الليلية ، لم تكن تصلح إلّا له ، ولم يكن يصلح إلّا لها . ولا غَرْوَ اذا ألحّ المعتضد عباد في استدعائه، وتغاضى عن بادرة قوافيه في ابن الأفطس ، التي غضت من عليائه ، فلم يتوانَ عن جذبه ؛ كما يقول ابن حيان ، الى كنفه ، « وصار من خواصه وصحابته ويجالسه في خلواته » .

واذا كانت نقمة ابن زيدون على الجهاورة قد أكلت معظم عمره الذي قضاه متربّصاً بهم الدوائر[٦٣] ، حابكاً للدسائس ، كما ظهر للأستاذ علي عبدالعظيم ، فان الشيخوخة – كما نرى – قد تهجمت على بقايا عمره ، وهو يستقبل منصبه الذي أقر عليه إثر مبايعة المعتمد ؛ وأوجاع المرض أخذت تلمّ به ، وتهدّ من كيانه ، ونِصالُ كيد الأعداء والمنافسين غدت تنهال عليه ، فتسلبه هناءةَ باله ، وراحة نفسه . ومن الواضح أن تكون هذه المثبطات على اختلاف أنواعها ، قد قعدت بالشيخ عن مجاراة الخاصة المقربين في العهد الجديد ، وهي مظاهر تنقل حديثنا من جوّ الى جوّ ، وتسير بنا قصداً نحو :

عهد المعتمد ، وتجاه المنطلق الثالث لمعتقدات الأستاذ علي عبدالعظيم التي يثبت بها تأثير ابن زيدون في المعتمد ، على غِرارِ محاولة إثبات تأثيره في والده المعتضد .

---

(٦٣) ابن زيدون ، للأستاذ علي عبدالعظيم ، ص ١٨٣ .

فالأستاذ يرى – كما سلف – أن المعتمد قد « أقر ابن زيدون في منصبه»[٦٤] الذي كان يتيح له التوجيه والتأثير ، وهو منصب الوزير المثنّى الوزارة ، والمستشار الأول بإجماع المؤرخين ، على حد قوله ، ويرتب الأستاذ على هذا أن[٦٥] من الطبيعي أن لا يقدم المعتضد وابنه المعتمد على أمر خطير ، كفتح قرطبة ، إلا بتدبير من ابنها ابن زيدون » .

ويقول قبل ذلك بصيغة أخرى[٦٦] : « إن الأميرَ كان بحاجة الى الشاعر ، ليستفيد بحنكته وخبرته وتجاربه ، وليتم التدبير الذي بدأه لفتح قرطبة » .

ولعلنا لا ننسى أن الأستاذ قد جلب في الموضوعين نصين للدكتور فيليب حتي ، أحدهما الذي يقول إن المعتضد : « ولاه رئاسة الوزارة ، وإمارة الجيش[٦٧] » وقد سبقت الإشارة الى ضعف الحجة في هذا المنقول المعتدّ به عند الحديث عن المناصب التي تمهدت في رحاب المعتضد لابن زيدون .

والآخر هو الذي جاء فيه قوله : « وكان بإشارة ابن زيدون وتأثيره أن أرسلَ المعتمد جيشاً على قرطبة ، فانتزعها من بني جهور[٦٨] » .

---

(٦٤) انظر نص الأستاذ كاملا في صفحة سالفة ، وراجعه في كتابه : (ابن زيدون) ، ص ٢٨٦ .
(٦٥) كتاب ابن زيدون ، ص ٢٨٦ .
(٦٦) المصدر السابق ، ص ٢٨٣ .
(٦٧) تاريخ العرب (مطول) ، ٣/٦٦٤ .
(٦٨) تاريخ العرب (مطول) ، ٣/٦٦٤ . ومن المستغرب ان يعتد الأستاذ علي عبدالعظيم بتأييد الدكتور فيليب حتي له ، وفي تاريخ العرب (المطول) نفسه ، مع ان اعلاما سابقين قالوا بهذا منذ اكثر من ثلث قرن ، ومن بينهم شيخ العروبة الأستاذ أحمد زكي (باشا) رحمه الله ، في محاضرته في ابن زيدون الشهيرة . اما كتاب الدكتور فيليب حتي في تاريخ العرب «موجزه» ومطوله» فلا يعد مرجعا أندلسيا» كما لايعد الدكتور فيليب في هذا الموضوع اخصائيا ، وكتابه المطول باندلسياته ومشرقياته وبتعدد اجزائه يعد مختصرا بالنسبة الى الابحاث الخاصة المستوعبة ، التي يستأنس بها في مثل هذا الشأن .

وهذه هي قولة الأستاذ علي عبدالعظيم ، وجمهرة الباحثين المحدثين من عرب ومستشرقين ، وهي موضوع ما أسلفت من بحث وتعليق على جملة النصوص والاعتبارات والاستنباطات التي ارتكز عليها جواب الأستاذ عن السؤال الأصيل .

ولكن يلاحظ أن ظواهر العلل الجسمية والنفسية التي أصبح ابن زيدون ينوء تحتها منذ أقره المعتمد بن عباد في منصبه ، أو قبل ذلك بقليل أو كثير ، تعدّ من الظواهر التي تتصل اتصالاً وثيقاً بما نحن فيه .

وإن الفصل المهم الذي خلفه لنا شيخ المؤرخين ابن حيّان عن هذه الظواهر ، ونقله في الذخيرة ابن بسام[٦٩] لينير للباحث المضمار ، فيسير قُدُماً على هذا المنوال ، لأنه يقرب من دائرة الجواب المنشود عن السؤال : هل كان ابن زيدون حقاً يقبع وراء (البطشة الكبرى) باسم المعتمد بن عباد ؟

وقد نقل الأستاذ علي عبدالعظيم نفسه بعض الشذرات من هذا الفصل بحروفها ، جرياً على منهاجه في الضبط ، واستشهاداً لما أبداه تحت عنوان : « خاتمة المطاف »[٧٠] .

وإن التزارد مع الأستاذ على هذا المنهل ، قد جعلنا نتمثل برؤية واحدة مشخصات حالة ابن زيدون الجسمية والمعنوية في هذه المرحلة من حياته ، ونستوعب الظروف المحتفة بوضعيته في البلاط ، ودواعيها يومئذ ، ومبلغ تأثيرها في مضاعفات دائه . وهكذا أرى معه وهو يتحدث على هامش مهمة أعنتت ابن زيدون في آخر أيامه ، وسنسمع قصتها بعد لحظات : « أن المرض[٧١] والكهولة ، والآلام المعنوية ، مضافة الى مَشاقّ السفر ، وفداحة المهمة ، والهواجس النفسية ، تكاثفت جميعها عليه ، فتركت آثارها العميقة عليه » .

(٦٩) القسم : ١ ، المجلد ٣٥٤/١ وما بعدها .
(٧٠) كتاب ابن زيدون ، عصره وحياته وادبه ، ص ٢٨٦ .
(٧١) المصدر نفسه ، ص ٢٩٠ .

والمفروض تجاه تماثل الرؤية ، وأخذ الأستاذ بزمام الأحداث ونزوعه في هذا السياق الى تحليل ما ينقله من شذرات عن نص ابن حيان ، أن يستشعر ولا ريب طائفاً من الشك يلمّ به حول قابلية ابن زيدون ، وأهليته الصحية في نظر صاحب الأمر ، حتى يعهد اليه بتسيير الشؤون ، فضلاً عن الشورى وتدبير أمر الفتوح وهو شك أراه مائلاً ملحّاً ، ولا أدري كيف يصح التفلّت منه ، والأستاذ نفسه ذهب معدداً أعراض تدهور حالة ابن زيدون الصحية والمعنوية ، تعداداً تسنده نصوص المؤرخ شاهدَ الأحداث. فلا يسع الباحث الا أن يلتفت الى تلك الأعراض، التفاته الى صلة ظروفه بها في معترك دسائس البلاط ، ويعير مدى استغلاظها وزمانتها ، ومبلغ تأثيرها ، وتحديد بداياتها التي أخذت تستفحل ولا ريب شيئاً فشيئاً بمضاعفات أودت بحياة ابن زيدون في خاتمة المطاف .

وإن فقرات ابن حيان لَتُغري بالسير في هذا المعنى، إنْ بالنسبة للبدايات أو للنهايات .

وانسياقاً مع هذه النظرة من البداية ، وعلى هدى فقرات المؤرخ ابن حيان ، نجعل نصب العين أن صاحبنا ابن زيدون لم يمتدّ به العمر منذ تاريخ مبايعة المعتمد خلفاً لأبيه في غرة جمادى الأولى من عام ٤٦١ هـ ، غير عامين وشهرين وخمسة عشر يوماً بكامل التحديد ، إذْ كانت وفاة ابن زيدون في ١٥ شهر رجب عام ٤٦٣ هـ [٧٢] .

واذا كان الباحث لا ينسى أن المعتمد بن عباد قد أخذ صدر دولته بناصر ابن زيدون حينَ دسَّ خصومه قصيدة تزين له الإيقاع به [٧٣] ، وأنّه رد كيدهم في نحورهم ، وأبقاه على سَنِيِّ رتبته ومكانته ، كما تسجله ألفاظ ابن حيان والفتح ابن خاقان في ترجمته ، فان من الملاحظ أيضاً بإزاء هذا أن عباراتهما لا تعني

(٧٢) الذخيرة ، القسم ١ ، المجلد : ١/٣٥٥ .
(٧٣) قلائد العقيان ، ط : باريس ، تصحيح : الحرائري، ص١٥-٨٩.

بمنطوقها ولا بمفهومها ما رتبه الأستاذ علي عبدالعظيم على حقيقة ما ثبت من اقراره في منصبه [٧٤] . فهو يخالف ما وضحه المؤرخون من مفهوم هذا الاقرار في المنصب ، وقد قال ابن حيان ناقلاً ما يروج بين أهل الزمان تعليقاً على إقرار ابن زيدون في منصبه بالبلاط [٧٥] : « ان استمساكه بعليٍّ مرتبته بعد مختصة المعتضد بالله كان من المعتمد على الله رعاية لخصوصية ابنه به ، يغص باستمرارها ثقتاه المختصان به ، الحظيّان لديه ، المستهمان لخاصته : ابن مرتين ، وابن عمّار » .

ويزيدنا الفتح ابن خاقان [٧٦] توضيحاً لحقيقة منصبه على عهد المعتمد ، فيقول : « ولما مات المعتضد رحمه الله ، وارتفع في أمره ما ارتفع ، راعى المعتمد مَوَاتّهُ التي توسل بها ، وأبقاه جليساً وسميراً ، وسقاه الدهفح سلسالاً نَميراً » .

فمهمة المنصب كما اتضح ، لا تتجاوز عملياً في أذهانهم وفي أقلامهم المجالسة والمسامرة ، في حين يلاحظ أن المؤرخين قد عنوا في معرض الترجمة لمنافسه أبي بكر بن عمار بزيادة ذكر الوزارة والاستشارة مضافةً الى المجالسة والمسامرة ، وما كان صنيع المؤرخين ليخلو من دلالة .

فالمفهوم من ابن حيان وابن خاقان أن منصب ابن زيدون على عهد المعتمد إنما كان منصباً شرفياً ، رعايةً لماتّته ، وهي ماثلة بأقدميته في الخدمة وفي أستاذيته ، وفي الجانب الفكري من مقوّماته ، وأنه بهذا أقر في البلاط كشعار لعهد المعتضد الماثل في أذهان أهل الزمان بالصولة والسلطان .

وأحسب أن قصة المهمة التي أسندت اليه في اشبيلية ، وهو يومئذ مع المعتمد ابن عباد في قرطبة ، من شأنها أن تمد الباحث بتوضيح سرّ ظاهرة ندبه لهذه المهمة ، مع ما هو معروف عنه يومئذ من تدهور حالته الصحية ، فلنستمع اليها

(٧٤) ابن زيدون ، للاستاذ علي عبدالعظيم ، ص ٢٨٦ .
(٧٥) الذخيرة ، القسم : ١ ، المجلد : ١/٣٥٥ .
(٧٦) قلائد العقيان ، ط : باريس ، ص ٨٩ .

على لسان شيخ المؤرخين ابن حيان ، كما ينقله عنه ابن بسام،[٧٧] قال : « وفي يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة اثنتين وستين وأربع مئة ، سار الحاجب سراج الدولة عباد بن محمد (المعتمد) الى اشبيلية ، الحضرة الأثيرة ، لمطالعتها وتأنيس أهلها من وحشة خامرت عامتهم ، من أجل عدوان رجل منهم على يهوديّ : جاء لأمرجة السوق عندهم ، ماراهُ في بعض الأمر ، فزعم أنه السب شريعة ، فبطش به المسلم وسط السوق ، وجرحه ، وحرك عليه العامة ، فقبض عليه صاحب المدينة عبدالله بن سلام واعتقله . فكان لعامة الناس في إنكاره حبسه كلام وإكثار خُشيَ وَبالُه . فخاطب السلطان بقرطبة يعرّفه ما كان منه ويستأمره في شأنه ؛ فعجل إنفاذ ولده الحاجب سراج الدولة الى اشبيلية في جيش كثيف ، من نخبة علمائه ووجوه رجاله ، لمشارفة القصة ، والاحتياط على العامة ، فغدوا معه وسط هذا اليوم ، وأنفذ معه ذا الوزارتين أبا الوليد بن زيدون أحد الثلاثة كابِرِي وزرائه المثنّاة وزارتُهم ، عمد دولته ؛ ألزمه النفوذ مع الحاجب على بقية وعك كان متألماً منه ، ولم يعذره في التوقف من أجله ، فمضى لِطيِتّه ، مسوقاً الى منيّته ؛ وخلف ولده أبا بكر الفذ الوزارة ، المرتسم بالكتابة وراءه ، سادّاً مكانه بالحضرة ، فأقر فيها أياماً ، ثم أمر بالمسير وراء والده لأمر كلفه ؛ أعجل بالانطلاق له ، فمضى بعينه غداة يوم السبت لثمان خلون من المحرم سنة ثلاث وستين بعدها . فخلت منهم منازلهم بقرطبة وصيرت الى سواهم ، فتحدث الناس بنبوّ مكان الأديب ابن زيدون لدى السلطان ، وأن استمساكه بعليّ مرتبته . بعد مختصة المعتمد بالله ؛ كان من المعتمد على الله رعاية لخصوصية ابنه به . يغص باستمرارها ثقتاة المختصان به ؛ الحظيان لديه ؛ المستهمان لخاصته : ابن مرتين وابن عمار . الى أن عملا في إبعاد ابنه الرقيب بعده ؛ فأمضى خلفه ، فعندها استساغا علّته . واستهما مكانه ؛ واحتويا على خاصة السلطان وتدبير

(٧٧) الذخيرة ، القسم : ١ ، المجلد : ٣٥٤/١ وما بعدها .

دولته ؛ ولكل دولة رجال ، ولكل مكتف أبدال . ولم يطل الأمد بابن زيدون — رحمه الله — بعد لحاق ابنه به ، ووجدانه إياه متزايداً في مرضه ، نازحاً عن آلافه ، على جهده في استدعائها على انتهاء المدة ، وانتهاك القوة . فاستقرّ به وجعه الى أن قضى نحبه ، وهلك بدار هجرته اشبيلية صدر رجب سنة ثلاث وستين ، فدفن بها مشهوداً مفتقداً » .

فهذه القصة تعرض علينا ابن زيدون عند تكليفه مهمة اشبيلية : في حالة مرض ، عبر عنه ابن حيان « ببقية وعك كان متألماً منه » ، ومن ظواهره التزايد ، ونهك القوة ، واستقرار الوجع .

وهذه الأوصاف والأعراض تفيد أن علته لم تكن وعكاً ملماً ، وإنما هي بحسب أوصافها ، وبحسب ما انتهت إليه من (البطشة الكبرى) بصاحبها : نوبة ضارية ، لها سوابقها ؛ وينمحص هذا بعبارة ابن حيان في القصة التي يفهم منها أن علته كانت معروفة بادية للناس ، ومن النوع الذي يعذر المبتلى بـه للتوقف لما يناط به من مهمات .

وكل هذا يتيح القول بأن أبا الوليد بن زيدون كان قبل تاريخ إنفاذه الى اشبيلية : متدهور الصحة ، وعلى نحو يقرب قليلاً وكثيراً من تلك الصورة السالفة التي عرضها الأستاذ علي عبدالعظيم منوطة بمرحلة المهمة في اشبيلية ، التي كانت آخر مراحل عمره أو « خاتمة المطاف » بحسب تعبيره .

ولكن يمكن ، على أساس ما توضح من أوصاف ، أن نتمثله في تدهور حالته الصحية ابتداءً مما قبل مبايعة المعتمد عام ٤٥٠ هـ . وإذا أضفنا الى هذا أنه مُني صدر دولة المعتمد بسعاية الأعداء ، أصحاب التصيدة التي دسوها في يد المعتمد لإبعاده عن رتبته [٧٨] ، بل الإطاحة برأسه ، ثم بكيد المنافسة الذكية الماكرة من ابن عمار ، وابن مرتين ، فان هذا يتيح القول بأن العلة النفسية أخذت تنشب

(٧٨) قلائد العقيان ، ط : باريس ، تصحيح : الجزائري ، ص ١٥ ومابعدها .

أظفارها في جسمه منذ صدر أيام المعتمد ، واذا هي تتألب عليه مع شيخوخته ودائه ، فبدا معها فاقد الاستعداد والقابلية للمشورة والنقض والابرام في الشؤون ، فضلا عن الاضطلاع بأمر الفتوح ، وذلك أصل اقراره في منصبه على مجرد الوضعية الشرفية ، والمكانة الرمزية ، كما تلمح هذه الظروف .

ويمكن أن نتصور وقع الهواجس على نفس الرجل المريض ، ونحن نتصور هذه المنافسة من ابن عمار ، وقد استكانت لها مكانة (المشير الأول ! ورئيس الوزراء !) ، وهانت حتى رأيناه – كما يفهم من بين سطور القصة – مسخراً في هذه المهمة بمشيئة قاهرة من ابن عمار ، كما يسخر الصغار من الكبار ، وإنه ليتاح للباحث على هدي ما يستخرج من افادات ابن حيان أن يذهب كل مذهب في توضيح مقاصد ابن عمار الماكرة في هذه اللعبة . وقد لاحظ الأستاذ علي عبدالعظيم نفسه (٧٩) أن المهمة كانت « ملغومة » من قبل ابن عمار وابن مرتين وذلك حين أبدى : « أن هدفهما كان إبعاده بكل الوسائل ، فان أخفق في مهمته ، وجدا الفرصة للكيد له عند الأمير ، وان نجح فلن يكسب مجداً جديداً يضيفه إلى أمجاده ؛ على أنه من السهل نسبة هذا النجاح الى ولي العهد سراج الدولة . وسلبه من ابن زيدون » .

ولا ريب أن هذا كان مقصوداً كما يرى الأستاذ . والذي يحز في نفس ابي الوليد مثل هذا ، أكثر ، وينهكه بعلة نفسية ، ويهيج آلامه الجسمية ، أن عنصر الاستهانة والسخرية واضح في هذه اللعبة التي قصد بها ابن عمار إبراز أبي الوليد في حقيقة مكانته ومركزه في العهد الجديد ، وهي موضع الضعف القاتل عند أبي الوليد . إذ المفروض في مثله ممن أصيب بقـــدره ، وانتهى الى نحو من وضعيته وحاله . أن ينتظر من ولي الأمر أخذ العصا من الوسط ، ما دام هواه في ابن عمار ، وحظوته الطاغية لديه قضاء مقدر ، ولكنه ناوله العصا ، ليلهب بها قفاه ، وفتح له

(٧٩) كتاب ابن زيدون ، عصره وحياته وادبه ، ص ٢٨٩ .

مسمعيه على المصراعين، وانساق لتوجيهاته التي وجه بها انفاذ ابن زيدون في المهمة بما شاء له هواه ، ونفذه مولاه ، فكانت بذلك سخرية ذات حدين ، بانسحابها حتى على وَلي الأمر ، الذي جلاه الماكران أمام الملأ طوع اشارتهما في كل قليل وكثير ، وبالنسبة الى كل كبير وصغير .

تلك هي ألوان الهواجس التي كانت تهد من كيان ابن زيدون ،لتصبح بعدُ حقائق تشبّحت في نفوذ ابن عمار المطلق الذي زعزعه من مكانته ، وتحكم في مصيره ومصير أسرته (٨٠) .

وكل هذا يحمل على استبعاد ما صرح به الأستاذ من أن المعتمد كان في احتياج الى تجربة ابن زيدون وخبرته في هذه الظروف والأحوال . والذي تسلم اليه إفادات القصة المذكورة أن ابن زيدون قد أصبح باستغلاظ علته الجسمية والمعنوية مع توالي الأيام ، على غير استعداد وأهبة ، حتى يلجأ اليه المعتمد في تدبير أو مشورة ، ولا سيما حينما دهم المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة عاصمة الخلافة قرطبة ، بإرسال كتائبه عليها (في شعبان ٤٦٢ هـ – ١٠٧٠م)(٨١)

(٨٠) وهذا أصل الوحشة التي استحكمت بين ابي بكر بن عمار، وابي بكر ولد أبي الوليد بن زيدون ، الذي ادناه ابن عباد ورقاه بعد وفاة والده في الحال . ويبدو أن هذه السرعة في ادنائه والاستبصار – بحسب تعبير ابن حيان – في احضاره ، بعد الذي عرفنا من نبو مكانه ومكان والده ، انما ترضى بها المعتمد عواطف اهل قرطبة الذين ريعوا لما حل به ، وساءهم – كما يبدو من نص ابن حيان – أن يلزم بالنفوذ مع الحاجب سراج الدولة الى اشبيلية في مهمته ، على ما به من مرض يقضي اعفاءه رحمة بـه ، واشفاقا من اجهاد قد يدنيه من اجله ، ولكن المعتمد حمد سيرة الابن في عمله ، ورضي بلاءه فيما ناطه به ، فاجتباه ، وجمع له بين الوزارة واعاظم خطط الحضرة ، كما هو معروف من الشذرات المعرفة به .

(٨١) ان تاريخ ارسال المأمون بن ذي النون كتائبه على قرطبة محدد بهـذه السنة (٤٦٢هـ/١٠٧٠م) ، في جميع المصادر من غير خلاف . ومعلوم أن استيلاء المعتمد بن عباد على قرطبة جاء ردا على مبادرة المأمون اليها ،

وأعني قبل تمام أربعة أشهر من تاريخ مهمته في اشبيلية ، التي رأيناه عندها منهوك الصحة ، غير قادر على مشاق السفرة ومعاناة النقلة . والمعروف من صريح جميع المصادر أن هجوم ابن ذي النون على طليطلة قد صدر فجأة ، وعلى غِرّة ومبادرة، للظفر بها في السباق الذي كان مستحراً بينه وبين العباديين عليها ؛ وقد عرفنا من صفحة سابقة ، أنه اغتنم فرصة موت المعتضد عباد ، وظروف بداية عهد المعتمد ، فأرسل جيشه غِرّةً عليها ، واستولى على « حصن المدور » في أرباضها .

وقصة (البطشة الكبرى) كما سمعناها من رواية مؤرخ العصر ، توضح لنا أن أخذ العباديين بناصية قرطبة ، وارتداد جيش المأمون عنها ، لم يكن الحسم فيه لمعركة فاصلة ، أو نِزالٍ ؛ أو للتدابير والدسائس التي كان يحركها المعتضد ؛ أو بتخطيط من ابنه المعتمد ، وإنما كان الحسم في ذلك لبديهة مطاوعة ؛ جردت سيف الغدر والختل في لحظات ، وكسبت الموقف في جولات خاطفات .

نعم ، قد يصح أن يستشار الشيخ المريض في طوارئ الأحداث ، ولا سيما

=

ولا ريب ان ذلك سيكون في سنة ٤٦٢ هـ نفسها . ولاجله فما ورد في طبعات تاريخ ابن خلدون (انظر منها الميرية ، وانظر : ج ٤/٢٤٤ ، ط : دار الكتاب اللبناني بيروت) . من تحديده بسنة احدى وستين واربع مئة؛ يعتبر وهماً لا غبار عليه .

ويلاحظ عند ابن خلدون ان قصة خلع عبدالملك بن جهور ، واستيلاء عسكر بني عباد على قرطبة في السنة المذكورة قد اختلطت في المطبوعات بقصة استيلاء المامون عليها ، الذي وقع بعد ذلك سنة ٤٦٩ هـ .

ونفس ما ورد غلطا في تاريخ ابن خلدون عن تاريخ قيام الدعوة للعباديين لاول مرة بقرطبة عام ٤٦١ هـ ، قد ورد كذلك في جزء الاندلس من كتاب أعمال الاعلام لابن الخطيب ، وسواء في طبعة الرباط ، ص ١٧٥ ، او في طبعة بيروت ، ص ١٥٠ ، وهو في كتاب ابن الخطيب مجرد تحريف من المصحح أو الطابع في الطبعتين ، وذلك ان ابن الخطيب قد سجل في (ص ١٤٩ ، طبع : بيروت ، وص ١٧٤ ، ط : الرباط) : ان المامون بن ذي النون تحرك الى قرطبة سنة ٤٦٢ هـ ، فمن الواضح عند ابن الخطيب نفسه ان قيام الدعوة باسم العباديين ـ كما اشير ـ بعد ابعاد جيش المامون قد كان في سنة ٤٦٢ هـ نفسها .

اذا كان معنياً بها ، كصاحبنا فيما يقال . ولكن الحسم في عملية فتح قرطبة قد كان – كما عرفنا – من عفو الساعة ، ومبادرة قوبلت بمثلها ، وممن كان في عين المكان ، وحومة النزال ، ومع أول لحظة في الزمان ، وعلى أهبة القرار لترجيح أنشوطة الختل والخداع ، على تفويق سمر الأسل ، والطعان ببيض الصفاح ، وعلى إلباس الحماية والدفاع لبوس الانتزاء والاحتلال في الحال ، من غير انتظار أوامر أو توجيهات ، وما كان لمن في مثل حالة ابن زيدون التضحية أن يأخذ المبادرة الذنونيّة بمضاء تلك البديهة الأسطورية .

ولا ننس أن بداهة الأشعار ، والمكايدة بنقائض القصائد وغمزات الأشطار ، ليست كبداهة المضايق التي تتحكم فيها النظرة العجلى . والتدبير الخاطف لإراغة الفرصة ، ولن تطاوع البديهة في هذا غير أصحاء النفوس والأجسام .

واذا كان الوزير الشاعر المنهوك الجسم والنفس يبدو في بعض قصائده على عهد المعتمد هيكلاً قويّ الأسْر ، موفور الاستعداد النفسي والجسمي لمواجهات ومصاولات الخصم ، فما تلك الا اشراقات باهرة تطالع القارئ في بعض قصائد هذا العهد ، وتظهر ابن زيدون في عدة الكُفاة ، وصولة الكُماة ، وفي جهّارة منطق الايفاع ، وليست الا التماعة الفتيل ، وهو يترنح بالشعلة الأخيرة نحو نهايته في قرارة القنديل .

وكم للشاعر من جولة وصولة من هذا القبيل ! فقد قال من مرثيته في المعتضد وهو يخاطبه [٨٢] :

وانّ مماتي لم يضعه محمّـــــد
خليفتك العَدْلُ الرِّضا وابنك البَرّ

وأرغم في بِرّي أنوفَ عِصـــــابة
لقاؤُهُمُ جَهْمٌ ، ومنظَرُهُمْ شَزْرُ

(٨٢) قلائد العقيان ، ط باريس ، تصحيح الحرايري ، ص ٨٩ .

اذا ما استوى في الدَّسْت عاقدُ حَبْوَةٍ
وقام سِماط حافلٌ ، فَلِيَ الصدرُ

ومن هذا القبيل قصيدته في مدح المعتمد على نفس قافية القطعة التي راجع بها المعتمد قصيدة خصوم ابن زيدون يوم جاشوا به إثرَ وفاة المعتضد ، فعمدوا (٩١) الى دس قصيدة في يد المعتمد : « أغروه فيها بنكبته ، وأروه الرشاد في هدم رتبته » ، وفي مطلعها يقول الشاعر :

الدهرُ إن أســأل فصيح أعجم	يعطي اعتباري ما جهلت فأعلَمُ
واذا الفتى قَدَّرَ الحوادثَ قَدْرَها	ساوى لديه الشهدَ فيها العلقمُ
واذا نظرت فلا اغترار يقتضي	كُنْهَ المآل ولا توّقٍ يعصـمُ
كم قاعد يحظى تعجل حظـه	من جاهد يصل الدروب فيحرمُ
وأرى المساعي كالسيوف تبادرت	شأو المضاء فمنثنٍ ومصمّـمُ
ولَكَمْ تسامي بالرفيع نِصابُهُ	خطراً، فناصبَهُ الوضيع الألأمُ

وفيها يقول :

قل للبغاة المنتضين قِسِيّهُمْ : سترون من تُصْميه ِ تلك الأسهُـمُ

وهي قصيدة بادية الصِّيال ، وتعدّ بالنسبة الى اختيها (المدسوسة والمعتمدية) من الطوال ، مما يوحي أن طول النفس فيها مقصود لذاته ، كما يقول ابن رشيق في مثله ، ولأنه مطية الإرهاب ، ووسيلة لإظهار الطاقة على افناء الأنفاس بعد الأنفاس ، وهو شأن المنبهر الذي يستخرج القوة من الضعف . ليظهر أنه ما زال صاحب أيْدٍ وشباب ، واستعداد للاضطلاع بالمهمات .

ومن أبياتها التي تشف عما قصد ، وتشير الى تعلقه بذلك الغرض ، بالرغم من الكبرة والمرض ، قوله فيها :

(٨٣) انظر القصة في قلائد العقيان ، ط : باريس ، ص ١٥ وما بعدها . وقد أورد الفتح القصيدة المدسوسة على المعتمد ؛ والقطعة التي رد بها المعتمد عليها ، ثم قصيدة ابن زيدون في مدح المعتمد .

لي منك ، فَلْيَذُبِ الحسودُ تلظّياً ،
لطفُ المكانة والمحلُّ الأكرمُ
وشفوف حظّ ليس يفتأ يجتلي
غضّ الشباب ، وكلُّ غضّ يهرَمُ

والبيتان يَشِيان بحقيقة تدهور حالته الجسمانية والنفسانية ، وبالخشية من مآل رتبته ومكانته الوزارية ، فنراه في البيت الأول يتطلع الى ابقاء ما كان على ما كان ، وفي البيت بعده ينحو منحى أبيات الرثاء ، – وكم لها من نظير – فيعنى بتقرير شفوف حظه،في عبارة بنيت على كلمتي غض الشباب، وأردفهما في الحال بأن كل « غضّ يهرم » ، وهذه أشبه بكليات الحكم ، التي واجه بها السامع ، ليدرأ عن ذهنه طارئ الدهش مع الشيخ العليل ، هامة اليوم أو الغد ، يعزم المصاولة ، ويتشبث بالتصدر والرياسة .

فلا ريب أن ما عراه من هزة انتصاف المعتمد له من خصومه بتبديد سعايتهم ، وكفّ ألسنة كيدهم ، وبإلجامهم بمراجعة شعرية حلت ما انعقد من بغيهم ، قد أمدته بالنفس ، وفسحت له في الرجاء ، فالتمعت في شعره هذه الاشراقة التماعَ ذلك الأمل الذي سرْعانَ ما خبا ومرض باستفحال مرض صاحبه ، وانتكاس عافيته ومكانته .

وألْفِت النظر ، ونحن في معرض استعراض تلك النتف من شعره ودواعيها ، الى أن ديوان ابن زيدون لم يرد فيه بيت واحد من الشعر في هذه الحادثة ، كما لم يرو عنه في ديوان من دواوين الأدب ولو مجرد انشاد في هذا الباب ، وهو في الوقت نفسه ذلك الوزير الشاعر الذي يرجح الأستاذ علي عبدالعظيم أنه ظل ثائر النقمة على « الجهاورة » طوّال عمره في حضرة العباديين ، والذي « ادخره المعتضد لفتح قرطبة » ، فجعل وُكْدَه أن « يؤجج » فيه الرغبة ، و « يحرضه » آونة بعد أخرى ، ويحوك الدسائس لإثارة العصبية السلالية؛ وللايقاع بصاحب « قرمونة » (والفتك بابن السقاء) وزير الجهاورة ، وان المعتمد – قد كان لمّا

ولّي الأمر – يعرف خبايا نفسه ، وأن نقمته على الجهاورة ما زالت تستطيل على مشاعره ،فيعمد الى استغلالها عازفاً عن سعاية الساعين به،وذلك « للاحتياج اليه » في « تحقيق حلم أبيه » ، « فيتم له التدبير الذي بدأه » « ويستعين به » ،« وبإشارته وتأثيره أرسل المعتمد جيشه . فانتزع (قرطبة) من بني جهور » ، وأن الوزير الشاعر الذي كان أيضاً « وراء كل تدبير » في هذا السبيل ، (بحسب عبارة جامعة للأستاذ علي عبدالعظيم) هو الذي قبع بمقتضى هذه الإفادات وراء أعمال الغدر والخيانة والختل ، ومروعات السلب والنهب في تلك (البطشة الكبرى) ويومها الأسود .

كيف يصح أن يقال هذا ؟ وكيف صح أن يدخل قرطبة مع المعتمد منتصراً ظافراً بحلم وأمنية عمر العباديين ، وبثمرات جهد تدابيره على اختلاف وجوهها مدى سنين وسنين ؟ ثم ، بعد كل هذا ، لم تجش قريحته بالغناء لهذا الانتصار الذيمن شأنه أن يحيي مواته ، ويستأصل داءه، ويجلو عنه كرب مكر المنافسين، وكيد الكائدين .

وإذا كان هناك من يتمثل في هذا المقام أن وطأة المرض على ابن زيدون قد عطلت فيه القريحة ، وشلّت منه اللسان . فأقوى القلم ، وأصغى البيان ، فليذكر أن من شأن مثل هذا الحادث بالنسبة الى تاريخ المملكة العبادية ، وأعمال شاعر مصرها . « ومستشارها ، وكبير وزرائها ! ! » أن يخرج الحي من الميت ، ويفجر الزلال من الصلد ، ويخلق لحظة الشعر في لحظة السياق ، بين مضايق تصاعد الأنفاس .

وما زلنا نذكر قبل صفحات دعاء الشيخ أبي الوليد بن جهور . منكوب (البطشة الكبرى) . وقد كان دعاؤه نفثة شعرٍ صُراح . انبعث من شق مائل ، وشِدْق مفلوج ، وريقٍ سائل ، والدنيا من حوله ظلٌ زائل .

واذا أمكن أن يقال إن الصادر عن ابن زيدون من هذا القبيل لم يقع الينا ،

شأن شعره في نكبات زمانه الكبرى ، وكوارث الجزيرة الأولى ، تلك التي نمت على تخطيط « فرذلند » المبيت لتطويق ممالك الجزيرة ، وذلك منذ انسياح الجيوش النصرانية ، في مملكة بطليموس ابتداء من مدينتي « بازو » و « لميقة » (٤٤٩هـ ـ ١٠٥٧م) الى فاقرة احتلال (٤٥٦ هـ ـ ١٠٦٤ م) الردمانيين (النورمانديين) بمعونة أهل غاليش (الفرنسيين) لمدينة « بربشتر »[٨٤] الى الفتح الكالح الدامي الذي حققه الطاغية في نفس العام باستيلائه على المدينة الحصينة « قلمرية »[٨٥] (كويمبرا) . وهو تساؤل وارد من أول نظرة ، ولكن الواقع هو أن قضية الضياع والاختفاء مفروغ منها سواء بالنسبة الى هذه النكبات أو بالنسبة الى شعر بكاء المدن الأندلسية بوجه عام . ولكن الأمر بالنسبة الى شعر ابن زيدون لا يصح أن يقال فيه : إن ديوانه الكامل ضائع ، فهو غير كامل في نسخه المعروفة التي استخرج من بعضها المطبوع ـ وان بعض قصائد الشاعر لم يرد في الديوان منها غير مقطعات من هيكل قصائده الضافيات . فمن الجائز على هذا أن تكون قضية فتح قرطبة متزوية بين الضائع من شعره . والحق أنه لا وجاهة لهذا الافتراض ، لأن المنتظر أن يتمخض الواصل الينا من شعره ـ وهو مختلف الأغراض في الديوان ـ عن غير ما لفتة تشي بما يضطرم به شعوره تجاه حدث يعد تتويجاً لجهد استغرقه استغراقاً ، فهو قضية عمره كما يقال ، وكما أشير اليه منذ لحظات .

وعلى كل حال ، ليس هذا الذي فصل تفصيلا في الصفحات السالفات بمغالاة في التقدير ، ساقت الى تصوير حالة ابن زيدون النفسية والجسمية من خلال شعره على هذا الوجه من التخريج ، بل إن ذلك مما أسندته رواية التاريخ

(٨٤) صفة جزيرة الاندلس «الروض المعطار» للحميري ، ص ٣٩ ـ البيان المغرب لابن عذاري ٢٥٣/٣ ـ ابن حيان بواسطة ذخيرة ابن بسام ونقله نفح الطيب ، ج ٢ ابتداء من ص ٧٤٩ ، ط . اوربة .

(٨٥) الروض المعطار ، ط . بروفانسال ص ١٦٤ ـ الادريسي : نزهة المشتاق ، ص ١٨٣ ـ اعمال الاعلام ، الجزء الخاص بالاندلس ص ١٨٤ ، ط . الرباط ـ البيان المغرب ٣٥٣/٣ .

التي جاءت على لسان شيخ مؤرخي الأندلس وشاهد العصر بالذات أبي مروان ابن حيان ، كما نقل عنه ابن بسام قبل صفحات ، وما زالت إفادة شيخ مؤرخي الأندلس ترنّ في الآذان بأن دونَ المعتمد بن عباد قد اختص بإدارتها وتدبيرها «ثقتاه المختصان به الحظيّان لديه : ابن مرتين، وابن عمار» . ولنذكر بإزاء ذلك أن ابن حيان قد عقب على إفادته بقوله « ولكل دولة رجال » ، وقد جاء بها في معرض استبعاد ابن زيدون من مسرح الأحداث ، ولو بالتدبير والإشارة على عهد المعتمد بن عباد ، وقد عرضه علينا مقصوداً من رجلي الدولة ابن عمار وابن مرتين اللذين استطاعا أن يقطعا حبل ماتّتِهِ بالمعتمد ، ويتحكّما في مصيره كما يفهم من كلام ابن حيان الصريح .

وبهذا نتهي إلى إبعاد ترجيح ما أفصح عنه المؤرخون المحدثون ، ورجحه الأستاذ علي عبدالعظيم من أن أبا الوليد بن زيدون قد كان وراء تلك الجرائر التي قلبت ملهاة الخدعة في فتح قرطبة الى مأساة ، وأوقدت قلم ابن حيان فخصها بتأليف ، وجعل عنوانه (البطشة الكبرى) غيرَ وَجِل ولا هيّاب .

وهكذا نرى — وبيدنا نص ابن حيان الفريد — أن الأشبه باجتراح تلك الجريرة ، والأشكل بتلك الصورة الأسطورية التي احتل بها قرطبة حماتها ، وبتلك المهولات الضاريات التي لا ضرورة اليها ، أن يبحث من ورائها عن شبح الوزير الشاعر أبي بكر بن عمار ، فان قصة هذه البطشة ، لتشبه بكل قسمة فيها تلك المغامرات الأسطورية ، المروية عن أبي بكر بن عمار وزير « شِلْب »، اللاهي ، ووزير « اشبيلية » الطاغي ، وهي بكل أوصافها وملابساتها ، تنسجم انسجاماً كاملاً مع الروح الألعبانية ، التي عبر عنها بعض المؤرخين بالبراعات [٨٦] ، وتكاد (البطشة الكبرى) تقول بلسان الحال : إنها من نسج ابن عمار وحبكه : فهو الذي تؤلف سيرته سلسلة من مثيلاتها : وبها قرع باب الحظ في حياته كلها .

(٨٦) المعجب ، لعبدالواحد المراكشي في حديثه عن ابن عمار ونكبته .

هذا الى أنه بحكم وظيفته واختصاصه ، قد كان مدبر حروب المعتمد ، وقائد جيوشه ، ونجده الوزير الوحيد الذي يقول :

ومن ذا الذي قاد الجياد الى الوغى سواي ؟ ومن أعطى الكثير ولم يُكْدِ ؟

وهو ، بعدُ ، خِدْنُ المعتمد الذي اعتدّه قطعة من نفسه ، فمكنه من زمام أمره ، وانصرف الى لذاته ، وذلك ما يدعو الى إعادة الكرة في الموضوع لنقيم الحجة بالبيان لما نقول . فالى الفصل الثالث والأخير الذي سيجلي لنا الوزير الشاعر « المنفرد بالشورى » أبا بكر بن عمار قائماً بكل قَسَماته وراء (البطشة الكبرى) وأنه صاحب كِبْرِها وعُجَرِها بلا مِراء .

* * *

شرح لامية العرب

لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري

٥٣٨ – ٦١٦ هـ

تحقيق وتقديم

الدكتور محمد خير الحلواني

كلية الآداب – جامعة الرياض

المقدمـة

١ – المؤلف : (*)

هو عبدالله بن الحسين العُكْبَريُّ ، ولد سنة ثمانٍ وثلاثين وخمس مئة للهجرة ، وتوفاه الله سنة ست عشرة وست مئة ، في اليوم الثامن من ربيع الآخر ،

(*) انظر ترجمته في : وفيات الأعيان ٢٨٦/٢ ،وإنباه الرواة ٢١٦/٢ ، والكامل لابن الأثير ٣٥٧/٢ ، والبداية والنهاية لابن كثير : ٨٥/١٣ ، وشذرات الذهب : ٦٧/٥ – ٦٨ ،وبغية الوعاة ٢٨١ ، ومرآة الجنان : ٣٢/٤ – ٣٥ ، وروضات الجنات :٤٥٣ – ٤٥٥ ، ونكت الهميان : ١٧٨ – ١٧٩ والمختصر في أخبار البشر : والبلغة في تاريخ أئمة اللغة : ١٠٨ ، وهدية العارفين : ٤٥٩/١ ، وكشف الظنون : ٨١ ، ٩٨ ، ١٠٨ ، ١٢٢ – ١٢٤ ، الخ ... وانظر ترجمته في مقدمات ما نشر من كتبه: مسائل خلافية في النحو . واعراب الحديث النبوي. وانظر أيضاً : معجم المؤلفين : ٤٧/٦ .

ودفن في بغداد بعد أن قضى فيها حياته[1] ، ولكنه ينسب إلى بلدة تقوم على نهر دجلة بين بغداد وسامراء ، لا تبعد عن بغداد سوى عشرة فراسخ ، يقال لها : عُكْبَرى ، بضم العين ، وسكون الكاف ، وفتح الباء ، والنسبة إليها ، عُكْبَرِيٌّ ، وعُكْبَراويّ . وهي بلدة قديمة جداً ، عرفت بكثرة الفاكهة وجودة الأعناب ، ووفرة الخمور[2] ، وينسب إليها علماء كثيرون في النحو والفقه[3] .

وتذكر المصادر أن جُدرياً أصابه في طفولته فذهب ببصره ، إلا أن ذلك لم يحل بينه وبين تحصيل العلم والتقدم فيه ، فقد درس النحو على أبي محمد ابن الخشاب ، ويحيى بن نجاح ، وعبدالرحيم ابن العصار ، ودرس الحديث على أبي الفتح محمد بن عبدالباقي المعروف بابن البطي ، وعلى أبي زرعة طاهر ابن محمد المقدسي ، وقرأ الفقه على الشيخ أبي الحكم إبراهيم بن دينار النهاوندي[4] .

على أنه لم يكتفِ بما حصّله من شيوخه ، بل أكب على علوم عصره من لغة ، ونحو ، وتفسير ، وحديث ، ومنطق ، وفقه ، وحساب ، حتى صار إماماً يفتي في كثير من هذه العلوم . فقد ذكروا أنه كان يواصل قراءة النهار بقراءة الليل ، وأنّ زوجه كانت تقرأ له بعض الكتب[5] .

والحق أن ما تركه من بحوث ودراسات يدل على إحاطته بهذه العلوم ، فقد خلّف ما يُرْبي على ثلاثين مؤلفاً ، بين رسالة صغيرة ، وكتاب مطول .

فمن كتبه التي مزج فيها بين اللغة والنحو : شرح لامية العرب ، وشرح

---

(1) انظر وفيات الأعيان : ٢٨٦/٢ ، والكامل : ٣٥٧/١٢ ، والبداية والنهاية : ٨٥/١٣ .
(2) انظر : إنباه الرواة : ٢١٦/٢ ، والوفيات : ٢٨٦/٢ ، ومعجم البلدان : « عكبرا » .
(3) انظر : المنهج الأحمد . العليمي . مواضع متفرقة كثيرة منه .
(4) انظر : نكت الهميان : ١٧٨ ، والمختصر : ١٢٤/٣ .
(5) شذرات الذهب : ٦٧/٥ ، والوفيات : : ٢٨٦/٢ .

المقامات الحريرية [١] ، وشرح ديوان المتنبي [٢] ، وله في اللغة أيضاً : شرح الفصيح ، والمشوف المعلم في ترتيب إصلاح المنطق على حروف المعجم .

على أن له كتباً محضها للنحو أو للصرف ، أولهما معاً . منها : كتاب اللباب في علل البناء والإعراب [٣] ، والمختصر في النحو ، والتهذيب في النحو ، والاشارة في النحو ، ولعل هذه الكتب الثلاثة كتاب واحد . وله أيضاً كتاب : إعراب الحديث النبوي [٤] .

وكذلك قام بتأليف كتب شرح فيها أو اختصر شوامخ الكتب النحوية السابقة ، أو عني بشواهدها شرحاً وتفسيراً ، أو أجاب عن مسائلها ، من هذه المجموعة : شرح أبيات سيبويه ، والإفصاح عن معاني أبيات الإيضاح ، ومختصر أصول النحو لابن السراج ، وشرح اللمع لابن جني [٥] ، وشرح المفصل للزمخشري [٦] ، والمنتخب من كتاب المحتسب ، وأجوبة المسائل الحلبيات لأبي علي الفارسي .

وعني كذلك بعلم الصرف ، فألف فيه خاصة كتاباً سماه : الترصيف في علم التصريف . وأسهم كذلك في بحث الخلاف النحوي بين نحاة المذهبين خاصة ، ونحاة العربية عامة ، فكتب كتابه « مسائل خلافية في النحو [٧] »

وألف أيضاً في إعراب القرآن وقراءاته ، ما صح منها وما شذ ، ولعل كتابه « التبيان في اعراب القرآن » من أشهر الكتب التي أعربت القرآن

---

(١) منه نسخة خطية في مكتبة الأوقاف ببغداد .

(٢) انظر ما كتبه الدكتور مصطفى جواد عن نسبة الديوان المطبوع في : مجلة المجمع العلمي بدمشق : الجزءان : ١ - ٢ ، من المجلد ٢٢ .

(٣) منه نسخة بخط محمد مرتضى الزبيدي بدار الكتب المصرية ، برقم ٤٢٢ .

(٤) حققه عبدالإله نبهان . وطبع في مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٧/١٣٩٧ .

(٥) ذكر الاستاذ نبهان أن السيد عبدالحميد أحمد يحققه في جامعة بني بنغازي .

(٦) في دار الكتب المصرية الجزء الأول منه . برقم ٣٩٢ « مخطوطات » .

(٧) حققه د . محمد خير الحلواني ، وطبع في دمشق ، دار المأمون ١٩٧٥

الكريم ، يدلك على ذلك كثرةُ ما يشير اليه الخالفون من النحويين ، كأبي حيان في « البحر المحيط » ، وابن هشام في « مغني اللبيب » أضف إلى ذلك أن حاجي خليفة يشير إلى إكباب الناس عليه ، وإفادتهم منه ، على غرار ما عرف عن السفاقسي المتوفى سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة [1] .

وعرف أيضاً كتابه « إعراب القراءات الشواذ [2] » ، وهو توجيه موجز للقراءات الشاذة التي تناولها ابن جني قبله في كتابه القيم « المحتسب » .

٢ ـ لامية العرب :

تتبوأ لامية العرب في تاريخ الشعر العربي منزلة تزاحم منزلة المعلقات ، فهي ، من حيث الشهرة وعناية العلماء بها ، ترتفع إلى ما ارتفعت إليه قصيدة كعب بن زهير « بانت سعاد » ، غير أنها لم تعتمد في شهرتها مرتكزاً دينياً لقصيدة كعب ، بل بلغت ما بلغته بفضل ما فيها من جودة الشاعرية ، وطرافة المشاهد المصوَّرة ، ووفرة المادة اللغوية التي أغرت العلماء بشرحها وإعرابها .

ولم تقتصر العناية بها على علماء العربية ، بل تجاوزتهم إلى المستشرقين ، فترجمت إلى عدة لغات أوربية ، كالإنكليزية والفرنسية والألمانية ، كما ترجمت إلى اللغة البولندية[3] . وتنم أقوالهم فيها على إعجاب بالغ ، من ذلك ما قاله ردهاوس Sir J-Redhaus ، في ترجمته لها إلى الإنكليزية : « إنها أتم دراما أستطيع تذكرها » [4] . وقال عنها المستشرق كرنكو Krenkow : « هي من أجمل آيات الشعر العربي [5] » . وقد كتب عنها دراسات جادة كل من دوساسي de Sacy ، ونولدكه Noe Ldcke ، وجورج يعقوب[6]

(١) انظر : كشف الظنون : ١/١٢١ – ١٢٢ .
(٢) يكاد الزميل الدكتور صبحي عبدالمنعم يفرغ من تحقيقه لهذا الكتاب .
(٣) انظر دائرة المعارف الإسلامية . الترجمة : ١٢/٣٩٥ .
(٤) انظر مجلة المقتطف : ٦/١٨٧ .
(٥) دائرة المعارف : ١٢/٣٩٥ .
(٦) انظر : تاريخ الأدب العربي . لبروكلمان . ترجمة النجار : ١/١٠٧ .

G , Jacob ، وغيرهم [1] .

وعلى الرغم من هذه الشهرة الواسعة ، يطغى على معظم الباحثين شك في نسبتها إلى الشنفرى ، وهو الذي نسبت إليه في آثار القدماء ، ولعل دواعي الشك الوجيهة هي السبب في هذا .

فما هذه الدواعي ؟

١ – هناك رأي صريح لعالم قديم ؛ هو أبو بكر ابن دريد ، نقله عنه تلميذه أبو علي القالي في « أماليه » ، فحواه أن لامية العرب ليست للشنفرى ، ولكنها منحولة عليه ، والذي فعل ذلك هو خلف الأحمر [2] .

٢ – ولاحظ الباحثون أيضاً أن القدماء قبل القرن الرابع للهجرة ، أمثال أبي الفرج الأصبهاني ، وابن قتيبة ، لم يشيروا قط إلى هذه القصيدة ، على الرغم من كثرة الشعر الذي ساقوه للشنفرى ، ولاسيما في كتاب الأغاني [3] .

٣ – وهناك دليل فني عزز هذا الشك عند بعض الباحثين [4] ، فاللامية بالغة الطول إذا هي قيست إلى أشعار الصعاليك التي وصلت إلينا ، ذلك أن أطول قصيدة منه – وهي تائية الشنفرى – لم تزد على خمسة وثلاثين بيتاً ، على حين بلغت اللامية ثمانية وستين بيتاً .

وقد لاحظ المستشرق كرنكو أيضاً أن هذه اللامية تفتقر افتقاراً شديداً « إلى أسماء المواضع ؛ وأسماء الأعلام » وتلك سمة غير مألوفة في الأشعار

---

(١) انظر ما كتبه ايضاً نيكلسون في كتابه :
A Literary history of The Arabes . P : 80

(٢) أمالي القالي (ط٣) : ١/١٥٥ .

(٣) انظر : دائرة المعارف : ٣٩٦/١٣ ، وبركلمان : ١٠٦/١ . وانظر تعليق الاستاذ أحمد راتب النفاخ على القصيدة في كتابه « مختارات الشعر الجاهلي » ٢٥٥ .

(٤) انظر : الشعراء الصعاليك . د . يوسف خليف . ص ١٧٨ .

القديمة التي وقفنا عليها ، ولاسيما إذا تذكرنا أن اللامية قصيدة كاملة ، وليست قطعة صغيرة [1] .

تلك هي أدلة الشك في نسبة القصيدة إلى الشنفرى ، وهي بمجموعها لا تبلغ مبلغ الدليل الحاسم الذي يقطع بأن القصيدة لخلف الأحمر لا للشنفرى .

صحيح أن رأي ابن دريد بالغ الأهمية . لقرب عهده من خلف ، ولصلته بتراث أحد تلامذته وهو الأصمعي ، إلا أنه — مع ذلك — لا يصل بما نحن فيه إلى منزلة اليقين ، لأنه لا يرقى إلى طبقة من الرواة تتجاوز في الزمن طبقة ابن دريد نفسه ، وليس فيه أية إشارة إلى ذلك .

ومن الغريب حقاً إهمالُ القدماء — في القرنين الثاني والثالث — الإشارة إلى اللامية ، سواء أكان ناظمها الشنفرى أم كان خلفاً ، لأن تاريخها على الاحتمالين يرجع إلى القرن الثاني ، وذلك يتيح لمثل أبي الفرج وابن قتيبة أن يقف عليها ، ويتحدث عنها ، ويسوق بعض الشواهد منها ، مثلما فعل في قصائد جاهلية نسب نظمها إلى حماد الراوية [2] .

على أن هناك خبراً يدل على أن الأصمعي كان على معرفة بها ، فقد روى هو نفسه أنه كان عند الرشيد في يوم شديد البرد ، فدخل عليه سعيد بن سَلْم ، فاستنشده الرشيد شعراً في البرد ، فأنشده ، فقال الرشيد : غير هذا . فأنشده الأصمعي شعراً آخر ، فقال الرشيد : أريد أبلغ من هذا ، فأنشده الأصمعي هذا البيت من اللامية[3] :

وليلةِ قُرٍّ يصطلي القوسَ ربُّها
وأقْـدُحَـهُ اللاتـي بها يتنبل

(١) انظر بحثه في دائرة المعارف : ٣٩٦/١٣ .
(٢) انظر : الأغاني . (دار الكتب) : ٨٩/٦ وما بعدها .
(٣) هو البيت رقم : ٥٤ ، منها .

فقال الرشيد : « يا أصمعي ، حسبك ، ما بعد هذا شيء »[1] .

ويلاحظ المستشرق جورج يعقوب أن نسبة القصيدة إلى خلف الأحمر يحول دونها دليل فني ، فالقصائد التي وضعها خلف تحافظ دوماً على منهج القصيدة القديمة ، وطابعها العام ، على حين نجد في اللامية مذهباً شعرياً مستقلاً ، لا يتقيد بالمنهج المتبع [2] .

مهما يكن من أمر هذا الشك فإن القصيدة بلغت من الشهرة ما لم تبلغه إلا القصائد النادرة في الشعر العربي ، ولقد توالى على شرحها عشرات اللغويين والنحاة ، من قدماء ومتأخرين ، نذكر منهم :

١ — المبرد (٢٨٦ هـ) .
٢ — ثعلب (٢٩١ هـ) .
٣ — ابن دريد (٣٢١ هـ) .
٤ — التبريزي (٥٠٢ هـ) .
٥ — الزمخشري (٥٣٨ هـ) .
٦ — العكبري (٦١٦ هـ) .
٧ — ابن زاكور المغربي (١١٢١ هـ) .

ومن شرّاحها أيضاً عطاء بن أحمد المصري المكي ، ويحيى بن عبد الحميد الحلبي الغساني ، والمؤيد بن عبداللطيف النقجواني ، وجارالله الغنيمي الفيومي ، ومحمد بن الحسين بن كجك التركي [3] .

وإلى جانب هذه الشروح نجد أصحاب الاختيارات بعد القرن الثالث للهجرة يعنون بها ، فهي مما اختاره الخالديان في « الأشباه والنظائر[4] » ، وجاءت في

(١) نور القبس : ١٣٤ .
(٢) بروكلمان : ١/١٠٦ .
(٣) نفسه : ١/١٠٦-١٠٧ .
(٤) انظر : ١/١٩٣ ، و ٢/١٥ — ١٧ .

ذيل الأمالي لأبي علي القالي[1] ، وفي مختارات ابن الشجري [2] ، وخـــزانة الأدب للبغدادي [3] ، وفي المواهب الفتحية للشيخ حمزة فتح الله [4] .

٣ ـ الشنفرى :

ولا نريد هنا أن نترجم له ، لأن مصادر ترجمته الكثيرة تغني عما نقوله [5]، غير أننا نود أن نوجز الحديث في بعض أخباره .

إنه أحد الصعاليك العدّائين ، يُعْزى إلى قبيلة الأزد اليمنية ، ولكنه أُسر في طفولته ، ثم عاش في بني سلامان ، وهي واحدة من عشائر الأزد ، وظل فيهم إلى أن كبر ، ثم عرف أنه ليس منهم ، وأنه يعيش فيهم لا كما يعيش أحرارهم ، فَفَرّ وأقسم ليقتلنّ منهم مئة رجل ، فانضم إلى زمرة من الصعاليك العدّائين ، أشهرهم تأبط شراً ، وعمرو بن براقة ، وأخذ يغير معهم على القبائل ، ولا سيما على بني سلامان .

وحيكت حوله رواية لا يخفى فيها أثر الوضع والاختراع ، إذ تزعم أنه قتل منهم تسعة وتسعين رجلاً ، ولم يستطع أن يَبَرّ بوعده حياً ، ولكنه لما قتل رُميت جثته في الأرض ، وبعد أيام مَرّ بها رجل من بني سلامان ، فعرف أنها جثة الشنفرى ، فركل جمجمته برجله تغيظاً منه ، فعلقت بها شظية من عظم الجمجمة ، فقتلته ، وبهذا يكون الشنفرى قد بَرّ بوعده ميتاً .

---

(١) الذيل : ٢٠٥ – ٢٠٨ (٢) المختارات : ١٨ – ٢٥

(٣) الخزانة : ١٦/٢ (٤) المواهب : ١٦٤/١ – ١٨٦ .

(٥) انظر ترجمته في :

كتاب الأغاني : ١٣٤/٢١ – ١٤٣ (ليدن) ، شرح المفضليات (ليال) ٦٨ : سمط اللآلي ٤١٣ ، العيني (هامش الخزانة) ١١٧/٢ ، خزانة الأدب : ١٦/٢ ديوان الشنفرى . تحقيق عبدالعزيز الميمني (مجموعة الطرائف الأدبية ١٩٣٧) ، دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة) : ٣٩٤/١٣ – ٣٩٦ ، والشعراء الصعاليك : ٣٢٨ – ٣٣٦ ، و

Aliterary histary of the Arabs

لنكلسون ، ص : ٧٩ – ٨٠ وتاريخ الأدب العربي . لبروكلمان ، ترجمة الدكتور النجار ١٠٥/١ – ١٠٧

٤ – شرح اللاميّة :

رأينا من قبل كثرة الرسائل التي تناولت لامية العرب بالشرح والإعراب : أو بالشرح دون الإعراب ، وهي – كما رأينا – بين مخطوطة لم تطبع بعد ، ومخطوطة طبعت مرة أو غير مرة .

ولا بد لنا في هذه المقدمة من أن نسوق ملاحظات موجزة حول ما طبع من شرح اللامية ، تكملة للعمل ، واستيفاء لمقاصده .

١ – وأول ما ينبغي لنا أن نتحدث عنه هو ذلك الشرح المنسوب إلى المبرد، والذي طبع في مطبعة الجوائب ، سنة ١٣٠٠ للهجرة ، على هامش شـــرح الزمخشري . فهل تصح نسبته إلى المبرد ؟

الحق أن نسبته إلى أبي العباس المبرد واحدة من جملة الاختلاطات السيئة التي رافقت الحركة العلمية التي نشطت في العصر الحديث لنشر التراث : فهذا الشرح ليس من المبرد في شيء ، وإنما هو لعالم كوفي أرجح أن يكون لواحد من تلامذة ثعلب ، أحمد بن يحيى ، أو أنه لثعاب نفسه نقله عنه أحد تلامذته فاختلط كلامه بكلام شيخه ، على غرار ما نجد في « نوادر أبي زيد » وغيره من كتب التراث .

والدليل على ذلك أن الشارح يصرح بأنه قرأ على ثعلب ، يقول : « والذي قرأناه على أبي العباس أحمد بن يحيى : سُقْبانها»[1] ويقول أيضاً : « وأحاظَةُ فيما ذكر أحمد بن يحيى : قبيلة من الأزد »[2] ويروي عن ابن الأعرابي الكوفي ، يقول : « وأنشدت عن ابن الأعرابي ، لرجل أكل حنظلاً ....»[3] .

(١) انظر الشرح : ص ٢٦ . (٢) نفسه : ص ٥٣ .

(٣) نفسه : ص ٤٧

وصاحب الشرح لغوي صرف ، لا يعرج على قضايا الإعراب البتة ، فلو كان المبرد هو صاحب هذا الشرح لما أغفل الاشارات النحوية الفنية في القصيدة التي تغري بالشرح أمثاله من عباقرة النحو العربي .

٢ — وقبل الحديث عن شرح الزمخشري والعكبري أوثر أن أجمل الحديث عن شرح ابن زاكور المغربي ، وشرح عطاء بن أحمد المصري المكي ، لأن صلتهما واهية بشرح أبي البقاء .

أما الأول فكثير العناية بقضايا اللغة ، وشرح المعنى شرحاً دقيقاً مفصلاً أحياناً ، على حين تقل عنايته بالقضايا النحوية،إلا ما يراه مفيداً في توضيح المعنى .

وأما الثاني فيجمع بين اللغة والنحو،إلا أنه يعوّل في ذلك كله على الزمخشرى وعلى العكبري أحياناً ، وهو إلى الاختصار أقرب منه إلى التفصيل .

٣ — ولا شك أن شرح الزمخشري أفضل هذه الشروح وأكثرها تفصيلاً ، ولعل هذا هو الذي أغراه بالمقدمة التي تفيض بالغرور [١] .

وأهم ما يلاحظ في عمل الزمخشري هو أنه يتخذ من ظواهر اللامية منطلقاً إلى تقريرات نظرية ، ومناقشات لمسائل خلافية ، وإلى بسط العلل ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، حتى إنه في بعض الأحيان يشغل صفحات كثيرة بهذه التقريرات ، على غرار ما فعل في شرح مسألة « الحسن الوجه » بنصب الوجه وجرّه [٢] .

وكذلك نراه في بعض المواضع يستطرد ، إذ يشرح كلمات شاهد نحوي ساقه لتأييد ظاهرة نحوية ، أو يسوق أوجهاً إعرابية في بعض كلماته [٣] .

(١) انظر الصفحة : ١٠
(٢) ص : ٤١ — ٤٦ .
(٣) ص : ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٧ .

ويغلب على منهاج الزمخشري أنه يبدأ بشرح الكلمات الغريبة ؛ ثم يعرب الكلمات التي يراها بحاجة إلى إعراب ، ولكنه في بعض الأحيان يخالف هذه الطريقة ، فنراه يبدأ بالإعراب ، ثم يعود إلى الشرح اللغوي ، ثم يعود أيضاً إلى الإعراب [1] .

٤ – هذا هو شرح الزمخشري ، أما أبو البقاء العكبري فيتميز شرحه بالإيجاز ، وبالاعتماد العام على شرح الزمخشري ، حتى ليمكن أن نزعم أنه ضرب من التلخيص ليس غير ، إلا في شرح المفردات الغريبة ؛ إذ يعتمد فيه أحياناً على الشرح الذي رجحنا أنه لواحد من تلامذة ثعلب .

غير أنه لا يخضع للزمخشري في كل شيء . فكثيراً ما نراه يذكر وجهاً واحداً من وجهين ذكرهما الزمخشري ؛ لأنه لا يرى الوجه الثاني ذا غناء ؛ أو لعله لا يراه صحيحاً ، كما أنه في بعض الأحيان يقدّم وجهاً أخّره الزمخشري ، أو يجزم بوجه ضعّفه ، أو ذكره على سبيل الجواز [2] .

وحذف أيضاً التقريرات النظرية التي بسطها الزمخشري . وفصل فيها الحديث ، واكتفى العكبري بالإعراب ، ولذلك نراه يعيد أحياناً بعض الملاحظات التي سبق له أن ذكرها من قبل ، لأنه يشعر بالارتباط الوثيق بالبيت المعرب [3] .

ومن ظواهر الإيجاز في شرح العكبري أنه يذكر أحياناً مسألة خلافية بين الكوفيين والبصريين دون أن يشير إلى ذلك ، ودون أن يرجح رأياً على آخر [4] ، مع أنه محيط بهذا الخلاف ، وله فيه كتاب خاص ، كما قلنا من قبل .

٥ – المخطوطات المعتمدة والعمل فيها :

اعتمدت في نشر هذه الرسالة على ثلاث مخطوطات مصورة ، هي :

---

(١) انظر : ص : ١٤ – ١٥ .

(٢) انظر البيت رقم : ٦٤ ، وص : ٦٧ من الجوانب .

(٣) انظر : شرح البيت رقم ٧ والبيت رقم ٣٥ .

(٤) انظر شرح الأبيات : ٢٢ ، ٢٣ ، ٥٤ .

آ ـ نسخة ألمانيا :

وتقع في مجموع يضم شرح عروض ابن الحاجب للأسنوي ، وشرح لامية العجم للدميري ، وشرح مقصورة ابن دريد لمجهول ، وشرح قصيدة النابغة للزوزني ، ورسائل أخرى .

وعدد أوراق هذه النسخة اثنتا عشرة ورقة ، عدتها ثلاث وعشرون صفحة ، في كل منها خمسة وعشرون سطراً . وقد كتبت بخط نسخي واضح ، يدل على حداثة كتابتها ، وأرجح أنها لا تتجاوز القرن الحادي عشر للهجرة . ولكنها حسنة الخط ، قليلة الأخطاء ، وتَفْضُل في هذا أختيها ، وقد رمزت لها في التحقيق بالحرف (ج) .

ب ـ نسخه دار الكتب المصرية :

وهي أيضاً تقع في مجموع يضم معها شرح لامية العجم للدميري ، تقع أيضاً في اثنتي عشرة ورقة ، وأربع وعشرين صفحة ، يتراوح عدد الأسطر في كل منها بين اثنين وعشرين سطراً ، وتسعة عشر سطراً . وقد كتبت أيضاً بخط نسخي واضح ، وتم الفراغ من كتابتها سنة ١٢٥٥ للهجرة ، بخط محمد بن الحاج بكري الكلاك ، وعلى الرغم من تأخر نسخها وقعت فيها أخطاء كثيرة . وقد رمزت لها بالحرف (ب) .

ج ـ نسخة معهد المخطوطات العربية :

وهذه النسخة لا تزيد على إحدى عشرة ورقة : عدتها اثنتان وعشرون صفحة ، في كل منها ثلاثة وعشرون سطراً ، وخطها نسخي واضح . ويرجح أنها أقدم من النسختين السابقتين ، ولكن لم يحدد تاريخ الفراغ من كتابتها ، ولم يذكر اسم الناسخ ، وأخطاؤها قليلة إذا قيست الى النسخة (ب) ولكنها مع ذلك دون (ج) بالضبط ، وقد رمزت لها بالحرف (أ) .

تلك هي المخطوطات التي اعتُمِدتْ ، وقد أعان الله على مقابلتها بعضها ببعض لضبط النص ، وقد كانت النسخة الألمانية معتمدة أكثر من أختيها ، لأنها أصح نَقلاً ، وأكثر ضبطاً ، غير أنني كنت أرجع في الترجيح أحياناً إلى شرح الزمخشري ، لأن المؤلف ، كما قلت من قبل ، قد عوّل عليه في كثير من المواضع .

وقد رأيتني في بعض الأحيان مضطراً الى توضيح بعض الآراء النحوية ، لأن إشارة العكبري فيها لم تكن كافية ، كما أشرت الى مراجع المسائل النحوية المهمة في أمهات كتب النحو وغيرها . كما اضطررت إلى شرح بعض المفردات اللغوية التي أهملها المؤلف ، أو كان شرحه لها غير كاف ، واستعنت لذلك بالمعاجم العربية ، وبشرح لامية العرب ، ولا سيما شرح الزمخشري ، وابن زكور ، وعطاء المصري .

هذا وقد خرّجت الآيات القرآنية ، والشواهد الشعرية القليلة في الشرح ، وترجمت بعض الأعلام الذين تحسن ترجمتهم ، وتجاوزت المشهورين منهم .

والله أسأل أن يوفق الى الصواب .

د. محمد خير الحلواني

الرياض : ٢٢ جمادى الثانية ١٤٠١ هـ

٢٦ نيسان ١٩٨١

شرح لامية العرب

لابي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري

٥٣٨-٦١٦ هـ

[وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه][1]

١ ـ أقيموا بني أمي صُدورَ مطيكمْ
فإنّي إلى قومٍ سواكم لأَمْيَلُ[2]

الكلام في هذا البيت على ثلاثة أشياء : على الفاء ، وعلى « سوى » ، وعلى « أميل » .

فأما الفاء فإن فيها تنبيهاً على أن ما قبلها علة لما بعدها ، ولذلك[3] وقعت في جواب الشرط [4] . وقد تدل على ربط الشيء بما قبله . والمعنى : أن غفلتكم وإهمالكم توجب [5] مفارقتكم .

وأما « سوى » فهي هاهنا صفة لـ « قوم » في موضع جر[6] ، وأكثر ما تقع ظرفاً[7] ، وقد تقع فاعلاً ، كقول الآخر :

« ولم يَبْقَ سوى العدوانِ » [8]

وأما « أَمْيَلُ » فهو : أَفْعَل ، بمعنى : فاعل . كما جاء « أكثر » بمعنى

(١) كذا في (آ) . وفي (ج) وبه التوفيق . وبعدها كلمتان غير واضحتين وخلت (ب) من هذا كله .

(٢) أقيموا صدور مطيكم : أي انتبهوا من غفلتكم ، واسلكوا الطريق الصحيحة ، وهذا معنى مجازي ، والأصل فيه أن الراكب يغفل عن مطيته فتنحرف به عن القصد ، فيقال له : أقم صدر مطيتك .

(٣) في (آ) وكذلك . وفي (ب) او لذلك . وما أثبته من (ج) .

(٤) يريد أن الفاء تفيد معنى السببية ، ومن أجل ذلك وقعت في جواب الشرط ، لأن في الجملة الشرطية أيضاً معنى السببية ، إذ أن فعل الشرط فيها سبب لجواب الشرط .

(٥) قوله : « توجب » فيه تساهل يتصف به أسلوب أبي البقاء ، والأصح أن يقال : يوجبان .

(٦) كذ في (ج) ، وفي (آ) : في موضع جر في موضع آخر . وفي (ب) : في موضع جر آخر

(٧) انظر في ذلك : الإنصاف في مسائل الخلاف . لأبي البركات الأنباري . المسألة : ٣٩

(٨) البيت في حماسة أبي تمام « المرزوقي » . ص ٣٠ ، وهو لشهل بن شيبان ، وتتمته : « دناهم كما دانوا » .

« كثير » ، و « أوحد » بمعنى « واحد . » ، وليس المراد أني أكثر ميلاً .

وأما « إلى » فتتعلق [1] بـ « أميل » لما فيها من معنى الفعل ، ولا تمنع من ذلك لام التوكيد ، لأنها مؤكدة [2] لمعنى الفعل[3] ، وقد قال الله تعالى : « وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون » . [الروم ٨][4] .

٢ ـ فقد حُمّتِ الحاجاتُ والليلُ مُقْمِرٌ
وشُدَّت بطيّاتٍ مَطايا- وأرْحُلُ

حُمّت : قُدِّرَت . والطيّة : الحاجة [5] .

والليل مقمر : يجوز أن تكون الجملة حالاً ، وأن تكون مستأنفة لا موضع لها من الإعراب ، كما أن المعطوف عليه لا موضع له ، [وهو قوله : فقد حمت][6]

٣ ـ وفي الأرض منأىً للكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القِلى مُتَعَزَّلُ [7]

٤ ـ لَعَمْرُكَ ما بالأرضِ ضيقٌ على امرئٍ
سرى راغباً أو راهباً وهو يعقلُ [8]

(١) في (ب) : فمتعلق .
(٢) في (ب) : مؤكد .
(٣) يريد أن (أميل) فيه معنى الفعل ، واللام تفيد توكيد هذا المعنى ، ولهذا جاز أن يعلق به الجار والمجرور وإن تقدما على اللام .
(٤) فاته أن يتحدث عن (أقيموا) من الوجهة الصرفية ، إذ أصله (اقوموا) فاستثقلت الكسرة على الواو فنقلت إلى القاف ، ثم قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها .
(٥) وقيل : الجهة التي يقصد إليها المسافر ، ويقال : مضى لطيته ، أي لنيته التي انتواها .
(٦) سقط من (ج) ما بين المعقوفين .
(٧) منأى : مكان لمن ينأى عن الناس . وهو مبتدأ مؤخر . ويريد بالأذى الذل والهوان . والقلى : البغض . ومتعزل : مكان لمن يعتزل الناس .
(٨) عمر : فيها ثلاث لغات ، أن تضم العين والميم ، وأن تضم العين وتسكن الميم ، وأن تفتح العين وتسكن الميم . ولا يستعمل في القسم إلا الأخيرة . واللام في (لعمرك) لام الابتداء ، وليست لام القسم ، لأن القسم لايجاب بقسم آخر . و (عمر) مبتدأ حذف خبره وجوباً وقوله : « هو يعقل » يريد به أنه واع لما أراده وقصد إليه .

سرى : نعت لـ « امرىء » . وراغباً وراهباً : حالان من الضمير في « سرى » والعامل فيهما « سرى » . وقوله : يعقل : الجملة حال أيضاً ، وفي صاحب الحال هنا وجهان ، أحدهما الضمير في « سرى » ، أي : سرى عاقلاً ، والثاني[1] هو حال من الضمير في « راغب » أو « راهب » ، أي : يرغب أو يرهب عاقلاً ، أي [فَهِماً لِما يرغب فيه ، أو يخاف منه] [2] .

٥ ـ ولي دونكم أهلون : سِيدٌ عَمَلَّسٌ
وأرقطُ زُهْلولٌ وعرفاءُ جيئلُ [3]

السِيد : الذئب . وعَمَلَّس : سريع السهولة[4] ، وأرقط[5] : فيه سواد وبياض ، وزُهلول : خفيف ، وعرفاء : الضبع الطويلةُ العُرْف . وجيئل: من أسماء الضبع .

أهلون : مبتدأ . ولي : خبره . وفي « دون » وجهان ، أحدهما هو صفة لأهلين ، بمعنى « غير » ، فلما قدِّم صار حالاً ، وهكذا صفة النكرة إذا قدمت عليها ، أي : ولي أهلين غيرُكم . والثاني هو ظرف ، والعامل فيه الجار والمجرور ، أو ما[6] يتعلق به الجار من معنى الاستقرار . وفتحة النون على الوجه الأول إعراب الصفة ، وعلى الوجه الثاني إعراب الظرف [7] .

---

(١) في (آ) : والضمير الثاني .
(٢) كذا في (ج) ، وفي (آ) و (ب) : « فما لا يرغب فيه لا يخاف منه » . .
(٣) أراد بهذا البيت أن يبين أنه ألف القفار ، واعتاد قطع الصحارى ، حتى أنست به الوحوش ، وصارت له أهلا . . وإنما كتبت « جيئل » على نبرة ، لأنها مسبوقة بياء ساكنة ، وذلك كهمزة « الخطيئة » .
(٤) كذا في الأصول الثلاثة ، وفي المعاجم القوي على السير السريع ، أو الخبيث من الذئاب .
(٥) الأرقط : يريد به النمر ، وقيل : الحية . والأول أصح .
(٦) في (ج) : وما .
(٧) (دون) اسم مبهم ، فهو يبنى على الفتح جوازاً إذا أضيف إلى مبني ، كالضمير في «دونكم انظر في هذا كتابنا « الواضح في النحو والصرف » قسم النحو ص ٤٠ .

وعلى قول الأخفش[1] « أهلون » رفع بالجار [2] ، وهو فاعل ، و « سيد » والأسماء المعطوفة عليه بدل من « أهلون » .

وياء « السيد » أصل عند سيبويه[3] ، وقال بعضهم : هي بدل من الواو ، وأَخْذُهُ من « ساد يسود » .

وعرفاء : في الأصل صفة ، وهي الطويلة العُرْف ، ثم غُلِّبت حتى خرجت مخرج الأسماء[4] ، وجيئل : ليست صفة، بل هـو[5] اسم لهـا[6]، عَلَمٌ لا ينصرف للتعريف والتأنيث .

٦ ــ همُ الأهلُ لا مُستودَعُ السرِّ ذائعٌ
لديهم ، ولا الجاني بما جَرَّ يُخْذَلُ [7]

هم الأهل : مبتدأ وخبر . و « لا » هاهنا[8] غير عاملة ، لأنها داخلة على معرفة . ومستودع : مبتدأ . والإضافة بمعنى « من » [9] ، أي.: ولا المستودع

(١) هو سعيد بن مسعدة ، الأخفش الأوسط ، عاصر الخليل ، وأخذ عن سيبويه ، وله في النحو آراء انفرد بها ، أشهر كتبه : معاني القرآن ، والقوافي .

(٢) انظر هذا المذهب في كتاب : الانصاف في مسائل الخلاف للأنباري . المسألة .

(٣) انظر كتابه : ٢/١٣٦ (بولاق) ، واللسان (سيد) . وجاء ضبطها في تحقيق الاستاذ عبدالسلام هارون (سيد) ، وهو بعيد ، إذ يعد سيبويه (سيد) مما وقعت عينه ثالثة لا ثانية ، انظر تحقيق الأستاذ هارون : ٣/٤٦٨ ، و ٣/٤٨١ .

(٤) يريد أنها في الأصل اسم مشتق ، فهي صفة مشبهة ، ولكنها كثر استعمالها وإطلاقها على الضبع من دون ذكر الموصوف ، فغلبت عليها ، وصارت تعامل معاملة الأسماء في تعريفها ، كالأجدل التي غلبت على الصقر ، والأرقط التي غلبت على الثعبان . و . . . الخ .

(٥) كذا في النسخ الثلاث ، وهو كثير التنقل في الضمائر ، والمقصود بـ « هو » اللفظ .

(٦) وعلى هذا يكون إعراب « جيئل » عطف بيان أو بدلا ، لأنها غير مشتقة .

(٧) قوله : هم : فيه معاملة الوحوش معاملة العقلاء ، وهذا جائز مجازاً ، وهو كثير في العربية . وقوله : الأهل . بتعريف المسند فيه قصر ، وكأنه قال : هم الأهل لا أنتم . وقوله : بما جر . الباء فيه سببية . وجر : جنى .

(٨) في (ب) هنا .

(٩) هو من إضافة الصفة إلى الموصوف ، والأصل : ولا السر المستودع .

من الأسرار . و « ذائع » خبر المبتدأ ، وهو مستودع . ولديهم : ظرف لـ «ذائع»، أي لا يظهر فيما بينهم ، ولا يجوز أن يكون « لديهم » ظرفاً لـ « مستودع » ، لما فيه من الفصل بين المعمول والعامل بخبر العامل[1] . و الجاني : مبتدأ أيضاً ، ويُخذَل : خبره . والباء متعلقة بـ « يخذل » . وفي « ما » وجهان ، أحدهما بمعنى الذي ، والعائد محذوف ، أي بما جرّه . والثاني مصدرية ، أي بجريرته . ولو جعلت نكرة موصوفة لجاز[2] ، أي : بشيء جرّه . والتقدير : لا يخذل لديهم .

فإن قيل : فما موضع الجملة التي هي : لا مستودع ... قيل : موضعها حال . فإن قيل « هم » لا يعمل في الحال ؛ وكذا « الأهل » [3] . قيل : الحال تنصب[4] على المعنى ؛ والمعنى : هم المعتدُّ بهم والمتحققون بحكم الأهلية ، فكأنه قال : هم الثقات الناصحون ، ومثل هذا يَعمَلُ في الحال ، ونظيره :

يا جارتا ما أنتِ[5] جاره

٧ — وكلٌّ أبيٌّ باسلٌ غيرَ أنني
إذا عرَضَتْ أولى الطرائدِ أبْسَلُ

الأبي : الحمي الأنف الذي لا يقر للضيم . والباسل : الكريه[6] ،

---

(١) وهناك دليل آخر هو أن المعنى يرفض تعليق (لديهم) بمستودع . لأن ذلك يؤدي إلى معنى مناقض لما يريد الشاعر ، وهو : لا يستودع السر لديهم .

(٢) بل هذا أقرب إلى المعنى من الوجهين الآخرين .

(٣) لأن (هم) و (أهل) جامدان ؛ والجامد لا يعمل نصباً في شيء .

(٤) في (آ) و (ب) : ينتصب .

(٥) هذا عجز بيت منسوب الى الأعشى ، وصدره : بانت لتحزننا عفاره

وهو من شواهد النحو . ووجه القياس بينه وبين قول الشنفرى هو أن (ما) و (أنت) جامدان لا يعملان نصباً ، ولذلك كان العامل في الحال (جاره) هو معنى التعجب والتعظيم الملموح في قوله : ما أنت . فكأنه قال : عظمت جارة .

(٦) هذا هو المعنى في الأصل ، إلا أنه أراد به هنا : الشجاع البطل ؛ لأنه يكره لقاؤه .

والطرائد : التي تطرد [1] . وقوله : « وكلٌ » يريد : كل واحد منهم . أو : كلهم . فحذف المضاف إليه وهو يريده[2] ، وبقي حكم الإضافة ، وهو تعريف « كل» ، ولذلك تقول: مررتُ بكلٍ قائماً ، وبكلٍ قاعداً ، فتنصب عنه الحال [3] ، ومنه قوله — عز وجل — : « ولكل درجات » [الأحقاف ١٩] ، و « كلاً نقص عليك » . [هود ١٢٠] ، ولهذا ذهب أكثر الناس إلى أن « كلاً » لا تدخل عليه [4] الألف واللام لتقدير الإضافة فيه . وهو مرفوع بالابتداء . وأبيٌّ : خبره ، وأفرد لفظ الخبر حملاً على لفظ « كل » ؛ ويجوز أن يأتي جمعاً حملاً على معناها [5] ، ومن الإفراد قوله — عز وجل — : «وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً » . [مريم ٩٥] ؛ ومن الجمع قوله : « وكل أتوه داخرين» [النمل ٨٧] .

وباسل : خبر ثانٍ ، أو وصف الخبر ، وقوله : غيرَ أنني : استثناء منقطع ، تقديره : لكن أنا أبعل منهم [6] ، أي أشجع . و « إذا » منصوبة بـ « أبسل » أو بمعناه[7] ؛ أي أنا أشجع وقت ظهور الطريدة ، و [الطريدة] [8] فعيلة بمعنى « فاعلة » أي فرسان الخيل ، أو بمعنى مطرودة ، أي الخيل التي [9] يطردها فرسان أُخَر .

---

(١) والمراد بها هنا : الفرسان .

(٢) وعلى هذا يكون التنوين – في مذهب بعض النحاة – تنوين عوض ، إذ هو عوض عن المضاف إليه المحذوف .

(٣) وهذا دليل على أن « كل » معرفة ، لأن صاحب الحال معرفة .

(٤) هذا ما في (ج) وفي (آ) و (ب) : عليها .

(٥) أنظر مبحث « كل » في أمالي ابن الشجري : ١/٤٠ و ٢/١٠٩ .

(٦) وكذا يكون معنى « إلا » في الاستثناء المنقطع . انظر كتابنا « المختار من أبواب النحو» ص: ٣٣٢

(٧) كأنها عنده غير شرطية ، وهذا واضح في التقدير .

(٨) سقطت من (آ) و (ب) .

(٩) في (آ) : الذي .

وأما فتح « أنني[1] » فلأنها وما عملت[2] فيه مصدر في موضع جر بالإضافة ، تقديره : غيرَ زيادة[3] شجاعتي على شجاعتهم ، أي لكن تزيد شجاعتي على شجاعتهم . وأُولى : تأنيث الأول ؛ مثل : أخرى ، تأنيث الآخر .

٨ – وإنْ مُدَّتِ الأيدي إلى الزاد لم أكنْ
بأعجلهم ، إذ أجشعُ القوم أعجلُ

أجشع : أحرص . وبأعجلهم : الباء زائدة للتوكيد غير متعلقة بشيء ، وإنما حسنت زيادتها من أجل النفي بـ « لم » ، وهي بمعنى : « ما كنت » . ومن حكم « لم » أن تردَّ الفعل المستقبل إلى الماضي ، والماضي[4] هاهنا لا معنى له في جواب الشرط ، لأن الشرط لا معنى له إلا في المستقبل ، فعلى هذا فيه ثلاثة أوجه :

الأول : أن « لم » إذا وليت حرف الشرط تقرر المستقبل على بابه ، ويمنع[5] الشرطُ ردَّ المضارع إلى الماضي ؛ فكذلك جواب الشرط لتعلقه بالشرط .

والثاني : أن « لم » هنا بمعنى « لا » ، ولا[6] : لا تغيّر جواب الشرط ، ولا تغير معنى الاستقبال .

والثالث : أن الشرط والجواب هنا لحكاية الحال ، ولا يُراد به[7] الاستقبال في المعنى ، فلذلك وقعت « لم » في جواب هذا[8] الشرط .

(١) في العبارة تجوز يعرف به أبو البقاء ، والمراد : فتح همزة « إن » .
(٢) في (آ) عمل .
(٣) في (آ) : زائدة .
(٤) ساقطة في (آ) .
(٥) في الأصول الثلاثة : وتمنع .
(٦) ساقطة من (ج) .
(٧) كذا في الأصول ، والصواب : بهما .
(٨) ساقطة من (ج) .

وأما « إذ » فظرف زمان [1] ، والعامل فيه « أعجلهم » ، أي لا أسبقهم في ذلك الوقت ، وهذا يؤيد ما ذكرناه من حكاية الحال ، إذ لو أريد به الاستقبال لكانت « إذا »[2] .

وقوله « أجشع القوم » مبتدأ ، و « أعجل » خبره ، وموضع الجملة جر بالإضافة ، والتقدير : أعجلهم ، أو أعجل من غيره .

٩ ــ وما ذاكَ إلا بسطةٌ عن تَفَضُّلٍ
عليهم ، وكان الأفضلَ المتفضِّلُ [3]

بسطة : سعة . ذاك[4] : كناية عن أخلاقه التي شرحها ، وهو مبتدأ ، وبسطة خبره [5] . و « إلا » لا تمنع من ذلك ؛ و « إلا » أبطلت عمل « ما » . والاستثناء غاية المعنى [6] ،والتقدير : مالي حال أو خلق إلا كذا وكذا . وكذا[7] إذا قلت : ما زيد إلا قائم . الاستثناء ليس من لفظ « زيد » لأن الواحد لا يستثنى منه ؛ وإنما : ما أحوال زيد [8] إلا القيام ، فهوا استثناء من جمع في المعنى .

و « عن » نعت لـِ « بسطة » ، و « على » تتعلق بـ « تفضُّلٍ » . والأفضل : خبر كان مقدم على اسمها ؛ [والله تعالى أعلم] [9] .

---

(١) في (ج) : نظرف زماني .
(٢) الأصح أن « إذ » هنا حرف تعليل لا ظرف ؛ وهذا يوافق المعنى وينقذ من تكلف التقدير .
(٣) ذاك : أي كوني لست بأعجلهم في تناول الطعام .
(٤) في (آ) و (ب) : ذلك .
(٥) في (ب) : خبرها .
(٦) أي هو المقصود ؛ لأن « إلا » ألغت النفي .
(٧) سقطت من (آ) و (ب) .
(٨) ساقطة من (ب) .
(٩) ما بين معقوفين ساقط من (ج) ، وفي (ب) سقطت (تعالى) وحدها .

١٠- وإني كفاني فقدَ مَنْ ليسَ جازياً
بحُسْنى ، ولا في قربـهِ متعلّـلُ [١]

كفاني : يتعدى إلى مفعولين ، الأول الياء من « ني » ، والثاني « فَقْدَ » . والجملة خبر « إنَّ » ، والنون نون الوقاية ، أي تقي الفعلَ من الكسرة :

و « مَنْ » نكرة موصوفة ، أي : فَقْدَ إنسانٍ لا يكافىء على الحسنة ، وليس وما عملت فيه في موضع جرٍّ ، نعت [٢] لـ « مَنْ » ، واسم « ليس » ضمير يعود على « مَنْ » ، والباء في « بحسنى » تتعلق بـ « جازياً » ، ومتعلل : يجوز أن يكون معطوفاً على اسم « ليس » [٣] ، و« قربه » في موضع نصب خبر « ليس » المقدرة [٤] ، كما تقول : ليس زيد في الدار ولا في المجلس عمروٌ . ويجوز أن تكون الجملة المعطوفة مستأنفة [٥] ، والله تعالى أعلم .

١١- ثلاثةُ أصحابٍ : فـؤادٌ مشيّعٌ
وأبيضُ إصليتٌ ، وصفراء عَيْطَلُ

مشيّعٌ : مقدامٌ كأنه [٦] في شيعة [٧] . والإصليت : سيف مجرد من غمده . وصفراء : قوس من نبع [٨] . والعيطل : الطويلة .

---

(١) التعلل : التلهي . أي : وليس في قربه سلوى لي .
(٢) في (ب) و (ج) : نعتاً .
(٣) أي عطف (متعلل) على اسم ليس ، وعطف (في قربه) على خبرها ، وهذا ما يعبر عنه النحاة بقولهم : العطف على معمولي عامل واحد .
(٤) هذا في ظاهره لا ينسجم مع عطف (متعلل) على اسم ليس ، وربما كان في العبارة نقص : أو ربما أخل العكبري في تلخيص عبارة الزمخشري في هذا الموضع .
(٥) يريد أن الجملة « لا في قربه متعلل » ذات استقلال ، وهي معطوفة على جملة (ليس جازياً) ، وبهذا يكون « متعلل » مبتدأ ، و « في قربه » شبه جملة معلقة بخبره . ولا يقصد بقوله : مستأنفة . ما يفهم من المعنى الاصطلاحي .
(٦) في (ب) : كان .
(٧) في (ب) : زيادة : هي : « . . . وأصحاب ، أي مقدم أقوام بشيمة . »
(٨) أي من : شجر النبع .

ثلاثةُ أصحاب : هو فاعل « كفاني » في البيت قبله . وقوله : فؤاد مشيع : فيه وجهان ، أحدهما أنه وما بعده من المعطوفات بدلٌ من « ثلاثة » ، تقديره : كفاني فؤاد وأبيض وصفراء [1] . والثاني : هو خبر لمبتدأ محذوف . أي أحدها [2] فؤاد ، وثانيها أبيض ، وثالثها صفراء .

١٢- هَتوفٌ من المُلْسِ المتُونِ تزينها
رصائع قد نِيطتْ إليها ومحمَلُ

هَتوف : مصوِّتة . والملس : التي لا عُقَدَ فيها . والرصائع : سيور تزين بها القوس [3] . [ونيطت : علقت من العين . والمحمل : ما يحمل به ؛ كمحمل السيف][4] .

هتوف : صفة لـ « صفراء » . ومن الملس : صفة أخرى ، أي كائنة من العيدان الملس . والمتون : مجرور بالإضافة ، وهي غير محضة ، أي الملسِ متونُها[5] . وتزينها رصائع : الجملة [6] صفة لـ « صفراء » أيضاً ، [ويجوز أن تكون في موضع نصب على الحال من الضمير في الجار] [7] . ويجوز أن يكون « من الملس » في موضع نصب على الحال أيضاً من الضمير في « هتوف » . وقوله : قد نيطت : في موضع رفعٍ ، صفةٌ لـ « رصائع » .

---

(١) قدره كذلك لأن البدل عند النحاة هو المقصود بالحكم . .
(٢) في (ب) : إحداها .
(٣) في (آ) : نقوس .
(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (آ) و (ج) .
(٥) يريد أن الإضافة ليست محضة ، بل هي إضافة لفظية ، لأن المضاف وهو « الملس » صفة مشبهة ، والمضاف إليه فاعل لها في الأصل ، والتقدير : الملس متونها . ولو كانت محضة ما جاز أن تدخل « أل » على المضاف ؛ إذ لا يقال : إنه الثلم خالد . انظر تفصيل هذا في كتابنا « الواضح في النحو والصرف ص ٣٦٢ » .
(٦) في (ب) : والجملة .
(٨) في (ب) : سقط ما بين المعقوفين .

١٣- إذا زَلَّ عنها السَّهمُ حنَّت كأنَّها
مُرَزَّأةٌ عَجلى تُرِنُّ وتُعْوِلُ [١]

زَلَّ : خرج . وحنينها : صوتُ وترِها . والمرزأة : الكثيرة الرزايا . وتُعْوِل : من الحزن . وعجلى مسرعة [٢] .

والعامل في « إذا » جوابها [٣] ، وهو [٤] حنت . و « كأنَّ » وما عملت فيه حال من الضمير في « حنت » ، أي : حنت مُشْبِهةً . وتُرِنُّ في موضع رفعٍ ، نعتٌ [٥] لـِ « مرزأة » . ويجوز أن تكون « عجلى » حالاً من الضمير في « مرزأة [٦] » ، وترن : حالاً [٧] أخرى ، والبيت كله نعت لـِ « صفراء » ، والله أعلم .

١٤- ولستُ بمهيافٍ يُعَشّي سوامَهُ
مُجدَّعةً سُقْبانُها وَهْيَ بُهَّلُ [٨]

المهياف : الذي يبعد بإبله طلب المرعى على غير علم ، فيعطش [٩] ، والسُّقبان :

---

(١) الضمير في « عنها » يرجع الى القوس ، وقوله : مرزأة : يعني امرأة مرزأة .

(٢) رجح الأستاذ أحمد راتب نفاخ أن تكون : عجلى . بمعنى ذات عجل ، وهو أصح معنى . ولكن كتب اللغة - كما قال - لا تذكر للكلمة هذا المعنى . انظر مجموعته : مختارات من الشعر الجاهلي ص : ٢٥٨ .

(٣) هذا رأي جمهور النحاة ، والأقرب إلى الصواب ما يذهب إليه بعض المحققين : وهو أن يكون عاملها فعل الشرط . انظر تفصيل هذا في كتابنا : « المختار من أبواب النحو » ص: ٢٠٢ ومابعدها.

(٤) في (ب) : وهي .

(٥) في (ج) : نعتاً .

(٦) هذا وجه من الإعراب لا يستقيم به المعنى إلا بتكلف شديد ، والأصح أن تكون« عجلى » صفة لـ « مرزأة » ، أو حال من الضمير في « ترن » .

(٧) في (ب) : حال ، وهو جائز .

(٨) السوام : الإبل الراعية . والسقبان : جمع سقب ، وهو ولد الناقة .

(٩) وقيل في شرح « المهياف » : السريع العطش .

الصغار من الإبل . والمجدَّعة : السيئة الغذاء ، وقيل : المجدعة أطراف أذنها . وبُهّل : لا صرار[1] عليها .

ولستُ : كلام مستأنف . ويعشي : نعت لـ « مهياف » أو حال من الضمير فيه . ومجدعة : حال من سوامه ، ويجوز أن يرفع على أنه خبر مقدم ، والمبتدأ « سقبانها » . ومن نصب « مجدعة » رفع « سقبانها » بمجدعة[2] . وهي بهل : الجملة أيضاً حال من « سوامه » .

١٥– ولا جُبَّاٍ أكْهَى مُرِبّ بعِرسِه
بُطَالعُها في شأنِه كيف يَفْعَلُ

الجبأ : الجبان . والأكهى : الأبجر والكدِر الأخلاق؛ والأكهى أيضاً : البليد . والمُرِب : المقيم .

جُبَّأ : مجرور ، معطوف على مهياف ، ولو نصب عطفاً على موضع « بمهياف » جاز[3] . والأكهى : نعت أيضاً ، إمّا جر أو نصب ، ويجوز أن يكون في موضع نصبٍ ، حالاً من الضمير في « جبأ » . ومُرِبٌ : يجوز فيه الجر على الصفة ، على اللفظ ، والنصب على الموضع أو على الحال ، كما تقدم .

والباء في « بعرْسِه » بمعنى « في » ، أي مقيم في بيت عرسه ، ويجوز أن تكون بمعنى « على » ، أي مقيم على عرسه . ويطالعها: في موضع نصب على الحال من الضمير في « مُرِب » . وفي : متعلقة بـ « يطالع » ، ولا يجوز أن تتعلق بـ « يفعل » ، لأن ما بعد الاستفهام لا يعمل فيما قبله، ويجوز أن

(١) في (ب) : لاضرار . والصرار : ما يصر به ضرع الناقة لئلا ترضع .
(٢) على أنها نائب فاعل لاسم المفعول .
(٣) كما في قول الشاعر القديم :
معاوي إننا بشر فأسجح ... فلسنا بالجبال ولا الحديدا

تتعلق « في » بفعلٍ محذوف يبينه « يفعل » ، والتقدير : [كيف يفعل في شأنه. وموضع كيف : « كيف » ، نصب بـ « يفعل » ، والأقوى أن يكون][1] حالاً ، وقيل : هو ظرف .

١٦– ولا خَرِقٍ هَيْـقٍ كأنَّ فؤادَهُ
يظلُّ به المُكَّاءُ يَعْلو ويَسْفُلُ [2]

قوله : ولا خرق ، وما بعده : نعت لما قبله ، ويجوز نصبه على الحال . وكأنّ ، وما عملت فيه : نعت أيضاً، ويجوز أن تكون حالاً . وخبر « كأن » : يظل به . ويعلو : حال[3] أو خبر « يظل » .

١٧– ولا خالفٍ داريّـةٍ مـتغزّلٍ
يـروحُ ويغـدو داهنـاً يتكحـل [4]

الخالف : المتخلف الفاسد . والدارية : التي لا تفارق البيوت [5]، ومتغزل : يغازل النساء .

ولا خالف : هو وما بعده من الصفات ، معطوف على ما قبله من الصفات ، ويروح ويغدو : في موضع جر ، نعت أيضاً . ويجوز أن يكون في موضع نصب على الحال من الضمير في « متغزل » . وداهناً : إما خبر « يغدو » ، وإما

---

(١) مابين معقوفين ساقط من (آ) .
(٢) الخرق : الدهش من الخوف أو الحياء . الهيق : ذكر النعام، يعرف بالجبن ، والمكاء: طائر ذو صفير لا يستقر على الأرض . يريد أن قلبه لشدة الخوف يضطرب اضطراباً شديداً ، كأنه على جناحي المكاء ، فهو يعلو به ويسفل . وهذا المعنى مألوف في الشعر العربي القديم .
(٣) ويكون خبر « يظل » الاستقرار المفهوم من شبه الجملة .
(٤) يريد أنه لا يتخلف في البيوت بعد خروج النساء فيغازلهن، ولا هو ممن تشغله النساء والطيب عن المغامرات .
(٥) الهاء في « الدارية » للمبالغة ، كتاء : نسابة ، وعلامة .

خبر « يروح » . والحال وضميرها محذوف ، دل عليه خبر « يغدو »[1] . كما تقول : أصبح زيد وأمسى مسروراً . أي أصبح مسروراً ، وأمسى مسروراً . ويتكحل : خبر ثانٍ ، أي داهناً متكحلاً . ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في « داهن » .

١٨– ولستُ بِعَلٍ شَرُّهُ دون خيره
أَلَفَّ إذا ما رُعْتَه اهتاجَ ، أعْـزَلُ

العَلُّ : الذي لا خير عنده ، والصغير الجسم يشبه القُراد . وألَفّ : عاجزٌ لا يقوم بحرب ولا ضيف . والأعزل : الذي ليس[2] معه سلاح .

شره : مبتدأ . ودون : خبره . والتقدير : شره يحول دون خيره . وموضع الجملة جر على اللفظ ، ونصب على الموضع . وألف : نعت لـ « عَلٍّ » . واهتاج : جواب « إذا » ، وهو العامل فيها[3] . وفاعله ضمير يعود على « عل » . وأعزل : خبرُ مبتدإٍ محذوف ، أي هو أعزل . والجملة يجوز أن تكون جراً[4] صفة لـ « عَلٍّ » ، وأن تكون حالاً من الضمير في : اهتاج . أي منفرداً عن سلاح .

١٩– ولستُ بمحيارِ الظلامِ إذا انتحت
هدى الهوجلِ العِسّيفِ يَهْماءُ هوجلُ[5]

محيار : من الحيرة . وانتحت : قصدت واعترضت . والهوجل : البليد .

(١) كذا في الأصول الثلاثة ، وهو إعراب مضطرب . وصوابه : أن الفعلين (يروح ويغدو) إما أن يكونا ناقصين ، وحينئذ يكون (داهناً) خبر (يروح) ، وخبر (يغدو) محذوف لدلالة ماقبله عليه . وإما أن يكونا تامين ، وحينئذ يكون (داهناً) حالاً من الضمير في (يروح) .

(٢) سقطت (ليس) من (آ) .

(٣) أشرنا من قبل إلى أن رأي المحققين غير هذا . انظر البيت رقم (١٣) .

(٤) في (ب) و (ج) : خبراً .

(٥) في الأصول الثلاثة : جهول . والتصويب من « مختارات من الشعر الجاهلي » ٢٦٠ .

والعيسّيف : السائر[1] على غير هدى . ويَهْماء : لا علم بها . والهوجل : الشديد المسلك المَهُول [2] .

محيار : مِفْعال من الحيرة ة من أبنية المبالغة ، وأضافه إلى الظلام لوجهين : أحدهما أنه على معنى « محيار [3] في الظلام » ، كقوله عز وجل : « بل مَكْر الليل والنهار » . [سبأ ٣٣] أي مكرهم في الليل والنهار . والثاني أنها إضافة سبب[4] ، ومعناه أن الظلام بوجب[5] الحيرة .

وقوله : إذا انتحت . « إذا » منصوبة بـ « محيار » . و « انتحت » [6] و « نحت » : قصدت . هكذا في بعض الروايات . والهدى[7]يذكر ويؤنث ، فعلى هذه الرواية [قد أضاف القصد إلى الهدى ، وهو منصوب ، والفاعل يهماء . ومجازُهُ : قصدت الهدايةَ][8] في البهماء ، وهو مثل قولهم : نمتُ ليلي ، أي نمت في ليلي . وانتحت : أي اعترضت البهماء دون الهداية . والهوجل الأول : البليد . والثاني : الفلاة التي يشق السير فيها . والمعنى : لا أتحير في الوقت الذي [9]يتحير فيه غيري . [والله تعالى أعلم][10] .

٢٠– إذا الأمْعَزُ الصَّوَّانُ لاقى مناسمي
تطاير منه قادحٌ ومُفَلَّلُ

(١) في (ب) : الماشي .
(٢) في (آ) : المنهال ، و (ب) المهيار .
(٣) في (ب) : لمحيار .
(٤) في (ب) : لـسبب .
(٥) في (ب) : يورث .
(٦) سقطت من (أ) .
(٧) في (ج) الهوى .
(٨) ما بين معقوفين ساقط من (أ) .
(٩) في (تحيّر) .
(١٠) سقط ما بين المعقوفين من (ب) .

الأمعز : المكان الذي فيه حصى صغار . والصوان : الحجارة المُلْس . والمناسم : أخفاف البعير . والقادح : ما يخرج منه النار ، والمفلل : المكسّر .

الأمعز : فاعل فعل محذوف يفسره « لاقى » . أي إذا أصاب الأمعز . ولا موضع لقوله : لاقى ، وإنما الموضع للفعل والفاعل ، وهو جر بإضافة « إذا » إليه [1] . والأمعز : صفة غالبة تجري مجرى الأسماء ، فتجمع على : أماعز ، ولو كانت صفة محضة لقلت : مُعْز [2] ، كأحمر وحمر . وتأنيث الأمعز : معزاء [3]

والصوان : نعت الأمعز ، وفيه حذف مضاف ، وتقديره : الأمعز ذو الصوان ، ويجوز أن يجعل [4] الأمعز نفسه الصوان على المبالغة ؛ كقولك : زيدٌ إقبالٌ وإدبار . إذا كثر ذلك منه ، حتى كأنه الإقبال والإدبار .

و « منه » يجوز ان يتعلق بـ « تطاير » ، وتكون « من » لابتداء الغاية للتطاير ، وأن تكون نعتاً لِـ « قادح » ، قُدّم فصار حالاً . وإذا : منصوبة الموضع بـ « تطاير » . والله تعالى أعلم .

٢١- أديمُ مِطالَ الجوع حتى أميتَـهُ
وأضرِبُ عنه الذكرَ صَفْحاً فـأذهـل

أديم : جملة مستأنفة لا موضع لها ، ويجوز أن تكون خبر مبتدإ محذوف [5] ، تقديره : أنا أديم . و « حتى » بمعنى « إلى » ، ويجوز أن تكون بمعنى « كي » ، وتتعلق في الوجهين بـ « أديم » . وأضرب : معطوف على « أديم » ، ولا يجوز

(١) هذا على القول بتعليق « إذا » بجوابها .
(٢) في (ب) : لفقد أمعز .
(٣) في (ب) : معزى .
(٤) (أ) ويجوز الا يجعل
(٥) في (ب) : خبراً لمبتدأ محذوف .

أن ينتصب [بالعطف] [1] على « أميته » ، إذ ليس الغرض أني أديمُ الجوع حتى أضرب ، بل الغرض أن يخبر عن نفسه .

والذكر : مفعول أضرب . وصفحاً : تمييز ، ويجوز أن يكون مصدراً في موضع الحال ، أي أضرب عنه الذكر معرضاً ، ويقال : ضربت عن الشيء وأضربت ، وبالأولى[2] جاء القرآن في قوله عز وجل : « أفَنَضْرِبُ عنكم الذكر صفحاً » . [الزخرف٥] ، وتقديره : أفنطرد عنكم الذكر . والله تعالى أعلم .

٢٢- وأستفُّ تُرْبَ الأرضِ كيلا يُرى له
عليَّ من الطَّوْلِ امرُؤٌ مُتَطَوِّلُ

« كيلا » : كي فيها وجهان ، أحدهما هي حرف جر بمعنى اللام ، فينتصب الفعل بعدها بـ « أن » مضمرة[3] ، أي : [كيلا أن][4] . والثاني أن تكون بمعنى « أن » ، فتنصِبُ الفعل بنفسها [5] ، والتقدير : لكيلا .

ويرى : على ألِفه[6] فتحة مقدرة ، والهاء ضمير امرىء ، وجاز الإضمار قبل الذكر لأن النية به التأخير ، وتقديره : لكيلا[7] يرى امرؤ له عليَّ .

ومن الطول : نعت لمحذوف ، تقديره : شيئاً من الطول . هذا مذهب

---

(١) ما بين معقوفين ساقط من (أ) و (ج) .

(٢) في (ب) : والأول .

(٣) هذا رأي البصريين . انظر كتاب سيبويه ٤٠٨/١ (بولاق) ، والإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري . المسألة ٧٨ .

(٤) ما بين معقوفين سقط من (آ) ، وفي (ج) أي لئلا . ولكل وجه .

(٥) هذا رأي الكوفيين . انظر : الإنصاف ، المسألة ٧٨ ، وشرح ديوان المتنبي المنسوب الى العكبري: ٤٤/٢ .

(٦) في (ب) : الألف .

(٧) في (ج) : لئلا .

سيبويه . وقال الأخفش : « من » زائدة [1] ، والطول : مفعول يرى .

واللام تتعلق بـ « يرى » ، و « عليّ » يجوز أن تتعلق بـ « يرى » أيضاً ، ويجوز أن تكون من صلة الموصول ، ولكنه لمّا قدمه امتنع أن يكون صلة له[2] ، لئلا تتقدم الصلة على الموصول، فعند ذلك تتعلق بفعل محذوف يفسره الموصول، تقديره : يتطوّل عليّ .

٢٣ـ ولولا اجتنابُ الذامِ لم يُلْفَ مشربٌ
يُعاشُ به إلا لديَّ ، ومأكلُ

لولا : يمتنع بها الشيء لوجود غيره ، وأصلها « لو » و « لا » [3] ، فلما ركبتا حدث لهما معنى ثالث غير الامتناع المفرد ، وغير النفي ، وتحقيقه أن «لو » يمتنع به الشيء لامتناع غيره ، ففيها امتناعان ، و « لا » نافية ، والنفي إذا دخل على النفي[4] صار إثباتاً .

والاسم الواقع بعد « لولا » هذه مبتدأ ، وخبره محذوف عند الجمهور ، وقال بعضهم : هو فاعل « لولا » ، وجعلها تعمل عمل الفعل ، وقيل : يرتفع بفعل محذوف ، أي : لولا وُجِد زيدٌ . وفي المسألة كلام طويل ، لا يحتمله هذا الجزء [5] .

---

(١) انظر كتابه معاني القرآن : اللوحة ٥٤/١ ، واللوحة ١٠٢/١ ، واللوحة ١١٠/١ وعبارة العكبري توحي بأن الأخفش لا يقول بغير هذا الرأي ، والحق أنه يجيز أن تكون « من » زائدة ، وأن تكون أصلية .

(٢) له : ساقطة من (أ) .

(٣) انظر في ذلك : مجالس ثعلب (ط ٢) ٥٥٩ ، ومغني اللبيب « لولا » .

(٤) في (ب) : المنفي .

(٥) انظر هذه المسألة في : كتاب سيبويه : ٢٧٩/١ ، ومعاني القرآن للفراء : ٤٠٤/١ ، ٨٥/٢ ، والمقتضب للمبرد ٧٦/٣ ، وأمالي ابن الشجري : ٢١٠/٢ – ٢١٢ ، وشرح الزمخشري(أعجب العجب) ٣٥ ، وشرح كافية ابن الحاجب للرضي ١٠٤/١ ، والتسهيل لابن مالك ٤٥ ، وشرح ديوان المتنبي ٢٤٨/١ ، والإنصاف . المسألة : ١٠

ويعاش به : نعت لـ « مشرب » . والتقدير [1] : إلا هو لديَّ ، فحذف المبتدأ للعلم به . ولديَّ : خبره . ومأكل معطوف على « هو »[2] ، والله تعالى أعلم .

٢٤- ولكنَّ نفساً مرةً لا تُقيم بي
على الذامِ إلا ريثما أتحوَّلُ

ولكنّ : استدراك ، معناه زيادة صفة على الصفات المتقدمة ، مثل قوله عز وجل[3] : « أتأتون الذكران من العالمين » . ثم قال : « بل أنتم قومٌ عادون. » [الشعراء : ١٦٥ و ١٦٦] ، فلم ينفِ العيب الأول ، وهو إتيان الذكران من العالمين ، ولكنه أضاف إليه صفة العدوان .

ومرةٌ : صفة لِـ « نفس » . ولا تقيم : خبر « لكن »[4] . وبي : يتعلق بـ « تقيم » . والمعنى : تقيمني ، فهو مفعول به ويجوز أن يكون حالاً ، أي تقيم وأنا معها[5] . وعليّ : تتعلق بـ « تقيم » أيضاً .

والألف [6] في : الذام ، مبدلة من ياء ، وأصله : الذيم ، وهو العيب . وريثما : منصوب نصب الظرف ، أي قدر ما أتحول ، و « ما » مصدرية .

٢٥- وأطوي على الخُمْصِ الحوايا كما انطوتْ
خُيوطَةُ ماريٍّ تُغارُ وتُفْتَلُ

الخمص : بالفتح الجوع ، وبالضم الضمر . والحَوايا : ما يحوى في

(١) لا يريد تقدير النعت الذي ذكره ، بل تقدير المعنى الذي في « لدي » وهذا من أسلوبه .
(٢) تقديره : لم يلف مشرب إلا هو ومأكل لدي . وعطف النكرة على المعرفة جائز .
(٣) في (ب) تعالى .
(٤) « لكن » ساقطة من (ب) .
(٥) يريد أن الباء في (بي) تفيد المصاحبة لا التعدية ، ولذلك يكون تعليقها بحال محذوفة من الضمير المستتر في الفعل « تقيم » الذي يعود إلى النفس ، والتقدير : تقيم النفس مصاحبة لي .
(٦) في (أ) : والألف واللام .

البطن . والحيوطة : الحيوط . والماري : الفاتل[1] . وتغار : تفتل وتحكم [2] .

وأطوي : معطوف على ما تقدم من الجمل . والخمص : مصدر ، أو اسم مصدر[3] ، والحوايا : مفعولُ أطوي . والكاف : نعت لمصدر محذوف ، أي : طياً كما انطوت . وما : مصدرية ، ومصدر « الطوى » الانطواء ، وليس بمصدر « أطوي » . وإنما المعنى : أطوي الحوايا فتنطوي مثل الحيوطة . والتاء في [4] الحيوطة تدل على كثرة الجمع ، كقولهم : حجار وحجارة[5] . وتغار : في موضع رفع نعت [6] لحيوطة ، والأصل : تفتل وتغار ، ولكن الواو لا تدل على الترتيب . والله تعالى أعلم .

٢٦ـ وأغدو على القوت الزهيدِ كما غدا
أزلُّ تَهاداهُ التنائفَ أطْحَلُ

الزهيد : القليل ، والأزل : الأرسح[7] ، يوصف به الذئب ، والتنائف : الأرضون ، واحدها تنوفة . وأطحل[8] : في لونه كدرة .

كما : نعت لمصدر محذوف [9] . أي : غدواً[10] كغدو الأزل . وتهاداه : نعتُ الأزل . وأزل : لا ينصرف للوصف ووزن الفعل . وأطحل: نعت الأزل . والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) في (ب) : فاتل .
(٢) في (ج) : وتفتل وتحكم .
(٣) في (أ) و (ب) : اسم المصدر .
(٤) في (ج) : والتاء في .
(٥) في (ب) : حجر وحجارة .
(٦) في (ب) و (ج) : نعتاً .
(٧) في الأصول الثلاثة : الأرسخ . بالخاء المعجمة ، وصوابه : الأرسح ، بالحاء المهملة ، والأرسح : الذئب القليل لحم الوركين . انظر : اللسان ، والتاج : رسح ، ورسخ .
(٨) في (أ) و (ب) : الطحل .
(٩) يريد الكاف وحدها . « ما » مصدرية ، والمصدر في محل جر بالاضافة .
(١٠) في (ب) : أغدو .

٢٧- غدا طاوياً يُعارضُ الريحَ هافياً
يَخوتُ بأذنابِ الشِعابِ ويَعْسِلُ[١]

الطاوي: الجائع. وهافياً: يذهب يميناً وشمالاً من شدة الجوع. ويخوت: يختطف [٢]، والشعاب: مسايل صغار. وأذنابها: أواخرها. ويعسل: يمر مرّاً سهلاً.

غدا: يجوز أن يكون مستأنفاً لا موضع له، وأن يكون في موضع نصب على الحال، و «قد» معه مقدرة [٣]، وصاحب الحال الضمير في «تهاداه»، وهو [عامل][٤] الحال. وطاوياً: حال من الضمير في «غدا». وطاوياً: يجوز أن يكون من «طوَى» المتعدية، أي: طوى أحشاءه على الجوع، ولذلك جاء الاسم فيه على فاعل. وليس من قولك: طَوِيَ يَطْوَى طَوًى[٥] إذا جاع، لأن الاسم طَوٍ، مثل: عَمٍ، وشَجٍ. ومصدر الأول: الطي، ومصدر الثاني: الطوى. ويقال للمرأة: طيانة[٦].

ويعارض: في موضع الحال أيضاً، إما من الضمير في «طاوياً» وإن شئت من الضمير في «غدا»، على [رأي][٧] مَنْ جعل للاسم[٨] الواحد حالين فصاعداً. وهافياً: حال من الضمير في «يعارض»، ويخوت: حال

(١) شبه نفسه بالذئب حين يستقبل الريح ليشم جرائه جرائحه وغيرها.
(٢) في (ب): يخطف.
(٣) لأن الفعل الماضي لا يقع حالا: إلا ومعه (قد) ظاهرة أو مقدرة، انظر: كتابنا: الواضح في النحو والصرف (ط ٣): ص ٢٢٨. وانظر أيضاً: معاني القرآن للفراء: ١/٢٤ وكتاب الإنصاف للأنباري: المسألة ٣٢.
(٤) ما بين قوسين تخلو منه الأصول الثلاثة، ولا بد منه. والمقصود بـ «هو» الفعل «تهاداه».
(٥) سقط (طوى) من (أ) و (ب).
(٦) كذا في (ج)، وفي (أ) غير منقوطة، وفي (ب): طيابة. وهي على كل حال خطأ، لأن مؤنث: طيان، طيا، مثل: سكران وسكرى.
(٧) ما بين معقوفين ساقط من (أ) و (ب).
(٨) في (ب): الاسم.

من الضمير في « هافياً » . وبأذناب : ظرف لـ « يخوت » ، والباء بمعنى «في» ، ويعسل : معطوف على « يخوت » ، والله تعالى أعلم .

٢٨ـ فلما لواهُ القوتُ من حيثُ أمّــهُ
دعا فأجابتْــهُ نظائــرُ نُحّـــلُ

لواه : دفعه[١] . وأمّه : قصده . ونُحّلُ : ضوامر ، [يقال : نَحَلَ جسم فلانٍ[٢]] ، ومن قال : نَحِلَ ، فهو غلط[٣] .

لما : ظرف زمان له جواب ، وجوابه هو العامل فيه ، وهو هنا « دعا » . ومِنْ : تتعلق بـ « لواه » ، وهي لابتداء غاية المكان ، أي صرفه من هذا المكان[٤] . ولواه وما يتعلق به في موضع جر بإضافة « لما » إليه ، وموضع « أمّهُ » جرٌّ بإضافة « حيث » إليه . ونظائر : فاعل أجابته . وهو جمع « نظيرة » ، وجمعه في المؤنث على نظائر ، مثل : كريمة وكرائم . ونُحّلُ : نعت لنظائر ، واحدهم : ناحل ، مثل : صائم وصُوَّم . والفعل منه : نَحَلَ ، بفتح الحاء لا غير . والله سبحانه وتعالى أعلم .

٢٩ـ مُهَلّلَةٌ شِيبُ الوجوهِ كأنها
قِداحٌ بأيدي ياسِرٍ تَتَقَلْقَلُ

مهللة : رقيقة اللحم . والياسر : الذي يضرب بالقِداح .

مهللة : نعت لما قبله . وشيب : كذلك ، فإضافته غير محضة ، فلذلك

---

(١) وقيل : إن الجوع مانله ، واستمر فيه . وما ذهب إليه العكبري أقرب .
(٢) ما بين معقوفين غير مثبت في الأصول الثلاثة ، ولكن لا بد منه لاستقامة العبارة .
(٣) لأن الوصف منه أتى على وزن (فاعل) ، أي ناحل ، ولو كان على : نحل ينحل ، لكان : نحيل ، مثل : مريض ، وبخيل .
(٤) وتأتي أيضاً لابتداء الغاية في المكان ، انظر اختلاف النحويين في هذا في كتابنا : الواضح في النحو والصرف (ط ٣) ص : ٢٣٦ وما بعدها .

لا يتعرف بالإضافة [١] ، والشيب : جمع شيباء وأشيب ، مثل : حمر جمع [٢] حمراء وأحمر . و « كأنها » [وما في حيزها : صفة ثالثة لما قبلها . وبأيدي : معلقة بصفة محذوفة لـ][٣] « قداح » ويجوز أن تتعلق [بـ . تتقلقل ،] [٣] أي : تتحرك بكفيه فتتقلقل .

[وتتقلقل][٤] بالتاء نعت لـ « قداح » ، وبالياء نعت لـ « ياسر » .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

٣٠ـ أو الخشرمُ المبعوثُ حثْحثَ دَبْرَهُ
محابيضُ أرداهُنَّ سامٍ مُعَسِّلُ

الخشرم : رئيس النحل . وحثحث : حرَّك وأزعج ، والدَّبْرُ : النحل . والمحابيض : جمع محبض ؛ وهو العود مع مشتار العسل . والسامي : الذي يسمو لطلب العسل .

والخشرم : هو معطوف على القداح ، وجاز عطف المعرفة [٥] على النكرة لوجهين : أحدهما أنه أراد بالخشرم الجنسَ إبهاماً[٦] ، و « قداح » وإن كان نكرة فقد وصف ؛ فقرب بذلك من المعرفة . والآخر : أن عطف الجائز وإن اختلفا[٧] في التعريف والتنكير .

وحثحث : في موضع الحال من الضمير في « المبعوث » ، ومحابيض : فاعل حثحث ، وهو جمع محباض ، فالياء مبدلة من الألف . وقيل: الواحد مُحْبِض

---

(١) ولذلك جاز أن يقع هنا صفة للنكرة .
(٢) في (ج) : مع .
(٣) ما بين معقوفين غير مثبت في الأصول ، وهو زيادة لا بد منها .
(٤) ما بين معقوفين ساقط من (ج) .
(٥) في (أ) : عطف النكرة على المعرفة .
(٦) في (أ) و (ج) : إبهام .
(٧) في (ب) : اختلف .

وأرداهنّ : نعت لمحابيض . وسامٍ : فاعل أرداهن ، ومعسل : نعت له ، والله تعالى أعلم .

٣١- مُهَرَّتَةٌ فُوهٌ كأن شُدوقَها
شُقُوقُ العِصيِّ ، كالحاتٌ وبُسَّلُ

مهرتة : مشقوقة الفم[١] ، والبُسّل : الكريهة المرأى ، والشجاع باسل .

ومهرتة : نعت لِـ « نظائر » . أو خبرُ مبتدأ محذوف ، أي : هي وفُوهٌ : واحدها أفْوه وفَوْهاء[٢] . وكأن وما عملت فيه : [في[٣]] موضع نعت أيضاً ، ويجوز أن تكون الجملة حالاً من الضمير في[٤] « فوه » ؛ لأن معناه : واسعات الأفوه مشبهةٌ شدوقُها شقوقَ العصي . وكالحات وبُسَّل : نعتان لِـ « فوه » . والله تعالى أعلم .

٣٢- فضج وضَجّتْ بالبَراحِ كأنها
وإياهُ نَوْحٌ فوقَ علياء ثُكَّلُ

البَراحُ : الأرض الواسعة . والتناوح : التقابل[٥] ، والعلياء : البقعة .

فضج : ضمير الفاعل يعود على « أزَلّ » ؛ والضمير في « ضجت » للنظائر . وبالبراح : ظرف للفعلين جميعاً . وإياه : منصوب معطوف على الهاء في « كأنها »[٦] . ونَوْحٌ : خبر « كأنّ » ؛ وهو جمعُ نائح ، مثل : تاجر وتَجْر . ويجوز أن يكون مصدراً وُصِفَ به ؛ كقولك : قومٌ صَوْمٌ [وفطر ونحوه][٧] . ويجوز أن يكون ظرفاً له ، أي كأنها تنوح في ذلك الموضع .

(١) أي واسعة الأشداق .
(٢) الأفوه : العظيم الفم .
(٣) ساقطة من (أ) و (ب) .
(٤) في (ب) : من .
(٥) في (أ) و (ب) : والتبارح والتقابل .
(٦) في الأصول الثلاثة : كأنه .
(٧) في (ب) سقط ما بين معقوفين : وفي (أ) : قطر ونوق .

وتكل : نعت لِـ « نوح » . و « كأنّ » وما عملت فيه : في موضع نصب على الحال من الضمير في « ضج وضجت » جميعاً ، كما تقول : جاء زيد وعمرو كأنهما أسدان . أي : مشبهين للأسدين ، أو : مستأسدين أو جَرَبَّيْن[1] .

٣٣– وأغضى وأغضت واتّسى واتّستْ به
مراميلُ عزّاها وعزتْه مُـرْمِـلُ

المراميلُ: الذين [2] لا أقوات لهم . وأغضى وأغضت مثل « فضج وضجت » . اتّسى : بالتشديد : افتعل، من الأسوة ، وهي الاقتداء ، وكان الأصل فيه الهمزة ، فأبدلت الهمزة ياء[3] ، لسكونها وكسره همزة الوصل قبلها [4] ، ثم أبدلت الياء تاء ، وأدغمت في تاء الافتعال . ويروى بالهمزة فيهما من غير تشديد ، وهو أجود من الأول ، لأن همزة الوصل حذفت بحرف العطف[5] فعادت الهمزة الأصلية إلى موضعها ، كقولك : وائتمنه ، والذي ائتمن[6] .

ومراميل : مفاعيل [7] ، فاعلُ « اتست » . وعزاها : نعت لمراميل . والتقدير : عزاها مرمل[8] ، كما قال ، وعزته مراميل [9] ، والأصل : مرامل ، جمع مُرْمِل ، ولكنه أشبع الكسرة فنشأت عنها الياء . والله أعلم .

(١) الجربة : الغلاظ الشداد من حمر الوحش، وقد يقال للأقوياء إذا كانوا جماعة متساوين . والجرب: الرجل الخب القصير . انظر : اللسان (جرب) .
(٢) في (أ) : الذي .
(٣) سقطت « يا » من (أ) و (ج) .
(٤) سقطت « قبلها » من (أ) .
(٥) في (أ) : كقوله . وفي (ب) : كقول .
(٦) يوافق هذا جزءاً من آية هي : « فليؤد الذي ائتمن أمانته » (البقرة ٢٨٣) .
(٧) سقطت « مفاعيل » من (ج) .
(٨) في (أ) و (ب) : مراميل .
(٩) في (أ) و (ب) : مرمل .

٣٤- شكا وشكت ثم ارعوى بعدُ وارعوت
وللصبرُ إن لم ينفعِ الشكوُ أجمـــلُ

وللصبر : هو مبتدأ ، واللام : لام الابتداء . وأجمل : خبره ، وهو مثل قوله عز وجل : « وللآخرة خير لك من الأولى » [الضحى ٤] . وإن لم : شرط معترض بين المبتدأ والخبر ، وأكثر ما يقع بعد الجملة ، كقولهم : أنت ظالم إن فعلت كذا . و « لم » حكمها أن ترد لفظ الفعل المستقبل إلى معنى المضي[1] ، وإن دخلت عليها « إن » الشرطية بطل الرد ، وغَلَّبَهُ معنى الشرط ، [كما لو وقع بعد الشرط][2] لفظ الماضي ، وجواب الشرط معنى الجملة المتقدمة . ومعنى الكلام : إن لم ينفع الشكو يجملِ[3] الصبر .

وجزم « ينفع » بلم ، لا بإن ، المتقدمة[4] ، لأن (لم) قد ثبت أنها عاملة قبل دخول « إن » بلا خلاف ، ولا يجوز التفريق بينها وبين معمولها ، فهي ألزم له ، و « إن » قد جاز إلغاؤها عن العمل ، ألا ترى إلى قوله تعالى : « فأما إن كان من المقربين فرَوْح ... » [الواقعة ٨٨ ، ٨٩] ، ان الجواب جواب « أما » لا جواب « إن » . هكذا قال أبو علي[5] رحمه الله .

٣٥- وفـاءتْ وفـاءت بادراتٍ وكُلُّها
عـلى نَكَظٍ مما يكاتِـمُ مُجْمِـلُ

النكظ : شدة الجوع .

---

(١) في (ب) : الماضي .
(٢) ما بين معقوفين ساقط من (ج) .
(٣) في (ج) : جمل .
(٤) سقطت « المتقدمة » من (ج) .
(٥) هو أبو علي الفارسي ، أحد شيوخ النحو والصرف ، في القرن الرابع للهجرة ، أخذ النحو عن أبي بكر ابن السراج ، وتلمذ له أبو الفتح بن جني ، وشغل به وكتب عنه غير واحد من الباحثين المعاصرين ، أشهر مؤلفاته : الحجة ، والإيضاح ، وله مسائل كثيرة : كالبصريات ، والحلبيات ، والبغداديات ، والعسكريات ، و . .

بادرات : نصب على الحال ، أي : متعجلات[1] ، وكلها : مبتدأ . ومجمل : خبره ، وأفراد « مجملاً » حملاً على لفظ « كل » ، كما قال تعالى : « وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً » [مريم ٩٥] ، وقد جاء جمعاً ، كقوله : « وكلٌّ أتوه داخرين » . [النمل ٨٧] .

وقوله : على نكظ : في موضع الحال من الضمير في « مجمل » ، والعامل فيه « مجمل » ، تقديره : وكلهم [مجملٌ] مشفوقاً[2] . عليه . و « من » نعت لـ « نكظ » ، أي على شدة كائنة مما يكاتم . و « ما » بمعنى الذي ، أو نكرة موصوفة ، أو مصدرية ، والله أعلم .

٣٦– وتشربُ أسْآري القطا الكُدْرُ بعدما
سَرَتْ قَرَباً أحناؤها تتصلصل[3]

الأسار : جمعُ « سُؤْر » ، وهو البقية في الإناء . يقول : أنا أَرِدُ الماء قبل القطا ، لسرعتها[4] . والأحناء : الجوانب ، وتتصلصل : تصوت .

وتشرب : مستأنف لا موضع له ، والكدر : جمع أكدر وكدراء ، وبعد: ظرف لـ « تشرب » . وما : مصدرية . وقَرَباً : حال من الضمير في « سرت » ، وهو العامل فيها . وأحناؤها : مبتدأ ، وتتصلصل : خبره ، والجملة حال من الضمير في « سرت » ؛ وهو العامل فيها ، ويجوز أن تكون حالاً من القطا ويكون العامل فيها « تشرب » ، والله أعلم .

٣٧– هممتُ وهمّتْ وابتدرْنا وأسدلتْ
وشمّر مني فارِطٌ مُتَمَهِّلُ

(١) في (ب) : مستعجلات .

(٢) مجمل : زيادة ليست في الأصول الثلاثة . وفي (ج) : وكلهم مشفوق عليه . وفي (أ) و (ب) : وكلهم مشفوقاً عليه .

(٣) القرب : أن تسير ليلا لترد في الغد .

(٤) والأقرب أن تكون مفعولا مطلقاً مبيناً للنوع .

أسدلت : كفت[1] من العدو . وفارط القوم : المتقدم ليصلح لهم[2] .

همّت : الضمير للقطا ،يعني أني وإياها قصدنا الوِرْد ، إلا أني سبقتها إليه ، وما بعدها من الأفعال معطوف على الأول . ومني : نعت لـ « فارط » ، قدم فصار حالاً[3] ، ومتمهل : نعت لـ « فارط » ، والله أعلم .

٣٨- فوليتُ عنها وهي تكبو لعُقْــرِهِ
يباشــره منها ذُقُــونٌ وحَوْصَــلُ

تكبو : تتساقط . والعقر : مقام الساقي [من الحوض][4] .

و « هي » : مبتدأ ، وتكبو : خبره ، والجملة حال مــن[5] التاء فــي « وليت » . والواو في « وهي » واو الحال ، ولولا هي لكانت الجملة أجنبية لا ضمير فيها يعود على التاء[6] . ولعقره : يتعلق بـ « يكبو » ، ويعني : تكبو القطا إلى عقر الحوض . أي تقرب منه . ويباشره : حال من الضمير في : تكبو ، أي واضعةً ذقونها عليه . ومنها : نعت لذقون قدم فصار حالاً . وحوصل : واحدتها حوصلة ، مثل : جندل وجندلة ، والله أعلم .

٣٩- كأن وغاهــا حَجْرَتَيــهِ وحوله
أضاميمُ من سَفْرِ القبائل نُزَّلُ[7]

(١) في (ب) : نعت .
(٢) أي ليصلح لهم الموضع الذي يتصدون إليه .
(٣) في (ب) : حال .
(٤) ما بين معقوفين ساقط من (ب) .
(٥) في (ب) : عن .
(٦) لأن الجملة الحالية لا بد لها من رابط ، وهو إما ضمير يعود إلى صاحب الحال ، وإما واو تسمى واو الحال أو واو الابتداء . انظر في هذا كتابنا : الواضح في النحو والصرف (ط٣) ص: ٢٨٨
(٧) المعنى العام : كأن أصوات القطا في جوانب المورد أصوات أقوام شتى اجتمع بعضهم إلى بعض في السفر .

حَجْرتاه : ناحيتاه[1] . وأضاميم : قوم ينضم بعضهم إلى بعض في السفر .

حجرتيه : منصوب على الظرف ، والعامل فيه وغاها ، [أي كأن وغاها][2] كائناً[3] في حجرتيه ، [ومرضعه حال] [4] والعامل في الحال « كأن » ، كما قال :

كأنـــه خارجـــاً[5] ...

والبيت معروف .

وحوله ظرف أيضاً ، وأضاميم : خبر كأن ، والتقدير : كأن أصواتهاأصوات أضاميم . لا بد من هذا التقدير ، لأن وغاها ـ بالغين والعين ـ أصواتها ، والأصوات لا تُشَبَّه بالجماعة بل بأصوات الجماعة . و « من » نعت لأضاميم . ونزل : نعت أيضاً . والله أعلم .

٤٠ـ توافينَ من شتى إليـه فضمّهـا
كما ضمَّ أذوادَ الأصاريـمِ منْهَـلُ

الشتى : الطرق المختلفة . والأذواد : جمعُ ذَوْدٍ ، وهو ما بين الثلاثة إلى العَشَرةِ من الإبل . والأصاريم : القِطَعُ من الإبل . والمبهل : الماء . شبه القطا بكثرة الناس في الورد [6]

(١) في (ب) : ناصيتاه .
(٢) ما بين معقوفين ساقط من (أ) و (ب) .
(٣) في (ج) : لايناً .
(٤) ما بين معقوفين غير موجود في الأصول الثلاثة ، وهو لا بد منه .
(٥) في (ب) : خارج . والبيت للنابغة الذبياني ، وهو بتمامه :
كأنه خارجاً من جنب صفحته   سفود شرب نسوه عند مفتأد
(٦) في (ب) : الورود .

توافين [1] : يعني القطا ، وهو مستأنف لا موضع له [2] . ومن شتى : تتعلق بـِ : توافين ، والتقدير : من طرق شتى ، ويجوز على قول الأخفش أن تكون « من » زائدة ، لأنه يجيز زيادة « من » في الواجب [3] ، فيكون « شتى » حالاً ، والهاء في « إليه » [4] للحوض ، وكذلك ضمير الفاعل في « ضمها » ، والكاف : نعت لمصدر محذوف ، وما : مصدرية ، والتقدير : [ضمها] [5] مثل ضم المنهل للأصاريم ، والله أعلم .

٤١– فغبت غِشاشاً ثم مرَّت كأنها
مع الصبح رَكْبٌ من أحاظة مُجْفِلُ

غَبَّ : بعد الشرب [6] ، والغشاش : القليل [7] ، وأحاظة : قبيلة من الأزد ، وقيل : من اليمن . والمجفل : المسرع .

غشاشاً : فيه وجهان ، أحدهما أنه مفعول « غبت » ، أي صبت القطاة [8] في جوفها شيئاً قليلاً من الماء ؛ والثاني : هو حال ، أي غبت [مستعجلةً] [9] .

وكأن وما عملت فيه حال من الضمير في « مرت » ومع الصبح ظرف لـِ « مرت » . ويجوز أن يعمل فيها معنى « كأن » . ومن أحاظة : نعت له ، وكذلك مجفل ، والله أعلم .

(١) في (ب) : وتوافين .
(٢) أجاز الزمخشري أن تكون حالا ، عاملها « تكبو » ، وهذا إعراب ضعيف ، إذ يصير المعنى تكبو متوافية .
(٣) انظر تعليقنا على هذا في حاشية البيت رقم (٢٢)
(٤) في (أ) : فيه إليه .
(٥) ما بين معقوفين ساقط من (ب) .
(٦) كذا في الأصول . والغب : الشرب على عجل .
(٧) كذا ، وهذا وهم من العكبري ، فالصحيح أن الغشاش ، بفتح العين وكسرها العجلة . انظر : لسان العرب (غشش)
(٨) في (ب) : القطا .
(٩) ما بين معقوفين تخلو منه الأصول ، ولا بد من زيادته .

٤٢- وآلفُ وَجْهَ الأرض عند افتراشها
بأهدأ تُنبيهِ[١] سناسِنُ قُحّلُ

الأهدأ : الشديد الثبات ، وتنبيه : تجفيه وترفعه ، والسناس : مفارز[٢] الأضلاع ، وقُحّل : يابس جاف[٣] .

وآلف : مستأنف لا موضع له . ووجه الأرض : مفعول « آلف » ، وليس بظرف ، بل هو كقولك : ألفتُ زيداً . وآلف : حكاية حال ، وليس المراد به الاستقبال ، بل معناه : هذا شأني في نومي . وعند : ظرف زمان ، أي عند وقت افتراشي إياها ، والمصدر مضاف إلى المفعول ، كما في قوله عز وجل : « لا يسأم الإنسان من دعاء الخير . » [فصلت ٤٩] ، أي من دعائه الخير .

قوله : بأهدأ : أي بمنكب أهدأ ، فحذف الموصوف وموضع الجار والمجرور حال من الضمير في « آلف » ، تقديره : أنام ملقياً[٤] منكبي . وتنبيه : نعت لِـ « أهدأ » . و « أهدأ » لا ينصرف ، للوصف ووزن الفعل ، والله أعلم .

٤٣- وأعْدِلُ منحوضاً كأنّ فُصوصَهُ
كعابٌ دَحاها لاعِبٌ ، فهي مُثّلُ

المنحوض : القليل اللحم . وفصوصه : مفاصل[٥] عظامه ، ودحاها : بسطها . ومُثّل : انتصبت[٦] .

أعدل : فعل مستقبل يَحكي به حاله ، كما ذكرنا في « آلف» ، ومنحوضاً :

(١) في (ب) : تنثيه .
(٢) في (ب) : مفاوز .
(٣) كذا في الأصول الثلاثة ، ولعل الكلام : وقحل : جمع قاحل ، أي : يابس جاف .
(٤) في (أ) و (ب) : مقلباً . وما أثبتناه من (ج) ، وهو أكثر موافقة لتقدير الحال .
(٥) في (ج) : مواصل .
(٦) فسر الاسم المجموع بالفعل الماضي ، وهذا من أسلوبه ، والأحسن أن يقال : مثل : جمع ماثل ، وهو المنتصب .

مفعوله ، أي ذراعاً قليل اللحم ، أي أتوسده عند النوم ، وكأن وما عملت فيه نعت المنحوض . ودحاها : نعت لـِ : كعاب . فهي مثل : جملة لا موضع لها ، لأن[1] الفاء يُستَأنف[2] ما بعدها ، والله أعلم .

٤٤- فإن تبتئس بالشنفرى أم قسطلٍ
لما اغتبطت بالشنفرى قبلُ أطولُ

تبتئس : تلقى بؤساً من فراقه . والقسطل : الغبار ، وأم قسطل : الحرب .

ولما اغتبطت : هو جواب قسم محذوف ، وما : بمعنى الذي ، وهو مبتدأ ، أطولُ : خبره . ويجوز أن تكون « ما » مصدرية ، فعلى الأولى : تقديره : للذي[3] اغتبطت به من الشنفرى . وعلى الثاني : لاغتباطُها بالشنفرى . وجواب القسم أغنى عن جواب الشرط ، والشرط موطئ للقسم ، وأكثر ما يأتي باللام ؛ كقوله عز وجل : « ولئن مستهم نفحةٌ من عذاب ربك [ليقولُنَّ]» [4] .. [الأنبياء : ٤٦] ، وهو كثير ، وقد جاء بغير لام ، قال الله عز وجلْ : « وإن لم ينتهوا [عما يقولون][5] لَيمسَّنَّ .. » [المائدة ٧٣] .

٤٥- طَريدُ جناياتٍ تياسَرْنَ لحمه
عقيرتُهُ لأيّهـا حُـمَّ أوّلُ [6]

تياسرن : اقتسمن لحمه : وعقيرته : نفسه .

طريد : يعني الشنفرى[7] . وتياسرن : نعت لـِ « جنايات » ، وعقيرتُه :

(١) في (أ) : إلا أن .
(٢) في (أ) و (ب) : تستأنف .
(٣) في (ب) : الذي .
(٤) ما بين معقوفين ساقط من (أ) و (ب) .
(٥) ما بين معقوفين ساقط من (ج) .
(٦) يريد أنه مطارد بسبب ما ارتكبه من الجنايات ، والذين "يدونه يتقاسمون لحمه ، كما يتقاسم أهل الميسر لحم الناقة ، فأي منهم ظفر به قتله .
(٧) أي أن الطريد هو الشنفري . وطريد : خبر لمبتدأ محذوف .

مبتدأ . ولأيها : خبره . وحُم : نعت لـ « أيّ » ، ويجوز أن تجعله حالاً من « أي » ، لأن : أي الجنايات ، بعضُ الجنايات ، ولذلك لم يؤنث ، لأنه لـ « أيّ » ، ولفظها مذكر[1] .

وأول : مبني على الضم ، وموضعه نصب على الظرف . أي : وقع أوّلَ شيء ، فلما حُذِف المضافُ إليه بناه على الضم[2] ، مثل : قبلُ [وبعدُ][3] والله سبحانه وتعالى أعلم .

٤٦- تنام إذ ما نام يقظى عيونُها
حثاثاً إلى مكروهه تتغلغلُ

تنام : يعني الجنايات . وحثاثاً : سراعاً . يقول : إذا قصّر الطالبون عني بالأوتار لم تقصر الجنايات .

تنام : الضمير للجنايات، والمراد أصحابها ، وفاعل « نام » ضميرُ الشنفرى. ويقظى : حال من الضمير في « تنام » وعيونُها فاعلُ يقظى . وحثاثاً : يجوز أن تكون حالاً أخرى مثل : يقظى ، وأن تكون حالاً من الضمير في « تتغلغل » . وإلى : يتعلق به .

٤٧- وإلْفُ همومٍ ما تزالُ تعودُهُ
عِيادَ الحميِّ الربْعُ أو هي أثقلُ[4]

الحميّ : المحمومُ . يقول : يعتاد ني الهم كحمى الربع :

وإلفُ : معطوف على طريد جنايات . وما تزال وما عملت فيه نعت لـ :

---

(١) أي أن الفعل « حم » جاء بالتذكير ولم يؤنث حملا على لفظ « أي » ، لأنها بمنزلة « بعض » .
(٢) انظر تفصيل هذا في كتابنا : الواضح في النحو والصرف . ص ٤٢ وما بعدها .
(٣) ما بين معقوفين ساقط من (ب) .
(٤) الربع : يراد بها هنا الحمى التي تصيب المريض يوماً وتدعه يومين ، ثم تأتيه ثانية في اليوم الرابع ، ويقال لها : حمى الربع .

إلف . ويجوز أن يكون نعتاً لهموم ، وإنما ساغ الوجهان لأن الضمير ين[1] يعود أحدهما على : إلف . والآخر على : هموم . فلذلك ساغ الوجهان .

وعياد : مصدر على غير قياس ، لأن مصدر يعود « عود » ، ويجوز أن يكون مصدراً مثل : يقوم قياماً ، ويصوم صياماً ، والأحسن أن يجعل اسماً للمصدر ، ويعمل عمله ، وهو مضاف إلى المفعول ، وهو[2] : الحَمِـيّ ، ووزنه فعيل[3] ؛ والفاعل : الرِبْعُ[4] . وقوله : أو هي أثقلُ ، يعنيَ الهموم أثقل عنده من حُمّى الرِبعِ . والله أعلم.

٤٨- إذا وَرَدَتْ أصدرتُها ثم إنهـــا
تَثوبُ فتأتي من تُحَيْتُ ومن علُ

الضمير في « وردت » للهموم ، وكذلك الضمير في : أصدرتها . وإذا : شرط ، والعامل فيه جوابه[5] ، وهو[6] أصدرتها .

وإنّ : بعد « ثم » مكسورة لأنها جملة مستأنفة ، مثل قوله عز وجل : « ثم إنكم بعد ذلك لميتون» . [المؤمنون ١٥] .

وتُحَيْتُ : تصغير «تحت» ، ويراد بالتصغير في مثل ذلك قرب المسافة . ومن : تتعلق بـ « تأتي » . وكلا الظرفين مبني على الضم ، لأنهما قطعا عن الإضافة . والأصل : من تحته ومن أعلاه . وعلُ : محذوفةاللام[7] ، لأنها من العلو[8] ؛ والله أعلم .

(١) في (أ) و (ب) : الضمير.
(٢) في (أ) : وهي .
(٣) أي : فعيل بمعنى مفعول ، مثل : جريح بمعنى مجروح .
(٤) والتقدير : تعودني الهموم كما تعود المحموم حمى الربع .
(٥) انظر تعليقنا على مثل هذا في حواشي البيت : ١٣ .
(٦) في (ب) : وهي .
(٧) في (ب) : محذوفة الواو
(٨) في (ب) : من العلا . وعبارة (ج) : « من العلو ، وفيها علو باللام » .

٤٩- فإما تَرَيْنِي كابنةِ الرملِ ضاحياً
على رِقَّةٍ أحفى ولا أتنعَّلُ

ابنة الرمل : البقرة الوحشية (١) . ضاحياً : بارزاً للقر والحر ، ورقة : يريد رقة الحال .

فإما تريني : « إن » الشرطية زيدت عليها « ما » للتوكيد . وتَرَيْ : مجزوم بها ، وأكثر ما يأتي هذا اللفظ مؤكداً بالنون ، كقوله عز وجل : « فإما تَرَيِنَّ من البشر أحداً» . [مريم ٢٦] ولم يقع في القرآن إلا كذلك ، لأن زيادة « ما » للتوكيد يقتضي أن يكون الفعل مؤكداً .

وتَرَيْ : من رؤية العين . وني : النون للوقاية ، وليست من الضمير ، والياء ضمير المفعول . وكابنة : في موضع نصب على الحال . أي : تريني مشبهاً ابنة الرمل . وضاحياً : حال من الضمير في « أحفى» (٢) . ولا أتنعل : معطوف على : « أحفى » . وغرضه به توكيد الحفى في كل حال .

٥٠- فإني لمولى الصبر أجتابُ بزَّهُ
على مثل قلب السِمْعِ ، والحزمَ أفعلُ

مولى الصبر : وليه . وأجتاب : أقطع . والسِمْع : ولد الذئب من الضبع .

فإني : الفاء جواب الشرط . وأجتاب : يجوز أن يكون في موضع رفع ، خبراً آخر ، وأن يكون حالاً من الضمير في « مولى » ، أي : ملازم الصبرَ مجتاباً . [وهو](٣) من : جبتُ القميص ، إذا (٤) قطعتَه لتلبسه . وعلى مثل : حال . أي أجتاب الصبر شديدَ النفس . والحزمَ : مفعول(٥) : أفعل .

---

(١) وقيل : الحية ، وهو أقرب .
(٢) الأحسن أن يكون من الضمير في « تريني » .
(٣) زيادة يقتضيها السياق .
(٤) في (ج) : أي .
(٥) في (أ) : معطوف .

٥١- وأعْدِمُ أحياناً وأغنى وإنما
يَنالُ الغنى ذو البُعْدَةِ المتبذِّلُ [١]

أعْدِم : ماضيه أعْدَمَ ، وهو هنا لازم ، أي : أصير ذا عُدْم ، مثل قولهم : أجربَ الرجلُ [٢] . أي صار ذا إبل جربى . وعَدِمَ : متعدٍ ، وهذا من غريب هذا الباب ، وذاك أن « فَعَلَ » هنا متعدٍ ، و « أفعلَ » لازم .
وأحياناً : جمع حينٍ ، وهو جمعُ قلة ، وهو ظرف لِـ « أعدِمُ » ، والله أعلم .

٥٢- فلا جَزِعٌ من خَلَّةٍ متكشفٌ
ولا مَرِحٌ تحت الغِنى أتخيَّلُ

المتكشف : الذي يكشف فقره للناس [٣] ، والمتخيل : المختال بغناه . فلا جزع : أي فلا أنا جزع [٤] ، وكذلك متكشف . و « من » تتعلق بـ « جزع » . ولا مرح : أي ولا أنا مرح [٥] . وتحت الغنى : ظرف لِـ « مرح » أو لِـ « أتخيل » [٦] . والله أعلم .

٥٣- ولا تَزْدَهي الأجهالُ حِلمي ولا أُرَى
سَؤولاً بأعقابِ الأقاويلِ أُنْمِلُ

تزدهي : تستخف . والأجهال [٧] جمع : جَهْل ؛ وأنمل : أنم ، والنمْلة : بفتح النون وضمها النميمة .
والأجهال : جمعُ قلةٍ ، والجُهول : جمع كثرة ، مثل : فَلْس [٨]

(١) ذو البعدة : ذو الرأي والحزم . والمتبذل : الذي يعمل بنفسه .
(٢) في (ب) : وأجرب الرجل .
(٣) في (ب) : لناس .
(٤) في (أ) و (ب) : فلا أنا أجزع .
(٥) في (أ) و (ب) : فلا أنا أمرح .
(٦) في (ب) : أي ولا أتخيل .
(٧) المراد : ذوو الجهل .
(٨) في (ج) : فليس .

وفلوس . وجمع القلة[1] هنا شاذ ، لأن عين الكلمة ساكنة ، وهو حرف صحيح ونظيره : زَنْد وأزناد ، وفرخ وأفراخ [2] .

وسؤولاً [3] : حال ، والباء في « بأعقاب » تتعلق بـ : أنمل . أي لا أنم ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

٥٤- وليلةِ نَحْسٍ يَصْطلي القوسَ ربُّها
وأقْطُعَهُ اللاتي بها يَتَنَبَّلُ [4]

وليلة نحسٍ : مجرورة بـ « رُبَّ » مضمرة ، وقيل : جَرُّهُ بالواو[5] ، ويصطلي : نعت لـ « ليلة » . وأقطعه : جمع قِطْعٍ ، وهو جمع قلة ، وجمع الكثرة : قُطوع . و « بها » يتعلق بـ « يتنبل » .

٥٥- دَعَسْتُ على غَطْشٍ وبَغْشٍ وصحبتي
سُعارٌ وإرْزيزٌ ووَجْرٌ وأفْكَلُ

دعستُ : دفعت[6] ، والغَطْش : الظلمة . والبَغْشُ : المطر الخفيف . وسُعار : هو الحر في جوف الإنسان [من شدة الجوع والبرد ، وإرْزيز : إفعيل ، من الارتزاز ، أي الثبوت ، والوجر الخوف] ،[7] والأفكل الرعدة .

(١) في (ج) : قلـة .
(٢) أحصى الأب أنستاس الكرملي (٣٤٠) كلمة على وزن : فعل ، جمعت على : أفعال . على حين لم ير إلا (٤٢) كلمة جمعت على : فعول ، و (١٤٢) جمعت على : أفعل . و (٢٢١) جمعت على : فعال . فذهب إلى أن جمع : فعل ، على : أفعال ، قياسي لا شاذ .
انظر : مجلة مجمع اللغة العربية . القاهرة . محاضر الجلسات . دور الانعقاد الرابع . ص : ٥١
وانظر أيضاً : معجم الأدباء . مرجليوث : د/٢٩٢ ، هامش ٦٨ .
(٣) في (ج) : مسؤولا .
(٤) الليلة النحس : الشديدة البرد . أقطعه : سهامه .
(٥) الرأي الأول لنحاة بصريين ، والرأي الثاني لنحاة كوفيين . انظر التحقيق في ذلك في كتابنا : الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين ١٩٦
(٦) أي دفعت بشدة وإسراع . والدعس : الوطء الشديد . والطعن . (اللسان) .
(٧) ما بين معقوفين ساقط من (أ) و (ب) .

دعست : هو جواب « رُبَّ » المقدّرة في قوله : وليلة نحسٍ ، وبـ (دعست)[1] كان موضع[2] (ليلةِ نحسٍ) نصباً ، كما تقول : بزيدٍ مررتُ .[3]
ويجوز أن يكون (دعستُ) نعتاً لـ « ليلة » ، والعائد محذوف ، أي : دعستُ فيها . ويكون ما يتعلق به (رُبَّ) محذوفاً ، أي : وليلة نحسٍ فعلتُ فيها كذا وكذا تعمدتُ أو قصدتُ . وقوله : على غطش : هو[4] في موضع الحال . أي : دعستُ راكب ظلمة أو مساءٍ[5] ، وصحبتي : مبتدأ ، وما بعده الخبر ، والجملة حال من التاء في : دعستُ ، والله أعلم .

٥٦ـ فأيّمتُ نِسْواناً وأيتمتُ إِلْـدةً
وعدتُ كما أبدأتُ والليـلُ أَلْيَـلُ

أيمّت : أي جعلتهن أيامى بلا أزواج[6] ، وإلدة وولِْدة : [بمعنى]،[7] والليل أليلُ : ثابت الظلمة .

الهمزة في (إلدة) بدل من الواو ، لأنه من الولد والولادة ، وإبدال الواو المكسورة همزة غير مُطّرِد ، وأما إبدالها من الهمزة المضمومة[8] ضماً لازماً فجائز مطرد[9] .

---

(١) في (ب) : وتدعست .
(٢) في (ب) : كان في موضع .
(٣) يوهم هذا أن (وليلة نحس) مشبه بالمفعول به ، والأصح : أن يكون المجرور بـ (رب) هنا في موضع نصب على الظرفية .
(٤) في (أ) و (ب) : هي .
(٥) في (ب) : مشياً .
(٦) في (أ) : بلا زوج .
(٧) ما بين معقوفين ساقط من (أ) و (ج) .
(٨) كذا ، والصواب : وأما إبدال الهمزة من الواو المضمومة .
(٩) انظر تفصيل هذه المسألة في أمالي ابن الشجري : ٦/٢ و ١٦/٢

والكاف في « كما[1] » : نعت لمصدر محذوف . و « ما » مصدرية ، أي عوداً كإبدائي [2] . والليلُ أليلُ : جملة حالية من التاء في : عدت . وأليلُ : أفعلُ للمبالغة من الايل .

٥٧– وأصبح عني بالغميصاء جالساً
فريقان : مسؤولٌ وآخرُ يسألُ [3]

أصبح : هي الناقصة[4] ، واسمها : فريقان . وجالساً : خبرها مقدماً على اسمها . ولم يثنّه اكتفاء بأحد الشيئين عن صاحبه ، كما قال الآخر[5] :

وكأنّ في العينين حَبَّ قَرَنْفُلٍ
أو سنبلاً كحلت به فانهلّتِ [6]

يريد : كحلتا . وقال الآخر :

لمن زُحلوفةٌ زلُّ بها العينانِ تنهلُّ [7]

يريد : تنهلان ، وزحلوقة : بالقاف [والفاء] [8] .

ومسؤول : خبر مبتدأ محذوف ، أي أحدهما مسؤول ، وآخر يسأل : معطوف [عليه] [9] ، والجيّد أن يكون المبتدأ [10] : هما فريق مسؤول وآخر

---

(١) في (أ) : والكاف كما في نعت .
(٢) في (أ) و (ب) : كما بدي . وفي (ج) : عوداً كما بداي .
(٣) الغميصاء : موضع بنجد . والجالس : الذي يأتي نجداً .
(٤) وأجاز الزمخشري أن تكون تامة . انظر : أعجب العجب : ٦١
(٥) سقطت الآخر من (ب) .
(٦) البيت لسلمى بن ربيعة ، وهو من شعراء الحماسة . انظر المرزوقي ٥٤٧ ، ورقم الأبيات ١٧٨ ، والبيت من قطعة في أمالي القالي : ٨٢/١ ، والأصمعيات ١٨ ، وخزانة الأدب ٤٠٢/٣ .
(٧) البيت في اللسان (زلل) . ويروى فيه : زحلوفة ، بالفاء .
(٨) ما بين معقوفين ساقط من (ج) .
(٩) ما بين معقوفين ساقط من (أ) و (ب) .
(١٠) كذا في الأصول الثلاثة ، وهو تجوز في العبارة ، والأوفق أن يقول : أن يكون التقدير ، أو أن يكون المبتدأ : هما ، وخبره : فريق .

سائل . والمعطوف عليه[1] خبر المبتدأ . والجملة صفة لـ « فريقين » . فأما «عني» فلا يتعلق بـ « مسؤول » ولا بـ « يسأل » لأن [2] الصفة لا تعمل فيما [3] قبلها ؛ وإنما يتعلق بمحذوف يفسره : مسؤول ؛ أو : يسأل . كقوله عزّ وجل : « وكانوا فيه من الزاهدين » . [يوسف ٢٠] . أي كانوا يزهدون فيه ، وقدر ذلك لئلا تقدم الصلة على الموصول [4] .

وأما : بالغميصاء ، [فظرف لجالس ؛ ولا يتعلق بـ : مسؤول ، ولا بـ : يسأل][5] . لأنه صفة على ما تقدم . ويجوز أن يكون : بالغميصاء ، خبر : أصبح ، وجالساً : حالاً [6] من الضمير في الظرف ، وإنما جاز ذلك لأن الغميصاء موضع من نجد . فلزمها اسم الجنس ؛ والآتي إليها جالس ، والإفراد على ما تقدم . ويجوز أن يكون (جالساً) في الأصل صفة لـ « فريقين » ، فلما قدم صار حالاً ، والخبر بالغميصاء ؛ على ذكرنا . والعامل في الحال على هذا الوجه : أصبح ، لأنه العامل في صاحب الحال .

وللأخفش في عمل الظروف قول ينفرد به ، وذلك قولك : زيد في الدار . فـ : زيد ، عنده يرتفع بالظرف ؛ كما يرتفع بالفعل ؛ وإن لم يعتمد على ما قبله ، فإن اعتمد جاز عند الجميع ، فعلى قول الأخفش لا يجوز أن يرتفع : فريقان ، بالظرف الذي هو : بالغميصاء ، لأن : أصبح ، يقتضي مرفوعاً

---

(١) في (أ) و (ب) : أو المعطوف عليه .

(٢) يريد بالصفة : الاسم المشتق .

(٣) في الأصول الثلاثة : لا يعمل فيها ما قبلها .

(٤) يرى النحاة أن (أل) في اسم الفاعل اسم موصول ، فإذا علقت شبه الجملة (فيه) بـ (الزاهدين) ، كانت جزءاً من صلة الموصول (أل) وهذا – في نظرهم – خطأ ، لأن جزء الصلة لا يتقدم على الموصول ؛ فلا يقال مثلاً : إن العيون في طرفها التي اسثقر حور .

(٥) ما بين معقوفين ساقط من (ب) .

(٦) في (أ) : حال ، وله وجه .

ومنصوباً ، وإذا جعلت الظرف كالفعل[1] في العمل لم يبق لـِ : أصبح ، معمول ، وهذا موضع اتفاق ، والله أعلم .

٥٨- فقالوا : لقد هَرّتْ بليل كلابُنا
فقلنا[2] : أذئبٌ عَسَّ أم عَسَّ فُرْعُلُ

عَسَّ : طاف . والفُرْعُل : ولد الضبع ، والأنثى فرعلة .

لقد هرت : جواب قسم محذوف[3] ، وموضع الجملة المحكية بعد القول نصب بـ : قال ، أي : ذكروا هذا الكلام . وبليل : يتعلق بـ « هرت » ، وقوله : أذئب : هو مرفوع بفعل محذوف يفسره قوله : عَسَّ ، ولما كان موجوداً بعد الاسم قدر ما قبله من جنسه ، وعلى هذا لا يكون لـِ :عَسَّ ، موضع من الإعراب لأنه يفسر[4] ما لا موضع له[5] .

وأم[6] هنا هي المنقطعة[7] ، لأن كل واحد من الاسمين له خبر يخصه ، وموضع الجملتين نصب بـ : قلنا ، لأنهما محكيتان[8]

٥٩- فلم يَكُ إلا نبأةٌ ثم هوّمَتْ
فقلنا : قطاةٌ ريعَ أم ريعَ أجْدَلُ

---

(١) في (ب : كأفعل .

(٢) في (ب) : فقلت .

(٣) سقطت كلمة : محذوف ، من (ب) .

(٤) في (ب) : يفسره .

(٥) كأنه يذهب إلى أن الجملة تعرب بحسب ما تفسره ، وهو مذهب نسبه ابن هشام إلى الشلوبين. انظر مغني اللبيب (دمشق) ص : ٤٥٠ ، مبحث الجملة التفسيرية .

(٦) في (ج) : وأما .

(٧) ويجوز أن تكون معادلة . انظر : أعجب العجب . ص ٦٣ .

(٨) في (ج) محكيان .

نبأة : صوت. وهوّمت : يعني الكلاب [1] ، أي نامت ، والأجدل : الصقر أي : نومي كنوم الصقر .

فلم يَكُ : الأصل « يكُنْ » ، إلا أن النون حذفت تخفيفاً لكثرة الاستعمال ،وإثبات النون جائز ، قال تعالى: « لم يكن الذين كفروا [من أهل الكتاب»][2] [البينة ١] . ولا يجوز مثل ذلك في : يصون[3] ، ويهون ، ونحوهما ، لأن ذلك لا يكثر كثرة « كان » ، ولم يسمع حذف النون البتة في غير : يكن .

نبأة : فاعل لكن ، وهي تامة بمعنى يوجد . وإلا : ههنا لا تغير الإيجاب، بل تغير المعنى ، وثم : هنا غير عاطفة لـ « هومت » على « لكن » ، لأنه منفي[4] ، والمعطوف [5] عليه يقتضي أن يكون منفياً مثله ، وليس المعنى عليه ، بل هي عاطفة جملة على جملة ، والضمير في : هوّمت : للكلاب .

وقطاة : مبتدأ [6] ، وريع : خبره ، ولم يؤنث لوجهين ، أحدهما هو على الشذوذ ، والقياس : إثبات التاء ، لأن الاسم قد تقدم على الفعل ، فهو نظير قول الآخر[7] :

فلا مُزْنَةٌ ودَقَتْ وَدْقَها ولا أَرْضَ أَبْقَلَ إبقالَها [8]

والثاني : أنه حمل القطاة على جنس الطائر [9] . كأنه قال : طائر ريع

(١) في (ج) : الكلام .
(٢) ما بين معقوفين ساقط من (أ) و (ج) .
(٣) في (أ) : يصفون .
(٤) في (أ) و (ج) : لا بل منفي ، وفي (ب) : بل لا منفي .
(٥) في الأصول الثلاثة : العطف .
(٦) استبعد الزمخشري هذا الوجه ، لأن النكرة لم تقو بشيء ليصح أن تكون مبتدأ ، انظر : أعجب العجب ٦٤ .
(٧) هو عامر بن جوين الطائي .
(٨) البيت من شواهد سيبويه : ١/٢٤٠ ، وانظر : أمالي ابن الشجري : ١/١٦١ ، وخزانة الأدب ١/١٢ .
(٩) انظر في هذا أمالي ابن الشجري : ١/٢٢٧ .

والتقدير : أقطاة ، فحذف همزة الاستفهام لدلالة الهمزة الأخرى عليه، كقوله تعالى : « إتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار » [سورة : ص ٦٣] على قراءة من كسر الهمزة[1] . وأم : هنا منقطعة أيضاً .

٦٠- فإن يَكُ من جنٍ لَأَبْرَحَ طارقاً
وإن يكُ إنساً ماكها الإنس تفعلُ

أَبْرَحَ : أتى بالبَرَحِ ، وهو[2] الشدة . وإن يك : قد تقدم الكلام عليه والفاعل[3] مضمر ، تقديره : إن يك هذا الطارق . ومن الجن : خبر كان . ولأبرح : أي لقد أبرح ، أي جاء بالبرح . والفاء جواب الشرط ، واللام جواب[4] القسم ، وفاعل أبرح ضمير الطارق[5] . وطارقاً : تمييز[6] ، أو حال ، والعامل : أبرح . وقوله : وإن يك إنساً : مثل أول البيت . والكاف كاف تشبيه ، وهي حرف . و « ها » ضمير الفِعْلة ، ودخول الكاف[7] على الضمير شاذ في الاستعمال ، وموضعها نصب بـ « تفعل » . والإنس : مبتدأ ، وتفعل : خبره ، وما : نافية ، والتقدير : ما تفعل الإنس مثل هذه الفعلة .

٦١- ويوم من الشِعرى يذوبُ لعابُه
أفاعيه في رمضائه تتململُ[8]

ويوم : أي وربَّ يوم . من الشعرى : نعت ليوم ، والتقدير : من أيام

---

(١) هي قراءة ابن كثير والأعمش وأبي عمرو وحمزة والكسائي . وقد كانوا يحذفون الألف على الوصل. انظر : الجامع لأحكام القرآن . القرطبي : ١٥/٢٢٥ .
(٢) في (ب) : وهي .
(٣) يريد : اسم يك . لأنها هنا ناقصة .
(٤) في (ب) : لام القسمة .
(٥) في الأصول الثلاثة : ضمير القسم ، ولا معنى لذلك .
(٦) أي لأبرح الطارق طارقاً ، أو من الطارق .
(٧) في (أ) : والكاد .
(٨) الشعري : كوكب يدل ظهوره على شدة الحر .

طلوع الشعرى ، وذلك في شدة الحر . ويذوب : نعت ليوم . وأفاعيه : مبتدأ . وتتململ : خبره . وفي : تتعلق بـ « تتململ » ، والجملة نعت لـ « يوم » . ولوابه ولعابه واحد ، وهو لعاب الشمس ، والله تعالى أعلم .

٦٢- نصبتُ له وجهي ، ولاكِنٍّ[1] دونه
ولا ستر إلا الأتحميُّ المرعبَلُ

الأَتْحمي : ضربٌ من البرود . والمرعبل : المقطع الرقيق .

نصبت : هو الفعل الذي يتعلق به (رُبَّ) ، ويسمى جواب رب . والهاء في : له ، لليوم . وقوله : ولا كن دونه : الجملة حال من الوجه ، والعامل في نصبت . ويجوز أن يكون : نصبت له وجهي : في موضع جر ، نعتاً ليوم ، ويقوي ذلك تعدي (نصبت) إلى (وجهي) ، وإذا تعدى الفعل إلى هـذا المنصوب لم يتعد[2] إلى غيره ، ألا ترى أنك[3] لو قلت : لاقيتُ اليوم وجهي ، لم يكن[4] مفعولاً به ، لتعديه[5] إلى الوجه . ويزيده وضوحاً عَوْد الهاء في « له » إلى اليوم ، وهذا حكم الصفة ، فعند ذلك تتعلق « رب » بمحذوف ، كقولك : رب يومٍ من صفته كذا وكذا لابستُ أو لاقيت .

(١) الكن : الستر . ورسمت (ولا كن) في (أ) و (ج) : ولكن .
(٢) في (ج) : لا يتعد .
(٣) في (أ) : أنه .
(٤) أي : لم يكن اليوم مفعولا به .
(٥) لتعديه : أي لتعدي الفعل . وهذا من اضطراب استعمال الضمائر في أسلوبه .
(٦) في (ب) : وهكذا .
(٧) في (أ) : لا ليت . وفي (ب) ، لا ليت لا بست أو لاقيت .
(٥) أجهد نفسه في ترجيح أن تكون « نصبت له وجهي » صفة لليوم لا خبراً له ، مجارياً في ذلك الزمخشري في « أعجب العجب » ص : ٦٥ ، وكلاهما فعل ذلك مجاراة لما ذهب إليه بعض النحاة الذين يرون أن جواب « رب » لا يظهر في الكلام ، وواضح أن التقدير المنوي الذي ساقه العكبري ، وهو : لا بست ، أو لاقيت ، لا يختلف معنى عن تقدير جملة « نصبت له وجهي » خبراً . ولذلك كان الأصوب جعل هذه الجملة خبراً لا صفة ، ولا حاجة لتقدير ما لا يحتاج إليه الكلام .

ودونه : ظرف موضعه رفع لأنه خبر « لا » ، فهو كقولك : لا رجلَ خلفك.
والعامل فيه محذوف ، [أي : لاكن مستقر[1] أو كائن .
ولا ستر : أي ولا ستر دونه ، فحذف[2]] لدلالة الأول عليه ،
والأتحمي : بدل من موضع « لا » واسمها ، لأن موضعهما[3] رفع ، ومثله قولنا :
لا إلهَ إلا اللهُ .

٦٣- وضافٍ إذا طارت له الريحُ طَيَّرَتْ
لبائدَ عن أعطافِـهِ مـا تُرَجَّلُ

الضافي : السابغ ، يعني شعره . واللبائد : جمع لبيدة ، وهو ما تلبد من
شعره . وترجل : تسرح وتدهن .

وضافٍ : مرفوع عطفاً[4] على الأتحمي ، لأن المعنى : لا يمنع وجهي
من الحر إلا الأتحمي وشعر رأسي .

وإذا : ظرف لِـ « طيرت » . وعن : تتعلق بـ « طيرت » ، وما ترجل : نعت
لِـ « لبائد » . والله أعلم .

٦٤- بعيدٌ بِمَسِّ الدُّهنِ والفَلْي عهدُهُ
له عَبَسٌ عافٍ من الغِسل مُحْوِلُ

العَبَسُ : ما تعلق بأذناب الشياه[5] من الأوضار . وعافٍ : كثير ،
يعني شعره ، والغِسل : ما يغسل به الرأس . ومُحْوِل : قد أتى عليه الحول .
وبعيد : هو نعت لضافٍ ، وعهدُهُ : مرفوع بـ « بعيدٍ »[6] ، والماء في

(١) في (ب) : مستقراً .
(٢) ما بين معقوفين ساقط من (ج) .
(٣) في الأصول الثلاثة : لأن موضعه .
(٤) في (ب) : عطف .
(٥) في (أ) و (ج) : بأذيال الثياب . وفي (ب) : بأذناب الثياب .
(٦) أي هو فاعل لـ « بعيد » . وبعيد : صفة مشبهة .

« عهده » اضاف أيضاً . ويجوز أن يكون « عهده »[1] مبتدأ ، وبعيد : خبره ، والجملة نعت لضاف أيضاً .

والباء في « بمس » تتعلق بـ « بعيد » ، وعَبَس : مبتدأ ، وله : خبره . والجملة نعت لضاف أيضاً . وعافٍ : نعت لعبس ، وكذلك محول .

ومن الغسل : يجوز أن يكون نعتاً لمحول ، قدم فصار حالاً ، ويجوز أن يتعلق بـ « عافٍ » ، لأن المعنى : صار العبس للشعر بمنزلة الغسل[2] . والله أعلم .

٦٥- وخَرْقٍ كظهر التُرسِ قَفْرٍ قطعتُهُ
بعاملتينِ ، ظهره ليس يُعْمَلُ

الخرق : الواسع[3] ، وكظهر الترس : من استوائه . وعاملتين .: يعني رجليه .

وخرق : أي ورب خرق . وما بعده : نعت له[4] . وقَفْر : نعت له أيضاً . وقطعته : هو الفعل الذي يتعلق به « رُبَّ » . ويجوز أن يكون نعتاً لـ « خرق » ، وتتعلق « رب » بمحذوف ، كما ذكرنا في « نصبت » . والباء تتعلق بـ « قطعت[5] » .

وظهره : [مبتدأ ، واسم[6]] ليس : مضمر فيها . ويعمل : خبر ليس ، والجملة خبرُ « ظهره » . وظهره وخبره : نعت لخرق أيضاً . والله أعلم .

---

(١) في (ج) : عبده .

(٢) على هذا المعنى يكون الجار والمجرور صفة لـ « عاف » لا معلقين به ، لأن « من » حينئذ تكون بمعنى « بدل » . أما إذا كانت « من » للتعليل فالتعليق بـ « عاف » نفسه ، ويكون التقدير عاف من عدم الغسل .

(٣) الخرق : الفلاة الواسعة .

(٤) يقصد بـ « ما بعده » : كظهر الترس .

(٥) يريد الباء في قوله : بعاملته .

(٦) ما بين معقوفين ساقط من (ج) .

٦٦- فألحقت أولاه بأخراه موفياً
على قُنَّةٍ أقعي مِراراً وأمْثُلُ

يعني جزته[١] عَدْواً . موفياً : مشرفاً . والقنة : أعلى الجبل ، والإقعاء : القعود على الوركين [٢] وباطن الفخذين ، مثل الكلب ، وأمثل : أنتصب . والهاء في : أولاه وأخراه ، تعود على الحرق ، أي : وصلت [أولاه][٣] بأخراه فقطعته بالسير .

وموفياً : حال من التاء في : ألحقت . وعلى: تتعلق بـ: أقعي . ومراراً :يجوز أن ينتصب على المصدر ، لأن المرة مصدر « مررتُ » مرة واحدة . ويجوز أن ينتصب على الظرف[٤] ، أي أقعي أحياناً . وأمثل : معطوف على : أقعي ، والله أعلم .

٦٧- تَرودُ الأراوى الصُحْمُ حولي كأنها
عذارى عليهن المُلاءُ المذيّلُ

ترود : تذهب وتجيء . والأراوى : جمع الأروى[٥] ، وهي أنثى التيس البري . والصحم : الحُمْر تضرب إلى السواد[٦] . والمذيل : الطويل الذيل .

ترود : يجوز أن تكون الجملة حالاً من الضمير في : أقعي . والعائد إليها الياء في حولي . وحولي : ظرف لِـ : ترود . وهو في الأصل مصدر : « حالَ يحول » ثم جعل اسماً لما أحاط بالشيء من جوانبه . والصحم : جمع أصحم وصحماء[٧] ، وكأنّ : وما عملت فيه ، حال من الأراوى . وعذارى :

(١) في (ب) و (ج) : حزته ، بالحاء المهملة ، وفي (أ) : غير واضحة .
(٢) في (أ) و (ج) : الركبتين .
(٣) سقطت أولاه من (ب) .
(٤) في (أ) : على الحال أو ظرف لألحقت .
(٥) كذا في جميع الأصول ، وصوابه : أروية . والأروى : جمع أو اسم جمع على اختلاف بين اللغويين . انظر : اللسان (روي) .
(٦) كذا في الأصول ، وصوابه : السود التي يضرب لونها إلى الصفرة . انظر : اللسان (صحم) .
(٧) وردت هذه الكلمة في جميع مواقعها بالضاد المعجمة في (ب) .

خبر « كأن » ، وعليهن الملاءُ : الجملة في موضع نعت لعذارى .

٦٨- ويركدن بالآصالِ حـولي كأنـني
من العُصْم أدفى[1] ينتحي الكيحَ أعقَلُ

يركدن : يقفن . والأصيل : العشي[2] . والعصم : جمع أعصم ، وهو الذي في موضع المعصم منه بياض ، يريد الوعل . الأدفى : الذي يميل قرناه إلى ناحيتي ظهره . وينتحي : يعتمد . والكيح : ناحية الجبل ، وأعقل : يحل أعاقل[3] الجبال .

ويركدن : معطوف على « ترود » . وبالآصال : ظرف زمان ، وهو جمع أصُل ، وأصُل جمع أصيل . وحولي : ظرف مكان . وكأنني : الجملة حال من الياء في « حولي » . وأدفى: خبر كأن . ومن العصم : نعت لـِ : أدفى فصار حالاً . وينتحي : نعت لأدفى أيضاً ، وكذلك أعقل . والله سبحانه وتعالى أعلم[4] .

(١) في (ج) : أوفى .
(٢) في (أ) : العشاء .
(٣) في (ب) : أعاقيل .
(٤) بعد هذا في (أ) : « هذا آخر شرح لامية العرب ؛ وناظمها الشنفري ، . . . وهو الشيخ الإمام العالم العلامة ، سيبويه زمانه ، أبو البقاء العكبري . . . » ثم دعاء له . ولا ذكر لتاريخ النسخ .
وفي (ب) كلام منه : « وقع الفراغ بحمدالله وحسن توفيقه من تسويد هذه الأحرف على يد أضعف العباد محمد بن المرحوم الحج بكر آغا الكلاك ، عفا الله عنهم ، وذلك في سنة ألف ومئتين وخمس وخمسين من الهجرة النبوية . »
وفي (ج) : « وهذا آخر ما علقنا على لامية العرب ، ويتلوه بعون الله تعليق آخر على لامية العجم . ولله الحمد سرمداً لذاته ، آمين » ولا ذكر لتاريخ النسخ .

ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه

لابن البارزي المتوفى سنة ٧٣٨ هـ

الدكتور
حاتم صالح الضامن

كلية الآداب - جامعة بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يعد النسخ في القرآن الكريم من أخطر الموضوعات وأهمها في الشريعة الاسلامية، لذا يجب أن يكون كل مسلم على دراية تامة به ليستطيع الدفاع عن هذه الشريعة السمحاء ومجاهدة اعدائها من الملاحدة والمبشرين والمستشرقين .

ومعرفة الناسخ والمنسوخ يتوقف عليها جواز تفسير القرآن الكريم ، لهذا السبب كان السلف الصالح يعنى بها عناية كبيرة .

رُوي عن الإمام عليّ (رض) أنه دخل المسجد فرأى رجلاً يذكّرُ الناس فقال له : أتعرف الناسخ والمنسوخ ؟ قال : لا . قال : فاخرج من مسجدنا ولا تذكرْ فيه [1] .

وفي خبر آخر أنّ علياً (رض) مرّ بقاضٍ فقال : أتعرف الناسخ والمنسوخ ؟ قال : لا . قال : هلكت وأهلكت [2] .

ورُوي عن ابن عباس (رض) أنه فسّرَ الحكمة من قوله تعالى : « ومَنْ

(١) للنحاس ٤ .

(٢) ابن الجوزي ١٩٨ . وأضاف : (وفي لفظ أنه قال : من أنت ؟ قال : أنا أبو يحيى . قال : بل أنت أبو اعرفوني) .

يؤتَ الحِكمةَ فقد أُوتيَ خيراً كثيراً »[٣] بمعرفة ناسخ القرآن ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، ومقدمه ومؤخره ، وحرامه وحلاله ، وأمثاله [٤] .

وقال الإمام عليّ (رض) : لا يفتي الناس إلاّ من عرف الناسخ والمنسوخ[٥] .

من أجل كلّ هذا كثرت المؤلفات في علم الناسخ والمنسوخ ولم يترك المؤلفون فيه قضية من قضاياه إلاّ عنوا بتسجيلها ، ولكن هذه القضايا كانت تختلف قلة وكثرة عند المؤلفين وكانت مناهجهم تختلف في طريقة تناولها له أحياناً وتتشابه أحياناً أخرى .

وقد حفظ لنا التاريخ أسماء عدد كبير من هؤلاء الذين ألفوا كتباً في الناسخ والمنسوخ [٦] ، غير أنّ الذين بقيت كتبهم من بين هؤلاء عدد قليل جداً .

— وسأكتفي في مقدمتي هذه بالإشارة الى الكتب التي طُبعت في الناسخ والمنسوخ ليتسنى لي احصاء قضايا النسخ في كل كتاب من هذه الكتب ، وهي بحسب ترتيبها الزمني :

أولا — كتاب قتادة بن دعامة : وعدد القضايا التي عالجها حوالي (٤٠) قضية .

ثانياً — كتاب أبي عبدالله محمد بن حزم : وعدد القضايا التي عالجها (٢١٤) قضية .

ثالثاً — كتاب أبي جعفر النحاس : وعدد القضايا التي عالجها (١٣٤) قضية .

رابعاً — كتاب ابن سلامة : وعدد القضايا التي عالجها (٢١٣) قضية .

خامساً — كتاب مكي بن أبي طالب : وعدد القضايا التي عالجها (١٩٥) قضية

(٣) البقرة ٢٦٩ .
(٤) تفسير الطبري ٨٩/٣ (البابي الحلبي بمصر ١٩٥٤) ، زاد المسير ٣٢٤/١ (دمشق ١٩٦٥)
(٥) الناسخ والمنسوخ لعبد القاهر البغدادي (مخطوط) ق ٢ . وقد انتهينا من تحقيقه وسيظهر قريباً إن شاء الله تعالى .
(٦) ذكرنا ثبتاً بأسمائهم في مقدمة تحقيقنا لكتاب الناسخ والمنسوخ لقتادة والذي نشر في العدد الخاص بالقرن الخامس عشر الهجري من مجلة المورد م٩ ع٤ . فلا موجب للتكرار .

سادساً ـ كتاب ابن الجوزي : وعدد القضايا التي عالجها (١٤٨) قضية [٧].

سابعاً ـ كتاب العتائقي : وعدد القضايا التي عالجها (٢٢٤) قضية .

ثامناً ـ كتاب ابن المتوج : وعدد القضايا التي عالجها (٢٣٩) قضية [٨].

• • •

كتاب ناسخ القرآن ومنسوخه لابن البارزيّ

المؤلف :

هو هبة الله بن عبدالرحيم بن ابراهيم المعروف بشرف الدين ابن البارزيّ . والبارزيّ نسبة الى (باب أبرز) احدى محالّ بغداد [٩] .

ولد سنة ٦٤٥ هـ بحماه ، وسمع من أبيه وجده والشيخ نجم الدين الفاروثي ، ودرس النحو على ابن مالك الطائي .

وأجازه الشيخ عز الدين بن عبدالسلام ، والشيخ نجم الدين البادرائي ، والحافظ رشيد الدين العطار ، وأبو شامة وغيرهم من العلماء .

انتهت اليه مشيخة المذهب الشافعي ببلاد الشام إذ كان إماماً عارفاً بالمذهب وفنون كثيرة ، فصارت اليه الرحلة من الأطراف وراسله كثير من العلماء منهم الاسنوي صاحب (طبقات الشافعية) الذي بعث اليه مائة مسألة فأجاب عنها

---

(٧) ولابن الجوزي كتاب آخر في الناسخ والمنسوخ هو (عمدة الراسخ) وهو كتاب كبير ما زال مخطوطاً والكتاب المذكور في اعلاه هو مختصر لعمدة الراسخ .

(٨) ثمة كتابان آخران مطبوعان في الناسخ والمنسوخ ، الأول للمظفر بن الحسين بن زيد بن علي بن خزيمة الفارسي ، وقد طبع ملحقاً بكتاب الناسخ والمنسوخ للنحاس . والثاني لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الاسفرايني ، وقد طبع ملحقاً بكتاب لباب النقول للسيوطي . والمؤلفان مجهولان لدينا لذا اسقطناهما ولم نعتمد عليهما .

(٩) كذا ذكر الزبيدي في تاج العروس (برز) . وفي طبعة الكويت (باب إبريز) ، وهو خطأ . (ينظر : دليل خارطة بغداد قديماً وحديثاً ١٧٦) .

البارزي بكتاب أسماه (المسائل الحموية) ، واليافعي صاحب (مرآة الجنان) وغيرهم .

سمع منه خلق كثير منهم البرزالي والذهبي . وقد خرج له ابن طغر بلك مشيخة كبيرة وكذا فعل البرزالي .

قال الذهبي عنه : شيخ العلماء بقية الأعلام ، صنف التصانيف مع العبادة والدين والتواضع ولطف الأخلاق ، ما في طباعه من الكبر ذرة ، وله ترام على الصالحين وحسن ظن بهم .

وقال الاسنوي : كان إماماً راسخاً في العلم ، صالحاً خيِّراً ، محباً للعلم ونشره ، محسناً الى أهله ، له المصنفات العديدة المشهورة ، وصارت اليه الرحلة .

وليَ قضاء حماه ، وعيِّن لقضاء الديار المصرية فلم يوافق ، وعمي في آخر عمره فترك القضاء ، وتوفي سنة ٧٣٨ هـ[١٠]

(١٠) ينظر عن ابن البارزي المصادر والمراجع الآتية ، وهي مرتبة ترتيباً زمنياً

- الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) في دول الاسلام ١٨٦/٢ (حيدرآباد) وذيل العبر ٢٠٢ (الكويت) .
- ابن الوردي (ت ٧٤٩ هـ) في تاريخه ٣١٩/٢ (مصر) .
- الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) في نكت الهميان ٣٠٢ (مصر) .
- اليافعي (ت ٧٦٨ هـ) في مرآة الجنان ٢٩٧/٤ (حيدرآباد) .
- السبكي (ت ٧٧١ هـ) في طبقات الشافعية ٣٨٧/١٠ (الحلبي بمصر) .
- الاسنوي (ت ٧٧٢ هـ) في طبقات الشافعية ٢٨٢/١ (بغداد) .
- ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) في البداية والنهاية ١٨٢/١٤ (القاهرة) .
- ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) في طبقات القراء ٣٥١/٢ (القاهرة) .
- ابن قاضي شهبة (ت ٨٥١ هـ) في طبقات الشافعية ق ٧٧ (مخطوط) .
- ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) في الدرر الكامنة ١٧٤/٥ (مصر) .
- ابن تغري بردي (ت ٨٧٤ هـ) في النجوم الزاهرة ٣١٥/٩ (مصر) .
- الداودي (ت ٩٤٥ هـ) في طبقات المفسرين ٣٥٠/٢ (مصر) .
- طاش كبري زاده (ت ٩٦٨ هـ) في مفتاح السعادة ٣٦٧/٢ (مصر) .
- حاجي خليفة (ت ١٠٦٧ هـ) في كشف الظنون ٧٤ – ٧٥
- ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) في شذرات الذهب ١١٩/٦ (مصر) .

آثـاره :

ترك ابن البارزي مؤلفات كثيرة ما زال أكثرها مخطوطاً وهي :

(١أ) الأساس في معرفة إله الناس : كشف الظنون .

(١) الأحكام على أبواب التنبيه : نكت الهميان ، طبقات القراء .

(٢) إظهار الفتاوي من اسرار الحاوي : مخطوط (الأعلام) .

(٣) بديع القران : نكت الهميان ، طبقات القراء .

(٤) البستان في تفسير القرآن : مطبوع (الاعلام ، معجم المؤلفين) .

(٥) تمييز التعجيز : طبقات المفسرين ، مفتاح السعادة .

(٦) توثيق عرى الايمان في تفضيل حبيب الرحمن : مخطوط (الأعلام) .

(٧) تيسير الفتاوي في تحرير الحاوي : مخطوط (الاعلام) .

(٨) حل الحاوي : مرآة الجنان . وفي البدر الطالع : توضيح الحاوي .

(٩) الدرة في صفة الحج والعمرة : طبقات المفسرين .

(١٠) رموز الكنوز : مخطوط (الأعلام) .

(١١) روضات الجنان في تفسير القرآن : طبقات المفسرين .

(١٢) الزبدة في الفقه : نكت الهميان ، الدرر الكامنة .

(١٣) شرح البهجة : طبقات المفسرين .

(١٤) شرح الحاوي : نكت الهميان ، مفتاح السعادة .

(١٥) شرح المجرد : طبقات المفسرين . وفي هدية العارفين : المنضد في شرح المجرد .

- الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) في تاج العروس (برز) .
- الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) في البدر الطالع ٢/٢٢٤ (مصر) .
- اسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩ هـ) في ايضاح المكنون ١/١٨١ ، ٢/٤٣١ ، ٧١٣ (استانبول) ، وهدية العارفين ٢/٥٠٧ (استانبول) .
- الزركلي (ت ١٩٧٦ م ٢ في الأعلام ٩/٦٠ .
- كحالة في معجم المؤلفين ١٢/١٣٩ .

(١٦) الشرعة في قراءات السبعة : مخطوط (الأعلام) .

(١٧) العروض : نكت الهميان ، طبقات القراء .

(١٧أ) العمدة في شرح سقط الزند للمعري : هدية العارفين .

(١٨) غريب الحديث : نكت الهميان . وفي طبقات المفسرين : ضبط غريب الحديث .

(١٩) الفريدة البارزية في حل الشاطبية : مخطوط (الأعلام) .

(٢٠) المبتكر في الجمع بين مسائل المحصول والمختصر : طبقات المفسرين .

(٢١) المجتبى : طبقات المفسرين ، شذرات الذهب .

(٢٢) المجتنى : شذرات الذهب .

(٢٣) المجرد عن مسند الإمام الشافعي : طبقات المفسرين .

(٢٤) مختصر التنبيه : نكت الهميان ، طبقات القراء .

(٢٥) مختصر جامع الأصول : طبقات القراء ، طبقات المفسرين . وفي طبقات السبكي ومفتاح السعادة : ترتيب جامع الأصول . وفي الاعلام : تجريد .

(٢٦) مختصر كتاب التيسير : طبقات القراء .

(٢٧) المسائل الحموية : مخطوط (فهرس المكتبة الأزهرية بمصر) .

(٢٨) المغني : طبقات القراء ، مفتاح السعادة .

(٢٩) المناسك : نكت الهميان ، طبقات القراء .

(٣٠) الناسخ والمنسوخ : نكت الهميان ، طبقات القراء . وهو كتابنا هذا وسيأتي الحديث عنه .

(٣١) الوفا في أحاديث المصطفى : طبقات المفسرين ، شذرات الذهب . وفي نكت الهميان ومفتاح السعادة : الوفا في سرائر المصطفى .

• • •

الكتاب :

أولاً ــ تسميته :

اسم الكتاب في المخطوطة التي اعتمدنا عليها هو : (ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه) . بينما ورد باسم (الناسخ والمنسوخ) عند الصفدي في نكت الهميان وابن الجزري في طبقات القراء وتابعهما الزركلي في الأعلام وكحالة في معجم المؤلفين . وذكره البغدادي في هدية العارفين باسم (الناسخ والمنسوخ من القرآن) .

ثانياً ــ منهجه :

بيّن المؤلف في مقدمة كتابه السبب الذي دفعه الى تأليف الكتاب ثم عرّف النسخ والناسخ والمنسوخ وأتبعها بذكر أنواع المنسوخ ثم أنواع الناسخ . وخصّ آيتي السيف والقتال بالحديث لأهميتهما في نسخ كثير من الآيات .

وقد اتبع المؤلف في كتابه منهجاً انفرد به ؛ إذ ذكر في بداية كل سورة عدد المواضع فيها من المنسوخ ، وعدد المواضع من الناسخ ، وأشار الى المنسوخ بالحرف (م) وإلى الناسخ بالحرف (ن) . وذكر بعدها الآيات المنسوخة بآية السيف أولاً ، ثم الآيات المنسوخة بآية القتال ثانياً ؛ ثم الآيات المنسوخة بآية من السورة نفسها ثالثاً ، ثم الآيات المنسوخة بآية من سورة أخرى رابعاً .

وقد سار المؤلف على هذا النهج من أول الكتاب الى آخره .

أما الآيات التي لا ناسخ فيها ولا منسوخ فقد ذكرها في سياقها وأشار الى أنها محكمة .

وختم كتابه بالحديث عن المكي والمدني من السور .

ثالثاً ــ أهميته :

يمتاز كتاب ابن البارزي بأن عدد المواضع المنسوخة فيه هي مائتان وتسعة وأربعون موضعاً ، وهو بهذا العدد الكبير يكون قد فاق سابقيه واللاحقين عليه

من الذين سلف ذكرهم ، إذ نراه قد ذكر مواضع منسوخة لم يشر اليها غيره ، ففي سورة المدثر مثلاً ذكر ثلاث آيات منسوخة ، بينما ذكر آية واحدة فقط كل من ابن حزم ١٣٦ وابن سلامة ٩٦ وابن الجوزي ٢١٤ والعتائقي ٨١ وابن المتوج ٢٠٢ .

رابعاً ــ مآخذ عليه :

رسم المؤلف منهجه في مقدمة كتابه فقال : (وسنذكر جميع المواضع المنسوخة على ترتيب السور ، ونذكر مع كل منسوخ ما نسخه ، ونعيّن اسم السورة التي فيها الناسخ إنْ لم يكن من سورة المنسوخ) .

ولكنه أخلّ بمنهجه هذا في خمسة مواضع لم يعيِّن فيها اسم السورة التي فيها الناسخ مع ملاحظة ان الناسخ فيها لم يكن من سورة المنسوخ . وقد أنبهنا على هذه المواضع في الحواشي المرقمة : (٨١ ، ٢٥٨ ، ٣٣٦ ، ٣٨٣ ، ٣٩٦)

وثمة ملاحظة أخرى هي أنه عدّ سورة التين محكمة ، ولم يشر الى أنّ الآية الثامنة منها : « أليس الله بأحكم الحاكمين » منسوخة بآية السيف فيما ذكر ابن حزم ١٣٦ وابن سلامة ١٠١ من السابقين والعتائقي ٨٤ وابن المتوج ٢٠٩ من المتأخرين .

ويبدو أن المؤلف قد تابع ابن الجوزي الذي أبطل دعوى النسخ فيها في كتابه المخطوط ق ١٣٤ ، قال : (زعم بعضهم أنه نسخ معناها بآية السيف ، لأنّه ظن أنّ معناها : دعهم وخلِ عنهم ، وليس الأمر كما ظنّ ، فلا وجه للنسخ) .

خامساً ــ وصف المخطوطة :

النسخة التي اعتمدت عليها في تحقيق هذا الكتاب تحتفظ بها دار الكتب الظاهرية في مجموع رقمه ٥٨٨١ وتقع في الاوراق [٨٨ ــ ٩٥] ؛ وعدد الأسطر في كل صفحة واحد وعشرون سطراً . وهي نسخة جيدة أصابتها

الرطوبة ؛ كتبت بخط معتاد جيد ، من خطوط القرن العاشر ؛ واسماء السور والرموز مكتوبة بالحمرة . وعلى الحواشي نقول كثيرة من كتاب البرهان للزركشي. وكتب الناسخ بعد انتهاء كتاب ابن البارزي فوائد نقلها من البرهان أيضاً شغلت قسماً من الورقة ٩٥ والورقة ٩٦ بتمامها . .

ولا بد أن نشير الى أن الورقة الأولى (٨٨) كتب عليها : (جزء فيه ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه تأليف الشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة شرف الدين هبة الله بن قاضي القضاة نجم الدين عبدالرحيم البارزي الحموي الشافعي تغمده الله تعالى برحمته آمين) .

* * *

وأخيراً أقدم خالص شكري وامتناني الى أخي علامة الشام الاستاذ أحمد راتب النفاخ الذي كان وما زال مثالاً للعالم الغيور على تراثنا المجيد ، حفظه الله تعالى وكثّر أمثاله .

وأشكر أيضاً الأخ الاستاذ حميد العطار الذي اضطلع بتصوير هذه المخطوطة راجياً له كل خير .

والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

الدكتور حاتم صالح الضامن
كليــة الآداب ـ جامعة بغــداد

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد
المرسلين محمد المصطفى خاتم النبيين وعلى آل محمد وأصحابه أجمعين وبعد
فهذا مختصر جمع فيه ما في القرآن من الآيات المنسوخة والناسخة ونحو
على ما يتوقف عليه جواز تفسير كتاب الله تعالى لكثرة أقوال العلماء من الكرام والنسخ
في اللغة الرفع أي والقرآن ... نحو الكتابة كقوله تعالى إنا كنا نستنسخ
ما كنتم تعملون وفي الشرع رفع حكم ثابت بخطاب ثان لولاه لكان ذلك الحكم ثابتا بالخطاب
الأول والناسخ رافع الحكم والمنسوخ المرفوع المتروك حكمه ... والمنسوخ
ثلاثة أنواع أحدها ما نسخ حكمه وخطه كما قال ابن مسعود رضي الله عنه أقرأني
رسول الله صلى الله عليه وسلم آية أو سورة فحفظتها وأثبتها في مصحفي
فلما كان الليل رجعت إلى حفظي فلم أجد منها شيئا وغدوت على مصحفي فإذا
الورقة بيضاء فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود
تلك رفعت البارحة الثاني ما رفع خطه وحكمه ثابت نحو آية الرجم وهي
الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة الثالث ما نسخ حكمه ولم يرفع
خطه وهو المعهود المقصود بالتصنيف وسيأتي بيانه والناسخ أربعة
أنواع الأول نسخ الكتاب بالكتاب وهو جائز لقوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها
نأت بخير منها أو مثلها وإذا بدلنا آية مكان آية الثاني نسخ السنة
بالكتاب وهو جائز لأنه صلى الله عليه وسلم أمر بصوم عاشوراء ونسخ بقوله
تعالى شهر رمضان الآية وروي أنه لما نزل قوله تعالى إن تستغفر لهم
سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال صلى الله عليه وسلم والله لأزيدن
على السبعين فنسخ بقوله سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم
الثالث نسخ السنة بالسنة وهو جائز لقوله صلى الله عليه وسلم ألا إني

الصفحة الأولى

٩٥

الصفحة الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيد المرسلين محمد المصطفى خاتم النبيين وعلى آل محمد وأصحابه أجمعين .

وبعدُ فهذا موجز فيه جميع ما في القرآن من الآيات المنسوخة والناسخة . وهو علم يتوقف عليه جواز تفسير كتاب الله تعالى ليُعرف الحلال من الحرام .

والنسخ في اللغة : الرفع . وفي القرآن لمعنيين : نقل الكتابة ، كقوله تعالى : «إنّا كنا نستنسخُ ما كنتم تعملونَ »[1] . ورفع حكم ثابت بخطاب ثان لولاه لكان ذلك الحكم ثابتاً بالخطاب الأول .

والناسخ : رافع الحكم ، والمنسوخ : المرفوع المتروك حكمه والعمل به ، وأصله ثلاثة أنواع :

أحدها : ما نُسِخَ حكمه وخطه كما قال ابن مسعود[2] رضي الله عنه : أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم آية أو سورة فحفظتها وأثبتها في مصحفي ، فلمّا كان الليل رجعت الى حفظي فلم أجد منها شيئاً ، وغدوت على مصحفي فإذا الورقة بيضاء ، فأخبرت رسول الله صلّى الله عليه وسلم فقال : يا ابن مسعود تلك رُفِعَت البارحة[3] .

الثاني : ما رُفِعَ خطه ، وحكمه ثابت نحو آية الرجم ، وهي : (الشيخُ والشيخةُ إذا زَنيا فارجمُوهُما البتّةَ)[4] .

الثالث : ما نُسِخَ حكمه ولم يرفع خطه . وهو المحدود والمقصود بالتصنيف ، وسيأتي بيانه .

---

(١) الجاثية ٢٩ .

(٢) عبدالله بن مسعود ، صحابي ، توفي سنة ٣٢ هـ . (طبقات ابن سعد ٣/١٥٠ ، المعارف ٢٤٩ ، أسد الغابة ٣/٣٨٤) .

(٣) ابن سلامة ٥ .

(٤) ينظر : سنن ابن ماجة ٨٥٣ ، النحاس ٨ ، مكي ٥٦ ، فتح الباري ١٢/١٢٧ .

والناسخُ أربعةُ أنواعٍ :

أحدها : نسخ الكتاب بالكتاب ، وهو جائزٌ ، لقوله تعالى : « ما نَنْسَخْ من آيةٍ أو نَنْسأها نأتِ بخير منها أو مثلها »[5] ، « وإذا بدّلنا آيةً مكانَ آية »[6]

الثاني : نسخ السنة بالكتاب ، وهو جائزٌ ، لأنّه صلى الله عليه وسلم أمر بصوم عاشوراء[7] ، ونُسِخَ بقوله تعالى : « شهر رمضان . . »[8] الآية . ورُوي انّهُ لمّا نزل قوله تعالى : « إنْ تَسْتَغْفِرْ لهم سبعينَ مرّةً فلن يغفرَ اللهُ لهم »[9] قال صلى الله عليه وسلم : واللهِ لأزيدَنّ على السبعين ، فنسخ بقوله : « سواءٌ عليهم استغفرتَ لهم أم لم تستغفِرْ لهم »[10] .

الثالث : نسخ السنة بالسنة ، وهو جائزٌ ، لقوله صلى الله عليه وسلم : (ألاَ / (٨٩ ب) إنّي كنتُ نهيتكم عن زيارةِ القبورِ ألاَ فزوروها)[11] .

الرابع : نسخ الكتاب بالسنة ، فهو جائزٌ عند أبي حنيفة[12] ممتنعٌ عند الشافعي[13] رحمهما الله .

---

(٥) البقرة ١٠٦ . وفي المصحف الشريف (ننسها) بضم النون وترك الهمزة . أما (ننسأها) بفتح النون وسكون الهمزة فهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. (ينظر : السبعة في القراءات ١٦٨ ، حجة القراءات ١٠٩) .

(٦) النحل ١٠١ .

(٧) ينظر : الاعتبار ١٣٣ .

(٨) البقرة ١٨٥ .

(٩) التوبة ٨٠ .

(١٠) المنافقون ٦ .

(١١) سنن ابن ماجة ٥٠١ ، الاعتبار ١٣٠ .

(١٢) هو النعمان بن ثابت أحد الأئمة الأربعة ، توفي سنة ١٥٠ هـ . (تاريخ بغداد ١٣ /٣٢٣ ، طبقات الفقهاء ٨٦ ، الجواهر المضية ١/٢٦) .

(١٣) هو محمد بن ادريس أحد الأئمة الأربعة وإليه تنسب الشافعية ، توفي سنة ٢٠٤ هـ . (حلية الأولياء ٩/٦٣ ، ترتيب المدارك ١/٣٨٢ ، طبقات الشافعية ١/١٩٢) .

فإنْ احتج الحنفي بأنَّ قوله تعالى : « وَصِيَّةً لأزواجِهِم » [١٤] وقوله تعالى : « الوصيَّةُ للوالدينِ والأقربينَ » [١٥] رُفِعَ بقوله صلى الله عليه وسلم : (لا وَصِيَّةَ لوارثٍ) [١٦] . وبأنَّ قوله تعالى : « حُرِّمَتْ عليكم المَيْتَةُ والدمُ » [١٧] رُفِعَ عمومه بقوله صلّى الله عليه وسلم : (أُحِلَّتْ لنا مَيْتَتانِ ودمانِ : السمكُ والجرادُ والكبدُ والطحالُ) [١٨] . وبأن قوله تعالى : « فأمسكوهُنَّ في البيوتِ » [١٩] رُفِعَ بقوله صلى الله عليه وسلم : (الثيِّبُ بثيِّبٍ جَلْدُ مائةٍ ورَجْمٌ ، والبِكْرُ بالبِكْرِ جَلْدُ مائةٍ وتغريبُ عامٍ) [٢٠] .

أجابَ الشافعي ، رحمه الله ، عن الأوَّل بأنَّ الوصية للوارث نُسِخَ بقوله تعالى : « يوصيكُمُ اللهُ في أولادِكم » [٢١] . وعن الثاني بأنَّ تحريم الميتة والدم رُفِعَ عمومه بتحليل السمك والجراد والكبد والطحال من الله لا من رسوله صلى الله عليه وسلم ، لأنّه قال : أُحِلَّت لنا ، ولم يقل : أُحِلَّت لكم . وفي هذا الجواب نظر . وعن الثالث بأن امساكهن في البيوت نُسِخَ بقوله تعالى : الزانيةُ والزاني فاجْلِدُوا كلَّ واحدٍ منهما مائةَ جَلْدَةٍ » [٢٢] .

ثم النسخ يقع على الأمر والنهي ، قيل : وعلى الأخبار التي بمعناهما . وقيل : على الأخبار مطلقاً . وقيل : على ما يقبل منهما الاستثناء [٢٣]

---

(١٤) البقرة ٢٤٠ .

(١٥) البقرة ١٨٠ .

(١٦) سنن ابن ماجة ٩٠٥ . وينظر : الاعتبار ٢٦ .

(١٧) المائدة ٣ .

(١٨) سنن ابن ماجة ١٠٧٣ ، الجامع الصغير ١٣/١ مع خلاف في الرواية .

(١٩) النساء ١٥ .

(٢٠) صحيح مسلم ١٣١٦ - ١٣١٧ ، سنن ابن ماجة ٨٥٢ . وينظر : أحكام القرآن ٣٥٨ ، ١٣٢٦ .

(٢١) النساء ١١ .

(٢٢) النور ٢ .

(٢٣) ينظر : ابن سلامة ٨ - ٩ ، البرهان ٣٢/٢ ، الاتقان ٦١/٣ .

وأولاً نُسِخَ الصلاة الأولى ثم القبلة الأولى ثم الصوم الأول ثم الزكاة الأولى ثم الإعراض عن المشركين ثم الموارثة ثم العفو والصفح عن أهل الكتاب ثم المخالطة في الحج ثم العهد الذي كان بينه وبين المشركين .

والسور التي فيها الناسخ والمنسوخ إحدى وثلاثون سورة (٢٤) ، والتي لا ناسخ فيها ولا منسوخ ثلاث وأربعون (٢٥) ، والتي فيها الناسخ دون المنسوخ ست (٢٦) ، والتي فيها المنسوخ دون الناسخ أربع وثلاثون (٢٧) .

وآية السيف ، وهي قوله تعالى في سورة التوبة : « فإذا انسلخ الأشهرُ الحرمُ فاقتلوا المشركينَ حيثُ وجدتموهم وخذوهم واحصروهم » (٢٨) ، نسخ بها مائة وأربعة عشر موضعاً (٢٩) (٩٠ أ) في اثنتين وخمسين سورة (٣٠) ، ثم نسخ الله عزّ وجلّ بعض حكم آية السيف بقوله تعالى : « وإنْ أحدٌ من المشركينَ استجاركَ فأجِرْهُ حتى يسمع كلامَ اللهِ ثم أبلِغْهُ مأمَنَهُ » (٣١) . ونُسِخَ أيضاً عمومها في آخرها بقوله تعالى: « فإنْ تابوا وأقاموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ فخلّوا سبيلَهُم » (٣٢) .

وأمّا آية القتال ، وهي قوله تعالى في سورة التوبة : « قاتلوا الذينَ لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر » (٣٣) ، فنُسِخَ بها ثمانية مواضع في سبع سور .

(٢٤) البرهان ٢/٣٤ .وفي ابن سلامة ٨ والاتقان ٣/٦٢ : خمس وعشرون .
(٢٥) ابن سلامة ٦ ، البرهان ٢/٣٣ ، الاتقان ٣/٦٢ ، معترك الأقران ١/١١١ .
(٢٦) ابن سلامة ٧ ، البرهان ٢/٣٤ ، الاتقان ٣/٦٢ . ورسمت في الأصل : ستة .
(٢٧) ابن حزم ١٢٢ وابن سلامة ٧ والبرهان ٢/٣٤ والاتقان ٣/٦٢ : أربعون . ورسمت في الأصل : أربعة وثلاثون .
(٢٨) التوبة ٥ . وستأتي باسم (براءة) أيضاً .
(٢٩) ابن حزم ١٢٢ ، البرهان ٢/٤٠ . وينظر في آية السيف : النسخ في القرآن الكريم ٥٠٤ .
(٣٠) في ابن حزم ١٢٢ : في ثمان وأربعين سورة .
(٣١) التوبة ٦ .
(٣٢) التوبة ٥ .
(٣٣) التوبة ٢٩ .

وأمّا الآيات المنسوخ عمومها بالاستثناء أو ما في معناه بعدها فثلاثة وعشرون موضعاً في احدى عشرة سورة .

فأمّا الآيات المنسوخة على النظم فمائة وثلاثة مواضع في ثلاثين سورة .

فجملة المواضع المنسوخة مائتان وتسعة وأربعون موضعاً .

وأمّا الآيات الناسخة فمائة وثمانية مواضع في سبع [٣٤] وثلاثين سورة .

وسنذكر جميع المواضع المنسوخة على ترتيب السور ، ونذكر مع كلّ منسوخ ما نسخه ، ونعيّن اسم السورة التي فيها الناسخ إنْ لم يكن من سورة المنسوخ . وقد نُسِخَت آية بآيات وبالعكس .

ونقدّم قبل المنسوخ صورة (م) وقبل الناسخ صورة (ن) ، ونبدأ في أول كل سورة فيها منسوخ أو ناسخ بعدد مواضعه منها .

* * *

سورة الفاتحة

محكمةٌ .

* * *

سورة البقرة

(م) : ثلاثة وثلاثون موضعاً . (ن) : تسعة عشر .

(م) : « قولوا للناس حسناً » [٣٥] ، « لنا أعمالنا ولكم أعمالكم » [٣٦] ، «ولا تعتدوا إنّ الله لا يحب المعتدين » [٣٧] ، « ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه » [٣٨] ، « قُل قتالٌ فيه كبيرٌ وصدٌّ عن سبيل الله وكفرٌ بــه » [٣٩] « لا إكراه في الدين » [٤٠] .

(٣٤) في الأصل : سبعة .

(٣٥) آيــة ٨٣ .
(٣٦) آيــة ١٣٩ .
(٣٧) آيــة ١٩٠ .
(٣٨) آيــة ١٩١ .
(٣٩) آيــة ٢١٧ .
(٤٠) آيــة ٢٣٤ .

(ن) : آية السيف .[41]

(م) : « فاعفُوا واصفَحوا حتى يأتيَ اللهُ بأمْرِهِ »[42].

(ن) : آية القتال .[43]

(م) : « إنَّ الذينَ يكتمونَ ما أنزَلْنا من البيِّناتِ والهُدَى »[44] ، « إنما حرَّمَ عليكم المَيْتَةَ والدمَ ولحمَ الخنزيرِ وما أُهِلَّ به لغيرِ اللهِ »[45] ، «ولا تَحلِقُوا رؤوسَكُم حتى يبلُغَ الهَدْيُ مَحِلَّهُ »[46]، «ولا يَحِلُّ لكم أنْ تأخذوا مما آتيتموهُنَّ شيئاً »[47] « والوالداتُ يُرْضِعْنَ أولادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كاملينِ » .[48]

(ن) : الاستثناء بعدها وهو : « إلاّ الذينَ تابوا »[49] ، «فمَنِ اضْطُرَّ غيرَ باغٍ ولا عادٍ فلا إثْمَ عليهِ »[50] ، « فمَنْ كانَ منكم مريضاً أو به (٩٠ ب) أذىً مِن رأسِهِ »[51] ، «إلاّ أنْ يخافا »[52] ، « لمَنْ أرادَ أنْ يُتِمَّ الرَّضاعةَ . . . فإنْ أرادا فِصالاً عن تَراضٍ منهما وتَشاوُرٍ »[53] .

(م) : « ومما رزَقْناهُم ينفقونَ » .[54]

(ن) : لما فضل عن الزكاة في براءة : « خُذْ من أموالِهِم صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ »[55] »

(م) : « إنَّ الذينَ آمنوا والذين هادوا »[56]

---

(٤١) هي الآية ٥ من التوبة كما سلف .

(٤٢) آية ١٠٩ .

(٤٣) هي الآية ٢٩ من التوبة كما سلف .

(٤٤) آية ١٥٩ .

(٤٥) آية ١٧٣ .

(٤٦) آية ١٩٦ .

(٤٧) آية ٢٢٩ .

(٤٨) آية ٢٣٣ .

(٤٩) آية ١٦٠ .

(٥٠) آية ١٧٣ .

(٥١) آية ١٩٦ .

(٥٢) آية ٢٢٩ .

(٥٣) آية ٢٣٣ .

(٥٤) آية ٣ .

(٥٥) التوبة ١٠٣ .

(٥٦) آية ٦٢ .

(ن) : في آل عمران : « ومَنْ يبتغِ غير الاسلامِ ديناً فلن يُقْبَلَ منه ».[57] وقيل : محكمةٌ ، فمعناها : ومَنْ آمَنَ من الذين هادوا .

(م) : « فأينما تولوا فثَمَّ وَجْهُ الله »[58] .

(ن) : « فوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجدِ الحرامِ »[59] .

(م) : « فمَنْ حَجَّ البيتَ أو اعتَمَرَ فلا جناح عليه أنْ يَطَّوَّفَ بهما »[60] أي : أنْ لا يَطَّوَّفَ بهما .

(ن) : « ومَنْ يرْغَبُ عن ملةِ ابراهيمَ إلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ »[61]

(م) : « كُتِبَ عليكم القِصاصُ فيالقَتْلَى الحرُّ بالحرِّ والعبدُ بالعبدِ والأنثى بالأنثى »[62] .

(ن) : في المائدة : « وكتبنا عليهم فيها أنَّ النَفْسَ بالنَفْسِ »[63] . وفي سبحان : « ومَنْ قُتِلَ مظلوماً فقَدْ جعَلْنا لوليِّه سُلطاناً »[64] .

(م) : « كُتِبَ عليكم إذا حَضَرَ أحَدَكُم الموتُ إنْ ترَكَ خيْراً الوَصِيَّةُ »[65]

(ن) : في النساء : « يُوصيكُمُ اللهُ في أولادِكُمْ »[66] . وقيل : محكمةٌ .

(م) : « يا أيُّها الذين آمنوا كُتِبَ عليكُمُ الصيامُ كما كُتِبَ على الذينَ مِنْ قبْلِكُمْ »[67] .

(ن) : « شَهرُ رمَضانَ الذي أُنزِلَ فيه القرآنُ »[68] و « أُحِلَّ لكم ليلة الصيامِ الرَّفَثُ الى نسائكُمْ »[69] .

(م) : « وعلى الذينَ يُطيقونَهُ فِدْيَةٌ طعامُ مِسْكينٍ »[70] .

(٥٧) آل عمران ٨٥ .
(٥٨) آيـة ١١٥ .
(٥٩) آيـة ١٤٤ .
(٦٠) آيـة ١٥٨ .
(٦١) آيـة ١٣٠ .
(٦٢) آيـة ١٧٨ .
(٦٣) المائـدة ٤٥ .
(٦٤) الاسراء (وتسمى سبحان أيضاً) ٣٣ .
(٦٥) آيـة ١٨٠ .
(٦٦) النساء ١١ . وهي آية الميراث .
(٦٧) آيـة ١٨٣ .
(٦٨) آيـة ١٨٥ .
(٦٩) آيـة ١٨٧ .
(٧٠) آيـة ١٨٤ .

(ن) : « فَمَنْ شَهِدَ منكُمُ الشهرَ فَلْيَصُمْهُ » [71]

(م) : « ولا تَعْتَدُوا إنّ الله لا يُحِبُّ المعتدينَ » [72] .

(ن) : « فَمَنِ اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثْلِ ما اعتدى عليكُمْ » [73] .

وفي براءة : « قاتلوا المشركين كافّةً كما يُقاتلونكم كافّةً » [74] . وآية السيف .

(م) : « يسألونَكَ ماذا يُنفِقونَ قُلْ ما أنفَقتُم مِن خيْرٍ » [75]

(ن) : في براءة : « إنّما الصدقاتُ للفقراء والمساكينَ » [76] .

(م) : « يسألونَكَ عن الخمرِ والميسرِ قُلْ فيهما إثْمٌ كبيرٌ » [77]

(ن) : في المائدة : « رِجْسٌ من عمل الشيطان . . . إلى : منتهون » [78] .
أي : انتهوا . وفي الأعراف : «إنّما حرّمَ ربّيَ الفواحشَ ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ والإثْمَ » [79]، والإثمُ هنا الخمرُ .

(م) : « ويسألونَكَ ما ذا يُنفقونَ قُلِ العَفْوَ » [80] أي الفضل .

(ن) : « خُذْ مِن أموالِهم صدقةً » [81] .

(م) : « ولا تنكحوا المشركاتِ حتى يُؤْمِنَّ » [82] .

(ن) : لبعض حكمها في المائدة : « والمُحْصَناتُ مِنَ الذينَ أُوتوا الكتاب من قَبْلِكُمْ » [83] .

(م) : « وبُعُولَتُهُنَّ أحَقُّ بِرَدِّهِنَّ » [84] .

---

(71) آيــة ١٨٥ .
(72) آيــة ١٩٠ .
(73) آيــة ١٩٤ .
(74) التوبة (براءة) ٣٦ .
(75) آيــة ٢١٥ .
(76) التوبــة ٦٠ .
(77) آيــة ٢١٩ .
(78) المائدة ٩٠ - ٩١ .
(79) الأعراف ٣٣ .
(80) آيــة ٢١٩ .
(81) التوبــة ١٠٣ .
(82) آيــة ٢٢١ .
(83) المائــدة ٥ .
(84) آيــة ٢٢٨ .

(ن) « الطلاقُ مرَّتان فإمْساكٌ بمعروفٍ أوْ تَسْريحٌ بإحسان » [85] .
و« فلا تَحِلُّ لَهُ من بَعْدُ حتى تنكِحَ زوجاً غَيْرَهُ » [86] .
(م) : « والذينَ يُتَوَفَّوْنَ منكم ويَذَرُونَ أزواجاً وَصِيَّةً لأزواجِهِم متاعاً الى الحول (٩١ أ) غَيْرَ إخْراجٍ » [87] .
(ن) : « والذين يُتَوَفَّوْنَ منكم ويَذَرُونَ أزواجاً يَتَرَبَّصْنَ بأنْفُسِهِنَّ أربعةَ أشهرٍ وعَشْراً » [88] . وفي النساء : « ولَهُنَّ الربعُ مما تَرَكْتُمْ » [89]
(م) : « وأَشْهِدُوا إذا تبايَعْتُم » [90] .
(ن) : « فإنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الذي اؤْتُمِنَ أمانَتَهُ » [91]
وقيل : محكمةٌ .
(م) : « وإنْ تُبْدُوا ما في أنْفُسِكُمْ أو تُخْفُوهُ »[92] .
(ن) : « لا يُكَلِّفُ الله نَفْساً إلاّ وُسْعَها » [93] .

* * *

سورة آل عمران

(م) : عشرة مواضع .   (ن) : ثلاثة
(م) : « وإنْ[94] تَوَلَّوْا فإنَّما عليكَ البلاغُ » [95] ، « إلاّ أنْ تَتَّقُوا منهم تُقاةً » [96] .
(ن) : آيـة السيف .
(م) : « لن يضروكم إلاّ أذىً »[97] ، « وإنْ تَصْبِرُوا وتَتَّقُوا » [98] .

---

(٨٥) آيـة ٢٢٩ .
(٨٦) آيـة ٢٣٠ .
(٨٧) آيـة ٢٤٠ .
(٨٨) آيـة ٢٣٤ .
(٨٩) النساء ١٢ .
(٩٠) آيـة ٢٨٢ .
(٩١) آيـة ٢٨٣ .
(٩٢) آيـة ٢٨٤ .
(٩٣) آيـة ٢٨٦ .
(٩٤) في الأصل : فان . وما اثبتناه من المصحف الشريف .
(٩٥) آيـة ٢٠ .
(٩٦) آيـة ٢٨ .
(٩٧) آيـة ١١١ .
(٩٨) آيـة ١٢٠ .

(ن) : آيـة القتال .

(م) : « كيفَ يَهْدِي اللهُ قوماً كفروا بَعْدَ إيمانِهم . . . إلى : ولاهمُ يُنظَرونَ » [99] الآيات الثلاث .

(ن) : الاستثناء بعدها ، وهو : « إلاَّ الذين تابوا » [100] .

(م) : « يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقُوا اللهَ حقَّ تُقاتِه » . [101] .

(ن) : في التغابن : « فاتقوا اللهَ ما استطعتم » [102] .

(م) : « ولله على الناسِ حِجُّ البيتِ » [103] .

(ن) : لعمومها : « مَنِ استطاع إليهِ سَبيلاً » [104] .

(م) : « ومَنْ يُرِدْ ثوابَ الدنيا نُؤْتِهِ منها » [105] .

(ن) : في سبحان : « مَنْ كانَ يُريدُ العاجلةَ عَجَّلْنا له فيها » [106] .

* * *

سورة النساء

(م) : اثنان وعشرون . (ن) : سبعة .

(م) : « فأعْرِضْ عنهم وعِظْهُمْ » [107] ؛ « ومَنْ تَوَلَّى فما أرسلناكَ عليهم حَفيظاً » [108] ، « فأعْرِضْ عنهم » [109] ، « لا تُكَلَّفُ إلاَّ نَفْسَكَ » [110] ؛ « ستَجدونَ آخرينَ يُريدونَ أنْ يأمَنُوكُم ويَأمَنوا قَوْمَهُمْ » [111] ، « إلاَّ الذينَ يَصِلُونَ الى قومٍ بَيْنَكُمْ

(99) الآيات ٨٦ – ٨٨ .
(100) آيـة ٨٩ .
(101) آيـة ١٠٢ .
(102) التغابن ١٦ .
(103) آيـة ٩٧ .
(104) آيـة ٩٧ .
(105) آيـة ١٤٥ .
(106) الاسراء (سبحان) ١٨ .
(107) آيـة ٦٣ .
(108) آيـة ٨٠ .
(109) آيـة ٨١ .
(110) آيـة ٨٤ .
(111) آيـة ٩١ .

وبَيْنَهُمْ مِيثاقٌ »[112] ، « فما لكم في المنافقينَ فِئَتَيْنِ »[113]

(ن) : آية السيف .

(م) : « إنَّ المنافقينَ في الدَّرْكِ الأسفَلِ من النارِ ولَنْ تَجِدَ لَهُمْ نصيراً »[114] ، « ولا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا ببعضِ ما آتَيْتُمُوهُنَّ »[115]

(ن) : الاستثناء بعده ، وهو : « إلاَّ الذينَ تابوا »[116] ، « إلاَّ أنْ يأتينَ بفاحشةٍ مبينة »[117] .

(م) : « ويَغْفِرُ ما دونَ ذَلِكَ »[118] في الموضعين .

(ن) : « لمَنْ يشاءُ » فيهما .[119]

(م) : « للرجالِ نَصيبٌ مما تَرَكَ الوالدان والأقربون . . . إلى : معروفاً »[120] الآيتان .

(ن) : « يُوصيكُمُ اللهُ في أولادِكُمْ »[121] .

(م) : « وَلْيَخْشَ الذينَ لو تَرَكوا »[122] .

(ن) : في البقرة : « فَمَنْ خاف من موصٍ جَنَفاً أو إثْماً »[123] .

(م) : « واللاتي يأتينَ الفاحشةَ من نسائِكُمْ »[124] .

(ن) : في النور : « الزانيةُ والزّاني فاجلِدوا كلَّ واحدٍ منهما مائةَ جَلْدَةٍ »[125] .

---

(١١٢) آيــة ٩٠ .

(١١٣) آيــة ٨٨ .

(١١٤) آيــة ١٤٥ . —

(١١٥) آيــة ١٩ .

(١١٦) آيــة ١٤٦ .

(١١٧) آيــة ١٩ .

(١١٨) الآيتان ٤٨ و ١١٦ .

(١١٩) أي في الآيتين السالفتين ٤٨ و ١١٦ .

(١٢٠) الآيتان ٧ و ٨ . وفي الأصل : الآيات الثلاث .

(١٢١) آيــة ١١ .

(١٢٢) آيــة ٩ .

(١٢٣) البقرة ١٨٢ .

(١٢٤) آيــة ١٥ .

(١٢٥) النور ٢ .

(م) : واللذان يأتيانها منكم فآذوهما » [126] أي بالتعيير والشتم .

(ن) : « الزانية والزاني . . . » [127] الآية .

(م) : إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة » [128] .

(ن) : - (٩١ب) « وليست التوبة للذين يعملون السيئات [129] » ؛

إن أريد بالقريب [130] قرب الرجوع بعد ارتكاب الذنب لا قربه من الموت .

(م) : « فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن » [131] .

(ن) : في المؤمنين : « والذين هم لفروجهم حافظون » [132] .

(م) : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » [133] .

(ن) : بعض حكمها في النور : « ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج » [134] ، أي : لا إثم في مواكلتهم . أنزلت لما تحرج الأنصار من مواكلتهم بعد نزول الآية المنسوخة [135] . وقيل : يحتمل أنها محكمة .

(م) : « والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم » [136] .

(ن) : في الأنفال : « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض » [137] .

(م) : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم . . . » [138] الآية .

(١٢٦) آية ١٦ .
(١٢٧) النور ٢ .
(١٢٨) آية ١٧ .
(١٢٩) آية ١٨ .
(١٣٠) في الآية السابقة (١٧) من النساء : « ثم يتوبون من قريب » .
(١٣١) آية ٢٤ .
(١٣٢) المؤمنون ٥ .
(١٣٣) آية ٢٩ .
(١٣٤) النور ٦١ .
(١٣٥) ينظر : أسباب النزول ٣٤٣ - ٣٤٤ ، لباب النقول ١٦٣ - ١٦٤ .
(١٣٦) آية ٣٣ . وفي المصحف الشريف (عقدت) بغير ألف ، وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي . أما (عاقدت) بألف فهي قراءة بقية السبعة . (السبعة ٢٣٣ ، حجة القراءات ٢٠١) .
(١٣٧) الأنفال ٧٥ .
(١٣٨) آية ٦٤ .

(ن) : في براءة : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم »[١٣٩] . وفي المنافقين : « سواءٌ عليهم استغفرتَ لهم أم لم تستغفر لهم »[١٤٠]

(م) : « يا أيها الذين آمنوا خذوا حِذركم »[١٤١] .

(ن) : في براءة : « وما كانَ المؤمنونَ لينفروا كافّةً »[١٤٢] .

(م) : «فإنْ كانَ من قوم عدوٍّ لكم وهو[١٤٣] مؤمنٌ فتحريرُ رقبةٍ مؤمنة »[١٤٤]

(ن) : في براءة : « براءةٌ من الله ورسولِه »[١٤٥] .

(م) : « ومَنْ يقتُلْ مؤمناً [متعمّداً][١٤٦] فجزاؤُه جهنّمُ »[١٤٧]

(ن) : « إنّ اللهَ لا يغفرُ أنْ يُشرَكَ بهِ . . . »[١٤٨] الآية ، في الموضعين .

وقيل : محكمةٌ .

* * *

سورة المائدة

(م) : تسعة . (ن) : تسعة .

(م) : « ولا آمّينَ البيتَ الحرامَ يبتغونَ فضلاً من ربّهم ورِضْواناً »[١٤٩] ؛ و « ما على الرسولِ إلاّ البلاغُ »[١٥٠] .

(ن) : آية السيف .

(م) : « فاعفُ عنهم واصفحْ »[١٥١] .

(ن) : آية القتال .

---

(١٣٩) التوبة ٨٠ .
(١٤٠) المنافقون ٦ .
(١٤١) آية ٧١ .
(١٤٢) التوبة ١٢٢ .
(١٤٣) في الأصل : وإن . وما أثبتناه من المصحف الشريف .
(١٤٤) آية ٩٢ .
(١٤٥) التوبة ١ .
(١٤٦) من المصحف الشريف .
(١٤٧) آية ٩٣ .
(١٤٨) الآيتان ٤٨ و ١١٦ .
(١٤٩) آية ٢ .
(١٥٠) آية ٩٩ .
(١٥١) آية ١٣ .

(م) : « حُرِّمَتْ عليكُمُ المَيْتَةُ . . . » [١٥٢] الآية ، « إنّما جَزاءُ الذينَ يُحاربونَ اللهَ ورسولَهُ » [١٥٣] .

(ن) : الاستثناء بعده ، وهو : « فَمَنْ اضْطُرَّ في مَخْمَصَةٍ » [١٥٤] « إلاّ الذين تابوا . . . » [١٥٥] الآية .

(م) : « فإنْ جاءوكَ فاحكُمْ بينَهُمْ » [١٥٦] .

(ن) : للتخيير : « وأنِ احكُمْ بينَهُمْ بما أنزَلَ اللهُ » [١٥٧] . وقيل : محكمةٌ .

(م) : «يا أيُّها الذينَ آمنوا عَلَيْكُمْ أنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ» [١٥٨]

(ن) : « إذا اهْتَدَيْتُمْ » [١٥٩] على قول مَنْ فَسَّرَ الهدى هنا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(م) : « يا أيُّها الذينَ آمنوا شهادةُ بَيْنِكُمْ . . . » [١٦٠] الآية والتي بعدها دليل على جواز شهادة أهل الذمة في السفر .

(ن) : في الطلاق : « وأشْهِدوا ذوَي عَدْلٍ منكم » [١٦١] .

* * *

سورة الأنعام

(م) : ثلاثة عشر . (ن) : أربعة

(م) : « قل لست عليكم بوكيلٍ » [١٦٢] ، « ثم ذرهم في خوضهم يلعبون » [١٦٣] ، « فَمَنْ أبْصَرَ فلنَفْسِهِ ومَنْ عمي فعليها وما أنا عليكم

---

(١٥٢) آيــة ٣ . (١٥٣) آيــة ٣٣ .

(١٥٤) آية ٣ . جاءت في الأصل بعد (إلا الذين تابوا) والسياق يقتضي تقديمها .

(١٥٥) آيــة ٣٤ . (١٥٦) آيــة ٤٢ .

(١٥٧) آيــة ٤٩ . (١٥٨) آيــة ١٠٥ .

(١٥٩) آيــة ١٠٥ . (١٦٠) آيــة ١٠٦ .

(١٦١) الطلاق ٢ . (١٦٢) آيــة ٦٧ .

(١٦٣) آيــة ٩١ .

بحَفيظ »[164] ، « واعرض عن المشركين »[165] ، « وما جَعَلْناكَ عليهم حَفيظاً وما (٩٢ أ) أنْتَ عليهم بوكيلٍ »[166] ، « ولا تَسُبُّوا الذينَ يَدْعونَ من دونِ الله فيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بغيرِ علم »[167] ، « فَذَرْهُمْ »[168] وما يَفْتَرُونَ »[169] ، « قُلْ يا قوم اعْمَلُوا على مكانَتِكُمْ »[170] ، « قُلِ انتظِرُوا إنّا مُنْتَظِرونَ »[171] ، « لستَ منهم في شيءٍ إنّما أمْرُهُمْ إلى اللهِ »[172] .

(ن) : آية السيف .

(م) : « وذَرِ الذينَ اتخَذُوا دينَهُمْ لَعِباً ولَهْواً »[173] .

(ن) : آية القتال .

(م) : « إنّي أخافُ إنْ عَصَيْتُ ربّي عذابَ يوم ٍ عظيم ٍ »[174] .

(ن) : في الفتح : « ليغفرَ لكَ اللهُ ما تقدَّمَ من ذنبكَ وما تأخَّرَ »[175] .

(م) : « ولا تَأكُلُوا مما لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عليهِ وإنّهُ لَفِسْقٌ »[176]

(ن): في المائدة : « اليومَ أُحِلَّ لكُمُ الطيِّباتُ وطَعامُ الذين أُوتُوا الكتاب حِلٌّ لكم »[177] . ومعنى الطيِّبات : الذبائح .

* * *

سورة الأعراف

(م) : موضعان . (ن) : موضعان .

---

(١٦٤) آيــة ١٠٤ . (١٦٥) آيــة ١٠٦ .
(١٦٦) آيــة ١٠٧ . (١٦٧) آيــة ١٠٨ .
(١٦٨) في الأصل : وذرهم . وما أثبتناه من المصحف الشريف .
(١٦٩) الآيتان ١١٢ و ١٣٧ . (١٧٠) آيــة ١٣٥ .
(١٧١) آيــة ١٥٨ . (١٧٢) آيــة ١٥٩ .
(١٧٣) آيــة ٧٠ . (١٧٤) آيــة ١٥ .
(١٧٥) الفتــح ٢ . (١٧٦) آيــة ١٢١ .
(١٧٧) المائــدة ٥ .

(م) : « وأمْلِي لهم »[178] ، « وأعْرِضْ عن الجاهلين »[179]

(ن) : آية السيف .

* * *

سورة الأنفال

(ل) : سبعة .   (ن) ستة .

(م) : « وإنْ جنحوا للسلمِ فاجنح لها »[180]

(ن) : آية القتال .

(م: « فلا تُوَلُّوهُمُ الأدْبارَ »[181]

(ن): الاستثناء بعده ، وهو : « إلاَّ مُتَحَرِّفاً لقتالٍ أو مُتَحَيِّزاً الى فِئةٍ »[182]

(م) : « يسألونَكَ عن الأنْفالِ قُلِ الأنفالُ لله والرسولِ »[183] .

(ن) : « واعلَمُوا أنَّما غَنِمْتُمْ من شيءٍ »[184] . وفي الحشر : « ما أفاءَ اللهُ على رسولِهِ مِن أهْلِ القُرى »[185] .

(م) : « وما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنتَ فِيهِمْ »[186] .

(ن) : « وما لَهُمْ ألاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ »[187] .

(م) : « قُلْ للذينَ كفروا إنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَفَ وإن يعودوا فقد مَضَتْ سُنَّتُ الأوَّلينَ »[188] .

(ن) لبعض حكمها هنا وفي البقرة : « وقاتلوهم حتى لا تكونَ فِتْنَةٌ »[189] أي : إن لم ينتهوا .

---

(١٧٨) آيـة ١٨٣ (١٧٩) آيـة ١٩٩ .

(١٨٠) آيـة ٦١ . (١٨١) آيـة ١٥ .

(١٨٢) آيـة ١٦ . (١٨٣) آيـة ١ .

(١٨٤) آيـة ٤١ . (١٨٥) الحشـر ٧ .

(١٨٦) آيـة ٣٣ . (١٨٧) آيـة ٣٤ .

(١٨٨) آية ٣٨ . وفي الأصل : سنة . وما أثبتناه هو رسم المصحف الشريف . (وينظر : ايضاح الوقف والابتداء ٢٨٣ والمقنع ٧٨) . (١٨٩) البقرة ١٩٣ .

(م) : « إنْ يكنْ منكم عشرونَ صابرونَ يغلبوا مائتَيْنِ »[190] .

(ن) : « الآنَ خفّفَ اللهُ عنكم »[191] .

(م) : «والذينَ آمنوا ولم يُهاجروا ما لكم من ولا يتِهِم من شيء حتى يهاجروا»[192] . وكانوا يتوارثون بالهجرة دون النسب .

(ن) : « واولوا الأرحامِ بعْضُهُمْ أوْلَى ببعضٍ في كتابِ اللهِ »[193]

* * *

سورة التوبة

(م) : سبعة . (ن) : أربعة عشر .

(م) : « وبَشِّرِ[194] الذينَ كفروا بعذابٍ أليمٍ »[195] .

(ن) : « إلاّ الذينَ عاهَدْتُمْ من المشركينَ »[196] على قول من فسّر العذاب بالقتل .

(م) : « كيفَ يكونُ للمشركينَ عَهْدٌ عندَ اللهِ وعندَ رسولِهِ »[197] الآية .

(ن) : لبعض حكمها الاستثناء بعده ، وهو ، : « إلاّ الذين عاهَدْتُم عند المسجد الحرام »[198] .

(م) : « والذين يكنزونَ الذهبَ والفضةَ »[199] .

(ن) : لما فضل من المال : « إنّما الصدقاتُ - (٩٢ ب) للفقراءِ »[200] و « خُذْ من أموالِهِم صدقةً »[201] ، أي الزكاة الواجبة .

(م) : « إلاّ تَنفِروا يُعَذِّبْكُمْ عذاباً أليماً»[202] و « انفِروا خِفافاً وثِقالاً »[203]

---

(١٩٠) آيـة ٦٥ .
(١٩١) آيـة ٦٦ .
(١٩٢) آيـة ٧٢ .
(١٩٣) آيـة ٧٥ .
(١٩٤) في الأصل : فبشر . وما أثبتناه من المصحف الشريف .
(١٩٥) آيـة ٣ .
(١٩٦) آيـة ٤ .
(١٩٧) آيـة ٧ .
(١٩٨) آيـة ٧ .
(١٩٩) آيـة ٣٤ .
(٢٠٠) آيـة ٦٠ .
(٢٠١) آيـة ١٠٣ .
(٢٠٢) آيـة ٣٩ .
(٢٠٣) آيـة ٤١ .

(ن) : « ما كانَ المؤمنونَ لِيَنفِروا كافةً » [204] .

(م) : « عفا اللهُ عنكَ لِمَ أذِنتَ لهم » [205] .

(ن) : في النور : « فإذا استأذنوكَ لبعضِ شأنِهِم فأذَنْ لمن شِئتَ منهم » [206] .

(م) : « الأعرابُ أشدُّ كُفْراً ونِفاقاً . . . الى : عليهم » [207] الآيتان .

(ن) : لبعض حكمها الآية التي بعدها : « ومِنَ الأعرابِ مَن يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ » [208] .

* * *

سورة يونس عليه السلام

(م) : سبعة .

(م) : « فانتظروا إنِّي معكم من المنتظرين » [209] ، « وإنْ كذَّبُوكَ فقُلْ لي عَمَلي ولكم عَمَلُكُمْ » [210] ، « وإمّا نُرِيَنَّكَ بعضَ الذي نَعِدُهُمْ أو نَتَوَفَّيَنَّكَ » [211] ، « أفأنتَ تُكْرِهُ الناسَ حتى يكونوا مؤمنينَ » [212] ، « فهَلْ ينتظرونَ إلاَّ مِثْلَ أيامِ الذينَ خَلَوْا من قبلِهِم » [214] ، « فمَنِ اهتدى فإنّما يهتدي لِنَفْسِهِ » [213] ، « واصبِرْ حتى يَحْكُمَ اللهُ » [215] .

(ن) : آية السيف .

* * *

سورة هود عليه السلام

(م) : أربعة .

(م) : « إنما أنتَ نذيرٌ » [216] .

---

(٢٠٤) آيــة ١٢٢ .

(٢٠٥) آيــة ٤٣ .

(٢٠٦) النــور ٦٢ .

(٢٠٧) الآيتــان ٩٧ و ٩٨ .

(٢٠٨) آيــة ٩٩ .

(٢٠٩) آيــة ٢٠ .

(٢١٠) آيــة ٤١ .

(٢١١) آيــة ٤٦ .

(٢١٢) آيــة ٩٩ .

(٢١٣) آيــة ٢٠ جـ .

(٢١٤) آيــة ١٠٨ .

(٢١٥) آيــة ١٠٩ .

(٢١٦) آيــة ١٢ .

(ن) : لحكمها لا للفظها : آية السيف .

(م) : « وقُل للذينَ لا يؤمنونَ اعملوا على مكانتِكُمْ إنّا عاملون وانتظروا إنّا منتظرون »[٢١٧] .

(ن) : آية السيف .

(م) : « مَنْ كانَ يريدُ الحياةَ الدنيا »[٢١٨] .

(ن) : في سبحان : « مَنْ كانَ يريدُ العاجِلَةَ عجّلْنا له فيها ما نشاءُ لمَنْ نُريدُ »[٢١٩] .

• • •

سورة يوسف عليه السلام

محكمــةٌ .

• • •

سورة الــرعد

(م) : موضعان .

(م) : « فإنّما عليك البلاغُ المبينُ »[٢٢٠] .

(ن) : آية السيف .

(م) : « إنَّ ربّكَ لذو مَغْفِرَةٍ للناس على ظلمهم »[٢٢١] .

(ن) : في النساء في موضعين : « إنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ به »[٢٢٢] على قوْلِ مَنْ فسّر الظلم بالشرك .

• • •

سورة ابراهيم عليه السلام

(م) : موضع .

(٢١٧) الآيتان ١٢١ – ١٢٢ .

(٢١٨) آيــة ١٥ .

(٢١٩) الاســراء ١٨ .

(٢٢٠) آيــة ٤٠ .

(٢٢١) آيــة ٦ .

(٢٢٢) النساء ٤٨ و ١١٦ .

(م) : « إنَّ الإنسانَ لظلومٌ كفّارٌ » [٢٢٣] .

(ن) : في النحل : « وإنْ تَعدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها إنَّ اللهَ لغفورٌ رحيمٌ » [٢٢٤] . وقيل : محكمةٌ .

* * *

سورة الحِجْر

(م) : خمســة .

(م) : « ذَرْهُمْ يأكُلُوا ويَتَمَتَّعُوا » [٢٢٥] ، « فاصْفَحِ الصَفْحَ الجميلَ » [٢٢٦] و « لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ [٢٢٧] الى ما مَتَّعْنا بِهِ أزواجاً منهم ولا تحزَنْ عليهم واخْفِضْ جناحَكَ للمؤمنين » [٢٢٨] ، « واعرِضْ عنِ المشركينَ » [٢٢٩] .

(ن) : آية السيف .

(م) : « وقل إنّي أنا النذيرُ المبينُ » [٢٣٠] .

(ن) : لحكمها لا للفظها : آية السيف .

* * *

سورة النحل

(م) : خمسة .   (ن) : موضعان .

(م) : « فإنْ تَوَلَّوْا فإنّما عليكَ البلاغُ » [٢٣١] ، « وجادلهم بالتي هي أحْسَنُ » [٢٣٢] ، « واصبِرْ وما صَبْرُكَ إلاّ باللهِ » [٢٣٣] .

(ن) : آية السيف

---

(٢٢٣) آيــة ٣٤ .
(٢٢٤) النحــل ١٨ .
(٢٢٥) آيــة ٣ .
(٢٢٦) آيــة ٨٥ .
(٢٢٧) في الأصل : عيناك ، وهو تحريف .
(٢٢٨) آيــة ٨٨ .
(٢٢٩) آيــة ٩٤ .
(٢٣٠) آيــة ٨٩ .
(٢٣١) آيــة ٨٢ .
(٢٣٢) آيــة ١٢٥ .
(٢٣٣) آيــة ١٢٧ .

(م) : « مَنْ كَفَرَ باللهِ مِنْ بَعْدِ ايمانه »[234] .

(ن) : الاستثناء بعده - (٩٣ أ) وهو : «إلاّ مَنْ أُكرِهَ وقلبه مُطْمَئِنٌ بالإيمان »[235] .

(م) : «ومِنْ ثَمَراتِ النخيلِ والأعنابِ تتخذونَ منه سَكَراً ورزقاً حَسَناً»[236]

(ن) : في المائدة : « إنّما الخمرُ والميسرُ »[237] .

* * *

سورة سبحان[238]

(م) : ثلاثة . (ن) : موضعان .

(م) : « وما أرسَلْناكَ عليهم وكيلاً »[239] .

(ن) : آية السيف .

(م) : « وقُلْ رَبِّ ارْحَمْهما كما رَبَّياني صَغيراً »[240] .

(ن) : لبعض حكمها في المشركين ني براءة٠: «ما كانَ للنبيِّ والذينَ آمنوا أنْ يستَغْفِروا للمشركينَ ولو كانوا أُولي قُرْبى »[241] .

(م) : « ولا تَجْهَرْ بصلاتِكَ ولا تُخافِتْ بها »[242] .

(ن) : في الأعراف : « واذكُرْ ربّكَ في نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وخِيفَةً »[243] .

* * *

سورة الكهف

(م) : موضع . (ن) : خمسة .

(م) « فَمَنْ شاءَ فليؤمِنْ ومَنْ شاءَ فليكفُرْ »[244] .

---

(٢٣٤) آيـة ١٠٦ .

(٢٣٥) آيـة ١٠٦ .

(٢٣٦) آيـة ٦٧ .

(٢٣٧) المائـدة ٩٠ .

(٢٣٨) هي الاسراء في المصحف الشريف .

(٢٣٩) آيـة ٥٤ .

(٢٤٠) آيـة ٢٤ .

(٢٤١) التوبـة ١١٣ .

(٢٤٢) آيـة ١١٠ .

(٢٤٣) الاعراف ٢٠٥ .

(٢٤٤) آيـة ٢٩ .

(ن) : في التكوير : : « وما تَشَاءونَ إلاّ أنْ يشاءَ اللهُ ربُّ العالمين »[٢٤٥] .
وقيل : محكمة .

* * *

سورة مريم عليها السلام

(م) : خمسة . (ن) : موضعان .

(م) : «وأنْذِرْهُمْ يومَ الحَسْرَةِ »[٢٤٦] ، « فلا تَعْجَلْ عليهم »[٢٤٧] ، « قُلْ مَنْ كانَ في الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ له الرحمنُ مَدّاً »[٢٤٨] .

(ن) : آية السيف .

(م) : « فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ . . . الى : غَيّاً »[٢٤٩] .

(ن) : الاستثناء بعده ، وهو : « إلاّ مَنْ تابَ »[٢٥٠] .

(م) : « وإنْ منكم إلاّ وارِدُها »[٢٥١] .

(ن) : « ثم نُنَجِّي الذين اتَّقَوْا »[٢٥٢] .

* * *

سورة طـه

(م) : أربعة . (ن) : موضعان .

(م) : « فاصْبِرْ[٢٥٣] على ما يقولونَ »[٢٥٤] ، ولا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ الى ما مَتَّعْنا بهِ أزواجاً منهم زهرةَ الحياةِ الدنيا »[٢٥٥] ، « قُلْ كلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا »[٢٥٦] .

---

(٢٤٥) التكوير ٢٩ . (٢٤٦) آيـة ٣٩ .
(٢٤٧) آيـة ٨٤ . (٢٤٨) آيـة ٧٥ .
(٢٤٩) آيـة ٥٩ . (٢٥٠) آيـة ٦٠ .
(٢٥١) آيـة ٧١ . (٢٥٢) آيـة ٧٢ .
(٢٥٣) في الأصل : واصبر . والصواب ما في المصحف الشريف .
(٢٥٤) آيـة ١٣٠ . (٢٥٥) آيـة ١٣١ .
(٢٥٦) آيـة ١٣٥ .

(ن) : آية السيف .

(م) : « ولا تَعْجَلْ بالقرآنِ من قبلِ أنْ يُقْضَى إليكَ وَحْيُهُ » [٢٥٧]

(ن) : « سنُقْرِئُكَ فلا تَنْسَى » [٢٥٨]

* * *

سورة الأنبياء عليهم السلام

(م) : ثلاثة . (ن) : ثلاثة .

(م) : « إنكُمْ وما تعبدونَ من دونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ . . . » [٢٥٩] الآيات الثلاث .

(ن) : لعمومها : « إنَّ الذين سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الحُسْنَى . . . » [٢٦٠] الآيات الثلاث .

* * *

سورة الحج

(م) : أربعة . (ن) : موضع .

(م) : « قُلْ يا أيُّها الناسُ إنَّما أنا لكم نذيرٌ مبينٌ » [٢٦١] .

(ن) : لحكمها لا للفظها : آية السيف .

(م) : « وإنْ جادلوكَ فقُلِ اللهُ أعْلَمُ بما تعملونَ » [٢٦٢] .

(ن) : آية السيف .

(م) : « وأُحِلَّتْ لكُمُ الأنْعامُ » [٢٦٣] .

(ن) : الاستثناء بعدها ، وهو : « إلاَّ ما يُتْلَى عليكم » [٢٦٤]

(م) : « وجاهِدوا في اللهِ حَقَّ جِهادِهِ » [٢٦٥] .

---

(٢٥٧) آيــة ١١٤ .
(٢٥٨) الأعلى ٦ .
(٢٥٩) الآيات ٩٨ – ١٠٠ .
(٢٦٠) الآيات ١٠١ – ١٠٣ .
(٢٦١) آيــة ٤٩ .
(٢٦٢) آيــة ٦٨ .
(٢٦٣) آيــة ٣٠ .
(٢٦٤) آيــة ٣٠ .
(٢٦٥) آيــة ٧٨ .

(ن) : في التغابن : « فاتقوا اللهَ ما استطعتم »[٢٦٦]

* * *

سورة المؤمنين

(م) : موضعان . (ن) : موضع .

(م) : « فَذَرْهُمْ في غَمْرَتِهِمْ حتى حينٍ »[٢٦٧] ، « ادْفَعْ بالتي هي أحسنُ السَّيِّئةَ »[٢٦٨] .

(ن) : آية السيف .

* * *

سورة النور .

(م) : ثمانية . (ن) : عشرة .

(م) : « فإنْ تَوَلَّوْا فإنّما عليهِ ما حُمِّلَ وعليكم ما حُمِّلْتُمْ »[٢٦٩]

(ن) : آية السيف .

(م) : « ولا تَقْبَلُوا - (٩٣ ب) لهم شهادةً أبداً وأولئكَ هم الفاسقونَ »[٢٧٠]

(ن) : الاستثناء بعده ، وهو : « إلاّ الذينَ تابوا »[٢٧١] .

(م) : « الزاني لا يَنْكِحُ إلاّ زانِيَةً أو مُشْرِكَةً »[٢٧٢] : خبر معناه النهي.

(ن) : لحكم المشركين : « وأنْكِحُوا الأيامى مِنكُمْ »[٢٧٣] .

(م) : « والذينَ يرمونَ المُحْصَنَاتِ »[٢٧٤] .

(ن) : لبعض حكمها : « والذين يَرْمُونَ أزواجَهُمْ . . . إلى : الصادقين »[٢٧٥]

(م) : « يا أيُّها الذينَ آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غيرَ بيوتِكُم حتى تَسْتأنِسوا »[٢٧٦]

---

(٢٦٦) التغابن ١٦ .
(٢٦٧) آيـة ٥٤ .
(٢٦٨) آيـة ٩٦ .
(٢٦٩) آيـة ٥٤ .
(٢٧٠) آيـة ٤ .
(٢٧١) آيـة ٥ .
(٢٧٢) آيـة ٣ .
(٢٧٣) آيـة ٣٢ .
(٢٧٤) آيـة ٤ .
(٢٧٥) آيـة ٦ .
(٢٧٦) آيـة ٢٧ .

(ن) : لبعض حكمها : « ليسَ عليكم جُناحٌ أنْ تَدخلُوابيوتاً غيرَ مَسْكُونَة »[277].

(م) : « وقُل للمؤمناتِ يَغْضُضْنَ من أبْصارِهِنَّ »[278].

(ن) : لبعض حكمها : « والقواعِدُ من النساء اللاتي لا يرجونَ نِكاحاً فليسَ عليهِنَّ جُناحٌ أنْ يضَعْنَ ثيابَهُنَّ غيرَ مُتَبَرِّجات بزينة »[279]؛ ثم نُسِخَ أيضاً بقوله تعالى : « وأنْ يَسْتَعْفِفْنَ خيرٌ لَهُنَّ »[280].

(م) : « يا أيُّها الذين آمنوا ليستأذِنْكُمُ الذينَ مَلَكَتْ أيمانُكُمْ »[281]

(ن) : « وإذا بَلَغَ الأطفالُ منكم الحُلُمَ فليَستأذِنُوا »[282].

* * *

سورة الفرقان

(م) : أربعة . (ن) : موضع .

(م) : « وإذا خاطَبَهُمُ الجاهلونَ قالوا سَلاماً »[283].

(ن) : آية السيف .

(م) : « والذينَ لا يَدْعُونَ معَ اللهِ إلهاً آخرَ . . . إلى : مهاناً »[284]الآيتان .

(ن) : الاستثناء بعدهما ، وهو : « إلاَّ مَنْ تابَ » ([285]).

* * *

سورة الشعراء

(م) : ثلاثة . (ن) : موضع .

(م) : « والشعراءُ يَتَّبِعُهُمُ الغاوونَ . . . »[286] الآيات الثلاث .

(ن) : الاستثناء بعدها ، وهو : « إلاَّ الذينَ آمنوا »[278].

---

(٢٧٧) آيــة ٢٩ .

(٢٧٨) آيــة ٣١ .

(٢٧٩) آيــة ٦٠ .

(٢٨٠) آيــة ٦٠ .

(٢٨١) آيــة ٥٨ .

(٢٨٢) آيــة ٥٩ .

(٢٨٣) آيــة ٦٣ .

(٢٨٤) الآيتان ٦٨ و ٦٩ .

(٢٨٥) آيــة ٧٠ .

(٢٨٦) الآيات ٢٢٤ – ٢٢٦ .

(٢٨٧) آيــة ٢٢٧ .

* * *

سورة النمل

(م) : موضع .

(م) : « فَمَنِ اهتَدَى فإنّما يهتدي لنفسِهِ ومَنْ ضَلَّ فقُلْ إنّما أنا من المُنْذِرِينَ » [288] .

(ن) : لحكمها لا للفظها : آية السيف .

* * *

سورة القصص

(م) : موضع .

(م) : « وإذا سَمِعوا اللَّغْوَ أعْرَضُوا عنه وقالوا لنا أعمالُنا ولكم أعمالُكُمْ » [289] .

(ن) : آية السيف .

* * *

سورة العنكبوت

(م) : موضعان .

(م) : « وإنّما أنا نَذيرٌ مُبِينٌ » [290] .

(ن) : لحكمها لا للفظها : آية السيف .

(م) : « ولا تُجادِلوا أهْلَ الكتابِ إلاّ بالتي هي أحْسَنُ » [291] .

(ن) : آية القتال .

* * *

سورة الروم

(م) : موضعان .

(م) : « فاصْبِرْ » [292] ، « ولا يَسْتَخِفَنّكَ الذينَ لا يُوقِنونَ » [293]

(ن) : آية السيف .

---

(٢٨٨) آيـة ٩٢ .
(٢٨٩) آيـة ٥٥ .
(٢٩٠) آيـة ٥٠ .
(٢٩١) آيـة ٤٦ .
(٢٩٢) آيـة ٦٠ .
(٢٩٣) آيـة ٦٠ .

* * *

سورة لقمان

(م) : موضع .

(م) : « ومَنْ كَفَرَ فلا يَحزُنكَ كُفْرُهُ » [٢٩٤] .

(ن) : آية السيف .

* * *

سورة السجدة

(م) : موضع .

(م) : « فأعرِضْ عَنْهُمْ وانتظِرْ إنّهُمْ مُنتَظِرُونَ » [٢٩٥] .

(ن) : آية السيف .

* * *

سورة الأحزاب

(م) : موضعان . (ن) : موضع .

(م) : « ودَعْ أذاهُمْ » [٢٩٦] .

(ن) : آية السيف .

(م) : « لا يَحِلُّ لكَ النساءُ مِن بَعْدُ . . . إلى : ما ملكت يمينُكَ »[٢٩٧]

(ن) : الآية التي قبلها ، وهي : « يا أيُّها النبي إنّا أحلَلْنا لكَ أزواجَكَ اللاتي آتَيْتَ أُجورَهُنَّ » [٢٩٨] .

* * *

سورة سبأ

(م) : موضع .

(م) : « قُلْ - (٩٤ أ) لا تُسألُونَ عمّا أجرَمْنا » [٢٩٩] .

(٢٩٤) آيـة ٢٣ . (٢٩٥) آيـة ٣٠ .

(٢٩٦) آيـة ٤٨ . (٢٩٧) آيـة ٥٢ .

(٢٩٨) آيـة ٥٠ . (٢٩٩) آيـة ٢٥ .

(ن) : آية السيف .

* * *

سورة فاطر

(م) : موضع .

(م) : « إنْ أنتَ إلاَّ نذيرٌ » .[300]

(ن) : لحكمها لا للفظها : آية السيف .

* * *

سورة يس

(م) : موضع .

(م) : « فلا يَحزُنك قَوْلُهُمْ » [301] .

(ن) : آية السيف .

* * *

سورة والصافات

(م) : موضعان .

(م) : « فتَوَلَّ عَنْهُمْ حتى حينٍ وأبْصِرْهُمْ » [302] ، « وتَوَلَّ عَنْهُمْ حتى حينٍ وأبْصِرْ » [303] .

(ن) : آية السيف .

* * *

سورة ص

(م) : ثلاثة [304] .

(م) : « إلاَّ أنَّما أنا نذيرٌ مبينٌ » [305] . «اصبِرْ [306] على ما يقولونَ»[307] ، « ولَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بعدَ حينٍ » [308] .

---

(٣٠٠) آيـة ٢٣ .

(٣٠١) آيـة ٧٦ .

(٣٠٢) الآيتان ١٧٤ – ١٧٥ .

(٣٠٣) الآيتان ١٧٨ – ١٧٩ .

(٣٠٤) في الأصل : موضعان .

(٣٠٥) آيـة ٧٠ .

(٣٠٦) في الأصل : فاصبر . وما أثبتناه من المصحف الشريف .

(٣٠٧) آيـة ١٧ .

(٣٠٨) آيـة ٨٨ .

(ن) : آية السيف .

* * *

سورة الزُّمر

(م) : أربعة .

(م) : « فاعبدوا ما شئتُم مِنْ دونِه » [309] ، « قُلْ يا قومِ اعملوا على مكانَتِكُمْ » [310] ، «فَمَنِ اهتَدَى فلنفسِه ومَنْ ضَلَّ فإنَّما يَضِلُّ عليها » [311] .

(ن) : آية السيف .

* * *

سورة المؤمن [312] .

(م) : موضعان . (ن) : موضع .

(م) : « فاصبِرْ » [313] في موضعين .

(ن) : آية السيف .

* * *

سورة فُصِّلَت

(م) : موضع .

(م) : « ادفَعْ بالتي هي أحسنُ » [314] .

(ن) : آية السيف .

* * *

سورة حم عسق [315]

(م) : تسعة . (ن) : موضع .

(م) : « وما أنتَ عليهم بوكيلٍ » [316] ، « فمَنْ عفَا وأصلَحَ فأجرُهُ

(٣٠٩) آية ١٥ .

(٣١٠) آية ٣٩ .

(٣١١) آية ٤١ .

(٣١٢) هي غافر في المصحف الشريف .

(٣١٣) الآيتان ٥٥ ، ٧٧ .

(٣١٤) آية ٣٤ .

(٣١٥) هي الشورى في المصحف الشريف .

(٣١٦) آية ٦ .

على اللهِ » (٣١٧) ، « ولَمَنْ صَبَرَ وغَفَرَ » (٣١٨) ، « فإنْ أعْرَضُوا فما أرسلناكَ عليهم حفيظاً » (٣١٩) .

(ن) : آية السيف .

(م) : « لنا أعمالُنا ولكم أعمالُكم لا حُجّةَ بَيْنَنا وبَيْنَكُمْ » (٣٢٠) .

(ن) : آية القتال .

(م) : « ويستَغْفِرُونَ لمنْ في الارضِ » (٣٢١) .

(ن) : عمومها في غافر : « ويستغفرونَ للذينَ آمنوا » (٣٢٢) .

(م) : « ومَنْ كانَ يُريدُ حرْثَ الدنيا نُؤْتِهِ منها » (٣٢٣) .

(ن) : في سبحان : « مَنْ كانَ يُرِيدُ العاجلةَ عجّلْنا له فيها ما نشاءُ لمنْ نُريدُ » (٣٢٤) .

(م) : « والذين إذا أصابَهُمُ البَغْيُ هم ينتصرونَ . . . الى : إليمٌ » (٣٢٥)

(ن) : « ولَمَنْ صَبَرَ وغَفَرَ » (٣٢٦) .

(م) : « قُلْ لا أسألُكُمْ عليه أجراً إلاّ المودَّةَ في القُرْبَى » (٣٢٧) .

(ن) : في سبأ : « قُلْ ما سألْتُكُم من أجْرٍ فهو لكم » (٣٢٨) . وقيل : محكمةٌ .

• • •

سورة الزخرف

(م) : ثلاثة .

---

(٣١٧) آية ٤٠ . وفي الأصل : فمن عفى .

(٣١٨) آيـة ٤٣ .

(٣١٩) آيـة ٤٨ .

(٣٢٠) آيـة ١٥ .

(٣٢١) آيـة ٥ .

(٣٢٢) غافر ٧ .

(٣٢٣) آيـة ٢٠ .

(٣٢٤) الاسراء ١٨ .

(٣٢٥) الآيات ٣٩ – ٤٢ .

(٣٢٦) آيـة ٤٣ .

(٣٢٧) آيـة ٢٣ .

(٣٢٨) سبأ ٤٧ .

(٣٢٩) آيـة ٤١ .

(م) : « فإمّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فإنّا منهم منتقمون » (٣٢٩) ؛ « فاصفَحْ عنهم وقُلْ سَلامٌ » (٣٣٠) ، « فذَرْهُمْ يخوضوا ويلعَبُوا » (٣٣١) .

(ن) : آية السيف .

* * *

سورة الدخان

(م) : موضعان .

(م) : « فارْتَقِبْ يومَ تأتي السماءُ بدُخانٍ مُبينٍ » (٣٣٢) ، « فارتَقِبْ إنّهُمْ مُرْتَقِبونَ » (٣٣٣) .

(ن) : آية السيف .

* * *

سورة الجاثية

(م) : موضع .

(م) : « قُل للذينَ آمنوا يَغْفِروا للذينَ لا يرجونَ أيّامَ اللهِ » (٣٣٤) .

(ن) : آية السيف .

* * *

سورة الأحقاف

(م) : موضع .

(م) : « ما أدري ما يُفْعَلُ بي ولا بِكُمْ » . (٣٣٥) .

(ن) : « ليغفِرَ لكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ من ذنبِكَ وماتأخّرَ » (٣٣٦) .

* * *

سورة القتال (٣٣٧)

(م) : موضعان . (ن) : موضع .

(م) : « فإذا لَقيتُمُ الذينَ كفروا فَضَرْبَ الرقابِ » (٣٣٨) .

(٣٢٩) آية ٤١ .
(٣٣٠) آية ٨٩ .
(٣٣١) آية ٨٣ .
(٣٣٢) آية ١٠ .
(٣٣٣) آية ٥٩ .
(٣٣٤) آية ١٤ .
(٣٣٥) آية ٩ .
(٣٣٦) الفتح ٢ .

(ن) : في الأنفال : « إذْ يُوحي ربُّكَ الى الملائكةِ أنّي معكم »[339] .

(م) : « ولا - (٩٤ب) يسألْكُمْ أموالَكُمْ »[340] .

(ن) : « إنْ يسألْكُمُوها . . . »[341] الآية .

• • •

سورة الفتح

محكمةٌ .

• • •

سورة الحجرات

محكمـــةٌ .

• • •

سورة ق

(م) : موضعان .

(م) : « فاصْبِرْ على ما يقولونَ »[342] ، « وما أنْتَ عليهم بجبّارٍ »[343] .

(ن) : آية السيف .

• • •

سورة والذاريات

(م) : موضعان .

(م) : « فتَوَلَّ عنهم فما أنتَ بملومٍ »[344] .

(ن) : آية السيف . وقيل : « وذكِّرْ فإنَّ الذِّكْرى تنفعُ المؤمنين »[345]

(م) : « وفي أموالِهِم حَقٌّ للسائلِ والمحرومِ »[346].

---

(٣٣٧) هي سورة محمد في المصحف الشريف .

(٣٣٨) آيـــة ٤ .

(٣٣٩) الأنفال ١٢ .

(٣٤٠) آيـــة ٣٦ .

(٣٤١) آيـــة ٣٧ .

(٣٤٢) آيـــة ٣٩ .

(٣٤٣) آيـــة ٤٥ .

(٣٤٤) آيـــة ٥٤ .

(٣٤٥) آيـــة ٥٥ .

(٣٤٦) آيـــة ١٩ .

(ن) : في براءة : « إنّما الصدقاتُ للفقراءِ والمساكينَ » [٣٤٧]

• • •

سورة والطور

(م) : ثلاثة . (ن) : موضع .

(م) : « قُلْ تَرَبَّصُوا فإنّي معكم من المتَرَبِّصينَ » [٣٤٨] ، « واصبِرْ [٣٤٩] لحكمِ ربِّكَ فإنّكَ بأعيُنِنا » [٣٥٠] ؛ «فذَرْهُمْ حتى يُلاقوا يَوْمَهُمُ الذي فيه يُصْعَقونَ » [٣٥١] .

(ن) : آية السيف .

• • •

سورة والنجم

(م) : موضعان

(م) : « فاعرض عمن تَوَلّى عن ذكرنا » [٣٥٢] .

(ن) : آية السيف .

(م) : « وأنْ ليسَ للانسانِ إلاّ ما سَعَى » [٣٥٣] .

(ن) : في الطور : « والذينَ آمنوا واتّبَعَتْهُمْ ذُرِّيّتُهُم بإيمانٍ . . » [٣٥٤] الآية .

• • •

سورة القمر

(م) : موضع .

(م) : « فتَوَلَّ عَنْهُم » [٣٥٥] .

(ن) : آية السيف .

---

(٣٤٩) في الأصل : فاصبر . وما أثبتناه من المصحف الشريف .

(٣٥٠) آيــة ٤٨ . (٣٥١) آيــة ٤٥ .

(٣٥٢) آيــة ٢٩ . (٣٥٣) آيــة ٣٩ .

(٣٥٤) الطور ٢١ . (٣٥٥) آيــة ٦ .

سورة الرحمن عزَّ وجلَّ

محكمةٌ .

• • •

سورة الواقعة

(م) : موضع . (ن) : موضع .
(م) : « ثُلَّةٌ من الأوَّلينَ وقليلٌ من الآخرينَ » (٣٥٦) .
(ن) : « ثُلَّةٌ من الأوَّلينَ وثُلَّةٌ من الآخرينَ » (٣٥٧)
وقيل : محكمة .

• • •

سورة الحديد

محكمةٌ .

• • •

سورة المجادلة

(م) : موضع . (ن) : موضع .
(م) : « يا أيّها الذينَ آمنوا إذا ناجيْتُمُ الرسولَ فقدِّمُوا بين يدَيْ نجواكُمْ صدقةً » (٣٥٨) .
(ن) : « أأشفقتُمْ أنْ تُقَدِّمُوا بين يدَيْ نجواكم صدقات » (٣٥٩) .

• • •

سورة الحشر

(م) : موضع . (ن) : موضع .

---

(٣٥٦) الآيتان ٢٢ و ١٤ .
(٣٥٧) الآيتان ٣٩ و ٤٠ .
(٣٥٨) آيـة ١٢ .
(٣٥٩) آيـة ١٣ .

(م) : «ما أفاءَ اللهُ على رسولِـهِ من أهلِ القُرى . . . الى قوله : وابنِ السبيل»[٣٦٠]
(ن) : في الأنفال : « واعْلَمُوا أنَّما غَنِمْتُم من شيءٍ » .[٣٦١]

• • •

سورة الممتحنة

(م) : ثلاثة . (ن) : موضع .
(م) : « أنْ تَبَرُّوهُمْ وتُقْسِطُوا إليهم » [٣٦١] .
(ن) : آية السيف .
(م) : « لا ينهاكُمُ اللهُ عن الذينَ لم يقاتلوكُمْ في الدينِ » [٣٦٢]
(ن) : « إنَّما ينهاكُمُ الله عن الذين قاتلوكُمْ في الدينِ »[٣٦٣] .
(م) : « واسْألُوا ما أنْفَقْتُمْ » [٣٦٤] .
(ن) : في براءة : « بَرَاءَةٌ من اللهِ ورسولِهِ » [٣٦٥] .

• • •

سورة الصف وسورة الجمعة

محكمتان .

• • •

سورة المنافقين

محكمةٌ .

• • •

سورة التغابن

محكمة .

• • •

(٣٦٠) آيـة ٧ . (٣٦١) الأنفال جـ٤ .
(٣٦٢) آيـة ٨ . (٣٦٣) آيـة ٨ .
(٣٦٤) آيـة ٩ . (٣٦٥) آيـة ١٠ .
(٣٦٦) التوبـة ١ .

سورة الطلاق

محكمـــة

• • •

سورة التحريم وسورة الملك

محكمتان .

• • •

سورة ن [٣٦٧]

(م) : موضعان .

(م) : « فَذَرْني ومَنْ يُكَذِّبُ بهذا الحديث » [٣٦٨] ، « فاصبِرْ [٣٦٩] لحُكْمِ ربِّكَ » [٣٧٠] .

(ن) : آية السيف .

• • •

سورة الحاقة

محكمـــة .

• • •

سورة المعارج [٣٧١]

(م) : ثلاثة .

(م) : « فاصبِرْ صبراً جميلاً » [٣٧٢] ، « فَذَرْهُم يَخُوضُوا ويَلْعَبُوا » [٣٧٣]

- (٩٥ أ) (ن) : آية السيف .

(م) : « وفي أموالهم حقٌّ معلومٌ للسائلِ » [٣٧٤] .

---

(٣٦٧) هي سورة القلم في المصحف الشريف . (٣٦٨) آيـة ٤٤ .

(٣٦٩) في الأصل : واصبر . وما أثبتناه من المصحف الشريف .

(٣٧٠) آيـة ٤٨ . (٣٧١) وتسمى (سأل سائل) أيضاً .

(٣٧٢) آيـة ٥ . (٣٧٣) آيـة ٤٢ .

(٣٧٤) الآيتان ٢٤ و ٢٥ .

(ن) : في براءة : « خُذْ من أموالِهِم صَدَقَةً » [٣٧٥] ، « إنّما الصدقاتُ للفقراءِ » [٣٧٦] .

• • •

سورة نوح عليه السلام وسورة الجن [٣٧٧]

محكمتان .

• • •

سورة المزمل

(م) : تسعة . (ن) : موضعان

(م) : « واصبِرْ على ما يقولونَ واهجرْهُمْ هَجْراً جميلاً » [٣٧٨] ، «وذَرْني والمُكَذِّبينَ » [٣٧٩] ، « فَمَنْ شاءَ اتخذَ الى ربِّهِ سبيلاً » [٣٨٠] .

(ن) : آية السيف .

(م) : « قُمِ الليلَ إلاّ قليلاً . . . إلى : قِيلاً » [٣٨١] الآيات الخمس[٣٨٢]

(ن) : « إنَّ ربَّكَ يعلمُ أنّكَ تقومُ أدنى من ثلثي الليل . . . » [٣٨٣] الآية .

• • •

سورة المدثر

(م) : ثلاثة [٣٨٤] . (ن) : موضعان

(م) : « ذَرْني وَمَنْ خَلَقْتُ وحيداً » [٣٨٥] .

(ن) : آية السيف .

---

(٣٧٥) التوبة ١٠٣ .
(٣٧٦) التوبة ٦٠ .
(٣٧٧) في الأصل : فاصبر . وما أثبتناه من المصحف الشريف .
(٣٧٨) آية ١٠ .
(٣٧٩) آية ١١ .
(٣٨٠) آية ١٩ .
(٣٨١) الآيات ٢ — ٦ .
(٣٨٢) في الأصل : الثلاث .
(٣٨٣) الانسان ٢٠ .
(٣٨٤) في الأصل : موضعان .
(٣٨٥) آية ١١ .

(م) : « كلُّ نفسٍ بما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ » [386] .

(ن) : « إلاَّ أصحابَ اليمينِ » [387] . ولعمومها في الفتح : « ليغفرِ لكَ اللهُ ما تقدَّمَ من ذَنبك وما تأخَّرَ » [388] .

(م) : « فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ » [389] .

(ن) : « وما يذكرون إلاَّ أنْ يشاءَ اللهُ » [390] .

• • •

سورة القيامة

(م) : موضع .

(م) : « لا تُحَرِّكْ بِهِ لسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ » [391] .

(ن) : في الأعلى : « سنُقْرِئُكَ فلا تَنْسَى » [392] .

• • •

سورة الانسان

(م) : موضعان .

(م) : « وأسيراً » [393] ، « فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إلى ربِّهِ سبيلاً » [394]

(ن) : آية السيف .

• • •

سورة المرسلات والنبأ والنازعات

محكمات .

• • •

(٣٨٦) آيـة ٣٨ .

(٣٨٧) آيـة ٣٩ .

(٣٨٨) الفتـح ٢ .

(٣٨٩) آيـة ٥٥ . وفي الأصل : إن شاء .

(٣٩٠) آيـة ٥٦ .

(٣٩١) آيـة ١٦ .

(٣٩٢) الأعلى ٦ .

(٣٩٣) آيـة ٨ .

(٣٩٤) آيـة ٢٩ .

سورة عبس

(م) : موضع .

(م) : « فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ » [٣٩٥] .

(ن) : « وما تشاءونَ إلاّ أنْ يشاءَ اللهُ » [٣٩٦] .

• • •

سورة التكوير

(م) : موضع . (ن) : موضع .

(م) : « لمنْ شاءَ منكم أنْ يستقيمَ » [٣٩٧] .

(ن) : « وما تشاءونَ إلاّ أنْ يشاءَ اللهُ » [٣٩٨] . وقيل : محكمة .

• • •

سورة الانفطار والمطففين والانشقاق والبروج

محكمات .

• • •

سورة الطارق

(م) : موضع .

(م) : « فَمَهِّلِ الكافرينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً » [٣٩٩] .

(ن) : آية السيف .

• • •

سورة الأعلى

محكمة .

---

(٣٩٥) آية ١١ . وفي الأصل : (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) . وهو سهو ، ينظر : ابن حزم ١٣٦ ، ابن سلامة ٩٨ ، العتائقي ٨٢ ، ابن المتوج ٢٠٥ .

(٣٩٦) الانسان ٣٠ .

(٣٩٧) آية ٢٨ .

(٣٩٨) آية ٢٩ .

(٣٩٩) آية ١٧ .

سورة الغاشية

(م) : موضع .
(م) : « لَسْتَ عليهم بمصَيْطِرٍ »[400] .
(ن) : آية السيف .

* * *

سورة الفجر إلى آخر سورة التكاثر

محكمات .

• • •

سورة والعصر

(م) : موضع . (ن) : موضع .
(م) : « إنّ الإنسانَ لفي خُسْرٍ » [401]
(ن) : الاستثناء بعده ، وهو : « إلاّ الذينَ آمنوا » [402] .

• • •

سورة الهمزة إلى آخر الكوثر

محكمات .

• • •

سورة الكافرين

(م) : موضع .
(م) : « لَكُمْ دِينُكُمْ ولي دِينِ » [403] .
(ن) : آية السيف .

• • •

سورة النصر الى آخر الناس

محكمات .

---

(٤٠٠) آيــة ٢٢ .
(٤٠١) آيــة ٢ .
(٤٠٢) آيــة ٣ .
(٤٠٣) آيــة ٦ .

خاتمـــة :

اعلم ان المتقدمين كابن عباس [٤٠٤] ، رضي الله عنه وغيره كانوا يطلقون النسخ على التخصيص والاستثناء والأحوال المشكلة كالأمر بالقتال بعد الأمر بالصبر والصفح - (٩٥ب) لاشتراك الجميع في ازالة الحكم المتقدم .

وأما المتأخرون فانّهم لا يسمون ذلك نسخاً ، لأنّ النسخ عندهم رفع الحكم الثابت نصاً بنص آخر لولاه لكان الأول ثابتاً .

وهذا الخلاف إنّما هو في الأصطلاح ، ولهذا جعل المتقدمون آية السيف ناسخة لمائة وأربع عشرة [٤٠٥] آية ، وخالفهم المتأخرون [٤٠٦] في ذلك وقالوا لا ينسخ بآية القتال إلاّ ما فيه نهي عن القتال ، وليس في القتال ذلك ؛ لأنّـه قبل الأمر بالقتال لم يكن قادراً عليه فلا يصح نهيه عنه .

واعلم أنّ الناسخ متأخر نزوله عن المنسوخ ؛ وقد يوضع في التأليف متقدّماً عليه . ولذلك قد يتأخر المكي عن المدني في السور .

والناسخ يكون مدنياً لا غير ، إمّا ناسخاً لمكيٍّ أو لمدنيٍّ نزل قبله .

وكل سورة فيها (كلاّ) فهي مكية . وكذا ما افتتحت بالحروف سوى البقرة وآل عمران ؛ وفي الرعد خلاف . وكذا ما فيها قصة آدم وابليس سوى البقرة ، قيل : وكذا ما فيها القصص أو فيها (يا أيُّها الناس) دون (يا أيُّها الذين آمنوا) [٤٠٧] .

---

(٤٠٤) عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب : صحابي ، توفي سنة ٦٨ هـ . (المعارف ١٢٣ ، نكت الهميان ١٨٠ ، الإصابة ١٤١/٤ - ١٥٢) .

(٤٠٥) في الأصل : وأربعة عشر . وهو تحريف .

(٤٠٦) في الأصل : المتقدمون .

(٤٠٧) ينظر : البرهان ١٨٧/١ ، الاتقان ٤٧/١ .

والمشهور أنّ المدني : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة والنور والأحزاب والقتال والفتح والحجرات والحديد إلى آخر التحريم ، ولم يكن والنصر والفلق والناس .

وفي الفاتحة والرعد والحج والصف والانسان والاخلاص خِلافٌ . والباقي مكيٌّ . والله سبحانه أعلمُ [٤٠٨] .

والحمد لله وحده وصلّى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلّم .

* * *

(٤٠٨) ينظر في المكي والمدني : قتادة : ٦٨ ، البرهان ١٩٣/١ - ١٩٤ ، مباحث في علوم القرآن ١٦٤ - ٢٣٣ .

الحقيقة الشرعية وتنمية اللغة العربية

الدكتور أحمد مطلوب

كلية الآداب — جامعة بغداد

اللغة أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم » [1] ، وهي مرتبطة بتطور المجتمع والفكر الانساني ، ولذلك نجد لغات الشعوب المتطورة متقدمة على غيرها في مفرداتها واستعمالها .

واللغة العربية نشأت كغيرها من اللغات لتسدّ حاجة المتكلمين بها ، وكانت في أول أمرها مقتصرة على الألفاظ الوضعية التي عبّرت عما أحاط بالعربي في بيئته ثم تطورت بتطوره خلال العصور المختلفة . والكلمة حينما توضع لتدل على شيْ تسمى « حقيقة » ، وهي « فَعيلة » بمعنى « مفعولة » واشتقاقها من « حق الشيْ — يحقه » إذا أثبته ، أو من « حققت الشيْ أحقه » إذا كنت منه على يقين . ولذلك فهي دلالة اللفظ على المعنى الموضوع له في أصل اللغة . وللحقيقة تعريفات كثيرة في كتب اللغة والبلاغة والاصول ، منها تعريف احمد بن فارس الذي قال إنها « الكلام الموضوع موضعه الذي ليس باستعارة ولا تمثيل ولا تقديم فيه ولا تأخير [2] . وقال ابن جني : « الحقيقة ما أقرّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة [3] . وقال عبدالقاهر الجرجاني : « كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضع ؛ وإن شئت قلت في مواضعة — وقوعاً لا تستند فيه الى غيره فهي حقيقة . وهذه

---

(1) الخصائص ج 1 ص ٣٣ .

(2) الصاحبي ص ١٩٧ .

(3) الخصائص ج ٢ ص ٤٤٢ .

العبارة تنتظم الوضع الأول وما تأخر عنه كنفة تحدث في قبيلة من العرب أو في جميع العرب أو في جميع الناس مثلاً أو تحدث اليوم . ويدخل فيها الأعلام منقولة كانت كزيد وعمرو ، أو مرتجلة كغطفان ، وكل كلمة استؤنف لهـا على الجملة مواضعة أو ادعي الاستئناف فيها » [4] . وهذا تعريفها في المفرد أما حدّها في الجملة فهي : « كل جملة وضعتها على أن الحكم المفاد بها على ما هو عليه في العقل وواقع منه فهي حقيقة . وان تكون كذلك حتى تعرى من التأول . ولا فصل بين أن تكون مصيباً فيما أفدت به من الحكم أو مخطئاً ، وصادقاً أو غير صادق » [5] . وقال ابن الأثير : « فأما الحقيقة فهي اللفظ الدال على موضوعه الأصلي » [6] . وقال السكاكي : « فالحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع كاستعمال « الأسد » في الهيكل المخصوص. فلفظ « الأسد » موضوع له بالتحقيق ولا تأويل فيه » . ثم قال : : « ولك أن تقول : الحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة كاستعمال « الأسد » في الهيكل المخصوص » . [7] وقال الخطيب القزويني : « الحقيقة : الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح به التخاطب » [8] . وفسّر هذا التعريف بقوله : « فقولنا : (المستعملة) احتراز عما لم يستعمل ، فان الكلمة قبل الاستعمال لا تسمى حقيقة . وقولنا : (فيما وضعت له) احتراز عن شيئين : أحدهما : ما استعمل في غير ما وضعت له غلطاً كما إذا أردت أن تقول لصاحبك: « خذ هذا الكتاب » مشيراً الى كتاب بين يديك فغلطت فقلت : « خذ هـــذا الفرس » .

(٤) اسرار البلاغة ص ٣٢٤ .
(٥) اسرار البلاغة ص ٣٥٥ .
(٦) المثل السائر ج ١ ص ٥٨ .
(٧) مفتاح العلوم ص ١٦٩ – ١٧٠ .
(٨) الايضاح ص ٢٦٥ ، التلخيص ص ٢٩٣ .

والثاني : أحد قسمي المجاز ، وهو ما استعمل فيما لم يكن موضوعاً له لا في اصطلاح به التخاطب ولا في غيره كلفظة « الأسد » في الرجل الشجاع .

وقولنا : (في اصطلاح به التخاطب) احتراز عن القسم الآخر من المجاز : وهو ما استعمل فيما وضع له في اصطلاح به التخاطب كلفظ « الصلاة » يستعمله المخاطب بعرف الشرع في الدعاء مجازاً » . وذكر يحيى بن حمزة العلوي أن اجمع تعريف في بيانها ما ذكره أبو الحسين البصري فانه قال : « ما أفاد معنى مصطلحاً عليه في الوضع الذي وقع فيه التخاطب » [9] .

ولا يخرج تعريف الاصوليين عن هذا المعنى ، فالحقيقة عندهم « اسم لكل لفظ هو موضوع في الاصل لشيء معلوم » [10] .

وهذه التعريفات وغيرها تؤدي الى معنى واحد ، وهو ان الحقيقة استعمال اللفظة في وضعها الأول بحيث لا يتبادر الى الذهن غير ذلك حينما تطلق : كاستعمال « القلم » للدلالة على آلة الكتابة ، واستعمال « القمر » للدلالة على الكوكب المعروف . ويسمى هذا النوع « الحقيقة اللغوية » لان الالفاظ تستعمل بمعناها الأول ، أو « الاسم الأصلي » [11] لانه أصل فيما هو موضوع له .

والنوع الثاني من الحقيقة هو « الحقيقة العرفية » وذلك إذا نقلت الألفاظ من مسماها اللغوي الى غيره بعرف الاستعمال ، وذلك العرف قد يكون عاماً كاستعمال « الجن » للدلالة على بعض من يستتر عن العيون ، و « القارورة » للدلالة على بعض الآنية دون غيرها مما يستقر فيه . وقد يكون خاصاً وهو ما كان جارياً على ألسنة العلماء من المصطلحات التي تخص كل علم نحو ما يجريه أهل العلوم في كتبهم وما يصطنعه أهل الحرف والصناعات في أعمالهم .

ولكل نوع من هذه الأنواع أهمية في التعبير ، فالحقيقة اللغوية هي المعوّل

(٩) الطراز ج ١ ص ٤٧ .

(١٠) اصول السرخسي ج ١ ص ١٧٠ ، وينظر المستصفى من علم الاصول ج ١ ص ٣٤١ ، وفواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت ج ١ ص ٢٠٣ ، ونهاية السؤل ج ١ ص ٢٤٣ ، ومناهج العقول ج ١ ص ٢٤٣ .

(١١) اصول السرخسي ج ١ ص ١٧٠ .

عليها في كلام الناس وكتبهم العامة ، والحقيقة العرفية هي أساس المصطلحات العلمية في كل فرع من فروع العلم والمعرفة وفيما يتفق عليه في بيئة من البيئات أو في عهد من العهود . أما القسم الثالث فهو « الحقيقة الشرعية » وقد عرّفها البلاغيون والاصوليون بقولهم : « هي اللفظة التي يُستفاد من جهة الشرع وضعها لمعنى غير ما كانت تدل عليه في أصل وضعها اللغوي » [12] .

وهذا النوع من أثر الاسلام في اللغة ؛ فقد نزل القرآن الكريم على العرب وهم أهل فصاحة وبلاغة ، وابكم سحرهم وعجزوا عن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . ولم يؤثر القرآن في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فحسب وانما أثّر في كل جانب من جوانب الحياة ؛ وكانت اللغة أحد تلك الجوانب التي تأثرت بالكتاب العزيز تأثراً كبيرا ، وكانت ألفاظه عمدة المتكلمين وزاد المنشئين ، قال الراغب الاصفهاني : « فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه ، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم ، واليها مفزع حذّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم . وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالاضافة اليها كالقشور والنوى بالاضافة الى أطايب الثمرة ، وكالحثالة والتبن بالاضافة الى لبوب الحنطة » [13] . وقال ابن فارس : « كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم فلما جاء الله – جل ثناؤه – بالاسلام حالت أحوال ونُسخت ديانات وأبطلت أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع الى مواضع أخر بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت . فعفّى الآخر الأول وشغل القوم بعد المغاورات والتجارات وتطلب الأرباح والكدح للمعايش في رحلة الشتاء والصيف ، وبعد الاغرام بالصيد والمعاقرة والمياسرة بتلاوة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وبالتفقه في دين الله – عز

(١٢) الطراز ج ١ ص ٥٥ ، نهاية السؤل ج ١ ص ٢٥١ .
(١٣) المفردات في غريب القرآن ص ٦ ، وينظر المزهر ج ١ ص ٢٠١ .

وجل – وحفظ سنن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مع اجتهادهم في مجاهدة أعداء الاسلام . فصار الذي نشأ عليه آباؤهم ونشأوا عليه كأن لم يكن ، وحتى تكلموا في دقائق الفقه وغوامض أبواب المواريث وغيرها من علم الشريعة وتأويل الوحي بما دوّن وحفظ حتى الآن »[١٤] وكان لا بُدّ لمثل هذا التطور أن تستجيب اللغة العربية للجديد ، وبذلك نقل الاسلام ألفاظاً من مواضع الى مواضع ، وهذا النقل الذي يمس الشريعة يسمى « الحقيقة الشرعية » وهو من أسباب نمو اللغة وفتح باب تطور الدلالة وانتقال الألفاظ من معنى معروف الى آخر يقتضيه الشرع وتتطلبه الحياة الجديدة .

والحقيقة الشرعية قسمان :

الأول : اسماء شرعية ، وهي التي لا تفيد مدحاً ولا ذماً عند اطلاقها كألفاظ أركان الاسلام الخمسة وغيرها من مصطلحات الفقه الاسلامي . وهذا ما اتفق عليه البلاغيون ومعظم الاصوليين غير ان عضد الدين الايجي قال : « الاسماء الشرعية المستعملة في أصول الدين كالايمان والكفر والمؤمن والكافر »[١٥] وليست هذه اسماء شرعية وانما هي أسماء دينية ولذلك قال الايجي : « والمعتزلة يسمونها أسماء دينية لا شرعية تفرقة بينها وبين الألفاظ المستعملة في الافعال الفرعية » ، وهذا ما استقرت عليه المصطلحات . فالاسماء الشرعية مثل لفظة « الشهادة » : وهي في اللغة الحضور ، والشهيد : الحاضر ، والشهادة والمشهد : المجمع من الناس ، ومحضر الناس [١٦] . وهي في الشرع الايمان بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم . والتشهد في الصلاة قراءة « اشهد ان لا إله إلاّ الله ، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله » . ولها معنى آخر في الشرع وهو « الاخبار عن أمر حضره الشهود وشاهدوه إما معاينة كالافعال نحو القتل والزنا ، أو سماعاً كالعقود

(١٤) الصاحبي ص ٧٨ ، وينظر المزهر ج ١، ص ٢٩٤، .
(١٥) المواقف ج ٨ ص ٣٢٢ .
(١٦) لسان العرب (شهد) .

والاقرارات » (١٧) . أو كما قال الشريف الجرجاني : « هي في الشريعة إخبار عن عيان بلفظ الشهادة في مجلس القاضي بحق للغير على آخر . فالاخبارات ثلاثة : إما بحق للغير على آخر وهو الشهادة ، أو بحق للمخبر على آخر وهو الدعوى ، أو بالعكس وهو الاقرار » . (١٨) فالشهادة في الشرع اعتراف بخالق الكون وبرسالة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وهي الاقرار أو الاعتراف معاينة أو سماعاً . وهذه غير الدلالة اللغوية الاولى التي تشير الى الحضور او المعاينة المطلقة.

والصلاة : وهي في اللغة الدعاء والاستغفار ؛ قال الأعشى :

وصهباء طاف يهوديّها ... وأبرزها وعليها ختم

وقابلها الريح في دنها ... وصلّى على دنها وارتسم

أي انه دعا لها أن لا تحمض ولا تفسد .

والصلاة من الله تعالى : الرحمة ، قال عديّ :

صلى الاله على امرئٍ ودّعته ... وأتمّ نعمته عليه وزادها

وصلاة الله على رسوله : رحمته له وحسن ثنائه عايه ، قال تعالى : « إنّ اللهَ وملائكتَهُ يُصلّون على النبيّ ، يا أيُّها الذين آمنوا صَلّوا عليهوسَلّموا تسليما »(١٩) فالصلاة من الملائكة دعاء واستغفار ومن الله رحمة وبه سميت الصلاة لما فيها من الدعاء والاستغفار. ومن الصلاة بمعنى الاستغفار حديث سودة انها قالت: يا رسول الله إذا متنا صلى لنا عثمان بن مظعون حتى تأتينا . فقال لها :إن الموت أشدّ مما تقدرين . فقولها « صلى لنا » أي : استغفر لنا عند ربه (٢٠) . والصلاة في الشرع « عبارة عن أركان مخصوصة وأذكار معلومة بشرائط محصورة في أوقات مقدّرة »(٢١)

(١٧) الاختيار لتعليل المختار ج ٢ ص ١٣٩ .
(١٨) التعريفات ص ١١٤ .
(١٩) الأحزاب ٥٦ .
(٢٠) لسان العرب (صلا) .
(٢١) الاختيار ج ١ ص ٣٧ ، وينظر التعريفات ص ١١٧ .

وهذا معنى جديد لم يكن معروفاً قبل الاسلام بهذه الأركان والشرائط ، وان كان المعنى القديم وهو الدعاء جزءً منها . قال ابن الأثير : « وأصلها في اللغة الدعاء ، فسميت ببعض أجزائها ، وقيل ان أصلها في اللغة التعظيم ، وسميت العبادة المخصوصة صلاة لما فيها من تعظيم الرب تعالى ، وقوله في التشهد الصلوات لله أي الأدعية التي يراد بها تعظيم الله تعالى » [٢٢] .

والصوم : وهو في اللغة ترك الطعام والشراب والنكاح والكلام ، وهو الصبر أيضاً . والصائم من الخيل : القائم الساكن الذي لا يطعم شيئاً ، قال النابغة الذبياني :

خيل صيام وخيل غير صائمة ‏ ‏ ‏ ‏ تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

والصوم : الامساك عن الشيء والترك له ، وقيل للصائم : صائم ، لا مساكه عن المطعم والمشرب والمنكح ، وقيل للصامت : صائم ، لا مساكه عن الكلام ، وقيل للفرس : صائم ، لا مساكه عن العلف مع قيامه [٢٣] . والصوم في الشرع « عبارة عن امساك مخصوص ، وهو الامساك عن المفطرات الثلاث بصفة مخصوصة ، وهو قصد التقرب من شخص مخصوص ، وهو المسلم بصفة مخصوصة ، وهي الطهارة عن الحيض والنفاس في زمان مخصوص ، وهو بياض النهار من طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس » [٢٤] . أو هو « امساك مخصوص ، وهو الامساك عن الأكل والشرب والجماع من الصبح الى المغرب مع النية » [٢٥] . ويشمل ذلك الصوم في شهر رمضان أو في أي يوم آخر من أيام السنة قضاءً أو تطوعاً مع النية .

والحج : وهو في اللغة القصد ، يقال : حج الينا ، فلان قدم أي، وحجّه

---

(٢٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٣ ص ٥٠ ، وينظر لسان العرب (صلا) .

(٢٣) لسان العرب (صوم) .

(٢٤) الاختيار ج ١ ص ١٢٥ .

(٢٥) التعريفات ص ١١٩ .

يحجه حجاً قصده ، وحججت فلانا واعتمدته أي قصدته ، ورجل محجوج أي مقصود . وقد حجّ بنو فلان فلانا إذا أطالوا الاختلاف اليه ، قال المخبل السعدي :

وأشهد من عوف حلولاً كثيرة يحجون بيت الزبرقان المزعفرا

أي يقصدونه ويزورونه . هذا هو الأصل ثم تعورف استعمال في القصد الى مكة المكرمة والحج الى البيت الحرام (٥) . والحج في الشرع : « قصد موضع مخصوص وهو البيت بصفة مخصوصة في وقت مخصوص بشرائط مخصوصة »[٢٦] أي انه ليس الحج المطلق الذي كان معروفاً في الجاهلية وانما هو الركن الذي أوجبه الله سبحانه وتعالى على من استطاع اليه سبيلا من المسلمين ، والقيام بشرائط مخصوصة في وقت مخصوص .

ويتصل بالحج أو قصد البيت الحرام ، العمرة : وهي طاعة الله — عز وجل — وفي اللغة مأخوذة من الاعتمار وهو الزيارة ، ومعنى اعتمر في قصد البيت انه انما خصّ بهذا لانه قصد بعمل في موضع عامر ولذلك قيل للمحرم بالعمرة معتمر . ويقال : اعتمره أي زاره ، ويقال : أتانا فلان معتمراً أي زائراً ، ومنه قول أعشى باهلة :

وجاشت النفس لمّا جاء فلّهم وراكب جاء من تثليث معتمر[٢٧]

والعمرة في الشرع هي الطواف بالبيت الحرام والسعي بين الصفا والمروة من غير وقوف في عرفة كما هو في الحج المعروف . أو هي زيارة البيت الحرام بالشروط المخصوصة المعروفة .

والزكاة : وهي في اللغة من الزكاء أي النماء والريع ، او ما أخرجه الله من الثمر ، أو الصلاح ، أو صفوة الشيء . وأصل الزكاة في اللغة الطهارة والنماء والبركة والمدح[٢٨] . وهي في الشرع « عبارة عن ايجاب طائفة من المال في مال مخصوص

---

(٥) ينظر الصاحبي ص ٨١ ، واللسان (حج) والمزهر ج ١ ص ٢٩٥ .
(٢٦) الاختيار ج ١ ص ١٣٩ ، وينظر التعريفات ص ٧٢ .
(٢٧) لسان العرب (عمر) .
(٢٨) لسان العرب (زكا) .

لمالك مخصوص . وفيها معنى اللغة لانها وجبت طهره عن الآثام » [٢٩] . فزكاة المال بهذا المعنى اسلامية الدلالة ، وهي تطهيره ، وافادة المحتاجين من الناس .

ومثل هذه الالفاظ ما جاء في أبواب الفقه المختلفة من ألفاظ تدل على معان شرعية حدّدها الاسلام ووضع لها شرائط واهدافا .

الثاني : اسماء دينية وهي التي تفيد مدحا أو ذما ، ومن ذلك الاسلام : وهو في اللغة الانقياد ، وفي الشرع « عبارة عن التسليم والاستسلام بالاذعان والانقياد وترك التمرد والاباء والعناد » [٣٠] . وقد قال أبو بكر محمد بن بشار :

يقال : فلان مسلم ، وفيه قولان :

أحدهما : هو المستسلم لأمر الله .

والثاني : هو المخلص لله العبادة ، من قولهم : سلّم الشيْ لفلان أي خلّصه . وسلم له الشيْ أي خلص له . وروي عن النبي — صلى الله عليه وسلم — انه قال : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » . قال الازهري : فمعناه انه دخل في باب السلامة حتى يسلم المؤمنون من بوائقه [٣١] .

والايمان : وهو في اللغة التصديق ، وضده التكذيب ، قال الامام الغــزالي : «الايمان عبارة عن التصديق » ثم قال : «فموجب اللغة ان الاسلام أعم والايمان أخص فكان الايمان عبارة عن أشرف أجزاء الاسلام . فاذن كل تصديق تسليم ، وليس كل تسليم تصديقا » [٣٢] . وقد ورد الشرع باستعمال الاسلام والايمان على سبيل الترادف والتوارد ، وورد على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل ، ولكل ذلك موضع تحدث عنه الاصوليون . وقال امام الحرمين الجويني

(٢٩) الاختيار ج ١ ص ٩٩ ، والتعريفات ص ١٠١ .

(٣٠) احياء علوم الدين ج ١ ص ١١٦ .

(٣١) لسان العرب (سلم) .

(٣٢) احياء علوم الدين ج ١ ص ١١٦ .

بعد أن ذكر الآراء : « والمرضيّ عندنا ان حقيقة الايمان التصديق بالله تعالى ، فالمؤمن بانّه من صدّقه »[٣٣] . وقال عضد الدين الايجي ان الايمان هو « التصديق للرسول فيما علم مجيئه به ضرورة »[٣٤] . وعرض الشريف الجرجاني للاسلام والايمان فقال : « الاسلام : هو الخضوع والانقياد لما أخبر به الرسول – صلى الله عليه وسلم – وفي الكشاف ان كل ما يكون الاقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو اسلام ، وما واطأ فيه القلب اللسان فهو ايمان . أقول : هذا مذهب الشافعي ، وأما مذهب أبي حنيفة فلا فرق بينهما »[٣٥] . وقال : « الايمان في اللغة التصديق بالقلب ، وفي الشرع هو الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان . قيل : من شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق ، ومن شهد ولم يعمل واعتقد فهو فاسق ، ومن أخلّ بالشهادة فهو كافر . والايمان على خمسة أوجه : إيمان مطبوع ، وايمان مقبول ، وايمان معصوم ، وايمان موقوف ، وايمان مردود ، فالايمان المطبوع هو ايمان الملائكة ، والايمان المعصوم إيمان الانبياء ، والايمان المقبول هو ايمان المؤمنين ، والايمان الموقوف هو ايمان المبتدعين ، والايمان المردود هو ايمان المنافقين »[٣٦] .

والكفر : وهو في اللغة نقيض الشكر ، أو هو جمود النعمة . والكَفْر – بفتح الكاف – التغطية ، وكفرت الشيْ أكفره – بالكسر – أي سترته ، والكافر : الليل . كفر الليل الشيء وكفر عليه : غطاه ، وكفر الليل على أثر صاحبي : غطاه بسواده وظلمته . وكفر الجهل على علم فلان : غطاه . والكافر : البحر لستره وسمي الكافر كافراً لانه ستر نعم الله عز وجل[٣٧] . والكفر في الشرع نقيض الايمان . ورجل كافر جاحد لأنعم الله . قال عضد الدين الايجي : « الكفر

(٣٣) الارشاد ص ٣٩٧ .
(٣٤) المواقف ج ٨ ص ٣٢٣ .
(٣٥) التعريفات ص ١٨ .
(٣٦) التعريفات ص ٣٤ .
(٣٧) لسان العرب (كفر) .

وهو خلاف الايمان ؛ فهو عندنا عدم تصديق الرسول في بعض ما علم مجيئه ضرورة »[٣٨] فالكافر هو من جحد نعمة الله وسترها ؛ والنعم التي سترها هي الآيات التي أبانت لذوي التمييز أن خالقها واحد لا شريك له ، وارساله الرسل بالآيات المعجزة والكتب المنزلة والبراهين الواضحة نعمة منه ظاهرة فمن لم يصدق بها وردّها فقد كفر نعمة الله أي سترها وحجبها عن نفسه .

والنفاق : وهو في اللغة من النفقة والنافقاء وهو حجر الضب واليربوع ، وقيل النفقة والنافقاء : موضع يرققه اليربوع من حجره فاذا أتى به من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فخرج . وسمي المنافق منافقاً لانه نافق كاليربوع وهو دخوله نافقاءه : فنافق أي دخل في النافقاء . ومنه اشتقاق المنافق في الدين . والنفاق في الشرع الدخول في الاسلام من وجه والخروج عنه من آخر . قال ابن منظور : « مشتق من نافقاء اليربوع ، اسلامية . وقد تكرر في الحديث ذكر النفاق وما تصرف منه اسما وفعلاً ، وهو اسم اسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به ، وهو الذي يستر كفره ويظهر ايمانه . وان كان أصله في اللغة معروفا »[٣٩] وكان الجاحظ من قبلُ قد قال : « وانما سمّى الله — عز وجل — الكافر في باطنه المورّي بالايمان والمستتر بخلاف ما يسر بالمنافق على النافقاء والقاصعاء وعلى تدبير اليربوع في التورية عن شيْ . قال الشاعر :

إذا الشيطان قصّع في قفاها تنفقْناه بالحبل التؤام

وهذا الاسم لم يكن في الجاهلية لمن عمل بهذا العمل . ولكن الله — عز وجل — اشتق لهم هذا الاسم من هذا الأصل »[٤٠].

والفسق : وهو في اللغة من فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها ، والفسق :

---

(٣٨) المواقف ج ٨ ص ٣٣١ .
(٣٩) لسان العرب (نفق) .
(٤٠) الحيوان ج ٥ ص ٢٦٩ — ٢٨٠ .

الخروج عن الأمر . وقد قال ابن الأعرابي : « لم يسمع قط في كلام الجاهلية ولا في شعرهم فاسق » (٤١).والفسق في الشرع : العصيان والترك لأمر الله — عز وجل — والخروج عن طريق الحق .

فألفاظ الشهادة والصلاة والصوم والحج والعمرة والزكاة وغيرها من الألفاظ التي جاءت في أبواب الفقه من الاسماء الشرعية ، والاسلام والايمان والكفر والنفاق والفسق من الأسماء الدينية أي أنها من « الحقيقة الشرعية » التي تحددت بعد نزول القرآن الكريم ووضع كتب الفقه والأصول . وقد اتضح ان هذه الألفاظ انتقلت من المعاني الحقيقية أو من الحقيقة اللغوية الى معان أخر لم تكن معروفة بهذا المعنى في الجاهلية . وكان هذا الانتقال الى دلالات جديدة تطوراً في اللغة العربية وتوسعاً في سبل القول . ولو أحصيت مثل هذه الالفاظ لوجد الباحث ثروة لغوية كبيرة كان للاسلام والكتاب الخالد أكبر الأثر في ازدهارها . وهذه احدى وسائل نمو اللغة وتطورها ، ولو أخذ بها في جوانب أخرى انمت العربية وازدهرت ، وهي وسيلة يجد المعاصرون فيها خير ما يفتح الطريق أمامهم في عملية التعريب ؛ لان هناك متسعاً في الدلالة وباباً تدخل فيه كثير من المصطلحات . أي ان الباحث يستطيع أن ينقل الألفاظ من معانيها القديمة الى معان جديدة يتطلبها العصر وتقدم العلوم والفنون . وقد وعى الأوائل هذه الوسيلة واستعانوا بها وهم يرون القرآن الكريم يخصص بعض الألفاظ ويطلقها على معان اسلامية بعد أن كانت تدل على معان أخر : فالمؤمن والمسلم والكافر والمنافق « مما جاء في الاسلام » (٤٢) وان كانت لها أصول اخرى في الجاهلية ، ولكن الشريعة زادت شرائط وأوصافاً لم تكن معروفة من قبل . وهذا الصنيع يفتح للمعاصرين باب « الحقيقة العرفية » ولا سيما الخاصة لتكون اللغة اكثر قدرة على استيعاب متطلبات العصر الحديث. وليس ذلك بالأمر الصعب إن بذلت الجهود واستثيرت الهمم .

(٤١) لسان العرب (فسق) .
(٤٢) الصاحبي ص ٧٩ .

تلك وقفة عابرة على بعض الاسماء الشرعية والدينية ، وقد أثار الدارسون مسألة « الحقيقة الشرعية » واختلفوا في الاسامي فقال ابن برهان في كتابه في الاصول « اختلف العلماء في الاسامي ، هل نقلت من اللغة الى الشرع ؟ فذهبت الفقهاء والمعتزلة الى أن من الأسامي ما نقل كالصوم والصلاة والزكاة والحج » ، وقال القاضي أبو بكر : « الاسماء باقية على وصفها اللغوي غير منقولة » ثم قال ابن برهان : « والأول هو الصحيح ، وهو ان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — نقلها من اللغة الى الشرع ؛ ولا تخرج بهذا النقل عن أحد قسمي كلام العرب وهو المجاز ؛ وكذلك كل ما استحدثه أهل العلوم والصناعات من الأسامي كأهل العروض والنحو والفقه وتسميتهم النقض والمنع والكسر والقلب وغير ذلك ؛ والرفع والنصب والخفض ، والمديد والطويل » .

وقال : « وصاحب الشرع إذا أتى بهذه الغرائب التي اشتملت الشريعة عليها من علوم حار الأولون والآخرون في معرفتها مما لم يخطر ببال العرب ، فلا بدّ من أسامي تدل على تلك المعاني »[43] . وقال الامام الغزالي : « والمختار عندنا انه لا سبيل الى انكار تصرف الشرع في هذه الأسامي ولا سبيل الى دعوى كونها منقولة عن اللغة بالكلية كما ظنه قوم ؛ ولكن عرف اللغة تصرف في الأسامي من وجهين :

أحدهما : التخصيص ببعض المسميات كما في الدابة فتصرف الشرع في الحج والصوم والايمان من هذا الجنس ، إذ للشرع عرف في الاستعمال كما للعرب .

والثاني : في إطلاقهم الاسم على ما يتعلق به الشيء ويتصل به كتسميتهم الخمر محرمة ، والمحرم شربها ، والأم محرمة . والمحرم وطؤها ، فتصرفه في الصلاة كذلك ؛ لان الركوع والسجود شرطه الشرع في تمام الصلاة فشمله

(٤٣) المزهر ج ١ ص ٢٩٨ — ٢٩٩ .

الاسم بعرف استعمال الشرع ، إذ انكار كون الركوع والسجود ركن الصلاة ومن نفسها بعيد ، فتسليم هذا القدر من التصرف بتعارف الاستعمال للشرع أهون من اخراج السجود والركوع من نفس الصلاة ، وهـو كالمهم المحتاج اليه ، إذ ما يصوّره الشرع من العبادات ينبغي أن يكون لها أسامٍ معروفة ، ولا يوجد ذلك في اللغة إلاّ بنوع تصرّف فيه » (٤٤) .

ومهما اختلف القدماء في هذه المسألة فان معظمهم ذهب الى أن كثيراً مـن الألفاظ الشرعية منقول عن معناه الأصلي ، قال الشيخ أبو أسحاق : « وليس من ضرورة النقل أن يكون في جميع الألفاظ ، وانما يكون على حسب ما يقوم عليه الدليل » (٤٥) . وقال يحيى بن حمزة العلوي : « والمختار عندنا تفصيل قد نبهنا عليه في الكتب الأصولية ، وحاصله ان الشرع قد نقلها الى إفادة معانٍ أخر وانها غير خالية عن الدلالة على معانيها اللغوية ، وانها قد صارت حقائق في معانيها الشرعية ويدل على ما قلناه من كونها دالة بحقائقها على هذه المعاني الشرعية أمران :

أحدهما : ان السابق الى الفهم هو هذه المعاني الشرعية عند اطلاقها ، وهذه أمارة كون اللفظ حقيقة في معناه . ولهذا فانه لو قيل : « فلان يصلي » لم يسبق الى الفهم إلاّ هذه الاعمال ، ومن جملتها الدعاء .

وثانيهما : انه قد أفادت عند اطلاقها معنى مصطلحاً عليه في خطاب الشرع كما أفاد قولنا : « فرس » و « انسان » معانيهما اللغوية عند الاطلاق . فكما قضينا بكون هذه حقائق في دلالتها على معانيها ، فهكذا حال هذه الألفاظ الشرعية تكون حقائق من غير تفرقة بينهما » (٤٦) .

لقد فتح القدماء الطريق لمن يريد أن يتوسع في اللغة ويعطي الألفاظ دلالة

(٤٤) المستصفى من علم الاصول ج ١ ص ٣٣٠ — ٣٣٢ ، وينظر نهاية السول ج ١ ص ٢٥١ .

(٤٥) المزهر ج ١ ص ٢٩٩ .

(٤٦) الطراز ج ١ ص ٥٦ — ٥٧ .

جديدة يقتضيها التطور الذي تمرّ به الأمة العربية ، وكان القرآن الكريم قد نبههم الى ذلك لانه أول من نقل الالفاظ الى اسماء شرعية واسماء دينية ، وذكر كثيراً من الألفاظ الجديدة مثل « القرآن » ، قال الجاحظ : « وقد سمّى كتابه المنزل قرآنا ، وهذا الاسم لم يكن حتى كان »[٤٧] . ومثل « الفرقان » و « التيمم » وهي من الالفاظ التي لم تكن معروفة بهذا المعنى في الجاهلية . إن قدرة الله — سبحانه — في اشتقاق الالفاظ فوق قدرة البشر ، وقد تمثلت تلك القدرة العجيبة في كتابه المنزل على نبيه محمد — صلى الله عليه وسلم — وأعطى الكتاب الخالد طاقة للغة العربية وان كان العرب من قبل قد استحدثوا الألفاظ وحددوا الدلالات . فالنابغة الذبياني — مثلاً — أول من سمّى الارض التي لم تحفر قط ولم تحرث ذا فعل بها ذلك مظلومة ، وقال :

إلاّ الأواريَّ لأياً ما أبينها والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد

وهذه حقيقة لا تنكر ، وقد قال الجاحظ وهو يتحدث عن ألفاظ القرآن الكريم : « فاذا كانت العرب يشتقون كلاما من كلامهم واسماء من اسمائهم ، واللغة عارية في أيديهم ممن خلقهم ومكنهم وألهمهم وعلمهم وكان ذلك منهم صواباً عند جميع الناس ، فالذي أعارهم هذه النعمة أحق بالاشتقاق وأوجب طاعة ، وكما ان له ان يبتدئ الاسماء فكذلك له ان يبتدئها مما أحب »[٤٨] وقال : « واذا كان للنابغة أن يبتدئ الاسماء على الاشتقاق من أصل اللغة كقوله : « والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد » وحتى اجتمعت العرب على تصويبه وعلى اتباع أثره وعلى أنها لغة عربية ، فالله الذي له أصل اللغة أحق بذلك »[٤٩] إن القرآن أطلق الألفاظ وأكسبها دلالة تعبر عن الحياة الجديدة ، وأمثلة ذلك كثيرة ؛ فالأسماء المحدثة في الاسلام والمصطلحات العلمية والالفاظ الحضارية وغيرها

(٤٧) الحيوان ج ١ ص ٣٤٨ .
(٤٨) الحيوان ج ١ ص ٣٤٨ .
(٤٩) الحيوان ج. ٥ ص ٢٨٠ — ٢٨١ .

تدخل في هذا الباب الواسع ، ولعل البحث في الحقيقة الشرعية يمثل جانباً من الجوانب الكثيرة التي أظهرها الاسلام ودفع اللغة الى الازدهار الذي شهدته القرون .
والأخذ بهذه القاعدة في تعريب العلوم وفنون الحضارة الجديدة يحل كثيراً من المصاعب التي تقف أمام العاملين الذين يبذلون جهوداً مضنية في سبيل تحقيق الذات ورفع راية اللغة العربية بين لغات الأمم المتحضرة . ولن يجد اولئك العاملون صعوبة كبيرة لان الاساس الذي تقوم عليه الحقيقة الشرعية ينطبق على الحقيقة العرفية وهو نقل اللفظ من معناه الاصلي الى معنى جديد مع ملاحظة الصلة التي تربط بين المعنيين ، وهي ما سماه البلاغيون العلاقة ؛ لان الحقيقة الشرعية والحقيقة العرفية مجاز ، ولكنه حينما يكثر ويستعمله العلماء وأصحاب الحرف والصناعات يصبح مصطلحاً لا ينصرف الذهن الى غيره ، بل قد يُنسى فيه الأصل القديم . وخير مثال على ذلك الاسماء الشرعية والاسماء الدينية فان الذهن لا ينصرف الى المعنى القديم وانما الى المعنى الشرعي الجديد ، ولا يعرف الاصل إلا بالرجوع الى كتب اللغة في كثير من الأحيان . وقد انتبه الاصوليون الى هذه المسألة وعقدوا فصولاً في بيان ما تترك به الحقيقة ، ومن ذلك ما قاله السرخسي : « تترك الحقيقة بدلالة الاستعمال عرفاً ؛ لان الكلام موضوع للافهام والمطلوب به ما تسبق اليه الأوهام . فاذا تعارف الناس استعماله لشيء عيناً كان ذلك بحكم الاستعمال كالحقيقة فيه ، وما سوى ذلك — لانعدام العرف — كالمهجور لا يتناوله إلا بقرينة » . ثم قال : « وبيان هذا في اسم الصلاة فانها للدعاء حقيقة ، قال القائل : « وصلى على دنها وارتسم » ، وهي مجاز للعبادة المشروعة بأركانها ، سميت به لانها شرعت للذكر ، قال تعالى : « وأقم الصلاة لذكري » (٥٠) ، وفي الدعاء ذكر ، وإن كان يشوبه سؤال ، ثم عند الأطلاق ينصرف الى العبادة المعلومة باركانها سواء كان فيها دعاء أو لم يكن كصلاة الأخرس ، وانما تركت الحقيقة للاستعمال عرفا . وكذلك الحج فان اللفظ للقصد حقيقة ثم سميت العبادة بها

(٥٠) طه ١٤ .

لما فيها من العزيمة والقصد للزيارة فعند الاطلاق الاسم يتناول العبادة للاستعمال عرفا ، والعمرة والصوم والزكاة وغيرها على هذا ، فان نظائر هذا أكثر من أن تحصى »[٥١] .

إن الوقوف على بعض الأمثلة من الحقيقة الشرعية يمثل طاقة اللغة العربية وقدرتها على استيعاب العلوم والفنون ، وفيما ورد بكتاب الله وجاء به الاسلام قدوة حسنة لمن يريد البحث والاستقصاء ، وتطوير اللغة العربية في هذا القرن وغيره من الأزمان .

* * *

(٥١) أصول السرخسي ج ١ ص ١٩٠ ــ ١٩١ .

ولاية محكمة العدل الدولية الجبرية

ومواقف الدول النامية حيالها

الدكتور صالح جواد الكاظم

كلية القانون والسياسة ــ جامعة بغداد

إن أيسر النظر في المنازعات الدولية ، سيما تلك التي تنشب بين الدول النامية ، ينبئنا بأن عددها آخذ بالازدياد ، وبأن ما يبدأ منها بسيطاً ومحدوداً قد ينتهي ، بعد فترة ربما لم تكن طويلة ، الى نزاع معقد وواسع النطاق . وحسب المرء أن يستذكر هنا عقد السبعين من هذا القرن ، الذي شهد اكثر من عشرين نزاعاً مكشوفاً بين اسرة الدول العربية وحدها ، وضعفها تقريباً في القارة الافريقية ، ومثلها في بقية آسيا واميريكا اللاتينية . وقد جرى حل بعض هذه النزاعات بما تيسر من وسائل معروفة أو بما استنبطه منها اطرافها ، فيما تلاشى تدريجاً بعض آخر بعد أن فقد عوامل استمراره ، ومنها تمسك اطراف النزاع بمواقفهم . الا ان بعضاً من هذه النزاعات لم يحسم الا بعد فترة طويلة من نشوئه ، أو طفق يتكرر بعد فترات من حسمه ، حتى اصبح اشبه بظاهرة موسمية ، بل حتى اعتبره البعض امراً موروثاً في الانسان ومجتمعه الدولي (١) .

---

(١) في راي الاستاذين (اف. اس. نورثيج) و (ام. دي. دونلان) ، « ان الفكرة التي تقول ان بالامكان ان تستاصل النزاعات ، بشكل أو آخر، من النظام الدولي ، بتوفير تربية افضل او اتصال اعمق او وسائل اجدى لحل هذه النزاعات ، تبدو ... طوباوية . ان التنازع متاصل في طبيعة الانسان . واقصى مايستطيع الناس عمله ان يتعلموا المزيد من طرائق

وليس ما يقصد اليه هذا البحث تشخيص أسباب النزاعات بين الدول النامية ، إذْ كتب في ذلك الكثير وإن لم يفِ إلا بالقليل ؛ كما لا يرمي الى معالجة كل وسائل حل هذه المنازعات ، فهي من التعدد والتعقد يتعذر معهما تناولهما في بحث واحد . وقد اخترت من هذه الوسائل التقاضي امام محكمة العدل الدولية ، إذْ تمثّل المحكمة المنبر المشترك الذي يمكن أن تَـمْـثُـلَ أمامه كل المناطق الجغرافية التي تنتسب اليها الدول النامية ، بعد أن أخفقت الأخيرة حتى الآن في انشاء أية محكمة خاصة بها او بأية مجموعة اقليمية واحدة من مجموعاتها[٢] . وكان اختيار التقاضي ذاته ؛ دون وسائل حل النزاع الاخرى ، بسبب وضوح معظم ما يتعلق به من مبادئ واجراءات ونتائج . وهذا على خلاف ما تتسم به الوسائل الأخرى ؛ كالتفاوض أو التحقيق أو الوساطة او التوفيق، من غموض في كل هذه الجوانب . إلا أن سبباً آخر — لعله اهم من سواه — يحدو بالمرء الى تناول التقاضي كوسيلة لحل التنازع بين الدول النامية هو أن الأخيرة قد تعهدت باللجوء اليه تعهـداً عاماً بموجب ميثاق الامم المتحدة ، وخاصاً بموجب تصريحات صدرت عنها وفقاً للفقرة (٢) من المادة (٣٦) من النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية . ولا غرو أن بحث هذا التعهد الخاص سيغني عن بحث التعهد العام ، إذ يجسد الاول الثاني ؛ بل يكشف عن محتواه الحقيقي . وبكلمة، إن التعهد الخاص محك عملي للتعهد المطلق ؛ غير المحدد ، بالاحتكام إلى محكمة العدل الدولية .

السيطرة على الخلافات الحتمية في النظريات والسياسات والمصالح بين الدول على نحو اكثر اقتدارا واقل مجازفة باستمرار الحياة المنظمة على هذا الكوكب » . انظر كتابهما :

International Disputes — The Political Aspects, London, 1971, P. 1.

(٢) وهكذا لاتملك ، الان ، مجموعة الدول العربية او مجموعة الدول الافريقية او مجموعة الدول الاميركية اللاتينية اية محاكم مشتركة خاصة بها .

إن دراسة التعهدات الخاصة بقبول ولاية المحكمة تستلزم أولاً فهم النظام الذي تقدم به هذه التعهدات ، وثانياً الوقوف على التحفظات الملحقة بالتعهدات نفسها ، تلك التحفظات التي تؤلف جوهر هذه التعهدات . وهذا ما يسعى هذا البحث الى انجازه ، وذلك في سياق اهتمام رئيس بمواقف الدول النامية حيال هذه الولاية .

— ١ —

لكي تكون محكمة العدل الدولية حقاً « الاداة القضائية الرئيسية للامم المتحدة » ، كما وصفها ميثاق الامم المتحدة (م ٩٢) ، دعت الدول الصغرى في مؤتمر (سان فرنسيسكو) عام ١٩٤٥ إلى أن تكون للمحكمة ولاية الزامية حقيقية ، تستند إلى الشكوى التي تتقدم بها الدولة المعنية الى المحكمة ، أي الى الطلب المقدم من جانب واحد ، شأنها في ذلك شأن أية محكمة وطنية . إلا أن هذه الدعوة جوبهت بالرفض ، استناداً إلى أن ولاية المحكمة الدولية يجب أن تقوم على رضا طرفي القضية المسبق ، وأن التقاضي أصلاً خيار من الخيارات المتاحة للدول لحل نزاعاتها ، ولا يصبح الزاماً إلا بعد أن تصرح الدول بذلك سلفاً . وكان هذا الرفض بالرغم من ان الاكثرية في المؤتمر المذكور قد تبنت الدعوة الى الاخذ بفكرة التقاضي الالزامي . وكان تراجع الاكثرية عن دعوتها قد فسر بالخشية من أن يؤدي الاصرار عليها الى « اضعاف إمكان التوصل الى اتفاق عام على نظام المحكمة الأساسي ، وعلى ميثاق الامم المتحدة نفسه » [٣] .

وفي ظل هذا التخوف ، الذي لم يخلُ من خوف ، عاد المؤتمرون إلى تبني صيغة التقاضي الالزامي كما فرضتها الدول الكبرى في النظام الاساسي لمحكمة

(٣) انظر :
Documents of the United Nations Conference on International Organization, 1945, Vol. 14, PP. 840 — 2.

العدل الدولي الدائمة عام ١٩٢٠ . وقد وصفت هذه الصيغة بأنها حل وسط بين التقاضي الالزامي ، او الولاية الالزامية للمحكمة ، كقاعدة عامة ، وحرية الدولة في التملص منه بطريقة التحفظات التي تلحقها بقبولها هذه الولاية . وتجسدت هذه الصيغة في الفقرة (٢) من المادة (٣٦) من النظام الاساسي لمحكمة العدل الدولية التي تنص على أنّ :

للدول التي هي اطراف في هذا النظام الاساسي ان تصرح ، في اي وقت، بانها بذات تصريحها هذا وبدون حاجة الى اتفاق خاص ، تقر للمحكمة بولايتها الجبرية في نظر جميع المنازعات القانونية التي تقوم بينها وبين دولة تقبل نفس الالتزام ، متى كانت هـــذه المنازعات القانونية تتعلق بالمسائل الآتية :

(أ) تفسير معاهدة من المعاهدات .

(ب) اية مسألة من مسائل القانون الدولي .

(د) طبيعة او مدى التعويض المترتب على خرق التزام دولي .

كما تجسدت هذه الصيغة في الفقرة (٣) من نفس المادة ، التي تقول إنه :

يجوز ان تصدر التصريحات المشار اليها آنفاً دون قيد او شرط ، او ان تعلق على شرط التبادل من جانب عدة دول أو دول معينة بذاتها ، او ان تقيد بمدة معينة .

ولا ريب في ان نص الفقرة (٢) ،بقصره ولاية المحكمة الالزامية على « المنازعات القانونية » ، إنما يقلص من هذه الولاية ويستثني منها أموراً تنص عليها الفقرة (١) من نفس المادة . فوفقاً للفقرة المذكورة ، تشمل ولاية المحكمة كل « القضايا » التي يعرضها عليها المتقاضون ، كما تشمل جميع « المسائل » المنصوص عليها بصورة خاصة في ميثاق الامم المتحدة او في المعاهدات والاتفاقات المعمول بها . إلاّ أن نص الفقرة (٢) لا يقلص ولاية المحكمة على هذا النحو فحسب ، بل على نحو

آخر يتمثل في قصر « المنازعات القانونية » على اربعة انواع . وبذلك يحدد إطلاق الفقرة (١) من المادة (٣٨) من النظام الاساسي التي تنص على ان « وظيفة المحكمة أن تفصل ، وفقاً لاحكام القانون الدولي، في المنازعات التي ترفع إليها..»، أي بغير تحديد لأصناف النزاعات (٤) .

وغنيّ عن القول ان عبارة « المنازعات القانونية » ، التي وردت كذلك في الفقرة (٣) من المادة (٣٦) من الميثاق ، لم تُحدَّد في أي موضع من الميثاق او النظام الاساسي . وليس واضحاً تماماً الغرض من تحديد المنازعات بأربعة أصناف ، بالرغم من ان اهمية هذه الأصناف ربما كانت ، في رأي واضعي النظام الأساسي ، تفوق أهمية سواها من اصناف المنازعات . واذا كان الأمر كذلك ، فليس ثمة ما يقطع بصحة هذا الرأي ، ذلك أن « اهمية » نزاع ما لا تستمد من الصنف الذي يدخل تحته النزاع ، بل من الآثار التي يمكن أن يسفر عنها (٥) .

وفي الجملة ، ان الدول ، بتصريحاتها التي تقبل بها ولاية المحكمة الالزامية بموجب الفقرة (٢) من المادة (٣٦) من النظام الاساسي ، لا تمنح المحكمة

---

(٤) انظر بهذا الصدد :

HERBERT W. BRIGGS, ((Reservations to the Acceptance of Compulsory Jurisdiction of the International Court of Justice)), 93 Recueil Des Cours, 1958 — 1 , PP. 234 — 5.

(٥) تجدر الاشارة بهذا الصدد أن الفقرات (أ) و (ج) و (د) في الفقرة (٢) ، من المادة (٣٦) ، كان يمكن الاستغناء عنها بالفقرة (ب) التي تخص المنازعات في « اية مسألة من مسائل القانون الدولي » ، وذلك ان مضمون هذه الفقرة يشمل جميع مضامين الفقرات الأخرى .
انظر بهذا الصدد رأي (هانز كلسن) في كتابه :

((The Law of the United Nations — A critical Analysis of Its Fundemental Problems)), London, 1951, P. 482.

صلاحية يستبعدها هذا النظام ، أي، ان هذه الدول لا تعطي المحكمة ما لا تملكه بموجب نظامها الاساسي . والصحيح ، انها تسلب المحكمة الكثير مما يعطيها نظامها .

والاستنتاج الاهم من سواه بهذا الصدد هو ان معظم الدول الاعضاء في الامم المتحدة ، التي تؤلف المجتمع الدولي كله تقريباً ، لم تبادر إلى إهتبال الفرصة التي تتيحها الفقرة (٢) من المادة (٣٦) لتصرح برغبتها في الالتزام بولاية المحكمة المحددة على النحو المشار اليه . وقد كان هذا الاحجام رغم ما أبدته اكثرية الدول عام ١٩٤٥ من تأييد لفكرة ولاية المحكمة الالزامية . وهكذا ؛ ففي نهاية عام ١٩٥٠ ، كانت الامم المتحدة تضم (٦٠) دولة ، لم تصدر تصريحات بموجب الفقرة المذكورة إلا (٣٤) دولة منها ، أي بنسبة (٥٧) بالمائة تقريباً . وعام ١٩٦٠ ، كان عدد اعضاء المنظمة قد ارتفع الى (٩٩) عضواً ، إلا ان (٣٧) عضواً فقط اصدروا تصريحات بهذا المعنى ، أي بنسبة (٣٨) بالمائة تقريباً . وبعد عشر سنوات ، اي عام ١٩٧٠ ، بلغ عدد هؤلاء (١٢٦) عضواً ، ولم تصدر تصريحات إلا عن (٤٤) عضواً منهم ، أي بنسبة تقل عن (٣٦) المائة . وبعد عشر سنوات أخرى، وعلى وجه التحديد في الاول من آب عام ١٩٨٠ كان عدد أعضاء الامم المتحدة يبلغ (١٥٤) عضواً ، ولم يكن قد صرح باستعداده لقبول ولاية المحكمة الالزامية إلا (٤٧) عضواً ، أي بنسبة (٣٠٫٥) بالمائة [٦] . ولم تتغير هذه النسبة حتى منتصف عام ١٩٨٢ أما الدول النامية ، الملتزمة الآن بولاية المحكمة [٧] ، فهي (٣٠) دولة

(٦) للوقوف على آخر التصريحات الصادرة عن الدول اعضاء الامم المتحدة وعن كل من سويسرا وليشتنشتاين ، انظر :

International Court of Justiec, Yearbook, 1980 — 1981, No. 35. I. C. J. The Hague — 1980, PP. 55 — 89.

(٧) وهذه الدول هي : بوتسوانا ، كولومبيا ، كوستاريكا ، كمبوديا ،

من مجموع دول العالم الملتزمة بهذه الولاية رهو (٤٧) دولة ، أي ان نسبتها تبلغ (٦٤) بالمائة تقريباً . الا ان هذه النسبة ليست مشجعة إذا ما تذكرنا بأن عدد الدول النامية يتجاوز المائة والعشرين ، أي ان نسبة الدول الملتزمة منها بولاية المحكمة ربما كانت اقل من الثلث . وتتضح الصورة اكثر حين نجد ان هذه الدول الثلاثين موزعة قارياً على النحو الآتي : (١١) دولة من اميريكا اللاتينية ، و (١٢) دولة من افريقيا ، و (٥) دول من آسيا ، ودولتان من اوربا . ومنذ عام ١٩٥١ ، انتهى مفعول سبعة تصريحات من تصريحات الدول النامية ، صراحة او بحكم الفقرة (٥) من المادة (٣٦) من النظام الاساسي للمحكمة . وكانت هذه تصريحات كل من : بوليفيا ، البرازيل ، الصين ، غواتيمالا ، ايران ، تايلند ، وتركيا

— ٢ —

إن تقييد صلاحية محكمة العدل الدولية لم يقتصر على النحو الذي سبق شرحه ، بل اتخذ شكلاً آخر تمثل في الحاق تحفظات بتصريحات القبول بولايتها الالزامية . وكانت محصلة هذه التحفظات إضعاف اثر هذه التصريحات وافراغها احياناً من اي التزام حقيقي بقبول قضاء المحكمة . وكان اخطر هذه التحفظات ما استثنى نزاعات او مسائل معينة من هذا القبول ، وما وضع بين يدي الدولة صاحبة التصريح حرية الغاء تصريحها كيفما ومتى ما شاءت .

وقد سوّغت هذه التحفظات على أنها تشجع الدول على قبول ولاية المحكمة بفعل من جانب واحد ، إنطلاقاً من فرضيّة مؤداها ان كل دولة تملك حرية

دومنيكان ، مصر ، السلفادور ، غامبيا ، هايتي ، هندوراس ، الهند ، كينيا ، لايبيريا ، مالاوي ، مالطا ، موريشوس ، المكسيك ، نيكاراغوا ، نايجيريا ، باكستان ، بنما ، الفلبين ، البرتغال ، الصومال ، السودان ، سوازيلاند ، توغو ، اوغندا ، أورغواي ، باربادوس .

واسعة لتحدد بنفسها قيود الصلاحية التي تسمح بالخضوع لها [8] . وفسرت هذه هذه « الحرية » بأنها حق موروث لتحديد قبول صلاحية المحكمة بعدد من التحفظات والشروط . أما أين تقف هذه « الحرية » أو « الحق » ، فذلك ما بقي محض تساؤلات واجابات تدور بين الفقهاء ولم يحسمه القضاء الدولي ، كما لم يدون في وثيقة ملزمة من وثائق القانون الدولي .

إن الفرضية سالفة الذكر صحيحة ، ولكن ليس إلا ضمن حدود تفرضها اهداف الالتزام بقبول ولاية المحكمة وطبيعة هذا الالتزام . واول هذه الاهداف تعزيز دور المحكمة في حل المنازعات الدولية ، لا إضعافه باستثناء هذا الصنف او ذاك من النزاعات من ولايتها ، وبممارسة « حق » أو « حرية » التحفظ . أما طبيعة الالتزام الناجم عن التصريح فهي متبادلة ، رغم ان التصريح ذاته فعل من جانب واحد . وصحيح ان العلاقة بين دولتين في ظل الفقرتين (٢) و (٣) من المادة (٣٦) من النظام الأساسي ثنائية ، إلا أنها يمكن ان تكون متعددة الاطراف ، وهذا ما تبيحه الفقرة (١) من المادة (٦٢) بقولها : « اذا رأت احدى الدول ان لها مصلحة ذات صفة قانونية يؤثر فيها الحكم في القضية جاز لها أن تقدم الى المحكمة طلباً بالتدخل » .

والملاحظ ان الفقرة (٢) من المادة (٣٦) من النظام الاساسي بنصها على أن تقر الدولة صاحبة التصريح للمحكمة بولايتها في نظر جميع المنازعات القانونية بينها وبين « دولة تقبل نفس الالتزام » إنما تعني الالتزام بالتسوية القضائية المعنية بصورة عامة ، لا محتوى الالتزام أو مداه . وبصورة عامة ، ليس في هذه الفقرة ما يجيز وضع تحفظات تستثني من قبول ولاية المحكمة نزاعاً أو مسألة معينة ، او تطلق عنان الدولة صاحبة التصريح لالغاء تصريحها على هواها . وكما يمكن

---

(٨) انظر بهذا الصدد :
C. H. M. WALDOCK, ((Decline of the Optional Clause)) 32 British Yearbook of International Law (1955 — 56), PP. 244 — 287.

أن يستنتج من صياغة الفقرة ، ان الأثر الوحيد لقبول دولة ما « نفس الالتزام » هو تساوي الطرفين في الاستعداد لتحمل نتيجة الحكم الصادر عن المحكمة ، إضافة الى تساويهما عند المثول امام المحكمة . وقد ذهب اكثر من كاتب الى أن شرط المقابلة بالمثل هذا مستلزم من مستلزمات ولاية المحكمة ، اي ان ولاية المحكمة لا تنعقد أساساً بدون قبول طرفي القضية « نفس الالتزام » (٩) . وعلى هذا ، فان المقابلة بالمثل هذه نص دستوري في نظام المحكمة الاساسي ، وهو ينطبق على أي تصريح من التصريحات حتى اذا كانت الدولة التي اصدرته قد اوضحت بأن التزامها بولاية المحكمة هو بدون قيد او شرط ، كما فعلت ذلك (نيكاراغوا) في تصريحها الصادر عام ١٩٢٩ ، أو حتى اذا لم تتطرق الى شرط المقابلة بالمثل باي شكل من الاشكال ، كما فعلت ذلك (هاييتي) في التصريح الذي اصدرته عام ١٩٢١ (١٠) .

اما الفقرة(٣) من المادة(٣٦) من النظام الأساسي التي تجيز اصدار التصريحات « دون قيد او شرط ، أو ان تعلق على شرط التبادل من جانب عدة دول أو دول معينة بذاتها ، أو ان تقيد بمدة معينة » ، فهي الأخرى لم تُعْطِ الدولة صاحبة التصريح حق استثناء نزاعات او مسائل من ولاية المحكمة بحيث لا يبقى للأخيرة ما تقضي فيه حقاً . ويبدو أن مطلع الفقرة الذي يقول إنّه « يجوز أن تصدر التصريحات المشار اليها آنفاً دون قيد أو شرط . . . » قد استخدم منطلقاً لارفاق التصريحات او تقييدها بشروط ، وذلك من مفهوم مخالفة هذا النص .

واياً كان المنطلق القانوني الفعلي للتحفظات ، فقد رأت الدول في الفقرة (٣) من المادة (٣٦) تخويلاً لها صريحاً بالتحفظ في تصريحاتها كما تشاء ، وحولت هذه الرؤية الى ممارسة . ومنذ عام ١٩٢١ حتى سنوات ضمورها اواخر الثلاثينات وعصبة الامم تشجع الدول على هذه الممارسة . وليس في تاريخ القضايا التي نظرت

(٩) انظر مثلا : (والدوك) ، مصدر سابق ، ص ٢٥٤ ــ ٢٥٥ .

(١٠) للوقوف على هذين التصريحين ، انظر :
I. C. J., Yearbook, 1979 — 1980, P. 73 and P. 61.

فيها محكمة العدل الدولي الدائمة ما يشير الى وقوف الأخيرة في وجه التحفظات التي تضعف في المآل الأخير من صلاحيتها . ولربما رأينا النقيض في الكثير من القضايا التي حسمتها[١١]. وحين ناقشت اللجنة المكلفة بوضع النظام الاساسي للمحكمة الحالية الفقرة (٣) من المادة (٣٦) عام ١٩٤٥ ، اكتفت بالتطرق الى « رسوخ » حق الدول في تعليق تصريحات قبولها لولاية المحكمة على شروط او تحفظات ، ومن ثم فليس ثمة من حاجة إلى تعديل هذه الفقرة لتتضمن اشارة صريحة إلى هذا الحق [١٢] .

لقد كانت حصيلة هذه « الحرية » المطلقة في وضع التحفظات غياب التمييز بين ما يجوز منها وما لا يجوز ، وتناقضها ، راخفاقها ، بصورة عامة ، في خلق ولاية حقيقية للمحكمة . وفي ميدان المعاهدات ، الذي هو ليس بعيداً كل البعد عن ميدان التعهد بقبول ولاية المحكمة الالزامية ، كان التمييز بين التحفظات الجائزة والمحرمة ينبع ، على حد تعبير (د . دبليو . باويت) ، من « ارادة الاطراف في أن يحرّموا تحفظات معينة ، صراحة او ضمناً بالضرورة ، او ان يسمحوا صراحة بتحفظات معينة ، أو أن يُعتبروا بانهم حرّموا التحفظات التي تتناقض مع كامل مقاصد المعاهدة » [١٣] . وانعكست هذه الارادة ، إلى حد ما ، في المادة (١٩) من اتفاق فينـــا الخاص بقانون المعاهدات ، التي تبيح للدول حرية

---

١١) ففي قضية «الفوسفات في مراكش» مثلا التي نظرت فيها عام ١٩٣٨ ، اكدت بان ولايتها الالزامية «لاتوجد الا ضمن الحدود التي قبلت بها » ، اي انها تعتمد على تصريحات الدول المعنية وتحفظاتها وحدها . انظر :
P. C. I. J., Series A/B, No. 74, 1938, P. 23.

١٢) انظر :
U. N. C. I. O., 1945, Vol. 13, P. 559.

(١٣) انظر مقالته :
((RESERVATIONS TO NON - RESTRICTED MULTILATERAL TREATIES)), 48 Bitish Yearbook of International Law (1976 — 1977), P. 70.

الحاق اية تحفظات بالمعاهدات عند التوقيع عليها او الانضمام اليها او ابرامها ، ما لم تكن محرمة في المعاهدات ذاتها ، او ما لم تنص المعاهدات على جواز وضع تحفظات معينة فحسب، اوما لم تكن متعارضة مع مقاصد هذه المعاهدات .

واضافة الى غياب معايير رسمية للتمييز بين الجائز وغيره من التحفظات ، لم تضع المحكمة الحالية — ولا سابقتها — معياراً واضحاً قضائياً في هذا السبيل . وينحصر موقف المحكمة الحالية حتى الآن في حرصها على أن يمنحها الاطـــراف صلاحيةً ما في القضية المعروضة امامها، دون الدخول في مدى جوازيّة التحفظات ذاتها . وبكلمة ، ما يهم المحكمة اتفاق الاطراف على منحها صلاحية ما ، وإن كانت تصريحاتهم ذاتها لا تؤلف ، مبدئياً ، اي اعتراف واسع بصلاحية المحكمة [١٤] . وهكـــذا فهي — اي المحكمة — لم تسهم في بلورة موقف واضح تجاه عدد من التحفظات التي كانت — وما زالت — موضع انتقاد بين مختلف الاتجاهات الفقهية. ولربما كان سكوتها على التحفظات المتناقضة مع مبدأ الالتزام الحقيقي بولاية المحكمة سبباً من أسباب استمرار صدور هذه التحفظات . وكما سنرى ، كان لعدد غير قليل من الدول النامية التي الزمت بولاية المحكمة دور في زيادة عدد هذه التحفظات .

وقبل ان نتناول ابرز الامثلة على هذه التحفظات ، يجدر بنا أن نؤكد بأن المحكمة لم تستطع فرض صلاحيتها ازاء التحديات التي انطوت عليها بعض التحفظات ، وذلك بالرغم من وجود الفقرة (٦) من المادة (٣٦) من النظام الاساسي التي تنص على انه : « في حالة قيام نزاع في شأن ولاية المحكمة تفصل

(١٤) وقد عبر عن هذا الموقف اوضح تعبير القاضي (ماكنير) في راي له مستقل في قضية (شركة النفط الانكليزية — الايرانية) عام ١٩٥٢ بقوله : «لكل دولة ، اذا ماقررت ان تصدر تصريحا — وهي حرة في ان تصدره والا تصدره — ان تقيد مدى تصريحها بأي شكل شاءت ، على ان يخضع ذلك دائما للمقابلة بالمثل » . انظر :
I. C. J. REPORTS, 1952, P. 116.

المحكمة في هذا النزاع بقرار منها ». ولم يحدث في تأريخ المحكمتين ان اعلن عن بطلان تحفظ ينطوي على الغاء ضمني لقبول الولاية الالزامية [١٥] . كما لم تحسم مسألة مصير التحفظات التي تتناقض مع صلاحية المحكمة بموجب الفقرة المذكورة ، أي ما اذا كان يجب الاكتفاء بابطال التحفظ وحده والابقاء على بقية التصريح بقبول ولاية المحكمة ، او اعتبار التصريح باطلاً ، كلاً لا بعضاً .

— ٣ —

إن التحفظات الملحقة بالتصريحات بقبول ولاية المحكمة تتفاوت من حيث الاهداف السياسية التي تبغي هذه الدولة او تلك تحقيقها جرّاء التمسك بها . ويمكن ، بصورة عامة ، تصنيف التحفظات الى صنفين أساسيين ، ينصب الاول منهما على النزاعات المستثناة من ولاية المحكمة ، فيما يتعلق الثاني بالجانب الزمني من التصريحات ، أي ما يتعلق بفترة التصريحات وموعد تنفيذها وانهائها .

وتختلف النزاعات المستثناة بالتحفظات من حيث موضوعها . فهي تشمل ، مثلاً ، النزاعات التي اتفق اطرافها على حلها بطرائق سلمية أخرى غير التقاضي ، والنزاعات المتعلقة بحقائق او اوضاع ناشئة عن صدامات مسلحة ، او اجراءات فردية او جماعية متخذة دفاعاً عن النفس ، او مقاومة العدوان ، او تنفيذ إلتزامات فرضتها هيئات دولية . كما تشمل النزاعات الناجمة عن تفسير او تطبيق معاهدة متعددة الاطراف [١٦] .

ولم تقتصر الاستثناءات على النزاعات التي يمكن ان تنشأ عن مسائل عامة او مشتركة بين مختلف الاقطار ، بل شملت ايضاً نزاعات قد تنشأ عن مسائل

(١٥) للوقوف على الأثر القانوني المترتب على التحفظات غير الجائزة في المعاهدات، انظر (باويت)، مقالته سابقة الذكر ، ص ٧٥ — ٧٦ .

(١٦) أمثلة هذه النزاعات تشملها التصريحات الصادرة مثلا عن : الهند (١٩٧٤) ، مالطا (١٩٦٦) ، موريشوس (١٩٦٨) .

خاصة ، أي مسائل لا تنشأ الا في اقطار معينة . ومثال ذلك ان نيوزيلندا ، وهي من الاقطار البحرية ، تنص في تصريحها الصادر عام ١٩٧٧ على ان تستثنى من اختصاص المحكمة « النزاعات الناشئة عن الاختصاص او الحقوق التي تطالب بها او تمارسها نيوزيلندا في ما يتعلق باستكشاف او حفظ او ادارة المصادر الحية في المناطق البحرية الواقعة وراء بحر نيوزيلندا الاقليمي او جواره ، ولكن ضمن ٢٠٠ ميل بحري من الخطوط الاساسية التي يقاس منها عرض البحر الاقليمي » . وأخيراً ، تحتفظ نيوزيلندا بحقها في ان تعدل هذا التصريح « في ضوء نتائج المؤتمر الثالث للامم المتحدة الخاص بقانون البحار في ما يعلق بتسوية المنازعات»[١٧].

ويبقى استثناء المنازعات المتعلقة بالسلطان او الاختصاص الداخلي للدول اهم الاستثناءات في تصريحات الاعتراف بولاية المحكمة واكثرها خطورة .

ومعروف ان التصريح الاميريكي الصادر عام ١٩٤٦ كان اول تصريح حديث يتضمن هذا الاستثناء ، ثم تبعته تصريحات اخرى مماثلة . وقد جاء فيه ان الولايات المتحدة الاميريكية ، التي تقرّ للمحكمة بولايتها في المسائل الاربع المعددة في الفقرة (٢) من المادة (٣٦) من النظام الاساسي ، تستثني من هذه الولاية « المنازعات بشأن المسائل التي تقع في جوهرها ضمن الاختصاص الداخلي للولايات المتحدة الاميريكية ، كما تقررها الولايات المتحدة » .

وقد جوبه التحفظ الاميريكي بانتقادات منها انه لا يحدد سلفاً المسائل التي تقبل الولايات المتحدة فيها ولاية المحكمة، وانه يترك التحديد الى ما بعد قيام النزاع ، ثم يترك حينئذ الامر الى الولايات المتحدة نفسها ، لا إلى المحكمة[١٨] ثم انتقد ايضاً على أساس تناقضه مع مضمون الفقرة (٦) من المادة (٣٦) من النظام الاساسي ، التي تودع في المحكمة وحدها الفصل في مسألة اختصاصها .

---

(١٧) ويماثل هذا التصريح كل من التصريح الصادر عن الفيلبين عام (١٩٧٢) والتصريح الذي اصدرته النرويج عام (١٩٧٦) .

(١٨) انظر : (والدوك) ، مصدر سابق ، ص ٢٦٠ .

ورأى اصحاب هذا النقد ان مثل هذا التحفظ تعديل من جانب واحد ، وان كان غير مباشر ، لنص يرتكز عليه وجود المحكمة ، وانه ليس الا تحدياً لصلاحية المحكمة [١٩] .

وواضح ان هذا النمط من التحفظ لا يكتفي باغفال الاشارة الى القانون الدولي كمعيار لوقوع المسائل ضمن اختصاص الدولة الداخلي ، بل يؤكد ان الدولة وحدها هي التي تقرر ذلك .

ويقابل هذا النمط المرتكز على التفسير الذاتي نمط آخر يعتمد القانون الدولي معياراً لتقرير ما اذا كانت المسألة واقعة ضمن اختصاص الدولة الداخلي . وهكذا نرى كندا ، مثلاً ، تستثني في تصريحها الصادر عام (١٩٧٠) من ولاية المحكمة « النزاعات المتعلقة بمسائل تقع ، بموجب القانون الدولي ، حصراً ضمن اختصاص كندا ».ولا ريب في ان هذا النمط من التحفظ أقرب الى الاذعان لسلطان المحكمة من سابقه . إلا أنه لم يكن بمنجاة من بعض انتقادات منها انه « علمياً ، غير صحيح وغير ضروري ، وذلك الى الحد الذي يكون فيه مركز الدولة المدعى عليها في المسائل مؤمّناً من قبل القانون الدولي على اكمل وجه » [٢٠] . وكما لاحظ اصحاب هذه الانتقادات ، يؤدي مثل هذا التحفظ الى اثارة شكوك ، ربما كانت بغير أسس سليمة ، في اختصاص المحكمة في ان تنظر باي حال في مثل هذه النزاعات [٢١] .

---

(١٩) انظر :

RUTH. C. LAWSON, ((The Problem of the Compulsory Jurisdiction of the World Court)), 46 American Journal of International Law, 1952, P. 237.

(٢٠) انظر (لوترباخت) في :

L. OPPENHEIM, ((International Law)), 1960, Vol. II, P. 62.

(٢١) المصدر السابق .

إن نظرة إلى مجموع التصريحات نافذة المفعول حالياً ، والبالغ عددها (٤٧) تصريحاً ، ترينا ان عدد التصريحات التي تحتوي على تحفظات بشأن مسائل السلطان الداخلي يبلغ (١٧) تصريحاً ، أي حوالي ثلث مجموع التصريحات [٢٢] ويبلغ عدد التحفظات التي تأخذ بالقانون الدولي معياراً لاستثناء هذه المسائل من ولاية المحكمة (١٠) تحفظات ، فيما يبلغ عدد التحفظات التي تترك الاستثناء لقرار الدولة وحدها (٧) تحفظات [٢٣] .

ومن الطبيعي ان تكون الاهداف المتوخاة من التمسك بمانع الاختصاص او السلطان الداخلي مختلفة باختلاف سياسات الدول ومصالحها . فلا يمكن ، مثلاً ، أن يتماثل هدف الولايات المتحدة الاميريكية من تمسكها بهذا المانع مع اهداف دول صغرى ، من امثال موريشوس ومالطا وملاوي ، او دولة عربية ، كالسودان. وهذا ما ينطبق على بقية انواع التحفظات . ومع ذلك ، فليس من اليسير التذرع بهذه الحقيقة للتمسك بالتحفظات التي يمكن ان تتفاوت اهدافها باختلاف ظروف الدولة الواحدة وسياستها ، لا باختلاف هذه الظروف والسياسات في المحيط الدولي فحسب . وفي التطبيق العملي ، ليس هناك ما يحول دون استخدام هذه التحفظات في الخلافات بين الدول النامية ذاتها ، وبذلك تحبط امكانات حل هذه الخلافات وبذلك يمكن ايضاً ان تكون التحفظات بشأن الاختصاص الداخلي للدولة سيفاً ذا حدين : مرة تستخدمه الدولة التي أثبتته في تصريحها ، واخرى تستفيد منه الدولة التي سبق ان قبلت بهذا التصريح ، ذلك ان من حق الاخيرة ان تفعل ذلك استناداً إلى مجرد قبولها هذا . وبالرغم من عدم وقوع حالة من هذا القبيل بين

(٢٢) وهذه التصريحات هي لكل من : سوازيلاند ، باكستان ، موريشوس ، مالطا ، كينيا ، غامبيا ، كمبوديا ، بوتسوانا ، السلفادور ، كندا ، الولايات المتحدة ، السودان ، الفليبين ، ملاوي ، لايبريا ، الهند ، والمكسيك .

(٢٣) تتالف المجموعة الاولى من الدول العشر الاولى المذكورة في اعلاه . اما المجموعة الثانية فتتالف من الدول السبع الاخيرة .

دولتين ناميتين ، إلا أن وقوعها بين دولتين اوربيتين غير ذي مرة ينذر بوقوعها بين دول نامية [٢٤] .

وما يلفت النظر في تحفظات الاختصاص الداخلي أن عدد التحفظات التي صدرت عن الدول النامية بلغ (١٥) تحفظاً من اجمالي التحفظات البالغ (١٧) تحفظاً ، أي كل التحفظات ، باستثناء التحفظين الاميريكي والكندي .
وبلغ عدد التحفظات التي تتبنى القانون الدولي معياراً لاستثناء الاختصاص الداخلي (٩) تحفظات ، بينما بلغ ما ترك منها الاستثناء لقرار الدولة وحدها (٦) تحفظات وهكذا يصبح عدد الدول النامية التي اصدرت هذه التحفظات ، بمعياريها ، نصف اجمالي الدول النامية التي اعلنت قبولها ولاية المحكمة .

ان هذه النسبة الكبيرة من هذا النوع من التحفظات تعيد إلى الذهن التجربة المرة التي خاضتها الدول النامية في تنظيماتها الاقليمية الخاصة . فقد كان التمسك بالاختصاص الداخلي للدولة احياناً مجرد ذرائع لابقاء عدد من النزاعات بين اعضاء

(٢٤) في قضية «القروض النرويجية» ، التي نظرت فيها محكمة العدل الدولية عام ١٩٥٧ ، استندت المحكمة في ولايتها الى تصريحين صادرين عن النرويج وفرنسا ، وكانت النرويج قد قبلت في تصريحها هذه الولاية «على شرط المقابلة بالمثل» . اما فرنسا فقد تضمن تصريحها هذا الشرط ، وشرطا آخر هو عدم التسليم بولاية المحكمة في الخلافات المتعلقة بالمسائل التي «تقع في جوهرها ضمن الاختصاص الوطني كما تفهمه حكومة الجمهورية الفرنسية» . وفي الاعتراض الأولي الذي قدمته النرويج ، قالت الاخيرة ان من حقها الاستفادة من اضيق التعهدين الفرنسيين ، أي من الشرط الثاني ، ولذلك فهي تعترض على ولاية المحكمة وتعتبر نزاعها مع فرنسا ناشئا عن مسالة تقع ضمن اختصاصها الداخلي . وايدت المحكمة هذا الاعتراض ، حيث رات ان للنرويج الحق ، بموجب شرط المقابلة بالمثل ، ان تلجأ الى التحفظ في التصريح الفرنسي، وان هذا التحفظ يستثني النزاع المحال اليها من ولايتها ، وعليه فهي لاتملك صلاحية للنظر في الدعوى الفرنسية . للوقوف على تفاصيل القضية ، انظر :
I. C. J. REPORTS, 1957, P. 9.

المنظمة الاقليمية الواحدة بغير حل . وما اخفاق جامعة الدول العربية في حل الكثير من المنازعات العربية إلاّ مثلاً على ذلك [٢٥] .

وفي الجانب الزمني من التصريحات ، أي ما تعلق بفترتها وموعد تنفيذهـا وانهائها ، نجد من التحفظات والشروط ما يضعف التزام الدول المعلنة عن قبولها ولاية المحكمة ويقلص ، من ثمّ ، هذه الولاية . ولعل فترة التصريحات ، اي استمرارها ، وانهاءها ، هما المسألتان الرئيستان في هذا الجانب .

ان التصريحات القائمة الآن تنقسم الى قسمين رئيسين من حيث مدة سريان مفعولها . والقسم الاول هو ما يحدد هذه المدة بفترة معينة ، وهي في الاغلب خمس سنوات . وقد تجدد هذه الفترة تلقائياً ، أو قد يستمر سريان مفعول التصريح إلى أن يلغى باخطار . والقسم الثاني هو ما لا يحدد فترةً معينة لسريان مفعول التصريحات ، فتكتفي الأخيرة بالنص مثلاً على انها ستبقى نافذة إلى أن تلغى باخطار ، أو أنها ستبقى الى فترة غير محددة من تاريخ ايداعها لدى الامين العام للامم المتحدة . ويبلغ عدد التصريحات التي يضمها القسم الاول (١٥) تصريحاً ، بينما يبلغ عدد التصريحات التي يشملها القسم الثاني (٢٤) تصريحاً . ويوحي هذان الرقمان ، أولَ وهلة ، بأن التزام الدول يتفاوت قوةً أو ضعفاً وفقاً لتفاوت المدد المحددة لنفاذ التصريحات . إلا ان هذا التصور سرعان ما يتبدد حين نتذكر بأن قوة اي التزام لا تبرز في المدة المقررة له قدر ما تبرز في اسلوب تنفيذه ، وبخاصة في مدى الحرص على تجنب جعل تحديد هذه المدة ، بغض النظر عن طولها ، شكلياً ، أي قابلاً للالغاء الكيفي برغبة طرف واحد .

(٢٥) وقد كانت المادة (٥) والمادة (٨) من ميثاق جامعة الدول العربية في مقدمة النصوص التي يضمها هذا الميثاق والتي تكرس التمسك بالاختصاص الداخلي واتخاذه ذريعة لمنع حل النزاعات العربية . انظر بهذا الصدد : د. صالح جواد الكاظم ، «دور جامعة الدول العربية في حل المنازعات العربية » . مجلة الجامعة المستنصرية ، العدد الخامس ، ١٩٧٤ ــ ١٩٧٥ ، ص ٢٢٤ ــ ٢٦٦ .

وتثير التصريحات الخالية من التحديد الزمني عدداً من المسائل أهمها مسألة انهاء هذه التصريحات . وكان التساؤل الجوهري بهذا الصدد هو ما اذا كانت الدولة ملزمة بمثل هذه التصريحات بصورة دائمة او ما اذا كان بامكانها إنهاؤها في ظروف معينة . وقد اعتادت بعض الدول الاحتفاظ بحق الغاء تصريحاتها دون اعتراض من الدول الاخرى . وقيل في تسويغ هذا الحق ان فعل التصريح ذاته كان عملاً من جانب واحد ، وعليه فان الغاءه يمكن ان يكون بالمثل من جانب واحد وفي اي وقت من الاوقات. ودعماً لذلك، قيل ان انهاء ولاية المحكمة، بالغاء التصريح ، لا يؤثر في التقاضي البادئ فعلاً امام المحكمة . وسياسياً — كما قال اصحاب هذا الرأي — ليس من المتصور ان تحاول دولة اخرى اللجوء الى تصريح اعانت الدولة المعنية الغاءه ، أي لتتخذه اساساً لاقامة دعوى[٢٦] . وهكذا توصف آثار الالغاء بأنها نظرية لا فعلية .

الا أن تاريخ التصريحات نفسها يدل على ان الالغاء لم يكن خلواً من اغراض أهمها التملص أو التهرب من الاحتكام الى المحكمة في قضايا نزاع قائم أو وشيك الوقوع . وهكذا ، الغت بريطانيا في تشرين الاول ، ١٩٥٥ ، وعلى حين غرة ، تصريحها بقبول ولاية المحكمة الذي كانت قد وضعته قبل بضعة اشهر ، اي في نيسان من ذلك العام ، لتضع تصريحاً جديداً يستثني نزاعاً معلقاً مع العربية السعودية بشأن التحكيم على واحة البريمي. وقبل هذا ، أي عام ١٩٥٤ ، أنهت أستراليا قبولها ولاية المحكمة لتمنع اليابان من التدخل طرفاً في نزاع على مصائد اللؤلؤ ، وعلى أساس لم يكن يحظى بقبول استراليا . وجاء التصريح الاسترالي الجديد ، عام ١٩٥٥ ، قاصداً تحديد الشروط التي تستطيع اليابان بموجبها مقاضاة استراليا في ذلك . وابعد من هذا ، اي عام ١٩٣٨ ، الغت باراغواي

(٢٦) انظر :
S. ROSENNE, ((The Law And Practice of the International Court)), Vol. I, Leyden, 1965, PP. 416 — 417.

قبولها غير المشروط ولاية محكمة العدل الدولي الدائمة ، تهرباً من مقاضاتها من جانب بوليفيا في نزاع حدود بينهما [٢٧] .

وقد انتقدت هذه الممارسات في انهاء التصريحات على اساس انها تنفي كل ما يمكن تحقيقه من ثقة بين اطراف المجتمع الدولي ، وتشيع ضرباً من الانتهازية في سلوك الدول . فالدولة المعنية تبقى على تصريحها طالما وجدت نفسها مدعياً او مشتكياً محتملاً ، أو قادرةً على كسب دعواها ، فتضع بذلك امام المحكمة أي خصم سبق ان قبل تصريحها . ولكنها ما إن ترى احتمالاً حقيقياً في أن تكون هي المدعى عليها أو أن تخسر دعواها حتى تبادر الى الغاء تصريحها [٢٨] .

وقد اختلف بعض الفقهاء على ما اذا كان انهاء التصريح ، غير المحدد بفترة معينة ، من جانب واحد ، يستتبع انهاءه من جانب آخر . فيرى (والدوك) ، مثلاً ، ان شرط المقابلة بالمثل ، الذي تُبنى عليه كل التصريحات ، يتطلب ان يكون لكل دولة نفس الحق في ان تلغي تصريحها ، شأنها في ذلك شأن الدول الاخرى [٢٩] . ويرى (بريغنس) ، مثلاً ، ان الرأي السابق غير صحيح ، لأن أي الغاء آخر سيكون عديم الأثر لحظةَ بدء المحكمة نظرها في القضية [٣٠]

(٢٧) انظر : (بريغس) ، مصدر سابق ، ص ٢٧٥ .

(٢٨) انظر ، مثلا ، (باويت) في كتابه :
((The Law of International Institutions)), London, 1975,P. 244

(٢٩) انظر (والدوك) ، مصدر سابق ، ص ٢٧٨ .

(٣٠) انظر (بريغس) ، مصدر سابق ، ص ٢٧٦ ــ ٢٧٧ . وعلى ما يبدو ، يعتمد أصحاب هذا الراي على ماقالته المحكمة في عدد من القضايا التي نظرتها، ومنها قضية «حق العبور عبر الاراضي الهندية» عام ١٩٥٧ . وفي القضية الاخيرة ، ذهبت المحكمة الى ان من قواعد القانون المسلم بها ان المحكمة لايمكن ان تجرد من ولايتها بالغاء الدولة المدعى عليها تصريحها من جانب واحد ، كلا او جزءا ، وذلك بعد ان تبدأ بشكل قانوني نظرها في النزاع. انظر تفاصيل القضية في :
I. C. J. REPORTS, 1957, P. 15.

إلاّ ان المسألة المهمة هنا ليست ما اذا كان للالغاء المقابل أثر في عمل المحكمة، بل ما اذا كان هناك ما يمنع حقاً هذا الالغاء. وفي تركيب نظام الولاية الاجباري الراهن ليس من اليسير أن نرى مثل هذا المانع ، لا قانوناً ولا واقعاً .

والملاحظ ان عدد الدول التي لم تحدد فترة لانهاء تصريحاتها يبلغ (٢٤) دولة ، أما التي حددتها بخمس سنوات فهي (١٥) دولة ، وهناك دولة واحدة حددتها بعشر سنوات . وما يسترعي الانتباه ان جميع هذه الدول ، باستثناء عشر منها ، لم تحدد فترة إخطار لانهاء تصريحاتها ، واكتفى معظمها بالقول بأن التصريحات تبقى نافذة المفعول الى ان يصدر إخطار بخلافه ، او الى أن يعطى اخطار بانهائها الى الامين العام للامم المتحدة [٣١] . اما الدول النامية ، فما من واحدة منها حددت فترة إخطار لانهاء تصريحها .

وجدير بالتذكر هنا أن التصريح البرتغالي الصادر عام ١٩٥٥ ينص في شرطه الثالث على : « ان الحكومة البرتغالية تحتفظ بحقها في أن تستثني من مجال هذا التصريح ، في اي وقت خلال نفاذه ، أي صنف او اصناف معينة من النزاعات ، وذلك باخطار الامين العام للامم المتحدة ، وعلى ان يصبح هذا الاستثناء نافذ المفعول فور هذا الاخطار » .

وقد اثار هذا التصريح موجة من الانتقادات اهمها إنه شبيه بالتصريحات التي يمكن الغاؤها باخطار فوري ، إلا أنه اسوأ منها في محاولته الابقاء على طابع قبول ولاية المحكمة ، في نفس الوقت الذي يفرغ فيه هذه الولاية تدريجاً من محتوياتها . وكانت الهند ، في نزاعها مع البرتغال عام ١٩٥٧ ، اول من طعن في هذا التصريح أمام محكمة العدل الدولية ، وذلك في اول اعتراضاتها الستة الاولية على ولاية المحكمة ، وادانته بالتعارض مع مقاصد نظام الالتزام بولاية

(٣١) اما الدول التي حددت فترات لاخطاراتها (ومعظمها ستة اشهر) فهي : السويد ، الولايات المتحدة ، لوكسمبرغ ، هولندا ، النرويج ، نيوزيلندا، الدانيمارك ، فنلندا ، المكسيك ، وسويسرا (فترة اخطارها سنة) .

المحكمة . وكانت البرتغال قد استندت الى تصريحها هذا في دعواها على الهند ، التي اقامتها بعد ثلاثة ايام فقط من اصداره .

وكان المنتظر ان تقف كل الدول التي اصدرت تصريحاتها بعد التصريح البرتغالي ، وبخاصة الدول النامية ، موقف تعارض صريح وحازم ازاء كل اتجاه لاضعاف سلطان المحكمة وتقليص التزامات الدول . إلا ان ما حدث لم يكن من هذا المنتظر في شيء . فمن بين الدول السبع والاربعين التي اعلنت عن قبولها ولاية المحكمة ، نرى ثلاث عشرة دولة تُدْخل في تصريحاتها شرطاً لا يقل غرابة عن الشرط البرتغالي .

ان هذا الشرط الجديد يتلخص في احتفاظ الدولة صاحبة التصريح بحقها « في أي وقت ، ومن خلال إخطار موجه إلى الامين العام للامم المتحدة ، في ان تضيف الى أيّ من التحفظات السابقة أو التي يمكن ان تضاف بعد ذلك ، أو ان تعدل فيه أو تسحب . وتكون هذه الاخطارات نافذة المفعول من تاريخ تسلم الامين العام للامم المتحدة إياها » .

ومعروف ان معظم التحفظات ترد على أنواع معينة من النزاعات . وكلما اتسعت دائرة هذه التحفظات تقلصت ولاية المحكمة والتزامات الدول حيالها في آن واحد . وفي هذه الصيغة الشرطية الجديدة ، يسمح للدولة بزيادة تحفظاتها إلى غير ما نهاية ؛ وذلك باضافة تحفظ جديد أو تعديل لتحفظ سابق يزيد من نطاقه . وهكذا يمكن القول بأن الصيغة الجديدة جاءت لتقلص ولاية المحكمة إلى درجة تفوق كثيراً ما كانت عليه قبل مجيئها . وما يستأثر بالتأمل هنا أن من بين (١٣) (٣٢) دولة اخذت بهذه الصيغة ، نجد (١٠) دول هي من الدول النامية (٣٣) ، أي : إن ثلث الدول النامية المصرحة بقبول ولاية المحكمة أخذ بهذه الصيغة .

(٣٢) وهي : كندا ، بريطانيا ، النرويج ، بوتسوانا ، البرتغال ، سوازيلاند ، ملاوي ، مالطا ، موريشوس ، الصومال ، توغو ، كينيا ، والسلفادور .
(٣٣) وهي كل الدول المذكورة في اعلاه باستثناء الثلاث الأوليات .

اخيراً ، ثمة تحفظ له دور غير ضئيل في تقييد ولاية المحكمة وتوسيع حرية الدول في التهرب من حل نزاعاتها امامها . ويقوم هذا التحفظ على تحديد المنازعات التي يمكن ان تنظر فيها المحكمة من حيث زمن وقوعها . ويتخذ هذا القيد الزمني صيغاً مختلفة . فمن التصريحات ما يقيد ولاية المحكمة بالنظر في المنازعات الناشئة في أو بعد تاريخ التصريح ، أي تاريخ توقيعه او ابرامه (٣٤) . ومنها ما يقيدها ابتداءاً من فترة أو تاريخ معين في الماضي ، فيحق للمحكمة ان تنظر في النزاعات الناشئة في ذلك التاريخ او بعده فقط (٣٥) . فمثلاً ، إن التصريح الهولندي ، الذي صدر مطلع آب ١٩٥٦ ، يجيز للمحكمة ان تنظر في النزاعات الناشئة بين هولندا وغيرها بعد الخامس من آب ١٩٢١ . اما التصريح الباكستاني فهو يحدد سريانه على المنازعات السابقة بالرابع والعشرين من حزيران ١٩٤٨ ، وكان هو قد صدر في الثاني عشر من ايلول ١٩٦٠ ، وهلم جراً .

وامعاناً في التمسك بهذا القيد الزمني ، تأتي بعض التصريحات بصيغ اكثر تشدداً من الصيغة السانفة . فمثلاً ، إن تصريح السلفادور ، الذي صدر في السادس والعشرين من تشرين الثاني ١٩٧٣ ، لا يكتفي بالقول بأنه لا يطبق الا على « الاوضاع او الحقائق التي قد تنشأ بعد هذا التاريخ » ، بل يؤكد إستثناءه من ولاية المحكمة « النزاعات القائمة قبل الآن ، على أن يُفهم بان هذه تشمل أي نزاع وجدت قبل هذا التاريخ أسسه أو اسبابه او حقائقه او مصادره أو حدوده أو مزاعمه او قواعده ، حتى اذا كانت هذه النزاعات قد عرضت على المحكمة او احيطت بها علماً » (٣٦) . وقد إقتفى التصريح الهندي ، الصادر في الخامس

(٣٤) وهذه هي تصريحات كل من : كندا ، السلفادور ، غامبيا ، الهند ، اليابان لايبيريا ، ملاوي ، المكسيك ، الفليبين والولايات المتحدة .

(٣٥) وهذه هي تصريحات كل من هولندا ، بلجيكا ، كولومبيا ، مصر ، كينيا باكستان ، البرتغال ، السودان ، السويد وبريطانيا .

(٣٦) الاستثناء الخامس من التصريح السلفادوري .

عشر من ايلول ١٩٧٤ ، اثر التصريح السلفادوري حرفياً [٣٧] .

ويبلغ الآن عدد الدول التي تنص في تصريحاتها على هذا القيد الزمني (٢١) دولة ، من بينها (١٣) دولة نامية [٣٨] . وفي المقابل ، يبلغ عدد الدول النامية التي لا تحتوي تصريحاتها هذا القيد (١٧) دولة [٣٩] .

وقد سبق ان إنتقد هذا القيد عام ١٩٤٨ ، أيام لم تكن النزاعات الدولية بهذا العدد او التعقد الذي بلغته الآن . فقد كتب (ادوارد هامبرو) ذلك العام يقول :

« غالبا مه يحدث في تاريخ الدول ان تستغرق النزاعات وقتاً طويلاً لكي تنضج . وتجري مفاوضات ديبلوماسية مطولة قبل ان يتقرر في النهاية ان النزاع اصبح محدداً ومعيناً على نحو يكفي لوضعه في شكل ادعاء ، وادعاء مقابل امام محكمة دولية . وعلى هذا فقد تكون المحكمة (الدولية) مفيدة كل الفائدة حين تدعى الى النظر في الادعاءات والمنازعات القديمة » [٤٠] .

واذا ما تذكرنا بأن معظم الدول النامية ورث تركة مثقلة بالخلافات المختلفة التي تمتد اسبابها وأسسها إلى عشرات السنوات ، لا إلى بضع سنوات ، وبأن بعضها كان من التعقد بحيث كان من العسير أو المتعذر حله ، ادركنا مدى الخطأ في القيد الزمني الوارد في تصريحات بعض الدول النامية.ولربما كان من الضروري

(٣٧) الاستثناء الحادي عشر من التصريح الهندي .

(٣٨) وهذه هي : كولومبيا، مصر ، السلفادور ، غامبيا ،الهند، كينيا، لايبيريا، ملاوي ، المكسيك ، باكستان ، الفلبين ، البرتغال والسودان .

(٣٩) وهذه هي : بوتسوانا ،كوستاريكا ، كمبوديا ، دومينيكان ، هندراوس نمسا ، مالطا ، موريشوس ، نيوزيلندا ، نيكاراغوا ، نايجيريا ، الصومال، سوازيلاند ، توغو ، اوغندا وارغواي .

(٤٠)انظرمقالته :

((Some Observations on the Compulsory Jurisdiction of the International Court of Justice)), 25 B. Y. I. L. (1948), P. 144.

التساؤل ، قبل وضع هذا القيد الزمني ، عن السبيل الى حل نزاع كان واقعاً فعلاً قبل صدور التصريح الذي يتضمن هذا القيد ، فجاء الاخير ليحول دون حله في المحكمة . وفي خريطة اميريكا اللاتينية وافريقيا ، بوجه خاص، عشرات من بؤر النزاعات التي تمتد جذورها إلى عهود السيطرة الاجنبية والانقطاع الحضاري الطويل . وليس متوقعاً حل هذه النزاعات ، وبالسرعة التي تتصورها هذه التصريحات ، في غياب الأجهزة المحلية القادرة على ذلك . وهكذا فان غلق باب المحكمة الدولية امام النزاعات التي شاءت المصادفة ان تقع قبل يوم واحد فقط من صدور هذه التصريحات ليس من المنطق او الفائدة في شيء .

ومن الجلي ان القيد الزمني الذي تفرضه الدول في تصريحاتها إنما يراد به استثناء نزاعات معينة من ولاية المحكمة ، لأسباب سياسية معينة . وليس لربط الاستثناء بتاريخ معين في الماضي من دور أو وظيفة حقيقية سوى التستر على هذا القصد . واذا كان الامر كذلك ، لم يكن القيد الزمني ، في آثاره او نتائجه ، سوى صورة من صور الاستثناءات الواردة على انواع النزاعات او اصنافها ، الا أنها ، في التحليل الاخير ، أشد تقييداً من سواها من الاستثناءات، لأنها لا تستبعد من ولاية المحكمة انواعاً محددة من النزاعات بل كل انواعها .

وفي التطبيق ، لن يؤدي القيد الزمني الى سوى ابقاء نزاعات معينة بغير ما حل. وتلك نتيجة توازي في آثارها نتيجة بقاء النزاعات بدون حل بسبب غياب النصوص التي تلزم اطرافها بعرضها على محكمة ما ضمن فترة محددة [٤١] . والأثر المشترك الاهم احتمال تطور النزاعات الصغيرة ، غير المحلولة بسبب القيد الزمني أو سواه ، الى نزاعات كبيرة .

---

(٤١) مثال ذلك ان المادة (٣٣)من ميثاق الامم المتحدة تخلو من هذا الالزام ، كما تخلو منه المادة (٥) من ميثاق جامعة الدول العربية ، وكامل (ميثاق باغوتا) الخاص بتسوية المنازعات بين الدول الاميركية .

– ٤ –

إن مواقف الدول النامية هذه ازاء ولاية محكمة العدل الدولية جزء من موقفها الشامل ازاء هذه المحكمة . وفي الجملة ، يتصف هذا الموقف بالسلبية . وقد طرحت عدة آراء تفسيراً لهذه السلبية ، وتحول جزء منها إلى تسويغ أو دفاع عنها . فقد قيل ، مثلاً ، ان الدول الشرقية ، وبخاصة الآسيوية ، تعتبر القانون « مجموعة من المبادئ الاخلاقية والسياسية ، لا مجموعة منطقية من القواعد التي يجب ان تطبق لحل النزاعات وتسيير العلاقات » . ولهذا ، كما يرى اصحاب هذا التفسير ، تحبذ هذه الدول مرونة التفاوض والتوفيق ، لا قطعية القواعد القانونية ، لحل المنازعات . وهكذا يفسرون ما يسمونه « تفضيل » هذه الدول التفاوض والتوفيق على التقاضي وتطبيق القانون الدولي [٤٢] .

وسبق أن طرح سبب آخر مفاده ان غياب الولاية الالزامية يترك للدول الآسيوية والافريقية المتخلفة حرية تصرف أوسع في تصفية الديون والامتيازات والتعهدات التجارية وغيرها من الالتزامات الموروثة عن السيطرة الاجنبية السابقة . ويرى اصحاب هذا التفسير أن حالة « المديونية » التي وجدت هذه الدول نفسها مغرقة فيها ابان استقلالها قد فرضت عليها اللجوء الى طرق غير الطرق القانونية للتخلص من هذه الحالة ، ومن هذه الطرق التفاوض واعادته وانكار الديون والدعايات المعادية والمقاطعة والمصادرة . [٤٣] أما تنكب هذه الدول طريق القانون فهو بسبب شعورها بان هذا القانون تقليدي وينحاز عادة الى الدولة الدائنة [٤٤] .

---

(٤٢) انظر :

R. P. ANAND, ((The Role of the ((New)) Asian — African Countries In The International Legal Order)), 56, A. J. I. L., 1962, P. 395.

(٤٣) راجع : (آناند) ، مصدر سابق ، ص ٤٠٠ .

(٤٤) انظر : (آناند) ، مصدر سابق ، ص ٤٠١ .

وكذلك انتقد القانون الحديث الذي تطبقه المحكمة بأنه غامض . وقيل ان المحكمة ، بل أية هيئة قضائية دولية اخرى ، إنما تجنح الى تأكيد الاوضاع القانونية القائمة حين تطبق معايير شكلية لا مادية . وقد عزي الى هذا إعراض الدول النامية عن قبول ولاية المحكمة ، لان هذا القبول ينطوي على قبول القانون الذي تطبقه المحكمة . واضيف الى ذلك ان القانون الدولي المعاصر لا يعكس التطورات الاقتصادية والاجتماعية العميقة والتحولات المهمة في مراكز القوة والثورة العلمية التكنولوجية التي يمرّ بها العالم . واحتج ايضاً بان العديد من المسائل المهمة في القانون الدول لم يصبح حتى الآن موضع اتفاق بين الدول . وهكذا ، ما لم تتطور وتتوضح قواعد القانون الدولي لتعكس نظام العلاقات الدولية الجديد ، فلن تندفع الدول النامية الى اي نظام للتقاضي الالزامي (*)

واذا كانت قواعد القانون المطبق محل اعتراض الدول النامية ، فمعنى ذلك ان الأخيرة لن تتوجه الى المحكمة التي تطبق هذه القواعد . ومن البديهي ان المحكمة غير مؤهلة لتغيير القانون ، ومن ثمّ فليس من المعقول ان تنظر المحكمة في خلافات ناشئة عن مطالبات باحداث هذا التغيير . ومن هنا ، ذهب البعض الى أن التوفيق بين الاوضاع القانونية القائمة ومطامح الدول النامية عملية سياسية في جوهرها ، وبذلك لا تصلح لأية تسوية قضائية . ويبقى ، على ذلك ، امام هذه الدول خيار واحد هو حل النزاعات بوسائل سياسية[٤٥] . وجرى التشديد على التفاوض كوسيلة من بين هذه الوسائل ، على أساس أنه الطريقة الفضلى التي تضمن لأطراف النزاع مصالحهم بصورة متساوية ، وذلك في ضوء مصالحهم ذاتها وطبيعة النزاعات

(*) انظر :
FELIX CHUKS OKOYE, ((International Law and the New African States)), London, 1972, P. 207.

(٤٥) انظر : (آناند) ، مرجع سابق ، ص ٤٠٣ .

القائمة بينهم وظروفها [٤٦] .

ثم عزا البعض سبب موقف الدول النامية ازاء المحكمة الى المحكمة ذاتها . فقد قيل ان الأخيرة لا تمثل « الاشكال الرئيسة للمدنية والانظمة القانونية الرئيسة في العالم » ، كما تنص على ذلك المادة (٩) من النظام الاساسي للمحكمة . وقيل أيضاً ان المحكمة ، بصورة عامة ، لا تفهم المشكلات الخاصة بالدول النامية ، سيما الآسيوية والافريقية ، وذلك لقلة نسبة عدد القضاة من هذه الدول فيها [٤٧] ولم ينس البعض أن يضيف الى هذين السببين سبباً ثالثاً هو وقوع مقر المحكمة في عاصمة اوروبية . وباختصار ، قيل ان المشكلة « نفسيـــة » الى حد كبير ، وان المعالجة يجب ان تنطلق من هذا الجانب [٤٨]

وذهب بعض آخر الى ان انقسام العالم الى كتل متناحرة ساعد على لجوء هذه الدولة النامية أو تلك الى واحدة او أخرى من هذه الكتل ، ومن ثمّ على خرق التزاماتها والتهرب من عرض أي نزاع تكون طرفاً فيه على المحكمة . ويذهب اصحاب هذا التفسير ايضاً الى ان تحريم الميثاق ، بصورة عامة ، لاستخدام القوة ، بما في ذلك استخدامها للحصول على تعويض عن ضرر ما بدون اللجوء الى محاكمة ، قد جعل الدول الصغرى في مأمن من استخدام القوة ضدها ، ومن ثمّ أفقدها اهتمامها بالتسوية القضائية ، التي كانت تضمن لها قدراً من المساواة [٤٩] .

وواضح ان هذه الآراء في تفسير مواقف الدول النامية حيال المحكمة الدولية ، وحيال التقاضي بصورة عامة ، اطلقت منذ اكثر من ربع قرن ، فاذا صح بعضها ذلك الوقت فقد توقفت صحته اليوم . كما ان بعضاً منها لم يكن صحيحاً منذ

(٤٦) انظر :
KENNETH JAMES KEITH, ((The Extent of the Advisory Jurisdiction of the International Court of Justice)), Leyden, 1971, P. 246.

(٤٧) انظر : (كيث) ، مصدر سابق ، ص ٢٤٥ .
(٤٨) انظر : (آناند) ، مصدر سابق ، ص ٤٠٣ ــ ٤٠٤ .
(٤٩) انظر : (آناند) ، مصدر سابق ، ص ٤٠١ .

اطلاقه . وليس مما يريده هذا البحث أن يناقش كل هذه الآراء تفصيلاً ، بل ان يتناولها قدر ما تلقي من ضوء على مواقف الدول النامية ازاء الولاية الجبرية للمحكمة الدولية .

إن القول بان التفاوض والتوفيق اكثر مرونة من القاضي لا يخلو من صواب . إلا أن التأكيد بان التفاوض يضمن دائماً حل المنازعات ومصالح اطرافها على قدم المساواة لا يخلو من مبالغة ، إذ ليس هؤلاء « متساوين » دائماً قبل شروعهم في التفاوض ، ومن ثم فهم ليسوا دائماً في مواقع متساوية في تفاوضهم . وليس من المؤكد ان يأتي التفاوض دائماً بنتائج عادلة ، وهو ، كأية وسيلة سلمية أخرى لحل المنازعات ، قد يسوي النزاع لصالح طرف على حساب طرف آخر [٥٠] وبالرغم من كل ما يمكن أن يتميز به التفاوض فهو لم يصبح فعلاً في الدول النامية بديلاً عن التقاضي .

وفي الواقع ، لم يثبت في تاريخ العلاقات بين الدول النامية ، منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، جنوح هذه الدول بصورة عامة الى التفاوض اولاً ، وتفضيلها إياه ثانياً ، في حل نزاعاتها ، على اية وسيلة اخرى . وهذا بالرغم من وجود الأجهزة السياسية اللازمة التي يمكن بها توفير مستلزمات التفاوض ، كمجلس جامعة الدول العربية ولجنة الوساطة والتوفيق والتحكيم التابعة لمنظمة الوحدة الافريقية . والحقيقة : إن الموقف الذي تتخذه هذه الدولة النامية أو تلك من التقاضي جزء من موقفها العام تجاه حل المنازعات بكل الطرائق السلمية الأخرى ، وليس خاصاً بالتقاضي وحده .

واذا كانت قواعد القانون الدولي تقليدية ومنحازة إلى الدول الغربية الدائنة ، وكانت سبباً لاحجام الدول النامية عن التوجه الى المحكمة التي تطبق هذه القواعد ، فهي لم تبق كذلك منذ عام ١٩٤٦ حتى الآن . فقد دخلت هذا القانون قواعد جديدة

(٥٠) وهذا هو الاحتمال الذي حذر منه ميثاق الامم المتحدة في المبدا الثالث من مبادىء المنظمة بقوله : «يفض جميع الاعضاء منازعاتهم السلمية بوسائل سلمية على وجه لايجعل السلم والامن الدوليين والعدل عرضة للخطر » . (المادة ٢) .

تختلف كلياً عما كان سائداً ، وهي منحازة الى مصالح الدول النامية اكثر منها إلى مصالح الدول المذكورة . ومنذ ذلك العام وعدد المعاهدات والاتفاقات الدولية آخذ بالازدياد ، وقد كان دور الدول النامية في اعدادها وتطبيقها كبيراً . وهذا يعني ان هذه المعاهدات والاتفاقات ، بما تتضمنه من اتجاهات جديدة ، هي التي ستسود القواعد القانونية التي تُدعى المحكمة الى تطبيقها ، لا قواعد القانون الدولي العرفي .

والى هذا ، من اليسير على اطراف النزاع من الدول النامية أن يتجنبوا القواعد التقليدية التي تطبقها المحكمة ، وذلك باتفاقهم على ان تطبق على هذا النزاع مبادئ « العدل والانصاف » ، كما نصت على ذلك الفقرة (٢) من المادة (٣٨) من النظام الأساسي للمحكمة .

وما يستأثر بالاهتمام هنا أن التركيز على « المديونية » كسبب لعزوف الدول النامية عن التوجه الى المحكمة لم يبق ما يسوغه اليوم . والواقع ان هذا العزوف الآن ليس في قضايا ديون بين دول نامية ودول غربية ، بل في قضايا خلافات متنوعة بين الدول النامية نفسها . وما يراد من الولاية الجبرية للمحكمة ان تكون وسيلة الزام الدول النامية بحل خلافاتها ما بينها بالدرجة الاولى ، لا ما بينها وبين غيرها من الدول .

أما القول بأن عدم تمثيل الاشكال الرئيسة للحضارات والانظمة القانونية كان سبباً لتردد الدول النامية في الاحتكام الى المحكمة ، فلربما كان يصحّ حين لم تكن هذه الدول ممثلة تمثيلاً كافياً في هيئة المحكمة . أما وقد تغير هذا التمثيل كمياً ، فقد كان المؤمل ان يزداد اللجوء الى المحكمة (٥١) . إلا ان هذا لم يتحقق . والمؤسف ان زيادة القضاة الذين يحملون جنسيات دول نامية في المحكمة لم تُفْضِ

(٥١) من بين الخمسة عشر قاضيا الذين تتألف منهم المحكمة نجد سبعة يحملون جنسيات دول نامية هي : نايجيريا ، السنغال ، الهند ، سوريا ، مصر ، الارجنتين والبرازيل .

الى تغير نوعي ملموس في قرارات المحكمة [٥٢]

وفي التذرع بأن معظم النزاعات بين الدول النامية سياسية ، ومستحيلة الحل قضائياً ، ضرب من التهرب من كلا الحلين ، السياسي والقانوني ، على حد سواء . وليس هنا مجال الخوض في التمييز بين النزاع السياسي والنزاع القانوني ، ذلك التمييز الذي لا يمكن حسمه بمعيار واحد . إلا ان ثمة حقيقة ثابتة بهذا الشأن هي ، كما يقول (لوترباخت) : «ان نفس النزاع يمكن ان يكون قانونياً صرفاً ، وسياسياً صرفاً ، اي انه يمكن ان يكون قابلاً لاتخاذ قرار قانوني فيه فيسمح بتسوية قضائية ، ويمكن ان يبدو « مهماً » الى درجة يجعل التحكيم يبدو معها شيئاً خطراً » . وكما يقول هو ايضاً : « ان رفض الدولة عرض النزاع للتسوية القضائية هو ما يجعله سياسياً ، لا طبيعة الخلاف الفعلية » [٥٣] . وبالنسبة الى الدول النامية ، يعتمد تكييف النزاع بانه سياسي او قانوني على مدى استعداد أطرافه لعرضه على محكمة ما . وبكلمة ، يعتمد تحويل النزاع الى سياسي او قانوني على خيار سياسي صرف . اما الخيار نفسه فهو يعتمد على عوامل مختلفة ، منها حساب الخسارة والربح في اللجوء إلى الوسائل القانونية او السياسية . ولعل هذا الحساب اقوى هذه العوامل .

— ٥ —

إن الدعوة الى توسيع التزام الدول النامية بولاية محكمة العدل الدولية لا تعني قصر الالتزام . بحل نزاعات هذه الدول على اللجوء الى هذه المحكمة وحدها .

(٥٢) وعلى حد تعبير (د. ابراهيم شحاته) : «ان القضاة الآسيويين والافريقيين في المحكمة ، كانوا بصفة عامة محافظين وتقليديين في آرائهم الى حد فاقوا فيه كثيرا من زملائهم الغربيين » .
انظر مقالته : « محكمة العدل الدولية ومتطلبات تطوير نظامها » ، السياسة الدولية ، العدد (٣١) ، ١٩٧٣ ، ص ٤٨ .

(٥٣) انظر كتابه :
((The Function of Law in the International Community)), London, 1933, P. 164.

فالاخيرة ليست إلا الاداة القضائية « الرئيسية » للامم المتحدة ، إذ يمكن أن تقوم الى جانبها محاكم اخرى ، مرتبطة بالمنظمة الدولية او غير ذلك ، اقليمية او عالمية [٥٤] . ومن الطبيعي ان مقتضيات الحاجة الى حل النزاعات هي التي تقرر ذلك . كما ان هذه الدعوة لا تحدد الالتزام بحل نزاعات الدول النامية بطريقة القانون وحدها ، بل تقرّ بأن بمقدور الدول ان تلزم نفسها بما شاءت من الطرائق . والمهم ان يكون هناك التزام بطرح النزاع على أي جهاز يملك صلاحية البتّ فيه ، وان يرافق ذلك التزام بتنفيذ القرار الصادر عنه .

ولا بدّ من التذكير هنا بأن للدول النامية خلفية ، وان كانت محدودة ، من الالتزام بولاية محكمة العدل الدولية . فمن المعلوم ان معظمها يشارك في عشرات الاتفاقات متعددة الاطراف ، التي توجب على الأخيرين الرجوع الى المحكمة لحسم اي خلاف على تفسير هذه الاتفاقات او تطبيقها [٥٥] . وقد توصلت دول نامية إلى عقد معاهدة تسوية سلمية لنزاعاتها تعهدت بموجبها بالتصريح باعترافها بولاية المحكمة على غرار ما تنص عليه الفقرة (٢) من المادة (٣٦) من النظام الاساسي للمحكمة [٥٦] .

وعلى الصعيد العربي ، تلتزم ثلاث دول عربية ، بدرجة او اخرى ، بولاية المحكمة . وهذه الدول هي الصومال ومصر والسودان [٥٧]. وحالياً ، لا توجد الا اتفاقية ثنائية عربية واحدة تنص على الرجوع إلى المحكمة في حالة الخلاف على تفسيرها او تطبيقها . وهذه هي الاتفاقية السودانية ــ السعودية المعقودة عام ١٩٧٤ والخاصة بالاستكشاف المشترك للمصادر الطبيعية لقاع البحر الأحمر وباطنه في

(٥٤) المادة (٩٢) من الميثاق ، والمادة (١) من نظام المحكمة الأساسي .

(٥٥) للوقوف على هذه الاتفاقات ، انظر :

. C. J. Yearbook, ibid, PP. 85 — 100.

(٥٦) المادة (٣١) من (المعاهدة الاميركية للتسوية السلمية) (ميثاق باغوتا) .

(٥٧) كانت هذه الدول قد اصدرت تصريحات بهذا الشأن في السنوات ١٩٦٣ ، ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ .

المنطقة المشتركة [٥٨] . وقــد اتجهت الى المحكمة عام ١٩٧٩ اول دولتين عربيتين هما تونس وليبيا بشأن نزاعهما على تحديد الجرف القاريّ بينهما ، حيث بدأت المحكمة النظر فيه عام ١٩٨١ .

إنّ هذه الخلفية ليست مشجعة بحال من الاحوال ، إلا أنها تذكّر المرء بان ما يكون في البدء محدوداً في مواقف الدول النامية تجاه ولاية المحكمة يمكن توسيعه اذا ما وضعت هذه الدول نصب عينيها عدداً من الحقائق الاساسية . والحقيقة الاولى ، ان مصالح مشتركة كبرى تقوم بين الدول النامية ، ولا يمكن الحفاظ على هذه المصالح وتطويرها بدون تذليل العقبات التي تقف في طريقها ، واهمها الخلافات التي يمكن أن تنشأ بينها . والحقيقة الثانية ، ان هذه الخلافات يمكن احتواؤها او تقليصها الى ادنى حدود متصورة ، الا ان من المتعذر استئصالها كلياً ، وذلك حتى أجل غير قريب في مستقبل العلاقات بين هذه الدول . وفي الحياة الدولية المعاصرة ، ليس عسيراً أن نجد نزاعات ، من نوع أو آخر ، تقــوم حتى بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية والسياسية المتماثلة . ولا ريب في ان مصادر النزاعات بين الدول النامية مختلفة ، إلا ان أهمها ما ورثته هذه الدول من مشكلات عن عهود السيطرة الاجنبية ، وتطورها غير المتكافئ ، وغياب التنسيق في العديد من سياساتها . والحقيقة الثالثة ، ان الالتزام بحل المنازعات قضائياً تعزيز لسيادة القانون في العلاقات الدولية ؛ الامر الذي يعزز سيادة الدول النامية نفسها . واذا كانت السيادة الوطنية تعني — من بين ما تعنيه — احترام الآخرين ارادة الدولة ، فافضل مناخ يتحقق فيه هذا الاحترام قيام علاقات دولية تتساوى فيها الدول امام القانون ومن خلال القانون .

ولا ينكر أن بعض الدول يعتبر التقاضي عملاً غير وديّ ، الامر الذي يوجب تجنبه . ولربما كان هذا تفسيراً لاستثناء الكثير من الدول الاعضاء في رابطــة

(٥٨) المادة (١٦) .

الكومنويلث النزاعات التي تقوم بينها من ولاية المحكمة الالزامية . إلا أن الرأي السليم ان يعتبر التقاضي بين الدول ذات الاتجاهات او المصالح المتشابهة أيسر واجدى مما بين دول متنافرة الاتجاهات او المصالح (٥٩) . وهكـــذا ، فان بمستطاع الدول النامية ، أن تتفق على صيغ تصريحات منسقة تحدد فيها الحالات التي تقبل فيها ولاية المحكمة . والمفروض أن تكون هذه الدول اكثر استعداداً لتقبل نتائج التقاضي من سواها .

واذا كان من درس يجب استيعابه من تصريحات الدول النامية فهو قصر قائمة النزاعات التي تعلن عن استعدادها لاخضاعها لقضاء المحكمة ، وطول قائمـــة ما تستثنيه منها ، وما أدى اليه ذلك من تجريد هذه التصريحات من اية آثار فاعلة . ومن الطبيعي أن شعار « كل شيء – او لاشيء » في التعبير عن استعداد الدول النامية للتقاضي لا يخدم هذا التقاضي في شيء . ولربما كان شعار « شيء افضل مـــن لا شيء » انفع واجدى ؛ ولكن شريطة ان يكون هذا « الشيء » نافعاً ومجدياً حقاً . فليس ضرورياً ان تخضع كل المنازعات للتقاضي ، بل يكفي بعضها ، على ان يكون مهماً (٦٠) .

ولربما كانت المطالبة برفع القيد الزمني في التصريحات ضرباً من اللاواقعية ، إلا ان التخفيف منه اقصى حد مستطاع سيجعل من التصريحات ذاتها موضع ثقة حقيقية . وهذا ما ينطبق على فترة نفاذ مفعول التصريحات .

اخيراً ، إن المطالبة بأن تملك الجمعية العامة او مجلس الأمن صلاحية احالة

---

(٥٩) انظر بهذا الصدد :
LEO GROSS, ((Review of the International Court of Justice)), 66, A. J. I. L., 1972, P. 487.

(٦٠) اقرا ماكتبه بهذا الشان :
LOUIS B. SOHN, ((Step — By — Step Acceptance of the Jurisdiction of the International Court of Justice)), Proceedings of the American Society of International Law, 1964, P. 131.

النزاعات الخطرة إلى المحكمة او مجلس للتحكيم ، وبأن يملكا صلاحية الزام جميع الدول المتنازعة بان تفعل ذلك ، لم تلق ما تستحق من اهتمـــام[٦١] ولربما كان ذلك بسبب حساسية معينة ازاء هاتين الهيئتين . إلا ان ممارسة هذه الصلاحية من جانب هيئة تكوّنها الدول النامية ذاتها قد تحظى بقبول هذه الدول باقل قدر من الحساسية . وتلك محض فكرة لعلها تستحق التأمل .



(٦١) كانت هذه المطالبة قد طرحت عند مناقشة (غرينفيل كلارك) و (لويس سوهن) الفقرة (٣) من المادة (٣٦) من ميثاق الامم المتحدة .
انظر كتابهما :

((World Peace Through World Law — Two Alternative Plans)), Cambridge, Massachusetts, 1966, PP. 96 — 97 and P. 101.

الأنيس في غرر التجنيس

تصنيف : الثعالبي

تقديم وتحقيق

هلال ناجي

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

الكتاب الذي ننشره اليوم اول مرة ، كان المنطلق في الظفر به واحيائه إشارة بروكلمان – في اثناء ترجمة شُمَيْم الحلي – الى مخطوطتين من كتابة « الأنيس الجليس في التجنيس » احداهما في الموصل والاخرى في القاهرة [1] .

وحين قصدت الموصل ووقفت على المخطوطة المذكورة ، وجدت أن لا علاقة لها بشميم الحلي ولا بفن التجنيس . وانما هي مخطوطة مجهولة المؤلف ، اغلبها قصص ومواعظ دينية وعنوانها « انيس الجليس في التجليس » كذا ! واصلها محفوظ اليوم في مكتبة الاوقاف العامة في الموصل . ومصدر الوهم الذي وقع فيه برو كلمان ، اعتماده على كتاب مخطوطات الموصل للدكتور داود الجلبي .

بقي أمر مخطوطة القاهرة – وحين وفقت بعد جهد الى تصويرها وهي تحمل رقم ١٥٠٠ أدب بدارالكتب المصرية ، اتضح ان النسخة تخلو من ذكر مصنفها وان صانع فهرس دار الكتب حسب ان مصنفها هو شميم الحلي لما وجد في المصادر التي ترجمت للاخير من إشارة الى كتاب له عنوانه « أنيس الجليس

(١) انظر تاريخ الأدب العربي ؛ كارل بروكلمان – الترجمة العربية ج ٥ ص ١٧٤ .

في التجنيس »[٢] . ولم يلتفت الى الفرق بين العنوانين . فمخطوطة دار الكتب تحمل عنوان « الأنيس في غرر التجنيس » ومصنف شُميم الحلي « المفقود » كان بعنوان « أنيس الجليس في التجنيس » . فشتّان ما هما .

ولم يطل بحثي عن مصنف هذه المخطوطة ذلك اني كنت عارفاً باسلوب الثعالبي في مصنفاته فرأيتها شديدة الشبه بها . فأوغلت في فحص النص من الداخل ، وعجت الى المصادر ، فتضافرت لدي الادلة التالية مؤكدة ان الكتاب من تصنيف الثعالبي .

١ — ابن الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ في مخطوطة الوافي بالوفيات ج (١٥—١٧) — القسم الثاني الورقة ٢٦٩ قد ذكر للثعالبي كتاباً بعنوان « الأنيس في غزل التجنيس » .

٢ — وذكر ابن شاكر الكتبي — المتوفى سنة ٧٦٤ هـ — في مخطوطة عيون التواريخ الورقة ٤٥٧ كتاباً للثعالبي بعنوان « الأنيس في غزل التجنيس »

٣ — وذكر ابن قاضي شهبة — المتوفى سنة ٨٥١ هـ — في مخطوطة طبقات النحاة واللغويين كتاباً للثعالبي بعنوان « الأنيس في غريب التجنيس » وليس يخفى سهولة تحريف كلمة (غرر) الى غزل أو غريب .

٤ — ان مصنف هذا المخطوط يشير في مقدمته الى كتاب آخر له في هذا الفن إذ يقول : « وبعد فان اجناس التجنيس كثيرة واقسامها جمّة ولهذا الخادم في تعديد اقسامها وايراد امثالها والتنبيه على عيونها وعيوبها وغُررها وعررها كتاب لطيف يجمع مستوفاها وناقصها ومشاكلها ومماثلها ومشتقها

(٢) شميم الحلي هو علي بن الحسن بن عنتر الحلي (ت ٦٠١ هـ) انظر ترجمته في المصادر التالية :
معجم الأدباء ١٣/ ٥٠ — ٧٢ وذكر أنس الجليس في التجنيس ضمن تصانيفه ص ٧١ .
وفيات الأعيان ٣٣٩/٢
ذيل الروضتين ٥٢ : الجامع المختصر ١٥٧ ، العبر للذهبي ٢/٥
بغية الوعاة ١٥٦/٢ — ١٥٧ وذكر انس الجليس في التجنيس ضمن تآليفه .
انباه الرواة ٢٤٣/٢ . شذرات الذهب ٤/٥ .

ومركبها وغير ذلك مما يطول الكتاب بسياقة ذكره واعادة شرحه .. »

وليس يخفى ان للثعالبي كتاباً آخر عنوانه « أجناس التجنيس » ذكرته المصادر بهذا الاسم ونشره الدكتور ابراهيم السامرائي بعنوان « المتشابه » وهذا دليل آخر يعزز ان المخطوط للثعالبي .

٥ ــ تنماز مقدمات كتب الثعالبي بالآتي :

آ ــ اهداؤها الى بعض مشاهير عصره متخذاً من المقدمة والاهداء سبيلا لاسباغ المدائح على من أهدي اليه الكتاب . استجلاباً لرضاه وتقرباً منه واستدراراً لعطائه .

ب ــ انه اعتاد في مقدماته ان يذكر مادة الكتاب ويعدد ابوابه بشكل تفصيلي وهاتان الميزتان واضحتان تمام الوضوح في مقدمة مخطوطتنا ، مما يعزز نسبتها للثعالبي

٦ ــ من ميزات كتب الثعالبي : الإعادة . فهو ينقل نصوصه ومعلوماته من كتاب الى آخر . ولكنه في هذا النقل وتلك الاعادة يعرضها عرضاً جديداً وكثيراً ما يستشهد بالشواهد ذاتها ولكن في مبحث جديد ولغرض جديد . فهو يستخدم النصوص ذاتها استخدامات متعددة في كتب متعدّدة لاغراض متعددة . وهذه الصفة واضحة في مخطوطتنا هذه . فشواهدها الشعرية تطفح بها كتب الثعالبي ولا سيّما « اليتيمة » . لكنه هناك اوردها في غضون تراجم شعراء معينين كمختارات من شعرهم . أمّا هنا فان هذه الشواهد ترد لتأكيد غرض من اغراض التجنيسات المركبة التي عقد عليها الكتاب .

٧ ــ وثمة دليل آخر فان الشعراء الذين استشهد بأشعارهم هم من الذين ألف الثعالبي الاستشهاد باشعارهم في مصنفاته : كالبستي وابي الفضل الميكالي والمطرعي وقابوس بن وشمكير وابن دُوَسْت وابن مطران والعتبي والرستمي والصاحب بن عباد وسواهم وليس فيهم شاعر واحد متأخر

عن عصر الثعالبي وهو دليل داخلي يدعم ان الكتاب من تصنيفه .

وهذا كله ينتهي بنا الى تأكيد نسبة الكتاب الى أبي منصور الثعالبي .
والثعالبي ــ مصنف الكتاب ــ هو عبدالملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري .
نيسابور مسقط رأسه وبها طلب العلم ثم أدّب الصبيان . وكان ابوه يبيع فراء الثعالب . لا نعرف من شيوخه غير أبي بكر الخوارزمي ، فهو لم يختص في فن من فنون المعرفة ، وانما اخذ من كل ألوانها بطرف فكانت ثقافته ثمرة جهد شخصي محض .

أمــا تلاميذه فابرزهم الباخرزي صاحب « الدمية » ، والبيهقي . ومنهم يعقوب بن أحمد بن محمد وسعد بن محمد بن منصور رئيس جرجان واسماعيل ابن محمد النيسابوري . وقد عاصر الثعالبي دولتين : دولة السامانيين التي انتهت عام ٣٩٥ هـ حين سيطر الغزنويون على اقليم خراسان وعاصمته نيسابور ، وهي دولة انهارت هي الأخرى تحت ضربات السلاجقة عام ٤٣١ هـ بُعيد وفــاة الثعالبي .

ان الحركة الثقافية كانت مزدهرة أيام السامانيين ، مما جعل بخارى عاصمتهم ملتقى الادباء والمثقفين ، لكن الصدف شاءت ان تُحتَلّ بخارى من قبل الخوارزميين عام ٣٨٣ هـ عندما كان الثعالبي فيها ، فآب من سفره دون أن يحقق مطامحه المادية . ان تصنيف الثعالبي « يتيمة الدهر » قد سحر العقول واعجب الملوك وملك قلوب الرعية ومن هنا طارت شهرته في الآفاق . ولقد استطاع فيما بعد عن طريق إهداء مصنفاته الى بعض كبار الساسة والقادة في عصره ، الولوج الى طريق الشهرة والاستقرار الاقتصادي .

فقد اهدى للامير شمس المعالي قابوس بن وشمكير ــ حاكم جرجان والمتوفى سنة ٤٠٣ هـ ــ كتابيه « المبهج » و « التمثيل والمحاضرة » ونظم في مدحه قصيدة
وأهدى لمأمون خوارزمشاه ــ حاكم نيسابور ــ والمتوفى سنة ٤٠٧ هـ كتبه

التالية : النهية في الطرد والغنية ، ونثر النظم وحل العقد ، واللطائف والظرائف ، وغرر البلاغة ودرر الفصاحة ، ولباب الآداب .

وأهدى الى أبي المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين — الحاكم العسكري لنيسابور — المتوفى سنة ٤١٢ هـ ، كتبه التالية : اجناس التجنيس ، وغرر السير ، والاقتباس من القرآن الكريم .

وأهدى الى احمد بن حسن المأموني وزير السلطان محمود الغزنوي ، والذي استوزر للسلطان محمود من ٤٠٤ — ٤١٥ هـ ثم للسلطان مسعود من سنة ٤٢١هـ الى سنة ٤٢٤ هـ حيث توفي ، أهداه كتابه : لطائف المعارف . كما أهدى كتابه مرآة المروءات الي احمد بن عبدالصمد وزير السلطان مسعود بعد المأموني .

وأهدى للامير ابي الفضل الميكالي المتوفى سنة ٤٣٦ هـ كتبه التالية : فقه اللغة وسر العربية ، ثمار القلوب ، خواص البلدان ، والنسخة المعدلـة الاخيرة من كتابه سحر البلاغة وسر البراعة .

كما اهدى للوزير العميد ابي سهل احمد بن الحسين الحمدوى : النسخة الاولى من سحر البلاغة وسر البراعة . ولطائف الضحاب . والبراعة في التكلم بالصناعة أمّا تتمة يتيمة الدّهر فقد أهداها لموظف غزنوي كبير هو محمود بن عيسى الكرجي [1] . وفي كارثة القحط عام ٤٠١ هـ هرب من نيسابور الى اسفرائين حيث اعاد كتابة اليتيمة وصنف التمثيل والمحاضرة واهداه لقابوس حين زار الثعالبي جرجان ثانية .

ولمّا وردته — وهو في جرجان — دعوة الامير ابي الغباس مأمون خوارزمشاه لزيارة الجرجانية ، قصدها وأمضى عدة سنوات مصنفاً لاميرها ووزيره ابي عبدالله محمد بن حامد . ولما قتل أميرها قصد غزنة عاصمة الدولة الغزنوية حيث يقيم صديقه القديم ابو المظفر نصر بن ناصر الدين شقيق السلطان محمود واهداه

(١) في خصوص اعمال الثعالبي المهداة انظر «قائمة تجريبية لبعض اعمال الثعالبيومن اهدى اليهم» المناهل ١٨/٢٤٥ .

ما ذكرناه من كتبه ثم عاد الى نيسابور بعد وفاة الامير المذكور عام ٤١٢ هـ .

كانت عودة الثعالبي هذه الى مسقط رأسه بعد ان جاوز الستين من عمره ويبدو انه آثر الانقطاع الى صديقه الاثير ابي الفضل الميكالي ، الذي حبّاه بِرّه وفضله واستصحبه في سفره وحلّه وأعانه ايام محنته حين استولى القُفص على ضيعته عام ٤٢٠ هـ ، وظلّ على صلة طيبة به ، حتى ادركته المنية عام ٤٢٩هـ وهو في نحو الثمانين من عمره مُخلّفاً وراءه عشرات المصنفات وشهرة عريضة بحيث يصح أن يقال انه خير من أرّخ ادب القرن الرابع والثلث الاول من القرن الخامس الهجريين — رحمه الله — .

ولقد شدته الى عدد من كبار أدباء عصره صلات مودة وفي مقدمتهم : ابو الفتح البستي ومنصور بن محمد الازدي والميكالي وقابوس . وفي شعره واشعارهم ثناء متبادل .

• • •

مصنفات الثعالبي :

لم يذكر الباخرزي في دميته ، مصنّفات استاذه الثعالبي فترك الذين جاؤا من بعده هي تيه من أمرهم وخُلف ، ما زالا قائمين حتى اليوم .

وأقدم قائمة وصلت الينا لمصنفاته حفظها الكلاعي وهو من اعلام القرن السادس الهجري[1] وقد ضمت كتبه التالية :

١ـ فقه اللغة ٢ـ يتيمة الدهر ٣ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ٤ـ برد الاكباد في الأعداد ٥ـ حلّ العقد ٦ـ مرآة المروءة ٧ـ احسن ما سمعت ٨ـ أحاسن المحاسن ٩ـ غُرر المضاحك ١٠ـ الفرائد والقلائد ١١ـ ١١ـ التمثيل والمحاضرة ١٢ـ اجناس التجنيس ١٣ـ المبهج ١٤ـ الطرائف واللطائف ١٥ـ الكفاية والنهاية ١٦ ـ الثلج والمطر ١٧ ـ السحر والبلاغـة

(١) احكام صنعة الكلام ؛ محمد عبدالغفور الكلاعي الأشبيلي ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .

١٨- سجع المنثور ١٩- اللُّمَع الغضّة ٢٠- كتاب الف غلام ٢١- تتمة اليتيمة .

وحين جاء القرن الثامن الهجري اثبت الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ في الوافي بالوفيات وابن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ في كتابه عيون التواريخ ثبتاً مطولاً بمصنفاته ضمّ سبعين كتاباً . ثم أعادها ابن قاضي شهبة - المتوفى سنة ٨٥١ هـ - في كتابه المخطوط « طبقات النحاة واللغويين » .

وهذه القوائم الثلاث متماثلة تقريباً وتضم كل واحدة منها سبعين كتاباً . غير انه قد وقع فيها جميعاً تكرار وسهو وتصحيف وتحريف .

في قائمة الصفدي تكرر ذكر كتاب « سحر البلاغة » مرتين . كما تكرر ذكر كتاب « أفراد المعاني » مرتين . وكتاب « ثمار القلوب في المضاف والمنسوب » جزّئ الى كتابين في موضعين متباعدين بعد ان لحقه التحريف فاصبح مرة : ثمار العلوم . وفي موضع آخر : كتاب المضاف والمنسوب . وكتاب اجناس التجنيس ذُكر مرتين مرة بهذا الاسم ومرة باسم « المتشابه لفظاً وخطا » وليس يخفى انّ التسميتين لكتاب واحد . مثل هذا يقال عن كتاب « فقه اللغة وسر العربية » فمعلوم ان هذا الكتاب يتكون من قسمين : الاول : فقه اللغة وهو في ثلاثين بابا . والقسم الثاني : وهو سر العربية في مجاري كلام العرب وسننها والاستشهاد بالقرآن على اكثرها . ويبدو ان بعض النساخ نسخوا القسم الثاني في مخطوطات مستقلة ، فاشتبه ذلك على الصفدي وابن شاكر وابن قاضي شهبة فذكروا هذا الكتاب في موضعين وباسمين مختلفين ، مرة باسم « فقه العربية » ومرة باسم « سر الادب في مجاري كلام العرب » . ليس هذا فحسب ، بل ان التغيير والمسخ الذي الحقه النساخ بكتاب « فقه اللغة » هذا جعل بعض مخطوطاته تحمل اسم شمس الادب في استعمال العرب » وقد ذكر بروكلمان (٥/١٨٨) عدداً من مخطوطات هذا الكتاب بالاسم الاخير . وهذا

الوهم وقع فيه الصفدي والكتبي وابن قاضي شهبة حين ذكروا كتاباً للثعالبي بعنوان « الشمس » وهو فيما ارجح واستناداً الى بروكلمان كتاب « فقه اللغة » نفسه . وبذلك يكون « فقه اللغة » قد تكرر ذكره ثلاث مرات بثلاثة اسماء مختلفة . وكل هذا ينتهي بنا الى نتيجة واحدة هي : ان كل قائمة من القوائـــم الثلاث المذكورة فيما تقدم . تضم اربعة وستين كتاباً للثعالبي وليس ٨٢ كتاباً كما ذكر الدكتور محمود عبدالله الحادر [١] ولا تسعين كتاباً كما ذكر محققا لطائف المعارف [٢] .

لقد ذكر الدكتور عبدالفتاح محمد الحلو – وهو من المختصين بدراسة الثعالبي – في مقدمة نشرته لكتاب التمثيل والمحاضرة قائمة بمصنفات الثعالبي ضمت ٨٤ كتاباً . ونجمل ملاحظاتنا على قائمته في الآتي :

١ – كتاب « تحفة الوزراء » ليس للثعالبي ، إذ لم يذكر احد من القدماء كتاباً له بهذا الاسم . لكن ذكروا كتاباً باسم « سر الوزارة » ويبدو ان فصولا ومقتطفات من كتابه « سر الوزارة » قد اضافها مجهول – عاش في القرن السابع – الى اخبار مماثلة ولفق منها مخطوطة « تحفة الوزراء » التي وصلت إلينا .

٢ – الفرائد والقلائد : للثعالبي كتاب بهذا الاسم ذكره القدامى ، ولكن الكتاب المنسوب الثعالبي والمطبوع في مصر سنة ١٣٢٨ ، وبدمشق سنة ١٣٠١ ، والذي أُعيد طبعه بالاوفست في بيروت على هامش نثر النظم وحلّ العقد . ضمن مجموع بعنوان « رسائل الثعالبي » هو لابي الحسن الاهوازي وليس للثعالبي .

٣ – كتاب « كنز الكتاب » هو نفسه كتاب « المنتحل » المطبوع ؛ فليس

(١) الثعالبي ناقداً واديباً ص ٦٨

(٢) لطائف المعارف ص ١٤ .

صوابا إفراد عنوانين له .

٤ ـ كتاب مكارم الاخلاق الذي طبعه شيخو في المشرق سنة ١٩٠٠ منسوباً للثعالبي هو مختصر لكتاب « الفرائد والقلائد » الثابتة نسبته للاهوازي .

٥ ـ اللمع والفضة : تحريف في الاسم صوابه « اللّمع الغضّة » .

٦ ـ مؤنس الوحيد ونزهة المستفيد : الذي طبعه المستشرق غوستاف فلوغل في فيانا سنة ١٨٣٩ منسوباً للثعالبي ، ليس له . فالمطبوع قطعة من محاضرات الراغب الاصفهاني تقابل الصحائف ١٩٣ ـ ٣٥٧ من الجزء الاول

٧ ـ المتشابه لفظاً وخطاً ، هو نفسه كتاب أجناس التجنيس ، فلا وجه لإفراد عنوانين له . وقد طبعه الدكتور ابراهيم السامرائي بالاسم الاول .

٨ ـ ذكر كتاب « فقه اللغة » برقم ٥٢ وكتاب « سر الادب في مجاري كلام العرب برقم ٣٤ وكتاب « الشمس » برقم ٤٠ ، باعتبارها مصنفات مستقلة ومتعددة للثعالبي والصواب انها جميعاً كتاب واحد هو « فقه اللغة وسر العربية » .

وبذلك تكون حصيلة قائمة الدكتور عبدالفتاح الحلو ٧٦ كتاباً . وقد قدم الاستاذان ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي في مقدمة نشرتهما كتاب « لطائف المعارف » قائمة موسعة لآثار الثعالبي . ضمّت ثلاثة وتسعين كتاباً . وأجمل ملاحظاتي على قائمتهما في الآتي :

١ ـ الكتاب المذكور تحت رقم ٢١ بعنوان « ثمار القلوب في المضاف والمنسوب » هو نفسه الكتاب المذكور تحت رقم ٦٨ بعنوان « في المضاف والمنسوب » .

٢ ـ اجناس التجنيس المذكور تحت رقم ١ هو نفسه كتاب المتشابه لفظاً وخطاً المذكور تحت رقم ٦٤ .

٣ ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن هو للشيخ عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الجزائري الثعالبي . وقد طبع الكتاب المذكور في الجزائر سنة ١٣٢٧ هـ .

٤ ـ تحفة الوزراء المذكور برقم ١٤ ليس للثعالبي .

٥ ـ الانيس في غزل التجنيس : الصواب الانيس في غرر التجنيس .

٦ ـ انس الشعراء . المذكور تحت رقم ١٠ . ليس للثعالبي كتاب بهذا العنوان ولم يذكره احد من القدامى كما لم يذكره الصفدي خلافاً لما ذكره المحققان .

٧ ـ ليس للثعالبي كتاب باسم « التجنيس » (المذكور برقم ١٣) . والصواب : الانيس في غرر التجنيس . وكتاب اجناس التجنيس وقد مرّا .

٨ ـ حَلْيُ العقد ، المذكور تحت رقم ٢٦ هو نفسه كتاب « نثر النظم وحل العقد » المذكور تحت رقم ٧٩ .

٩ ـ المنتحل هو نفسه كتاب كنز الكتاب ، وقد تنبه للمحققان لذلك فلا وجه لافراده تحت عنوانين .

١٠ـ مكارم الاخلاق الذي طبعه شيخو ببيروت ليس للثعالبي بلى للاهوازي كما ذكرنا .

١١ـ كتاب المقصور والممدود : لم يذكره احد من القدماء . ومخطوطة دار الكتب منه منسوبة للقالي .

١٢ـ مؤنس الوحيد في المحاضرات : ليس للثعالبي بل هو قطعة من محاضرات الراغب الاصفهاني كما قدمنا .

١٣ـ كتاب « الكشف والبيان » المذكور برقم ٥٤ هو لابي اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٣٧ هـ .

١٤- كتاب « الشكوى والعتاب » ذكره المحققان مرتين مرة تحت رقم ٣٨ . ومرة اخرى تحت رقم ٧ فيما استدركاه على الصفدي .

١٥- كتاب « الحولة وشاهيات » الصواب : الخوارزمشاهيات .

١٦- كتاب « سر الادب في مجاري كلام العرب » المذكور برقم ٣٤ وكتاب الشمس المذكور برقم ٣٩ وكتاب فقه اللغة المذكور برقم ٥٣ . كلها كتاب واحد كما فصلنا القول .

١٧- كتاب لطائف الصحابة والتابعين ، هو نفسه كتاب أحاسن كلام النبي والصحابة والتابعين . وقد تنبه المحققان لذلك في هامشهما فلا داعي لافرادهما برقمين مستقلين .

وبعد اخذ ما تقدم بنظر الاعتبار تكون حصيلة قائمة الاستاذين ابني الفضل والصيرفي ٧٧ كتاباً

وفي مقدمة كتاب « الاقتباس من القرآن الكريم » قدمت الدكتورة ابتسام مرهون الصفار قائمة بمؤلفات الثعالبي ضمت ٩٥ كتاباً . لكن هذه القائمة قد شابها أمران الاول : فقدان الاصالة والجهد الشخصي إذ صرّحت المحققة في هامش الصحيفة التاسعة بان كل ما اشارت فيه الى ابن شاكر وابن قاضي شهبة فهو مأخوذ من مقدمة كتاب التمثيل والمحاضرة لمحققها عبد الفتاح الحلو . أي انها اعتمدت في ثلاثة ارباع قائمتها على نقل جهد غيرها . والامر الثاني : كثرة التخليط والوهم الذي شاب بقية القائمة ، وأجمل ملاحظاتي على قائمتها في الآتي :

١ - كتاب « الكناية والتعريض » ذكرته مرتين مرة تحت رقم ٦٢ بالاسم المتقدم . ومرة ثانية بعنوان « النهاية في الكناية » تحت رقم ٩٢ . والصواب انهما كتاب واحد . فالثعالبي سمّى كتابه في المقدمة « الكناية والتعريض » وفي ختامه في آخر الصحيفة ٥٩ منه قال : « تم كتاب النهاية في الكناية » .

٢ – « المنتحل » ذكرته في موضعين مرة بالعنوان المتقدم تحت رقم ٨٣ ومرة بعنوان كنز الكتاب تحت رقم ٦٣ . وهما كتاب واحد .

٣ – « لطائف الصحابة والتابعين » المذكور برقم ٦٥ ، هو نفسه كتاب « أحاسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية والاسلام » المذكور برقم ٤ .

٤ – حلية المحاضرة وعنوان المذاكرة المذكور برقم ٣٣ . هو نسخة من كتاب التمثيل والمحاضرة حسبما وقفت عليه بنفسي عند زيارتي المكتبة الوطنية في باريس . والمخطوط المذكور يضم كتابين للثعالبي: التمثيل والمحاضرة والمبهج .

٥ – سر الادب في مجاري كلام العرب المذكور تحت رقم ٤١ والشمس المذكور تحت رقم ٤٧ هو تكرار لكتاب فقه اللغة المذكور برقم ٦١ .

٦ – مكارم الاخلاق المذكور برقم ٧٩ الذي طبعه شيخو في مجلة المشرق ببيروت سنة ١٩٠٠ منسوباً للثعالبي، ثم اعاد نشره يس محمود زيان في القاهرة سنة ١٣٦٦ هـ ليس للثعالبي ، بل هو للاهوازي .

٧ – المقصور والممدود ليس للثعالبي .

٨ – الفرائد والقلائد المطبوع ليس للثعالبي ، بل للاهوازي .

٩ – المتشابه لفظاً وخطاً المذكور تحت رقم ٧٢ هو نفسه كتاب اجناس التجنيس المذكور برقم ١ .

١٠– تراجم الشعراء المذكور برقم ٢١ ليس للثعالبي ، فهو مصنف في اواخر القرن السادس الهجري وفيه اشعار نشعراء متأخرين عن الثعالبي مثل ابن منير الطرابلسي وسواه . واسلوبه ومنهجه مختلف عن اسلوب ومنهج الثعالبي في كتبه . اضافة الى ان المصنف يستشهد بنماذج من شعره ، ولم نجد شيئاً من هذه النماذج في اشعار الثعالبي .

١١ـ تحفة الوزراء المذكورة برقم ٢٠ ليست للثعالبي، ولم يذكر أحد من القدماء هذا الكتاب ضمن تصانيفه. وأرجح الاراء في نظري ان مصنفا متأخراً من القرن السابع استلّ فصولا من كتاب «سر الوزارة» وهو للثعالبي وأضاف اليها فصولاً اخرى ونحلها عنوان «تحفة الوزراء» والله العالم.

١٢ـ أنس الشعراء: ليس للثعالبي كتاب بهذا الاسم. وما ذهب اليه محققا لطائف المعارف لا سند له علمياً.

١٣ـ «مؤنس الوحيد ونزهة المستفيد». قالت المحققة ان ابن خلكان ذكره في الوفيات ٢: ٣٥٢. وهذا الكلام غير علمي. فالكتاب الذي ذكره ابن خلكان اسمه «مؤنس الوحيد» ولا وجود لعبارة «نزهة المستفيد» في عنوانه.

ثم ان الكتاب المطبوع في فينا سنة ١٨٢٩ بعنوان «مؤنس الوحيد ونزهة المستفيد» بتحقيق غوستاف فليغل منسوباً للثعالبي ليس له كما أكد ذلك بروكلمان والجادر. وانما هو قطعة من محاضرات الراغب الاصبهاني.

١٥ـ اللمع والغضة: تحريف صوابه اللمع الغضّة.

١٦ـ الانيس في غريب التجنيس: تحريف صوابه: الانيس في غرر التجنيس فحصيلة قائمة الدكتورة ابتسام الصفار هي ٨٢ كتاباً.

وتعد قائمة الدكتور محمود عبدالله الجادر التي اثبتها في كتابه «الثعالبي ناقداً واديباً» وتضم خمسة وتسعين كتاباً، أوفى القوائم واشملها وادقّها واكملها وقد انمازت على غيرها بدراسة عدد ضخم من مصنفات الثعالبي أو المنسوبة له ـ مخطوطة ومطبوعة ـ قصد التوصل الى صحة نسبتها، هذا بالاضافة لعملية مسح واسع لفهارس المخطوطات العربية في دور الكتب عبر العالم. وليس هنا مجال حصر النتائج الرائعة التي توصل اليها الباحث من خلال دراسته الرائدة لآثار الثعالبي، لكنني سأكتفي بهذه الاشارة. وأجمل ملاحظاتي على قائمته في الآتي:

١ ــ الاصول في الفصول المذكور برقم ٧٨ هو نفسه كتاب الفصول في في الفضول المذكور برقم ٧٢ . فقوائم الكتبي والصفدي وابن قاضي شهبة متماثلة كما ذكرنا وقد نقل بعضهم عن بعض . لكن اوهام النساخ اوجدت هذه الفروق . فالصفدي ذكره باسم الفصول في الفضول والكتبي وابن قاضي شهبة ذكراه باسم الاصول في الفصول .

٢ ــ انس الشعراء. ليس للثعالبي كتاب بهذا الاسم ولا يوجد سند علمي لما ذكره محققا لطائف المعارف .

٣ ــ طبقات الملوك المذكور برقم ٤٦ . لا يوجد سند علمي في نسبته للثعالبي فالزركلي وإن ذكر انه مخطوط لكنه لم يفصح عن مظنة وجوده ، مما يجعل الخبر مهزوزاً علمياً .

٤ ــ كتاب عيون الآداب وكتاب ملح النوادر ، لم يصرح الثعالبي بنسبتهما لنفسه في اللطائف والظرائف . وليس تغني الدلالة في هذا المجال لا سيّما ان أحداً من القدماء لم ينسب كتاباً بهذين الاسمين للثعالبي .

٥ ــ كتاب تحسين القبيح وتقبيح الحسن المذكور برقم ٢٣ في المخطوطات . نشره شاكر العاشور في مجلة « الكتاب » العراقية في الاعداد ١٢/١٩٧٤ و ١ و ٢ و ٣ و ٨ و ٩ / ١٩٧٥ .

٦ ــ كتاب « الانيس في غُرر التجنيس » لم يعد مفقوداً ، وهو كتابنا هذا .

٧ ــ كتاب « الشمس » المذكور برقم ٦٦ هو كتاب « شمس الادب » الذي عنونت به بعض مخطوطات « فقه اللغة » .

٨ ــ « تحفة الوزراء » ليس للثعالبي كما أوضحنا ذلك .

يتبقى بعد هذا للثعالبي في قائمة الجادر تسعة وثمانون كتاباً .

• • •

ومنذ أمد استهواني موضوع استقصاء مصنفات جاحظ زمانه ، فطفقت ألاحق مخطوطاتها مُصَوَّراً ودارساً النصوص من الداخل وتعقبت كتب التراجم المخطوطة للوقوف على ما ذكرت من مصنفاته ، وانتهيت من هذا كله الى قائمة ضمت مائة وتسعة كتب ، أي بزيادة مقدارها عشرون كتاباً على أوسع القوائم وهي قائمة الجادر .

وقبل إيراد قائمتنا لا بدّ من وقفة عجلى عند الاسباب الكامنة وراء اختلاف اسماء مصنفات الثعالبي .

لعل في مقدمة هذه الاسباب ان الثعالبي كان يذكر للكتاب الواحد اسمين احياناً . كتاب « الكناية والتعريض » على سبيل المثال سمّاه بهذا الاسم في مقدمته وفي خاتمته سماه « النهاية في الكناية » وفي ثمار القلوب ص ٦٠ سماه « الكنى » . وحين جاء المتأخرون ظنوهما كتابين . و « كتابه » نثر النظم وحل العقد » سماه كذلك في مقدمته . لكنه حين ذكره في كتابه اللطائف والظرائف سماه « النظم والنثر وحلّ عقد السحر » . ثمّ ان الكتبي وابن قاضي شهبة سمياه « حلّ العقد » اختصاراً ، وتحرف لدى الصفدي فاصبح « حلي العقد » .

ولعب النساخ دوراً خطيراً في نحل بعض كتب الثعالبي التي ضاعت اوراق عناوينها اسماء جديدة من ابتكارهم احياناً . حيث اصبح « فقه اللغة وسر العربية» يحمل واحداً من الاسماء التالية في بعض مخطوطاته :

المنتخب من سنن العرب : (مخطوط فيض الله ٢١٣٣ رقم ٢) .

أو معرفة الرتب فيما ورد من كلام العرب : بايزيد ٣٢٠٧ رقم ٦ . القاهرة ٣٦٦/٣ أو شمس الادب في استعمال العرب : انظر مخطوطات برلين ٧٠٣٢ ـ ٧٠٣٣ ، ليدن ٦٠ ، جاريت ٥١٦ ، باريس ٥٩٨٩ ، طوبقبو سراي ٢٤٣٣ ، كوبريلي ١٢٠٥ : النماتج ٣٨٩٧ وسوى ذلك انظر بروكلمان ١٨٨/٥ .

أو سر الادب في مجاري كلام العرب .

مثال آخر : كتاب « ثمار القلوب في المضاف والمنسوب » . حرّفه ناسخ الوافي بالوفات ثم جزأه الى كتابين فاصبح كتاب ثمار العلوم ، وكتاب في المضاف والمنسوب أما ناسخ طبقات النحاة واللغويين فحرفه وجزأه فاصبح : شهادة القلوب . وكتاب المضاف في المنثور . بهجة المشتاق حرف في الوافي فاصبح : هجمة المشتاق . وذكر الصفدي وابن شاكر كتاباً للثعالبي بعنوان « كتاب الامثال والتشبيهات » . فجاء ابن قاضي شهبة بعدهما بقرن ليجعله كتابين : كتاب الامثال وكتاب التشبيهات ، وربما يكون هذا من وهم ناسخ كتابه لا من وهمه .

يضاف الى ذلك ان الثعالبي – رحمه الله – كان يتولى كتبه بالتنقيح والاضافة ويخرجها إخراجات عديدة ، مما يجعل الكتاب الواحد مختلفاً باختلاف الإخراجة . وقد صرّح هو بذلك في مقدمة كتابه « سحر البلاغة وسرّ البراعة » ص ٦ إذْ قال ما نصّه : « وقد كنتُ أخرجته في نسختين متقاربتي الكيفية والكمية ، متشاكلتي الصنعة والصيغة ، أهديت إحداهما الى الشيخ الرئيس أبي سهل احمد بن الحسن الحمدوني ، والاخرى الى صاحب الجيش أبي عمران موسى بن هارون الكردي ، وهذه النسخة الثالثة تجمع بينهما وتأخذ باطرافهما وأوساطهما ، وتزيد بأبكار طرائف وبواكير لطائف عليهما ، وتستفيدُ فضل تنقيح وتهذيب وتشذيب لتشرفها بخزانة الامير الاوحد أبي الفضل عبيدالله بن احمد الميكالي ، عمرها الله بطول عمره ، وتحلّيها باسمه ... » .

ثم ان القدامى لم يحصروا مؤلفاته ، مما يجعل الباب مفتوحاً للظفر بمؤلفات اخرى له ، أو لتصحيح نسبة بعض ما سنورده له . فالصفدي حين ترجم له قال : وتصانيفه الادبية كثيرة الى الغاية ومنها : ثم اورد أسماء سبعين كتاباً واعقبها بقوله : « وله غير ذلك اشياء كثيرة » .

مصنفات الثعالبي :

اولا : المصنفات المطبوعـــة :

١ ــ أجناس التجنيس = المتشابه لفظاً وخطاً
نشره ببغداد الدكتور ابراهيم السامرائي بعنوان « المتشابه » في العدد العاشر من مجلة كلية الآداب ــ نيسان ١٩٦٧ . وانظر ما كتبه الدكتور محمود عبدالله الجادر حول هذه النشرة في مجلة « الجامعة » الموصلية عدد ١٩٨١/٥ .

٢ ــ أحاسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية وملوك الاسلام . طبعه فاليتون في لندن مع ترجمة لاتينية سنة ١٨٤٤ . والكتاب في واقعه قطعة من « الاعجاز والايجاز » اختصره الامام فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ .

٣ ــ احسن ما سمعت : طبعه محمد صادق عنبر في مصر سنة ١٣٢٤ هـ .

٤ ــ الإعجاز والايجاز : طبع بعنوان الايجاز والاعجاز ضمن كتاب « خمس رسائل » المطبوع في الاستانة سنة ١٣٠١ هـ . وطبعه اسكندر آصاف في مصر سنة ١٨٩٧ عن نسخة كتبت سنة ٤٢٢ هـ . وأعادت دار صعب في بيروت ودار البيان في بغداد طبع نشرة آصاف بالاوفست في بيروت دون ذكر العام .

٥ ــ الاقتباس من القرآن الكريم : نشرت الجزء الاول منه الدكتورة ابتسام مرهون الصفار ببغداد سنة ١٩٧٥ .

٦ ــ برد الاكباد في الأعداد : طبع في الاستانة سنة ١٣٠١ هـ ضمن كتاب خمس رسائل في مطبعة الجوائب . وأعادت دار الكتب العلمية في النجف طبعه بالاوفست دون ذكر السنة ، وهو الرسالة الثانية في الكتاب المذكور .

٧ ــ تتمة اليتيمة : طبعت في طهران سنة ١٣٥٣ هـ في جزأين في مطبعة فردين وعني بنشرها عباس اقبال .

٨ – تحسين القبيح وتقبيح الحسن : نشره شاكر العاشور منجماً في مجلة الكتاب العراقية في الاعداد ١٢/ ١٩٧٤ و ١ و ٢ و ٣ و ٨ و ٩/ ١٩٧٥ .

٩ – التمثيل والمحاضرة : نشره الدكتور عبدالفتاح محمد الحلو في القاهرة سنة ١٩٦١ م . – ١٣٨١ هـ .

١٠– ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : نشره محمد ابو الفضل ابراهيم في القاهرة سنة ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٥ م وكان قد نشره اولاً محمد ابو شادي بمطبعة الظاهر سنة ١٣٢٦ هـ (انظر معجم المطبوعات العمود ٦٥٧) .

١١– خاص الخاص : طبع في تونس سنة ١٢٩٣ هـ . وطبع بمصر بتصحيح محمود السمكري بمطبعة السعادة سنة ١٣٢٦ هـ – ١٩٠٨ م .

وطبعته دار مكتبة الحياة في بيروت سنة ١٩٦٦ بتقديم حسن الامين طبعة أساءت للكتاب باسقاط مقدمته التي فيها سياقة الابواب .

١٢– سحر البلاغة وسرّ البراعة : طبع في دمشق بتحقيق احمد عبيد . وقد اعلن الدكتور قاسم السامرائي انه اعدّ تحقيقاً لهذا الكتاب سيصدر عن مطبعة بريل بليدن . وذلك في مقالته المعنونة ملاحظات عن سيرة الثعالبي المنشورة عام ١٩٧٥ .

١٣– الظرائف واللطائف : دمج ابو النصار المقدسي هذا الكتاب مع كتاب اليواقيت والمواقيت وسمى المجموع « اللطائف والظرائف » . وبالعنوان الاخير طبع في مصر سنة ١٢٧٥ هـ و ١٢٩٦ هـ و ١٣٠٧ هـ . وطبع ببغداد سنة ١٢٨٢ هـ .

١٤– غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم : نشر في باريس بتحقيق زوتنبرك سنة ١٩٠٠ م . (انظر معجم سركيس العمود ٦٥٨) .

١٥– فقه اللغة وسرّ العربية : أقدم طبعاته كانت في ايران سنة ١٢٩٤ هـ تحت

عنوان « سر الادب في مجاري كلام العرب » مع كتاب « السامي في الأسامي » للميداني . ثم طبعه رشيد الدحداح بعنوان فقه اللغة وسر العربية في باريس سنة ١٨٦١ ثم تعددت طبعاته وأماكنها . وعندي منها طبعة المكتبة التجارية بمصر لصاحبها مصطفى محمد سنة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م وطبعة بتحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري بمصر سنة ١٩٣٨ ايضاً . وقد سبق وذكرنا الاختلاف الكبير الواقع في عناوين مخطوطات هـذا الكتاب

١٦- الكناية والتعريض : وهو كتاب النهاية في الكناية . وقد طبع بمكة المكرمة سنة ١٣٠١ هـ تحت عنوان « النهاية في التعريض والكناية » وعلى هامشه رسالة الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة لمحمد بن عابدين انظر (معجم المطبوعات عمود ٦٦٠) .

وطبع بمطبعة السعادة سنة ١٣٢٦ هـ مع كتاب المنتخب من كنايات الادباء واشارات البلغاء للجرجاني . وهذه الطبعة اعادت نشرها بالاوفست دار البيان ودار صعب في بيروت ضمن كتاب « رسائل الثعالبي » .

١٧- لطائف المعارف : طبع باعتناء المستشرق دي بونغ في ليدن سنة ١٨٦٧م وأعاد طبعه الاستاذان حسن كامل الصيرفي وابراهيم الابياري في القاهرة سنة ١٩٦٠ .

١٨- ما جرى بين المتنبي وسيف الدولة : طبع في ليبسك سنة ١٨٤٧ م . (انظر سركيس عمود ٦٥٨ وادورد فنديك - اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ص ٢٦٩ .

١٩- المبهج : طبع بمطبعة النجاح بمصر سنة ١٣٢٢ هـ - ١٩٠٤ م في ٥٦ صحيفة .

٢٠- مرآة المروءات : سماه الكلاعي والصفدي « مرآة المروءة » وحرف عند ابن شهبة الى «مرآة المراة» . وطبع في مطبعة الترقي سنة ١٨٩٨ بعنوان «مرآة المروءات وأعمال الحسنات » .

٢١- المنتحل = كنز الكتاب : اضطربت مخطوطات الكتاب في نسبته ، فبعضها نسبته للثعالبي ، وبعضها نسبته للميكالي . وأصوب الآراء انه للميكالي وقد اختصره الثعالبي . وقد طبع المنتحل منسوباً للثعالبي في المطبعة التجارية في الاسكندرية سنة ١٣١٩هـ- ١٩٠١ م . بتحقيق احمد ابو علي امين مكتبة بلدية الاسكندرية وذيله بتراجم شعرائه .

٢٢- من غاب عنه المطرب : انفرد الصفدي بتسميته « من أعوزه المطرب » . طبع الكتاب في القسطنطينية سنة ١٣٠٢ هـ بمطبعة الجوائب ضمن مجموعة التحفة البهية .

وشرح الفاظه وصححه وطبعه محمد بن سليم اللبابيدي في المطبعة الادبية ببيروت سنة ١٣٠٩ هـ .

٢٣- نثر النظم وحل العقد : طبع بدمشق سنة ١٣٠٠ هـ في ١٦٤ صحيفة . وطبع ثانية بدمشق وعلى هامشه الفرائد والقلائد سنة ١٣٠١ هـ في ١٦٨ صحيفة وطبع بمصر في المطبعة الادبية سنة ١٣١٧ هـ .

واعادت طبعه بالاوفست ببيروت - دار صعب ودار البيان - وبهامشه الفوائد والقلائد ناسبة الاخير للثعالبي وهماً . ولم أجد في النشرة تاريخاً .

٢٤- نسيم السحر : ذكر بروكلمان ٥/١٨٨ انه مختصر لكتاب «شمس الادب في استعمال العرب» المطبوع باسم « فقه اللغة وسر العربية » واثبت الجادر بالمقارنة العلمية الدقيقة ان جميع ما ورد في نسيم السحر موجود في فقه اللغة بلا استثناء . وأكد الجادر ان ما أشار اليه محققا الكتاب : الشيخ محمد حسن آل ياسين والدكتورة إبتسام مرهون الصفار من النتائج

التي خرجا بها لا يدل على انهما صبرا على المقارنة بما يكفي للفوز بالحقيقة[1]

طبع الكتاب اولا الشيخ محمد حسن آل ياسين . بمطبعة المعارف في بغداد في ٣٥ صحيفة . ثم نشرته ابتسام مرهون الصفار في المجلد الاول من مجلة المورد ببغداد سنة ١٩٧١ .

٢٥- النهية في الطرد والغنية : طبع بمكة المكرمة سنة ١٣٠١ هـ وفي القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ .

٢٦- يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر : اشهر كتب الثعالبي على الاطلاق . وقد طبعت في اربعة اجزاء في المطبعة الحنفية بدمشق سنة ١٣٠٣ هـ .

وطبعت بعد ذلك غير مرة ومنها طبعة الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد (الطبعة الثانية) المطبوعة سنة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م بمطبعة السعادة في القاهرة في اربعة اجزاء .

٢٧- اليواقيت في بعض المواقيت : وسماه الصفدي وابن قاضي شهبة وابن معصوم « يواقيت المواقيت » . ادمجه ابو النصر المقدسي مع كتاب « الظرائف واللطائف » مبقياً على مقدمتيهما وسمى المجموع « اللطائف والظرائف » . وطبع المجموع مرات عديدة أشرنا اليها في الرقم ١٣ .

ثانيا : المصنّفات المخطوطة :

٢٨- أحاسن المحاسن : باريس ٣٠٣٦ .

٢٩- الآداب : الفاتيكان ثالث ١٤٦٢

عاطف افندي ٢٢٣١ .

٣٠- آداب الملوك = سراج الملوك : اسعد افندي ١٨٠٨ . المتحف البريطاني OR ٦٣٦٨ (ثالث ٦٤) .

٣١- الاشباه والنظائر : هو في الكلمات المتشابهة لفظاً المختلفة معنى في القرآن الكريم مخطوطة ولي الدين رقم ٥٢ في الاستانة .

---

(١) الثعالبي ناقداً و أديباً ص ١٤١ .

٣٢ــ الامثال : . فيض الله ٣١٣٣ . خزنة ١١٥٠/٣

٣٣ــ أنس الوحيد : باريس ٣٠٣٤ .

٣٤ــ الانوار في آيات النبي : برلين Ms· or.. Qu ٢٠٨٣

٣٥ــ الأنيس في غرر التجنيس : وهو كتابنا هذا الذي ننشره اليوم اول مرة .

٣٦ــ تحفة الظرفاء وفاكهة اللطفاء : عارف حمكت بالمدينة المنورة ١٥٤ .

٣٧ــ ترجمة الكاتب في آداب الصاحب: مخطوط فريد عند احمد عبيد محقق سحر البلاغة في دمشق .

٣٩ــ التوفيق للتلفيق : برلين ٨٣٣٨ . وقد دفعناه للمطبعة .

٤٠ــ زاد سفر الملوك : جستربتي رقم ٥٠٦٧ (٣)

٤١ــ سجع المنثور : طوب قبو سراي ٢٣٣٧ .

٤٢ــ سر البلاغة وملح البراعة : دار الكتب المصرية ٤ ش

٤٣ــ سر الحقيقة : فيض الله ٢١٣٣ رقم ٧

٤٤ــ الشكوى والعتاب وما وقع بالخلان والاصحاب : القاهرة ثان ٣/ ٢٣٦ .

٤٥ــ العشرة المختارة : رامبور ١/ ٣٧٥ رقم ٣ .

٤٦ــ غرر البلاغة ودرر الفصاحة : بشير اغا ايوب ١٥٠ .

٤٧ــ غرر البلاغة وطرف البراعة : (ولعاه الكتاب السابق) . برلين ٨٣٤١ . كوبريلى ١٢٩٠ المتحف البريطاني ٧٧٥٨ (ثالث ٦٣) . بطرسبورغ ثان ٦٩٩ . فيض الله ١٦٧٦ .

٤٨ــ الغلمان : برلين ٨٣٣٤ .

٤٩ــ قراضة الذهب ومعدن الادب : بايزيد ٣٢٠٧ رقم ١ .

٥٠ــ كتاب في الادب بلا عنوان : ألّفه لمكتبة ابي سهل الحمدوني وزير السلطان مسعود الغزنوي باريس ٤٢٠١ رقم ٢ .

٥١ــ لباب الآداب : برلين OCT ١٩٨٥ . أسعد افندي ٢٨٧٩ ومنه تسخة في مكتبة الآثار ببغداد

٥٢- لطائف الصحابة والتابعين : ليدن٤٥٢ .

٥٣- لطائف الظرفاء : منه نسخة مخطوطة في معهد شعوب آسيا بالاتحـاد السوفييتي .

٥٤- اللطف واللطائف : فينا ١٨٣٨ رقم ٢ ، الاسكوريال ثان ٣٦٣ رقم ٢ ، مكتبة جمعية المستشرقين الالمان ١٠٣ ، بايزيد ٣٢٠٧ رقم ٢ بطرسبورغ ثان ٧٠٠ دار الكتب المصرية .

٥٥- مكارم الاخلاق ومحاسن الادب وبديع الاوصاف وغرائب التشبيهات : منه مخطوطة في لايدن تقع في ٥٦ ورقة مكتوبة في ٢٣ صفر سـنة ٦١٩ هـ وقد وعد الدكتور قاسم السامرائي بنشرها محققة انظر مجلة المناهل المغربية العدد ١٨ ص ٢٢٩ .

٥٦- الملوكي : الاستانة - مكتبة عزة افندي رقم ١٨٠٨

٥٧- المهذب من اختيار ديوان أبي الطيب المتنبي واحوالة وسيرته وما جرى بينه وبين الملوك والشعراء : دار الكتب المصرية ١٨١٩٤ ش

٥٨- مواسم العمر : فيض الله ٢١٣٣ رقم ٦

٥٩- مؤنس الوحيد : كمبردج ثالث ١٢٨٧ .

٦٠- نتائج المذاكرة : عارف حكمت ٣١ مجاميع .

٦١- نزهة الالباب وعمدة الكتاب : عارف حكمت ٢٧١ مجاميع .

ثالثا : المصنفات المفقودة

٦٢- الاحاسن من بدائع البلغاء : ذكره الصفدي في مخطوطة الوافي (١٥ - ١٧) - القسم الثاني الورقة ٢٦٩ . وابن شاكر الكتبي في مخطوطة عيون التواريخ (رقم ١٤٩٧ تاريخ دار الكتب المصرية . الورقة ٤٥٧) في وفيات عام ٤٣٠ هجرية . وابن قاضي شهبة في طبقات النحاة واللغويين مصور عن مخطوطة الظاهرية في مكتبة الجامعة المركزية ببغداد ص ٣٨٧ - ٣٨٨ وسماه « الاحاسن من كلام البلغاء » .

٦٣- الادب مما للناس فيه أرب : ذكره الصفدي والكتبي وابن قاضي شهبة في المواضع المذكورة في الرقم ٦٢ .
٦٤- الاصول في الفصول : بهذا الاسم ذكره الكتبي وابن قاضي شهبة . وسماه الصفدي الفصول في الفضول .
٦٥- افراد المعاني : ذكره الصفدي والكتبي وابن قاضي شهبة .
٦٦- أنس المسافر : ذكره الصفدي والكتبي وابن قاضي شهبة .
٦٧- الانوار البهية في تعريف مقامات فصحاء البرية : ذكره البغدادي في هدية العارفين ٦٢٥ .
٦٨- البراعة في التكلم بالصناعة : ذكره الثعالبي في مقدمة مخطوطة لطائف الصحابة أو لطائف الظراف (انظر الجادر ص ١٤٨) .
٦٩- بهجة المشتاق : ذكره الكتبي وابن قاضي شهبة بهذا الاسم . وحرف عند الصفدي الى « هجمة المشتاق »
٧٠- تحفة الارواح وموائد السرور والافراح : ذكره مؤلف هدية العارفين العمود ٦٢٥
٧١- التفاحة : ذكره الصفدي والكتبي وابن قاضي شهبة .
٧٢- تفضيل المقتدرين وتنصل المعتذرين : ذكره الصفدي والكتبي وابن قاضي شهبة.
٧٣- الثلج والمطر : ذكره الكلاعي والصفدي والكتبي وابن قاضي شهبة .
٧٤- جوامع الكلم : ذكره الصفدي والكتبي وابن قاضي شهبة .
٧٥- جواهر الحكم : ذكره مصنف هدية العارفين في العمود ٦٢٥ .
٧٦- حجة العقل : ذكره الصفدي والكتبي وابن قاضي شهبة .
٧٧- حشو اللوزينج : ذكره الثعالبي في ثمار القلوب ص ٦١١ .
٧٨- خصائص الفضائل : ذكره الصفدي والكتبي وابن قاضي شهبة .
٧٩- الخوارزمشاهيات : بهذا الاسم ذكره الصفدي . اما الكتبي وابن قاضي شهبة فسمّياه « الخوارزميات » .

٨٠- خواص البلدان : ذكره الثعالبي في ثمار القلوب ص ٥٤٥

٨١- ديوان شعر الثعالبي : ذكر الباخرزي في دمية القصر ٢/ ٢٢٦ انه رأى مجلدة منه . وقد جمع الدكتور عبدالفتاح الحلو ما تناثر منه ونشره في المورد العراقية . كما كتب الدكتور محمود عبدالله الجادر دراسة مفيدة عن شعر الثعالبي في كتابه « الثعالبي ناقداً واديباً » .

٨٢- ديوان علي بن الحسن اللحام الحراني : ذكره الثعالبي في يتيمة الدهر ٤/ ١٠٢ .

٨٣- سرّ البيان : ذكره الصفدي والكتبي وابن قاضي شهبة .

٨٤- سرّ الصناعة : ذكره الثعالبي في تتمة اليتيمة ٢/ ٣٦ .

٨٥- سرّ الوزارة : ذكره الصفدي والكتبي وابن قاضي شهبة .

٨٦- السياسة : ذكره الصفدي والكتبي وابن قاضي شهبة .

٨٧- سيرة الملوك : ذكره البغدادي في هدية العارفين ٦٢٥ .

٨٨- شعار الندماء : ذكره الصفدي في مقدمة مخطوطة الكشف والتنبيه واعتبره من مصادره الاساسية .

٨٩- صنعة الشعر والنثر : ذكره الصفدي والكتبي وابن قاضي شهبة .

٩٠- الطرف من شعر البستي : ذكره الصفدي والكتبي وابن قاضي شهبة .

٩١- عنوان المعارف : بهذا الاسم ذكره الصفدي . وذكره الكتبي وابن قاضي شهبة وسمّياه « عيون المعارف » .

٩٢- عيون النوادر : ذكره الصفدي والكتبي وابن قاضي شهبة .

٩٣- غرر المضاحك : بهذا الاسم ذكره الكلاعي والكتبي . وسماه الصفدي عذر المضاحك . وعند ابن قاضي شهبة غور المضاحك .

٩٤- الفرائد والقلائد : ذكره الكلاعي والصفدي والكتبي وابن قاضي شهبة وذكره الانباري في نزهة الالباء وسماه « فرائد القلائد » .

وهو غير كتاب الفرائد والقلائد المطبوع والمنحول للثعالبي وهـو للاهوازي

٩٥ــ الفصول الفارسية : ذكره الصفدي والكتبي وابن قاضي شهبة .

٩٦ــ فضل من اسمه الفضل : ذكره الثعالبي في اليتيمة ٤/ ٢٦٥ .

٩٧ــ لباب الأحاسن : ذكره الصفدي والكتبي وابن قاضي شهبة .

٩٨ــ اللطيف في الطيب : ذكره الصفدي وسماه ابن قاضي شهبة كتاب الطيب .

٩٩ــ اللمع الغضة : ذكره الكلاعي والصفدي وابن قاضي شهبة . وحرفه عند الكتبي الى « اللمع والفضة » .

١٠٠ــ مدح الشيء وذمّه : ذكره الصفدي والكتبي وابن قاضي شهبة .

١٠١ــ المديح : ذكره الصفدي والكتبي وابن قاضي شهبة

١٠٢ــ منادمة الملوك : ذكره الصفدي والكتبي وابن قاضي شهبة .

١٠٣ــ المشوق : بهذا الاسم ذكره الصفدي والكتبي . وعند ابن قاضي شهبة « المشرق » .

١٠٤ــ مفتاح الفصاحة : ذكره الصفدي والكتبي وابن قاضي شهبة .

١٠٥ــ الملح والطرف : ذكره الصفدي والكتبي وابن قاضي شهبة .

١٠٦ــ من غاب عنه المؤانس : ذكره الصفدي والكتبي وابن قاضي شهبة .

١٠٧ــ نسيم الأنس : ذكره الصفدي والكتبي وابن قاضي شهبة .

١٠٨ــ النوادر والبوادر : ذكره الصفدي والكتبي وابن قاضي شهبة .

١٠٩ــ الورد : ذكره الصفدي والكتبي وابن قاضي شهبة .

• • •

لقد كُرِّسَتْ هذه المقدمة للحديث عن الثعالبي مؤلِّفاً ، ومسّت جوانب حياته الاخرى مسّاً رفيقا . ولعلنا أن نعود الى هذه الجوانب حين نبعث أثراً آخر من آثاره فنفيها حقها . أمّا مادة الكتاب فلها أهميتها في دراسة تاريخ البلاغة

لقد صنف القدماء في « التجنيس » وافردوا له كتباً . فالمطوعي ، وهو من شعراء اليتيمة ، صنف كتاباً بعنوان اجناس التجنيس . والخالع صنف كتاباً في التجنيس اشار اليه الحظيري في الورقة ٩٨ من مخطوطة لمح الملح .

وصنف شميم الحلي كتاباً في التجنيس سماه « أنيس الجليس في التجنيس» وكل هذه الكتب مفقودة اليوم .

ومما وصل الينا وطُبع كتاب «جنان الجناس» للصفدي وقد طبع في الاستانة سنة ١٢٩٩ هـ .

وكتاب أجناس التجنيس للثعالبي الذي نشره الدكتور ابراهيم السامرائي تحت عنوان « المتشابه »

لمن أهدي كتاب « الانس في غرر التجنيس » . :

لم يذكر الثعالبي اسم من أهدى اليه الكتاب ، ولعله ذكره وتلاعب به النساخ . لكنه اكتفى في المقدمة بذكر صفته فقال « الأمير السيّد » ، وهو اصطلاح خصّ به الامير أبا الفضل عبيدالله بن احمد الميكالي ، صديقه الاثير . ودليلنا على ذلك ما ورد في الصحيفة ٤١٩ من كتاب ثمار القلوب وهذا نصه :

(وأحسن ما سمعت في ليلة انقد قول الامير السيد :)

ثم اورد بيتين من شعر ابي الفضل الميكالي :

فالامير السيد هو ابو الفضل الميكالي وانظر تأكيداً لذلك الصحيفة ٤٣٦ من ثمار القلوب .

أمّا زمن تصنيف الكتاب ، فالراجح عندنا انه صنفه بعد عودته من غزنة الى نيسابور أي بعد عام ٤١٢ هـ .

الجناس والنقاد قديماً وحديثاً :

أشاد الامام عبدالقاهر الجرجاني بالجناس المستوفي وبنوع من جناس التركيب[١] واعتبره الصفدي أعلى الجناس مرتبة .

ويرى الحموي : ان جناس التركيب هو أكمل الانواع إبداعاً ، وأسماها مرتبة وأولها في الترتيب .

وفي المعاصرين رأى الاستاذ علي الجندي : ان الجناس الجيد يثير اعجابنا لما يتضمنه ، من نواح عدة أهمها : التماثل في الصورة ، والجرس الموسيقي الذي يصحب هذا التماثل ، والتآلف والتخالف بين ركنيه لفظاً ومعنى . وما يحويه كل ركن من المعنى الاصلي ، ثم ما قد يحويه من معنى طريف شريف يضاف الى هذه المزايا[٢]

وقد أصاب الدكتور محمد مرسي الخولي إذ قال :

ان فن الجناس فن جميل مهما اختلف في أمره ، والبراعة فيه تدل على موهبة فذة واحساس فائق بالجمال الذي يبدو في تناسق الاشياء في نظام بديع[٣] .

وبعد : فهذا كتاب في التجنيسات المركبة ، التي اعتبرها الثعالبي وجمهرة من نقادنا القدامى ، أشرف التجنيسات وأعلاها .

واني إذ أبعثه من مرقده بعد ضياع استمرّ ألف عام ، أهديه لباحثين فاضلين كرّسا أعواماً من عمرهما لخدمة الثعالبي وتراثه ، فكتبا وحققا ما صار منارة للمدلجين في ميدانه وأسوة وقدوة .

اولهما : صديقي الدكتور محمود عبدالله الجادر مصنف كتاب « الثعالبي ناقداً او اديباً » وهو

---

(١) اسرار البلاغة ص ١١ .

(٢) فن الجناس ص ٣٠

(٣) ابو الفتح البستي وتحقيق ديوان شعره ص ١٧١ .

كتابٌ سيظل انموذجا رفيعا للجهد العلمي المضني في سبيل الحقيقة .

وثانيهما : صديقي الكريم الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو صاحب الدراسة الرائدة عن الثعالبي . ومحقق كتاب « التمثيل والمحاضرة » والذي جسّد بخلقه وتواضعه انموذجا لعلماء السلف الصالح .

والحمد لله على ما أنعم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

الاعظمية ص . ب ٤٠٦٨ — هلال ناجي



الورقة الاولى من مخطوطة أنيس الجليس» الموصلية المـرقمة ٢/٤٧ والتي توهم بروكلمان انها نسخة من كتاب شميم الحلي المعنون «انيس الجليس في التجنيس» •

فكيف يجوز بيع ركعتين من الصلوة واربع ركعات مع
ان ثمنها الجنة والغفران والمصلي لا يعلم ما قرأ في
الركعتين الاولي وفي الثانية والثالثة ولا يعلم ما
عمل بالامس ولا يعلم لما ذا خلق فلاجرم يكون يوم
القيمة مسكنه النار لقوله تعالى ما سلككم في سقر قالوا
لم نك من المصلين يعني لم تكن في الصلوة من الخا
الخاشعين ولو تاتي بالاركان ثم اعلم انه يجب ان
يكون العالم عاملا بعلمه ولا يامر لغيره في شيء
مالم يعمله هو حتى يكون كلامه موثرا في غيره كما
حكي انه كان في زمن الحسن البصري رحمه الله تعالى
رجلا منعما وكانت له ابنة تاكل التمر كل يوم فرمدة
عيناها وكان اهلها يمنعوها ويقولوا لها [illegible] من التمر
فانه يضر بعينيكي وهي لا تسمع ويقول انا لست امتنع
عن اكل التمر حتى يمنعني الشيخ حسن البصري فذهبوا
بها اليه وقالوا يا شيخ نسألك الله ان تمنع هذه الابنة
عن اكل التمر فانها تضر بعينيها فقال الحسن اذهبوا بها
اليوم واتوني غدا فاتوه من الغد افقال ايها الشيخ
يا ابنتي يجب عليكي ان تحترميني وتسمع كلامي وتمتنعي
عن اكل التمر شهرا قالت السمع والطاعة فقال ابوها

يا امام المسلمين لم لا نصحتها بالامس ونصحتها اليوم قال انني
لاني كنت بالامس اكلت التمر فما استحسنت ان اقول
لابنتك لا تاكلي التمر وانا اكلته فلهذا لم انصحها بالامس
واليوم ما اكلته وامرتها ان لا تاكل التمر هي ايضا وكذ
العالم يجب له ان لا يامر لغيره بشيء حتى يعمل هو به [illegible]
كان في زمان حسن البصري البنات تحرم كلام الائمة و
تمتنع عن اكل التمر الحلال ونحن اليوم في زمان تحرمه
رجاله كلام الملك العلام ولا يمتنعون عن اكل الحرام
ولا ينتهون عن الاثام ويتعدون حدود الله ويظلمون
انفسهم ولا جرم اذا كان يوم القيمة يعاقبهم الله
بافعالهم ويامر بهم الي النار لظلمهم لقوله تعالى ومن
يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه
تم ذلك في عرفة [illegible] يوم الاحد
رحم الله من [illegible] اميني يا رب العالمين

يا امام

الورقة الاخيرة من مخطوطة «انيس الجليس» الموصلية المرقمة ٢/٤٧، وكانت في مكتبة جامع الباشا بالموصل، وانتقلت الى مكتبة الاوقاف العامة فيها

الورقة الاولى من مخطوطة دار الكتب المصرية الفريدة والمرقمة ١٥٠٠ أدب وقد نسبها بروكلمان لشميم الحلي وهماً ، وهي للثعالبي .

الورقة الاخيرة من مخطوطة دار الكتب المصرية المرقمة ١٥٠٠ أدب

الأنيس في غرر التجنيس

صنفه

ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي

٣٥٠ ـ ٤٢٩ هـ

حققه

هلال ناجي

[١] بسم الله الرحمن الرحيم

وبه استعينُ وبه الحولُ والقوّة

أمّا بعد حمد الله وشكره ، والصلاة على من لاتتم الصلاة إلاّ بذكره ، محمد وآله . فانّ اشرفَ التُحَفِ عندَ من جعلَهُ اللهُ أوحدَ زمانه ، وخصّه بسبقِ الاقرانِ في قِرانه ، واقرّ في يده من دقائقِ الكرمِ ، وفي نفسه من جلائلِ الهممِ ، ما لا يدخُلُ أيسرُهُ تحت العادات ، ولا يُدرك وصفُه بابلغِ العباراتِ ، كالشيخ الامير السيّد ، تُحفَةٌ تجمعُ أبكارَ الافكارِ ، وتنظمُ أسرارَ الاسفارِ ، وتسحر القلوبَ بنثارِالنثروشعار الشعر المختار ، لانّ من حلّ من الفضلِ محلّه ، وحلّ من عُقَدِ المناكب ما حلّه ، كان نثارُ الادبِ المنيرِ أحظى لديه من نثار الدراهم والدنانير ، وبدائع الكلم الغضة ، أوقع عنده من مدارجِ الذهب والفضة . والله تعالى يُبقيه صدراً يملأُ العينَ والصدرَ ، ويُجمّلُ الدهرَ والعصرَ ، ويعلو بمجده الشمسَ والبدرَ ، ويعزل بجوده البحرَ والقَطْرَ ، والمدعُوّ يسمَعُ ويستجيب . وما زال هذا الخادمُ منذُ قدمَ الحضرةَ — حرسها الله — يترقبُ ما يتقرّب به الى بهيٍّ مجلسه ، وينتظرُ ما يختصرُ به الطريقَ الى خدمته ، فيرصد له الزمان . وعوائقه تقطَعُ ، وعوارضُهُ تتبع ، جَرْياً على ذميمِ عادتهِ ؛ في تفويته المرء ما يأمل من سعادته ، الى أن تسنحَ لي نظم هذه التحفة ، وطيّها على محاسنِ التجنيساتِ المركبة ؛ التي استظرفها المولّدون من أهل خراسان فأحسنوا فيها كلّ الاحسان ، واستكثر منها العصريون منهم فنالوا ما قيل انه السحر لا كذب ، وصاغوا ما أشبه التبر المنتخل والدرّ المنتخب ، تقربُاً منه الى خزانة كتبه ، وعقْداً لجسر التعرف الى بحر أدبه . وبعد :

فانّ أجناسَ التجنيسِ كثيرةٌ وأقسامها جمّةٌ . ولهذا الخادم في تعديد أقسامها ، وإيراد أمثالها ، والتنبيه على عيونها ، وعيوبها ، وغُررها ، وعررها ،

كتابٌ لطيفٌ يجمعُ مستوفاها ، وناقصها ، ومشاكلها ، ومماثلها ، ومشتقّها ، ومركبها وغير ذلك ، مما يطول الكتاب بسياقة ذكره وإعادة شرحه . وقد بنى هذه التحفة آنفاً على التجنيسات المركبة ، التي هي أشرف تلك الأجناس ، وأرفعها في قلوب الناس ، وترجمها بكتاب « الأنيس في غُرر التجنيس » ؛ وبوّبها عشرين باباً هذا ثَبْتُها . واللهُ المعينُ على إتمامها .

الابـــواب

أ ما جاء منه في الفخر .

ب ما يختص بمدح الملوك .

ج سائر المدائح .

د العتاب والاعتذار .

ه سائر الاخوانيات .

و الزيارة والعيادة .

ز الاستماحة والشكر .

ح شكوى الحال والزمان :

ط ما جاء منه في الاهاجي :

ي ما يختص منه بوصف الحبيب . [٢]

يا مايختص باحوال الحبيب

يب الطعام والشراب .

يج الفصول الاربعة .

يد المداعبات .

يه الشيب والكبر .

يو المراثـــي .

يز الحكم والمواعظ .

يح اشنات التجنيس

يط التلميع .

ك لمعٌ من التجنيس المنثور .

هذه جملة ابوابها ، واللهُ يطيلُ بقاءَ الشيخ السيّد الامير : ويجعل البركةَ ( )[1] مُدّته ، وينظر للمكارم بالدفاع عن مهجته : حتى لا تبقى غايةٌ تخطبها همّتُهُ ؛ ولا درجةٌ ترميها فكرته ؛ إلاّ مَلَكَ نواصيها ، وبلغ أقاصيها ، في أهنأ عيشٍ وأرغده ، وأسعد جدٌ وأصعده . إنّه الكريمُ المنّانُ .

— أ —

ما جاء منه في الفخر

قال احمد بن المؤمل[2] :

١ — انَّ اسيافَنا العِضاب الدوامي
صَيّرَتْ ملكَها قرينَ الدوامِ

٢ — لم نزلْ نحنُ في سِدادِ ثغورٍ
واصطلامِ الابطالِ من وَسْطِ لامِ

(١) كلمة غير مقروءة .

(٢) احمد بن المؤمل : ابو الحسن من كبار الكتاب بخراسان وله شعر كثير . متأثر بطريقة البستي في المتشابه . كان معاصراً للثعالبي انظر ترجمته في يتيمة الدهر ٤/١٤٨ — ١٥٠ .

٣ – واقتحامِ الاهوالِ من وقتِ حامٍ
واقتسامِ الاموالِ من وقتِ سامٍ(١)

علي بن محمد الكاتب(٢) :

١ – فلا تَغْتَرِرْ بي اذا ما مَزَحْتُ
وعُرْيانُ كأسي من الراحِ كاسي

٢ – فإمّا خلعتُ لجامي لجامي
وطاوع شمسُ مُدامي شِماسي

٣ – فانّي ضرغامُ يومِ الهِياجِ
اذا ما ادّرَعْتُ لباسي لباس(٣)

عبيد الله بن أحمد(٤) :

(١) الابيات له في يتيمة الدهر ١٤٨/٤ . ورواية الاول: تركت ملكنا . ورواية الثاني: في وسط وهي في مخطوطة لمح الملح تنظيري الورقة ١٢٥ منسوبة لبعض بني حمدان ورواية الاول : صيرت ملكنا . ورواية صدر الثالث : واقتحام الابطال وهي لأبي الحسن (كنية احمد بن المؤمل) في المنزع البديع في تجنيس اساليب البديع ص ٤٩٥ وروايتها مماثلة لرواية يتيمة الدهر .
وهي في ديوان البستي (مطبوعة بالرونيو صنعة الدكتور محمد مرسي الخولي ص ٢٨٦) ورواية الاول : ملكنا قديم . ورواية الثاني : سماه ثغور ... في وسط . ورواية الثالث : واقتحام الابطال في ... في وقت .

(٢) علي بن محمد الكاتب : ابو الفتح البستي من كتاب الدولة السامانية ، اديب زمانه ، شاعر كبير له ديوان مطبوع . برع في المتشابه وتوفي سنة ٤٠٠ هـ وقيل ٤٠١ ببخارى . انظر ترجمته في اليتيمة ٣٠٢/٤–٣٣٤ والتاريخ اليميني للعتبي ٣٥٤/١ و ٣٧٥/١ وتاريخ حكماء الاسلام للبيهقي ٤٩ – ٥١ ووفيات الاعيان ٣٧٦/٣ – ٣٧٨ وطبقات الشافعية الكبرى ٢٩٣/٥ وبرو كلمان (الترجمة العربية) ٢٣/٥ – ٢٥ . ومعاهد التنصيص ٧١/٢ والمنتظم ٧٢/٧ – ٧٣ وادرجه سهواً في وفيات عام ٣٦٣ والعبر ٧٥/٣ – ٧٦ . وشذرات الذهب ١٥٩/٣ – ١٦٠ والنجوم الزاهرة ١٠٦/٤ ومفتاح السعادة ٢٢٩/١ والبداية والنهاية ٢٧٨/١١ .

(٣) الابيات له في ديوانه ص ٢٤٦ . رواية الاول: فلا تعتبني . ورواية الثاني: وإما ....وطوع شمس وهي له في لمح الملح الورقة ٨٣ وروايتها مماثلة لرواية مخطوطتنا .

(٤) عبدالله بن احمد : ابو الفضل الميكالي امير كاتب شاعر له مصنفات اكثرها مفقود منها : المخزون ، وملح الخواطر ومنح الجواهر ، ونزهة الالواحظ من كلام الجاحظ ، وكتاب المنتحل المطبوع منسوباً للثعالبي . توفي سنة ٤٣٦ هـ . انظر ترجمته واخباره في يتيمة الدهر ٣٥٤/٤ وفوات الوفيات ٢/٢ ٥ (طبعة محيي الدين) وزهر الآداب (أنظر الفهرس ص ١١٣٧) وانساب السمعاني ٥٤٩ آ .

أراني كُلّما فاخرتُ قوماً
فخرتهُم بنفسي أم نجاري

خذوا خبري به عن خوفِ شانٍ
يجاهرُ بالعنادِ وأمنِ جارِ

وقال :

ألا رُبَّ أعداء لئامٍ قريتُهم
متونَ سيوف أو صدورَ عَوالي

إذا كلبُهم يوماً عوى لي رميتُهُ
بكابٍ إذا عاوي الكلاب عوى لي

وقال : [ابو الفضل الميكالي]

١ – ومن يَسْرِ فوقَ الارضِ يطلبُ غايةً
من المجد نسري فوق جُمْجُمَةَ النَسْرِ

٢ – ومن يختلفْ في العالمينَ [نِجاره] [(١)]
فإنّا من العلياء نَجْري على نَجْرِ

٣ – ومن يَتَجِرْ في المال يكسبْ ربحه
فبالمال يشري رابحُ الحمدِ والنَشْرِ [(٢)]

(١) ما بين عضادتين بياض في الاصل المخطوط واكملناه عن زهر الآداب ص ٥٥٥ .

(٢) الابيات لابي الفضل الميكالي في زهر الآداب ص ٥٥٥ . ورواية الاول : يسري فوق .
ورواية الثالث : نشري .
والبيتان الاول والثاني في العمدة ٣٢٨/١ منسوبان لشمس المعالي قابوس بن وشمكير الديلمي
وروايتهما مماثلة لرواية مخطوطتنا .
والاول والثاني ايضاً في « المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع » ص ٤٩٤ منسوبان لشمس
المعالي . وروايتهما مماثلة للأنيس . وشمس المعالي هو امير جرجان وبلاد الجبل وطبرستان قتل
سنة ٤٠٣ ﻫ . وكان اديباً وشاعراً انظر ترجمته في يتيمة الدهر ٥٩/٤ – ٦١ ومعجم الادباء
٢١٩/١٦ – ٢٣٢ .

غيـــره :

نحـــنُ قـــومٌ جارُنـــا ابـــــداً
فـــي حمـــىً عـــالٍ صبـــاصيـــه

لا تـــرى الايـــام تـــظلمـــــهُ
لا ولا الاحـــــداث تـــؤذيـــه

مـــــن يُعـــنّيه نعنّيـــــــه
ومـــن نـــكا ـ فيـــه نـــكافيه

آخر : [الحاكم ابو سعد بن دوست] (١)

١ ـ تباعدت عن شرٍّ وضرٍّ ولم يـَـزل
الى كُلِّ ذي خَيْرٍ وخيرٍ تَقَربي [٣]

٢ ـ ويسخر بي عَيْنُ العدوِّ إذا بدا
كما اصبحتْ عَيْنُ العدوِّ تَقَرُّ بي (٢)

ـ ب ـ

ما يختص منه لمدح الملوك

علي بن محمد :

١ ـ يا مَنْ أعادَ رَميمَ المُلْكِ مَنْشورا
وضَمَّ بالرأي أمراً كان مَنْشــورا

(١) الحاكم ابو سعد بن دوست : عبدالرحمن بن محمد بن دوست (ت ٤٣١ هـ) من فضلاء نيسابور جمع بين الفقه والادب ، وهو مطبوع الشعر . عنه أخذ الواحدي اللغة . ترجم له الثعالبي في اليتيمة ٤/٤٢٥ ـ ٤٢٨ . وانظر ترجمته في فوات الوفيات ٢/٢٩٧ ـ ٢٩٨ وبغية الوعاة ٢/٨٩ والانباه ٢/١٦٧ ووفيات الاعيان ١/١٢٩ .

(٢) البيتان لابن دوست في لمح الملح الورقة ٢٢ . ورواية صدر الاول : تباعدت عن سوء وشر وانما . ورواية الثاني : وتسخن لي عين العدو حرارة كما لم تزل عين الولي تقر بـــي

٢ — أنتَ الوزيرُ وإن لم تُوْزَتَ مَنْشورا
والمُلْكُ بعدكَ إنْ لم تُؤْتَمَنْ شُورى(١)

وقال : [ابو الفتح البستي]

١ — بسيفِ الدولةِ اتّسَقَتْ أمورٌ
رأيناها مُبَدَّدَةَ النظامِ

٢ — سَما وحَمى بني سامٍ وحامٍ
فليسَ كمثلِهِ سامٍ وحامِ (٢)

آخر من قصيدة : [أبو حفص عمر بن علي المطوعي] (٣)

١ — لدى ملكٍ يُغضي الورى من حيائه
الى روضِ مجدٍ بالسّماح مجودِ

٢ — وكمْ بجباهِ الراغبين اليه من
مجالِ سجودٍ في مجالسِ جُودِ (٤)

---

(١) البيتان للبستي في ديوانه ص ٢٤٠ . وهما له في اليتيمة ٣١٧/٤ ورواية الاول فيها : بالرأي ملكاً . وهما له في لمح الملح الورقة ٧٧ وروايتها مماثلة للأنيس .

(٢) البيتان للبستي في ديوانه ص ٢٩٠ وفي يتيمة الدهر ٣١٧/٤ وفي لمح الملح الورقة ١٢٤ ورواية الاول : لسيف الدولة اطردت امور وقد كانت ... وهما في زهر الآداب ص ٥٠٥ والثاني بنهاية الارب ٩٠/٧ وتاريخ العتبي ١٩٣/١ ومعاهد التنصيص ٦٩/٢ . وسيف الدولة هذا هو السلطان يمين الدولة . .

(٣) ابو حفص المطوعي :شاعر ومصنف معاصر للثعالبي ومن اتصل بخدمة الامير ابي الفضل الميكالي . ألف كتاب « درج الغرر ودرج الدرر في محاسن نظم الامير ونثره » وكتاب « حمد من اسمه احمد » وكتاب « اجناس التجنيس » . انظر ترجمته وطرفاً من شعره في اليتيمة ٤٣٢/٤ — ٤٧٧ .

(٤) البيتان له في تتمة اليتيمة ١٣/٢ ورواية الاول : ارى حضرة السلطان يغضى عفاتها . ورواية صدر الثاني : وكم لجباه الراغبين لديه من . وهما دون عزو في لمح الملح الورقة ٤د وروايتهما مماثلة لرواية تتمة اليتيمة .

ابو محمد الخازن [1] :

١ – هي الحضرة الغنّاء تهتزّ نَضْرةً
وتزري بانواءِ الربيـع المثجّـجِ

٢ – هنالك لا زندُ العطاء لمرتـجٍ
بكابٍ ولا بابُ السماح بِمُرْتَجِ [2]

وقال : [البستي] أو [الميكالي]

١ – مُبْدِعٌ في شمائلِ المجدِ خيماً
ما اهتدينا لِأَخْـذه واقتباسِـهْ

٢ – فهو فيضٌ بالمال وقت نداه
وجَوادٌ بالعفوِ في وقتِ باسِهْ [3]

– ج –

في سائر المادح

الصاحب [4] :

---

(١) ابو محمد الخازن : عبدالله بن احمد الخازن : من شعراء اصبهان وخواص الصاحب بن عباد كان يتولى في شبابه خزانة كتب الصاحب . ثم غضب عليه الصاحب فذهب الى العراق والشام والحجاز في بضع سنين ثم عاد الى الصاحب بجرجان . ترجم له الثعالبي في اليتيمة واورد مختارات من شعره . انظر يتيمة الدهر ٣/٣٢٥ – ٣٣٩ .

(٢) البيتان له من قصيدة في اليتيمة ٣/٣٣٨ . ورواية عجز الاول : بانواع الربيع . ورواية الثاني: لا زند الرجاء .... ولا باب العطاء

(٣) البيتان للبستي في ديوانه ص ٢٤٧ . ورواية صدر الاول: المجد فضلا . ورواية صدر الثاني: فهو فظ بالمال والبيتان لابي الفضل الميكالي في زهر الآداب ٤٠٥ وذكر انه قالها في ابيه .
ورواية صدر الاول : مبتدعاً . ورواية صدر الثاني : فهو فظ وهما في الوافي بالوفيات ٢٢/١٦١ (مصورة مكتبة احمد الثالث رقم ٢٩٢٠ منسوبين للميكالي) . وهما للميكالي في لمح الملح الورقة ٨٣ ورواية صدر الثاني : هو فظ .

(٤) الصاحب بن عباد : اسماعيل بن عباد الملقب بالصاحب . كان كاتباً لابي الفضل ابن العميد . ثم وزر لمؤيد الدولة بن بويه وحين توفي المذكور سنة ٣٧٣ ﻫ اسهم في تنصيب فخر الدولة بن ركن الدولة فقوى مركزه . له ديوان مطبوع ومصنفات وانظر ترجمته في المراجع التالية : معجم الادباء ٦/١٦٨ – ٣١٧ يتيمة الدهر ٣/١٩٢– ٢٩٠ وبغية الوعاة ١/٤٤٩ – ٤٥١ . وانباه الرواة ١/٢٠١ – ٢٠٢ وفي هامشه اشارة لمراجع كثيرة .

تودُّ عقودُ الدُرِّ لو كُنَّ لفظَه
فينظمها من توأمٍ وفريد

فكم حُلَلٍ من خطّه بين كتبه
تزيد على أبراد آل يزيدِ (1)

[ابو الفتح البستي]

١ – ظِل الوزيرِ مقيلُ كُلِّ سعادة
يجدُ المؤمّلُ في ذُراه منشآ

٢ – من شاء مَنْشأَ غِبْطَةٍ وسلامة
بلقائه يُدْرِكْ ويلحقُ منْ شأَى (2)

آخر : [ابو الفتح البستي]

١ – لله دَرُّ ابي نصرٍ فقد لحظت
عيناي منه بديع الفضل كامِلَهُ

٢ – إنْ سلَّ اقلامَهُ يوماً ليُعْمِلَها
إنْسَلَّ كُلُّ كَمِيٍّ هَزَّ عامِلَه

٣ – وإنْ أمَرَّ على رِقٍ أناملَهُ
أقَرَّ بالرِقِّ كُتّابُ الأنامِ لَهُ

---

(1) البيتان لا وجود لهما في ديوان الصاحب بن عباد طبعة محمد حسن آل ياسين .

(2) البيتان للبستي في تحفة الوزراء ص ١٦٢ – ١٦٣ . رواية الاول : منتشى ورواية الثاني : من يشا .
وهما له في لمح الملح الورقة ١١ ورواية صدر الثاني :
من شاء منشأ غبطة وسعادة

٤ – وقِرْنُهُ عالمٌ أن لا مناصَ لَهُ
إنْ سلَّ عند الوغى يوماً مَناصِلَهُ (١)

آخر : [ابو الفضل الميكالي]

١ – إذا ما جادَ بالأموالِ ثنّى
ولم تُدْرِكْه في الجودِ الندامَهْ

٢ – وإنْ هَجَست خواطِرُهُ بجَمْعٍ
لرَيْبِ حوادثٍ قال الندى : مَهْ (٢)

آخر : [البستي أو الميكالي]

١ – ولمّا تَتابَعَ رَيْبُ الزمانِ
فَزِعْنا الى سيِّدٍ نابِهِ

٢ – إذا كَشّرَ الدهرُ عن نابِهِ
كَشَفْنا الحوادثَ عَنّا (٣) به [٤]

---

(١) الابيات ما عدا الاول للبستي في لمح الملح الورقة ١١٢ . رواية الثاني إن هز اقلامه ..... انساك .. ورواية الثالث : وإن اقر ورواية الرابع : وقوله عالماً .... إن سل من غمدها .
والثاني والثالث له في اليتيمة ٤/٣١٠ . رواية الثاني : انساك كل . والثالث فقط له في العمدة ١/٣٢٩ وروايته : وإن اقر والثاني والثالث له في المنزع البديع ص ٤٩٢ . رواية الثاني : انساك ووردت في صدر البيت كلمة (اقدامه) بدل اقلامه ، وهو من اخطاء الطباعة فيما نرجح .
ورواية الثالث : على طرس انامله . والثاني والثالث له في معاهد التنصيص ٢/٧٥ . رواية الثاني : ليعلمها انساك . ورواية الثالث : وان اقر .
والبيت الاول مما انفردت به مخطوطتنا .
(٢) البيتان لابي الفضل الميكالي في زهر الآداب ص ٥٠٤ .
وهما له في لمح الملح الورقة ١٢٤ ورواية عجز الاول : ولم يدركه .
(٣) هما لابي الفضل الميكالي في ابيه في ثمار القلوب ص ٢٣٥ . رواية الاول : صرف الزمان .
وهما للميكالي في زهر الآداب ص ٥٠٤ ورواية الاول : ولما تنازع صرف . وهما للبستي في لمح الملح الورقة ٢٥ . ورواية الاول : صرف الزمان . وهما للبستي في ديوانه ص ٢٠٤ ورواية الاول : صرف الزمان .

آخر : [البستي او الميكالي]

١ – اذا دهى خَطْبٌ فآرآؤه
تغني عن الجيش وتسريبه

٢ – [وإنْ دجا ليلٌ فأنوارُهُ
تُضيء للركب وتسْري به][1]

آخر : [ابو الفتح البستي]

لم ترَ عيني مثله كاتباً
لكلّ شيءٍ شاءَ وشَاءَ

٢ – يُبْدِعُ في الكتب وفي غيرها
بدائعاً إن شاءَ إنشاءَ[2]

[ابو الفتح البستي]

عوِّل على رأيهِ إذا حزبَتْ
نائبةٌ من نوائبِ الزمنِ

٢ – فليس في الناس منزلٌ أشبٌ
كرأيه في كرايه المحنِ[3]

(١) هما للميكالي في ابيه في زهر الآداب ٤٠٤ ورواية الاول : إن نابنا خطب والثاني ساقط من المخطوط فأكملناه عن لمح الملح الورقة ٢٦ . ورواية الثاني في زهر الآداب .
وإن دجا ليل بدا نوره   لركب نجما فهو يسري به
ورواية الاول في لمح الملح : اذا أتى خطب . والبيتان منسوبان للبستي في لمح الملح الورقة ٢٦ . وهما في ديوان البستي ص ٤٠٢ ورواية الاول فيه مماثلة لمخطوطتنا . ورواية الثاني : بدا نوره للركب نجم نهي . وهما للبستي في تحفة الوزراء ١٦٣ وروايتهما مماثلة للديوان .
(٢) البيتان للبستي في يتيمة الدهر ٤ : ٣١٠ ورواية الاول : شاء أو شاء وهما له في لمح الملح الورقة ٩ ورواية الاول : بكر .
(٣) البيتان للبستي في لمح الملح الورقة ١٣١ ورواية صدر الثاني : فليس في الارض معقل .

آخر : [ابو روح ظفر بن عبدالله الهروي] [1].

١ – يـا مـن تذكرني شمائله
ريح الشمال تَنَفَّسَتْ سَحَرَا

٢ – وإذا امتطى قلماً أناملُهُ
سحرَ العيون به وما سحرا [2]

آخر : [البستي]

١ – كلامُ الأميرِ النَدْبِ في ثِنْيِ نَفْضِه
ينوبُ عن الماءِ الزُلالِ لمن يَظْمَا

٢ – فنروى متى نروي بدائعَ نظمِه
ونظما اذا لم نَرْوِ يوماً له نَظْمَا [3]

(١) ابو روح ظفر بن عبدالله الهروي : كاتب شاعر فقيه . ولي قضاء عدة من بلاد خراسان كان معاصراً للبستي ومدحه الاخير . ترجم له الثعالبي في يتيمة الدهر ٤/٣٤٧ – ٣٤٨ .

(٢) البيتان لأبي روح ظفر بن عبدالله الهروي في الاعجاز والايجاز ص ٢٦٤ – ٢٦٥ . ورواية الاول : يذكرني وأمي من شمائله . ورواية الثاني : واذ امتطى قلم أنامله سحر العقول وما به سحراً . وهما له في يتيمة الدهر ٤/٣٤٨ . وروايتها ثالثة لرواية مخطوطتنا .
وفي كتاب من غاب عنه المطرب ص ١٢ قال الثعالبي : « واطرب ابو روح ظفر بن عبدالله التنوخي حيث قال في ابي الفتح البستي . ثم اورد البيتين . ورواية الاول مماثلة لرواية الأنيس . ورواية الثاني :
واذا امتطى قلمه انامله سحر العقول به وما سحرا

(٣) البيتان للبستي في ديوانه ص ٢٩١ . ورواية الثاني : فنروى اذا نروى وديوان البستي هذا مثار شك في محتواه ، اذ لم تصل الينا منه نسخة مخطوطة فيها سند رواية متصل بالشاعر. وقد اقحم فيه شعر كثير من « الشذوذ » مما نقصه سواد . اقحمه النساخ بسبب شهرته في هذا النوع من التجنيس .
وهذان البيتان أوردهما الثعالبي في تتمة اليتيمة ٢ : ١٣ – ١٤ وقال انهما من شعر ابي حفص عمر بن المطوعي الحاكم قالها في الثعالبي ، وروايتهما :
كلام أبي منصور فيه عذوبة ..... الخ . وفي نح النح ورقة ٢ : ١٤ انهما للمطوعي في الامير الميكالي وصدر البيت الاول : كلام بن ميكال الامير بنقضه .

آخر : [البستي]

١ – بنيسابورَ ساداتٌ كِرَامٌ
تَرى أحلامَهُمْ احلامَ عادِ

٢ – إذا بدأوا بشيء تمموه
وعادوا بَعْدَهُ أحلَى مَعادِ [1]

– د –

العتاب والاعتذار

آخر : [ابو الفتح البستي]

١ – يا من عَقَدْتُ بهالرجاءَ فلم يكُنْ
لي منهُ إلطافٌ ولا إينـاس

٢ – إن كان قد جَرَّحَ المطامِعُ عفّتي
فوراءَ ذاك الجرح يأسٌ ياسو [2]

آخر : [ابو نصل سهل بن المرزبان] [3]

١ – تَسب صديقي في المحافل عائباً
ومَنْ عابه يوماً كمن هو عائبي

(١) البيتان لبستي في ديوانه ص ٢٢٥ . ورواية الثاني : بخير تمموه وهما له في لمح الملح الورقة ٥٧ ورواية الثاني : بخير تمموه .

(٢) البيتان لبستي في يتيمة الدهر ٣٢٢/٤ ورواية الاول : إرفاد ولا إيناس ورواية الثاني : جرح ياسو . وهما له في لمح الملح الورقة ٨٣ . ورواية الاول : ارفاد ولا إيناس . ورواية الثاني : المطامع همتي .

(٣) شاعر ومصنف من اصبهان استوطن نيسابور . اشتهر بذخائر الكتب التي جمعها . كان صديقاً للثعالبي وله صنف اخبار ابن الرومي . من مصنفاته : اخبار ابي العيناء . وكتاب اخبار جحظة البرمكي . وكتاب ذكر الاحوال في شعبان وشهر رمضان وشوال . وكتاب الآداب في الطعام والشراب . ترجم له الثعالبي في يتيمة الدهر ٣٩١/٤ – ٣٩٠ وأورد نتفاً من شعره .

٢ - فدع عناك خِلّي جانباً في الملاعب
وإلاّ فعيبي مثله فـي الملا عبِ[١]

آخر : [ابو الفتح البستي]

١ - رأيتُكَ تكويني بميسَمِ مِنّةٍ
كأنّك قد اصبحتَ علّة تـكوينـي

٢ - وتَلْويِنيَ الحقَّ الذي أنا أهلُــهُ
وتخرُجُ في أمري الى كلّ تلويـن

٣ - فأمْسِكْ ولا تَمْنُنْ عليَّ فَبُلْغَةٌ
من العيشِ تكفيني الى يوم تكفيني [٢]

آخر : [محمد بن محمد بن جبير السجزي] [٣]

١ - يـا ماكراً بـي وبخلاّنـه
مهلاً فمـا المكرُ مـن المكرمـات

٢ - عليك بالصحّة : فهـي التـي
تحيا وتحييك إذا المكرُ مـاتْ [٤]

(١) البيتان لسهل بن المرزبان في يتيمة الدهر ٤/٣٩٢ . رواية الاول : في المجالس عانباً . ورواية الثاني : فدع مثل هذا .... وإلا فدعني .

(٢) الابيات للبستي في يتيمة الدهر ٤/٣٢٢ ورواية الثالث : فمهلا ولا تمنن . وهي في لمح الملح الورقة ١٣٥ ورواية الاول : بميسم ذلة ... كانك قد ابدعت ... ورواية الثاني : وتذهب في أمري .

(٣) محمد بن محمد بن جبير السجزي : شاعر ناثر كان كاتباً للأمير خلف . ترجم له الثعالبي في يتيمة الدهر ٤/٣٤٠ - ٣٤١ واورد نتفاً من شعره .

(٤) البيتان لمحمد السجزي في اليتيمة ٤/٣٤١ ورواية الثاني : عليك بالصحبة وهما للبستي في لمح الملح الورقة ٣٥ ورواية الاول : يا ايها الذاهب في مكره وهما لأبي القاسم محمد السجزي في المنزع البديع ص ٤٩٤ . رواية الاول : بي وباخوانه . رواية الثاني : تحيا وتنجيك

آخر : [ابو الفتح البستي]

١ ـ أخٌ لـي جَرَّبْتُهُ بُرهـةً
فَنَدَّمَني طُـولُ تجْريبـهِ

٢ ـ وهل كان يُرْبِحُ تَجْرِيبه
وفُلْكُ التَكَبُّرِ تجري بـهِ [1]

آخر : [البستي]

١ ـ يا صاعداً في جوِّ كبرٍ شامخٍ
عمّا قليل أنت أسفلُ سافلِ [٥]

٢ ـ أيأستني وأرحتني وكفيتنـي
واليأسُ رَوْحٌ من مَنُوعٍ باخلِ

٣ ـ أأرومُ في ايّام عزِّكَ بَسْطَةً
في الجاه لي ، إنّي لعينُ الجاهلِ [2]

آخـر :

نفقتَ باسـم المصطفى في الورى
فاسمُ الى علم الهـدى فاقتبسْ

مـن لـم يزن أقوالـه لم يـزن
من لـم تكس أحواله لـم يكسْ

آخر : [البستي]

(١) البيتان للبستي في ديوانه ص ١٩٢ ورواية الاول : جربته مرة ورواية الثاني : فهل كان .
والبيتان له في لمح الملح الورقة ٢٠ ورواية الثاني :
وهيهات ينفع تجريبه ومن اجهالة تجري به

(٢) الابيات للبستي في ديوانه ص ٢٧٧ . رواية الاول : جو ضير ورواية الثاني : واليأس خير .

١ — يا أكثرَ الناسِ إحساناً الى الناسِ
واعظم الناس اغضاءً عن الناسي
٢ — نسيتُ وَعْدَكَ والنسيانُ مُغْتَفَرٌ
فاغْفِرْ فاوّلُ ناسٍ اوّلُ الناسِ [1]

ابو الفتح البستي :

١ — أكُتّابَ بُسْتٍ لمْ تناحركم على
وِزارة بُسْتٍ وهي سُخْنَةُ عَيْنِ ؟
٢ — وخُفّ حُنَيْنٍ فوقَ ماتطلُبونَهُ
فلم بينكم في ذاك حربُ حُنينِ [2]

آخر :

أجِرْنيَ من حرّ العتابِ فانّني
على كالمقالي من عنيفِ مقالك
وبالله لو صادفتُ في الحال بُلّةً
لأسرعتُ في تبييضِ حالكِ حالك

آخر : [البستي]

---

(١) البيتان للبستي في ديوانه ص ٢٤٧ ورواية الاول : واحسن الناس ورواية الثاني : نسيت عهدك . وهما له في الاقتباس من القرآن الكريم ص١٣٩ وروايتهما مماثلة لمخطوطتنا وهما له في لمح الملح الورقة ٨٢ ورواية الاول : واحسن الناس .

(٢) البيتان له في يتيمة الدهر ٤/٣٢٤ ورواية الاول : كم تناجزكم على . ورواية الثاني : فكم بينكم يتقوم . وهما له في ثمار القلوب ص ٦٠٧ ورواية الاول : كم تناجزكم على . ورواية الثاني : وخفا حنين .... فكم بينكم . وهما له في التمثيل والمحاضرة ص ١٤٤ ورواية الاول : كم تناحركم على . ورواية الثاني : يا قوم حرب . وهما له في التمثيل والمحاضرة ص ٣٠٠ — ٣٠١ . ورواية الاول : كم تناحركم ورواية الثاني : وخفا حنين .
وهما له في تحسين القبيح وتقبيح الحسن (الحلقة ٤) مجلة الكتاب العدد ٣ السنة ٩ ص ١٤١ .
— وهما له في المنتحل ص ٢٦٢ ورواية صدر الاول : كم تفاخركم على .

١ – تَرَحَّلْتُ عنكَ لفَرْطِ الشَّقاء
وخَلَّفْتُ رشْدي ورأيي ورائي

٢ – أقولُ مقالةَ مُسْتَغْفرٍ
من الذنبِ مُعْتَرِفٍ بالجَفاء

٣ – فناي قريبٌ إذا غبتُ عنكَ
وإمّا رَجَعْتَ فَناء فَنائي [1]

آخر : [ابو الفتح البستي]

١ – إن كنت قد بُلِّغْتَ عني سُبَّةً
فالذنبُ فيه للكَذوبِ المُفْتَري

٢ – أو خَيَّلُوا لكَ انَّ عهدي أبْتَرٌ [2]
فالحر لا يرضى بعهدٍ أبْتَرِ

٣ – طَبْعي كَطَبْعِ المُشْتري، مافيه من
شَوْبٍ، فهل من مُشْترٍ للمشتري [3] ؟

آخر :

أخٌ لم أخنْ عهده ولكنّه ما وفى
اذا جاءني برّه أو جفا أوجفا

(١) الابيات للبستي في ديوانه ص ١٩١ . ورواية الاول : ورائي ورائي ورواية الثالث : فنائي قريب .
والثاني والثالث له في لمح الملح الورقة ٩ . ورواية الاول : تخلف عنه لفرط الشقاء . ورواية الثالث : فنائي قريب اذا غبت عنه .

(٢) في الاصل المخطوط : تهدك ، والتصويب عن الديوان .

(٣) الابيات في ديوانه ص ٢٤٠ وقبلها البيت التالي :
يا من أراد يمتري بمودتي ... ما منصف فيما يحب بممتر
ورواية الاول في الديوان : قد ابلغت عني سيئاً .
ورواية الثالث : ما فيه من شر .
والبيت الثالث في يتيمة الدهر ٣١٦/٤ . وهو له في التمثيل والمحاضرة ١٩١

يكــدّر لــي عهــده وقــد كان مــاءً صفا
لعمري لقــد خانــني وجــار ومــا انــصفا

آخر : [ابو الفتح البستي]

١ ــ فديتُكَ قد ضَلّلْتَ سُبْلَ مقاصدي
على انني في الودّ أفضلُ ســائــلِ
٢ ــ أرى منك في الآيات إقبالَ قابلِ
ومن بعده إعراضَ ضِدٍّ مُقابــــــلِ
٣ ــ وتظهر وُدّي ثم ترمي مقاتلي
بسهمِ اغتيابِ دونَ سهمٍ ونابــلِ
٤ ــ فاقْلِلْ مَعابي إنْ اردتَ مودّتي
وانْصِفْ ولا تَنْصِبْ حبالــةَ حابــلِ
٥ ــ فَسِيّانَ رامٍ قاصدٍ بالمعابل(١)
وآخر زارٍ قاصدٍ بالمَعابِ لي(٢) [٦]

آخر : [أبو الفتح البستي الكاتب]

١ ــ جُعِلْــنا أجنبيــين بــلا جُرْمٍ ولا تَبْــلِ
٢ ــ وأُقْصِينا وما خُنّــا ولا زُغْنا عــن العَــدْلِ
٣ ــ فقل لي يا أخا الهمّة والافضالَ والفَضْــل
٤ ــ الى كمْ نحنُ في ضيقٍ وفــي عَزْلٍ وفــي أزْلٍ ؟

(١) المعابل : السهام .
(٢) الابيات للبستي في ديوانه ص ٢٨٢ ما عدا الاول .
رواية الثاني : ارى منك في الآيات .
ورواية الثالث : دونه سهم نابل .
والاول مما انفردت به مخطوطتنا .

٥ـ أما تَنْشَطُ أن تُملي على الكِاتبِ انُتْم لي ؟ [1]

ـ ه ـ

سائر الاخوانيات

[آخــر]

فتىً قدَّمَ اللهُ الكريمُ مَحَلّــــهُ
سَـــناً وســناءً حين أخّـــره سِناّ
فلا فضل إلاّ وهو في كُلّ حالــةٍ
أحقّ بذاك الفضل مِنّـــا وما مَنّـــا

آخــر :

أفــدي أبـــا الطيّبِ مـــن صَفـــيٍّ
كـــم مِنّـــةٍ منـــه عـــلى عليٍّ
بـــلا بــلاءٍ قـــد مضى مُضِيّـــي
ولا ولاءٍ ســـابـــقٍ مَرْضـــيّ
الاّ الاّ يهديـــه [2] كالهـــديّ
فعـــل الابِ الحـــفيّ بالصبـــيّ

آخر : [ابو الفتح البستي]

١ ـ فديُكَ عزّ الصديقُ الصَّدوقْ
وقلّ الصَفيُّ الحَفِـــي الـــوفـــي

(١) الابيات للبستي في يتيمة الدهر ٤/٣٢٥ . رواية عجز الثاني : وما زغنا ورواية الثالث : يا أخا السؤدد واطمة. والابيات له في معاهد التنصيص ٢/٧٥ . ورواية الخامس : على الكتاب وبقية الابيات روايتها مماثلة لليتيمة .

(٢) كذا في الاصل .

٢ – ولي رغبةٌ فيـــكَ إمّـــا وفيتَ
فهل راغبٌ أنْتَ في أن تفي ؟ [١]

آخر : [البستي]

١ – لا تَعتِبَنَّ ولا تَخدَعْكَ بارِقَةٌ
من ذي خِداعٍ يُري بِشْراً وإلطافـــا

٢ – فَلَوْ فَلَيْتَ جميعَ الناسِ قاطِبَةً
وسِرْتَ في الأرض أوساطاً وأطرافـــــا

٣ – لما رأيتُ صديقاً صادقاً ابداً
ولا أخاً يحفظُ الإنصافَ إنْ صافى [٢]

آخـــر

أخو الانسانِ منْ واســـاهُ فيمـــــا
يــذم الناسُ فيـــه ويحمدونَـــهْ

فانْ تُرْزَقْ ثراءً يَلْـــهُ عنـــــهُ
وإن تُقْصَدْ بشَرٍ يحـــم دونَـــــهْ

آخر [ابو الفتح البستي]

١ – كم من فتى قد هَدَّمَتْ أخلاقُهُ
في آخرٍ مـــا قـــد بنى فـــي الأوّلِ

(١) البيتان في ديوان البستي ص ٢٦٥ وبعدهما ثالث هو :
وارعى ذمامك ما دمت حيا ولا استحيل ولا انتفي
وهما له في اليتيمة ٣٢٣/٤ . ورواية الاول : قل الصديق ... وقل الخليل الحظي . وهما له في زهر الآداب ص ٣٧٣ ورواية الاول : قل الصديق .. وقل الخليل . ورواية الثاني : وبي راغب . وهما دون عزو في نح الملح ١٠٠ – ١٠١ ورواية عجز الاول : وقل الصديق الوفي الحفي . ورواية الثاني : وبي رغبة .

(٢) الابيات للبستي في ديوانه ص ٢٦١ ورواية الثالث : لم تلف منها صديقا .... يبذل الانصاف والابيات له في اليتيمة ٣٢٤/٤ رواية الاول : لا تغبنن . ورواية الثالث : لم تلف فيها صديقا ... يبذل . والثاني والثالث في نح الملح الورقة ٩٥ دون عزو . رواية الثاني : جميع الارض. ورواية الثالث : لم تلق فيها . .... يبذل الانصاف .

٢ – نسيَ الوفاءَ ولستُ أنسى عهدمـا
شاهدتُ منه في الزمـان الأطـول

٣ – يرمي سهاماً إذْ أسرَّ المَقْتَ لـي
بالكَيْدِ لا يقصِدْنَ غير المَقْتَلِ [1]

آخر : [البستي]

يا منْ أراهُ للزمـان حَسَـنَهْ
ومَنْ حَـوى من كلّ شيءٍ حَسَنَهْ

إن غِبْتَ عنّي سِنَةً فهي سَـنَهْ
وَسَنَةٌ تحضرُ فيها وسـنه [2]

آخر : [البستي]

١ – لقاءُ أكثَر من تَلْقاهُ أوْزارْ
فـلا تُبالِ أصَدُّوا عنـكَ أوْ زاروا

٢– أخلاقُهُمْ للفتى ثقلٌ واوعار
وفِعْلُهُم مأْثَمٌ للمـرءِ أوْ عـارُ

---

(١) الابيات للبستي في يتيمة الدهر ٤/٣٢٢ .
رواية الاول : كم من أخ ... من آخر .
ورواية الثالث : إن اسر وهي نه في معاهد التنصيص ٢/٧٥ رواية الاول : كم من أخ . ورواية الثالث : ان اسر .

(٢) البيتان للبستي قالهما في مدح ابي عبدالله محمد بن حامد الخوارزمي . وهما في اليتيمة ٤/٢٤٩ ورواية الاول : من كل شيء أحسنه . وهما في ديوانه ص ٢٩٣ وزواية الاول : من كل عام أحسنه .

٣ – لهُمْ لديكَ اذا جاؤوكَ أوطارُ
فإنْ قَضَوْها تَخَوَّا عنكَ أوْ طاروا (١)

[٧] آخر : [ابو الفتح البستي]

١ – إنْ لمْ تكُنْ نيتي مُصَوَّرةً
ولم تكُنْ واثقاً بناجيتي

٢ – فَسَلْ ثَنائي فإنّه عَلَنٌ
تَشْهَدْ على نِيَّتي عَلانِيَتي (٢)

[آخر] :

ابو سعيد طرف ملوله
يبدو له في كل ما يبدو له

– و –

الزيارة والعيادة

[ابو الفتح البستي]

لقاؤُك يُدْني مُنى المُرْتَجي
ويفتحُ بابَ الهوى المُرْتَجِ

(١) الابيات للبستي في ديوانه ص ٢٤٢ .
رواية الاول : من يلقاك »
رواية الثاني : اخلاقهم فتجنبهن .... وقربهم مأثم . والابيات له في يتيمة الدهر ٤/٣٢٤ .
رواية الاول : من يلقاك . ورواية الثاني : اخلاقهم فتجنبهن .. ووصلهم مأثم والابيات له في لمح الملح الورقة ٧٧ . رواية الثاني : اخلاقهم فتجنبهن ورواية الثالث : اذا قضوها .
والاول والثالث له في المنزع البديع ص ٤٩١ وروايتهما مماثلة لمخطوطتنا . والابيات الثلاثة ومعها رابع في المنتظم ٧/٧٢ – ٧٣ ورواية الثاني : فتجنبهن او عار وقربهم .

(٢) البيتان للبستي في ديوانه ص ٢٠٦ . رواية الاول : بناحيتي . ورواية الثاني : فسل بياني .
وهما له في يتيمة الدهر ٤/٣٢١ وروايتهما مماثلة لمخطوطتنا .
وهما له في لمح الملح الورقة ٣٥ . ورواية الاول : بناحيتي .
ورواية الثاني : فاقبل ثنائي ... دلت على نيتي .

فأسْرِعْ إلينــا ولا تَنْتَـــظِرْ
فإنّا صِيامٌ الــى أنْ تَجــي [1]

آخــر :

فراقُ هــذا الشيخ أذكى لنـــا
فــي القلبِ أشـجانــا وأشــجانــا
مــا ضَرَّهُ لو زارَنــا مُنْعِمــاً
بالبــرِّ أحيــانــاً فَأحيــانــا

آخر : [الحاكم بن دوست]

أفدي الذي قالَ لا تُغْبِبْ زيارتَنَا
دَدُ المُحِــبِّ اذا ما لم يَزُرْ زورُ
فقلتُ تفديكَ نَفْسي ما بدْا قمــرٌ
ليــلاً وما ناحَ في الافنان زُرزُورُ [2]

آخــر :

لقــد أحْسَنْتُ بالرحمن ظنّــاً
فما أخشــى صــروفَ الحُمّيــات
لعلمي انّ هــذا المــوت حتــمٌ
مــن المقــدور مهما حُــمّ ياتي

---

(١) البيتان للبستي في اليتيمة ٤/٣٢١ . رواية الاول : يدني من . ورواية الثاني : ولا تبطئن . وهما له في معاهد التنصيص ٢/٦٤ ورواية الثاني : فاسرع الينا ولا تبطئن .

(٢) البيتان للحاكم بن دوست فيلح الملح الورقة ٧٨ . رواية الاول : دعوى المحب اذا لم يزر زور ورواية الثاني : وما جاوب القمري زرزور .

آخــــر :

لطيرتــي بالصـــداعِ نالـــت
فــوقَ منــالِ الصُــداعِ مــنّي

وجدتُ فيــه اتفــاقَ سُـــوءٍ
صَدَّعَنــي منــذ صَــدَّ عنّي[1]

آخر : [سهل بن المرزبان]

١ – تداويتُ من أوجاعِ لدْغٍ أصابني
بــراحٍ أراحت من ســموم العقاربِ

٢ – فَحَمْداً لِلُطْفِ اللهِ حين أزالهـا
ومن بعدِه حمداً لفعــلِ العُقّار بي[2]

عبدالرحمن بن محمد[3] :

قالوا الاميرُ به حُمّى فقلتُ لهـــم
: بالفضلِ لا بأَبي الفضلِ بن ميكالِ

اللهُ يكلؤنــي فيـــه ويــكلــؤه
فليسَ من بعدهِ لي في دمــي كالي

حتى اُتيتُ بنشرٍ من ســلامَتِـــه
كأنّــه وحــيُ جبريــلٍ وميكالِ

---

(١) البيتان لابي فراس الحمداني في « المتشابه » ص ٢٧ . وفي لمح الملح الورقة ١٤٥ ما نصه :
(وقال البديع الهمداني يذكر صداعاً اصاب رأسه :
وجدت فيــه اتفاق ســوء صدعني مثل صد عني) .

(٢) ابيات لسهل بن المرزبان في يتيمة الدهر ٣٩٣/٤ . رواية الاول : براح أراحت . ورواية الثاني : ومن بعده حمد .

(٣) عبدالرحمن بن محمد : هو الحاكم ابو سعد بن دوست ، وقد مرت ترجمته .

– ز –

الاستحالة والشكر

آخـــر :

فديتُكَ انّي مقترٌ رازحُ الحـــالِ
ومالي سوى جَدْوى يمينِكَ منْ مـــالِ

وقد أمّلَتَ الآمـــالُ شـــكراً ومدحةً
على قلمي فاسمعْ أمـــالي آمـــالي

[البستي] :

يا ســيّداً يَروي الصَّدي رأيُـــــهُ
يــصُـــبُّ كـــالمـــزن اذا يهمي

إنْ كنتَ تَهْمي بصـــوابٍ على
ذي فطنةٍ فاهْـمٍ عـــلى فهمي (1)

[آخر]

ســيدي انــتَ قـــد أنَخْتُ رجائي
بـــكَ إنســاً بـبـــرِّكَ المســـتدامِ

[٨]

فاقرِ فَقْري غنًى فانّـــيَ ضيـــفٌ
وقرى الضيـــفِ مـــن سجايـــا الكرامِ

آخـــر :

(1) البيتان للبستي في ديوانه ص ٢٨٦ . رواية الاول :
بصائب في الرأي اذ يهمي . ورواية الثاني : ذي غلة فاهم على فهمي وهما له في لمح الملح الورقة ١٢٤ ورواية الاول : بصائب في الرأي اذ يهمي . ورواية الثاني : اذ كنت ... ذي علة .

أجرنـــيَ من دهـــرٍ أســاءَ جـــواره
ولست [ترى] كالدهر ســـوءَ جوارِ
فَرَسْمُكَ جــارٍ مُذْ عرفتــكَ انّه
إذا جارَ دهرٌ كان عــونـــك جاري

آخر : [ابو الفتح البستي]

فديتُك قد وعدتَ فَقُلْ يقينـــــاً
مـــتى يَخْضَرُّ في الموعـــودِ عُـــودُ
وقلتَ الجُودُ بالمَوجـــودِ شـــــرطٌ
فهـــل يرتـــاحُ بالموجـــودِ جُودُ [1]

آخر : [عبد الرحمن بن محمد]

قـــلْ للامير الاريحيِّ الـــذي
نَفْدية بالانفس إن جـــازا
: جودُك قـــد أثمر لي موعداً
فكيف لا يثمرُ إنجازا [2] ؟!

آخـــر :

يـــا ســـيِّداً حـــازَ رِقّـــــي
بـــمـــا حَبـــاهُ وأَوْلـــى
أحســـنتَ بِـــرّاً فَقُـــلْ لـــي :
أحســـنتُ شـــكركَ أو لا؟ [3]

آخـــر :

---

(١) البيتان للبستي في لمح الملح الورقة ٥٧ د . رواية الاول : فقل صريحا ... للموعود عود . ورواية الثاني : شرطي ... للموجود جود .
(٢) البيتان لعبدالرحمن بن محمد بن دوست في يتيمة الدهر ٤/٤٢٨ . رواية الثاني: قد أورق لي موعدا
(٣) البيتان دون عزو في لمح الملح الورقة ١٥٢ د ورواية الثاني : في الشكر .

قَولُ رسولِ اللهِ لا تَنْسَهُ
فما أرى الذاكر كالناسي
أَشْكَرُكُمْ [لله][1] إحسانَهُ
اشكَرُكُمْ في الارضِ للناسِ

– ح –

شكوى الحال والزمان

بعض شعراء ما وراء النهر :

١ – عَضَّنا الدهرُ بنابِهْ
ليت ما حَلَّ بنا بِهْ

٢ – لا يُوالي الدهرُ الاّ
خاملاً ليس بنابِهْ [2]

آخر : [ابو الفضل الميكالي]

ما لليالي ولي كأن لها
في مهجتي أنْ تفيتها غَرَضَا
كأنها قد تراهنت جُمَلاً
في رميها واتخذنها غرضا[3]

---

(١) مابين عضادتين زيادة يستقيم بها الشطر والمعنى .
(٢) البيتان دون عزو في لمح الملح الورقة ٢٤ .
والاول منهما دون عزو في معاهد التنصيص ٢/٧٠ والاول فقط في نهاية الارب ٧/٩٢ دون عزو .
(٣) البيتان للامير الميكالي في يتيمة الدهر ٤/٣٨٠ .
رواية الاول : إن لقيتها غرضا .
رواية الثاني : انتها قد ... واتخذنني غرضا .

آخــر :

أبــا النصر صبراً فليس لا زمــان
زمــانَ البــراعــة والفلســفــه

عســى الله يطلع نجــم العلــوم
ولا يرزق القــوت والفاس فــه

آخر : [البستي]

١ – ضللتُ عن المقاصدِ في مَعاشي
وأيأسني الزمــانُ من انتعاشــــي

٢ – فمن يكُ من مَعاشٍ في ضياء
فانّي من مَعاشــي فــي مَعاشي [1]

آخــر :

لا تعجبــنّ اذا شــكا الــ
حُــرُّ الكريــمُ اليــك دَهْرَه

فالوقــتُ مقــتٌ ، والــزمـــانُ
زمــانــةٌ ، والــزهــرُ زَهْــره

آخــر :

لســتُ براضٍ صنيع دهري
ان كان يرضى امــرؤٌ زمــانــه

عادى ذوي الفضل في دنـــاه
ونال ذو النقص والزمانه [٩]

---

(١) البيتان من قطعة للبستي في ديوانه ص ٢٤٩ ورواية الاول : وآيسني .
ورواية الثاني : من ضياع .
والثاني له في لمح الملح الورقة ٨٦ وروايته : ومن يك .

آخر : [ابو الفتح البستي]

١ ـ قلت لطِرْفِ الطَبْـعِ لمّا وَنى
ولم يُطِـعْ أمـري ولا زَجْري :

٢ ـ مالَكَ لا تَجْري وأنـتَ الذي
تجري مـدى الغاية إذْ تـجري ؟

٣ ـ فقال لي : دعني ولا تُؤْذِني
حتّى متى أجْري بلا أجْـر ؟[١]

: [سعيد بن عبدالله التكلي]

ألا قالتْ اُمامـةُ إذ رأتنـي
ومـاءُ الوجـهِ بالجـاديّ شِيبا :

تعرّتْكَ الهمومُ ، فقلتُ : حقـاً
همـومٌ تجعل الولـدان شيبا[٢]

] [:

عجبٌ أوهتْ وحارتْ فيـه أوهامُ الظنـونِ
منسـمٌ فوق سـنامٍ وشريفٌ دونَ دُونِ
اوَمـا ذاكَ وهـذا من جنـون المنجنون ؟!

(١) الابيات لابي الفتح البستي في يتيمة الدهر ٤/٣٢٥ .
ورواية عجز الثاني : تحوي مدى الغايات إذ تجري .
وهي له في لمح الملح الورقة ٧٧ ورواية الثاني مماثلة لرواية اليتيمة .
وهي له في المنزع البديع ص ٤٩٥ ورواية عجز الثاني : تحوي من الغايات وهي له في معاهد التنصيص ٢/٦٩ ـ ٧٠ . ورواية عجز الثاني : تجري مدى العلياء إذ تجري .

(٢) البيتان لسعيد بن عبدالله التكلي في يتيمة الدهر ٤/٤٢٣ . والتكلي هذا من أدباء نيسابور وفضلاء المتصرفين بها ترجم له الثعالبي في اليتيمة ٤/٤٢٣ ـ ٤٢٤ ترجمة مختصرة واورد قطعا من شعره

– ط –

ما جاء منه في الاهاجي

محمد بن العباس بن الحسن : [يهجو اللحام الحراني][1]

١ – مَن احتاج الى السيف فما في فيك يكفيك
٢ – وما جارحةٌ فيك لنا أجرح من فيك
٣ – وأطرافُ مساويك تنبّي عن مساويك [2]

محمد بن العباس الطبري :

١ – وزيرٌ سُوء يزور البمَّ والزيرا
وكاد يصبح من فرط الخنا زيرا
٢ – يكادُ من جهلِه يحكي الحميرَ كما
يكادُ من قُبْحِهِ يحكي الخنّازيرا [3]

آخر : [ابو حفص عمر بن علي]

وباردِ الطلعة حاذانا واسترقَ السمع فآذانا
فقلتُ للجلاّس لا تنطقوا فانّ للحيطانِ آذانا [4]

وقال في مثل هذه الصيغة :

---

(١) الزيادة عن يتيمة الدهر ١١٤/٤ في ترجمة على بن الحسن اللحام الحراني .
(٢) الابيات له في يتيمة الدهر ١١٤/٤ .
رواية الاول : يكفيكا . رواية الثاني : فيكا . رواية الثالث : المساويك .... لتنبي عن مساويكا .
ومحمد بن العباس بن الحسن : هو ابو جعفر كان ابوه العباس بن الحسن وزيرا للمكتفي والمقتدر وكان شاعراً وكاتباً بليغاً . رمت به الاحداث الى بخارى فاكرمه السامانيون . وترجم له الثعالبي في اليتيمة ١٢٢/٤ – ١٢٦ .
(٣) البيتان للبستي في لمح الملح الورقة ٧٧ . ورواية الاول :
يحب البم ..... يمسي ويصبح من طول الخنا .
(٤) البيتان لعمر بن علي المطوعي في ثمار القلوب ٣٣٥ .
ورواية الثاني : للجلاس لا تنبسوا .

نســتغفر الله دُفعنا الى جارٍ اذا أذّنَ آذانا
نغتم من نغمتيــه كُلّما راع أذانٌ منــه آذانــا

[الحاكم ابن دوست أو البستي]

١ - تعرّضَ للكتابــةِ يدّعيهــا
واعرَضَ عن مُزاولــةِ الحجامَــهْ

٢ - وكِدْتُ اقول فــي الديوان يوماً
أتحجمني ؟ فقال لي الحجى : مَهْ (١) !

على بن محمد : [البستي]

١ - شــيخٌ لنا يُقْطِعُنــا عِرْضَهُ
من قبــل أن يُقْطِعَنــا مالَــهُ

٢ - أخْيَبُ خلْــقِ الله من خالَهُ
حُرّاً ، ومن شامَ صدىً خــالَــهُ

٣ - واكثَرُ الفتيانِ بَثّــاً فتــىً
يَبُثُّــه مُعْتَفِيــاً حــالَــهُ

٤ - يَبْــني عــلى الفِكْرةِ أعماله
وذاك في التحقيق أعْمى له [١٠]

٥ - فقيّضَ الرحمنُ أفْعى لَــهُ
تُريه في الخلــوةِ أفْعالَــهُ (٢)

---

(١) البيتان لابن دوست في لمح الملح الورقة ١٢٤ . وهي للبستي في ديوانه ص ٢٩٠ .
(٢) الابيات للبستي في اليتيمة ٤/٣٢٧ - ٣٢٨ . والرابع والخامس له في لمح الملح الورقة ١١٣ .

آخر : [ابو الفتح البستي]

١ – قُلْ للّذي غَرَّهُ عِزٌّ وساعَدَهُ
فيمـا يُحاوِلُـهُ نَقْضٌ وإمرارُ

٢ – لا تَفْتَخِرْ بِغنىً اُمْطِيتَ كاهِلَهُ
فإنَّ أصْلَكَ يا فَخّارُ فَخّـارُ [1]

القريصى [2] الاصفهاني :

سُمْـتُ أبا عَلِيِّكُمْ نـوالا
فقبل أنْ سألتـه نـوى لا [3]

آخـر :

مـتى تزور أبا سهل فتانيـه
يلقاك منه اخـو كِبْرٍ فتى تيـه

آخر : [البستي]

١ – لنا صاحب فيه انخناثٌ وانّـه
يقـول بـأني مـولع بلواط

٢ – لـه أسهمٌ في الانفعال صوائبٌ
وأسهمه فـي الفعـل جـدُّ خواطي

٣ – فسحقاً لـهُ من كاذبٍ مُتَزَيِّدٍ
وشيخ ٍلواطٍ يستجيبُ لواطي [4]

---

(١) البيتان لابي الفتح البستي في يتيمة الدهر ٤/٣٢٦ .
والثاني فقط له في لمح الملح الورقة ٦٩ .

(٢) لم اعثر على شاعر بهذا اللقب .

(٣) في الاصل المخطوط : فقال ان . فصوبناه عن مصادر التخريج . والبيت للبستي في ديوانه ص ٢٧٣ . ورواية عجزه : فقبل تمام مسألتي نوى لا . واوله : سألت . والبيت للبستي في لمح الملح الورقة ١٥٢ وروايته مماثلة لما اثبتنا .

(٤) البيتان الاول والثالث للبستي في لمح الملح الورقة ٨٨ – ٨٩ . ورواية الاول : انخناث وابنة

آخر : [البستي]

١ – قُلْ للّذي خصّ بالحُسنى أباحسَنٍ
واختارَهُ حينَ وَلاّهُ وكَلّفَهُ

٢ – ما اخترتَ الاّ مَهيناً عاجزاً صَلِفاً
إن حال في أمره خلقٌ وكَلٌ فهو[1]

آخر : [البستي]

١ – قُلْ للذي حَرّم بذل اللهى
وحلّلَ الحِرْمانَ تَحْليلا

٢ – الى متى قوالُكَ لا كُلّما
أمّلْتُ معروفَكَ تَأْميلا

٣ – يا ليت شعري هل أرى ذولةً
تثبت تَنْفيلا وتنفي لا [2]

آخر : [البستي]

١ – لله دِهقانٌ أَنِسْتُ بقُرْبِه
ورأيتهُ يختالُ في حُلَلِ الغِنى

٢ – حُرٌّ اذا أطعمتُه أَلْفَيْ جَنا
من جنّتي أهدى اليّ الفجينا

(١) البيتان للبستي في ديوانه ص ٢٦٤ . ورواية عجز الثاني :
إن حال في أمره خلق فكل نهو. وفي الاصل المخطوط : ان جاز والتصويب عن الديوان .

(٢) الابيات من قعنعة للبستي في ديوانه ص ٢٨٣ .
رواية الاول : بذل الندى . ورواية الثالث : هل أرى حضرة .
والتنفيل : العطاء بدون واجب .
والثالث وبيت آخر للبستي في لمح الملح الورقة ١٥٢ . ورواية الثالث : .... حضرة
تنبت تنفيلا وتبقي لا

٣ – كم قلتُ لمّا جاءنا متطفلاً
يا ضيفنا ما جئت الاّ ضَيْفَنَا [١]

آخر : [ابو الفضل الميكالي]

١ – يريـــدُ يُوَسِّـعُ في بيتِـــهِ
ويأبى بـــه الضيقُ فـــي صَــدْرِهِ

٢ – فتىً سَخِطَ النصبَ في قِدْرِهِ
كما رضيَ الخفض فـــي قَــدْرِهِ [٢]

آخــــر :

وباخــلٍ يُبــدي لنــا عَجائبــاً مـــن أمْرِهِ
فقَـــدْرُهُ كقِــدْرِهِ وقِـــــدرُهُ كقَــدْره

آخــــر :

يا صاحبَ الثقلِ على قلبي وخفّة الروح على القلبِ
لوقمت يوم الحشرفي كفّتي كفرت بالغفران من ربي

– ي –

ما يختص بوصف الحبيب

بعض اهل اصفهان : [ابو سعيد محمد بن محمد الرستمي] [٣]

---

(١) الابيات لبستي في ديوانه ص ٣٠٦ . ورواية الثالث في الديوان : قد قلت لما جاءني متطفلا . والضيفن : نوع من البقل . والضيفن : الطفيلي .

(٢) البيتان لابي الفضل الميكالي في يتيمة الدهر ٣٧٦/٤ . وفي الاصل المخطوط عندنا : يريد ان يوسع في بيته . والتصويب عن اليتيمة . وهما له في زهر الآداب ٦٩٢ . ورواية الاول : ويأبى لسه . والثاني فقط له في التمثيل والمحاضرة ص ١٢٩ وروايته : ومن سخط .... فقد رضي ... من قدره .

(٣) ابوسعيد الرستمي : اصفهاني من كبار شعراء الصاحب بن عباد ترجم له الثعالبي في يتيمة الدهر ٣٠٤/٣ – ٣٢٣ واورد طائفة صالحة من شعره .

١ – بنفسي غزالٌ زارَ بعد ازْوِرارِه
وعاودني بالأُنس بعدَ نِفارهِ

[١١]

٢ – وانْ استعارَ الجُلّنار بخدِّه
أعارَ الحشا من خدِّه جُلَّ نارِهِ (١)

غيره :

أرى جُلَّ نارِ قلوب الورى
لما فوقَ خدَّيْهِ منْ جُلّنارِ

ابن مطران (٢) :

تُزهى علينا بقوْسِ حاجبها
تِيهَ تميمٍ بقوْسِ حاجِبِها (٣)

آخر : [ابو محمد الخازن]

١ – وبمُنْحنى الوادي لنا رشأٌ
قد ضلَّ حيثُ الضّالُ والرَّنْدُ

٢ – هندٌ ترى بسيوف مقلتها
ما لا ترى بسيوفها هند (٤)

---

(١) البيتان للرستمي في خاص الخاص ص ١٧٣ . رواية الاول : بنفسي حبيب ورواية الثاني : اذا ما استعار .
وهما له في الاعجاز والايجاز ص ٢٣٧ . رواية الاول : بنفسي حبيب ورواية الثاني : ولما استعان ... اغار الحشا .

(٢) ابن مطران : هو ابو محمد الحسن بن علي بن مطران شاعر الشاش وسائر بلاد ما وراء النهر ترجم له الثعالبي في يتيمة الدهر ٤/١١٥ – ١٢٢ واورد طائفة من شعره .

(٣) البيت لابن مطران في يتيمة الدهر ٤/١٢١ ورواية عجز البيت . زهو تميم ... وهو له في لمح الملح الورقة ١٤ وروايته مماثلة لرواية اليتيمة .

(٤) البيتان لابي محمد الخازن – وقد مرت ترجمته – في يتيمة الدهر ٣/٣٣٠ ورواية عجز الثاني : بسيوفها الهند .

بعض اهل سجستان : [ابو الفتح البستي]

١ - وذات دلٍّ اذا لاحظتُ صورتَها
رجعتُ عنها بقلبٍ جدّ مفتونِ

٢ - تزْوَرُّ عنّي بنونِ الصُدغ حين رأتْ
إمام لهوى يقرا سورة النون [1]

آخر : [محمد بن محمد بن جبير السجزي]

١ - بأبي غلامٌ لستُ غيرَ غُلامِه
مُذْ جادَ لي بسلامِه وكلامِهِ

٢ - ذو حاجبٍ ما إنْ رأيتُ كنُونِهِ
ابداً ، وصُدْغٍ ما رأيت كلامِهِ [2]

آخر :

اقولُ ولم أملكْ عنانَ مدامعي
وقد جَدّ بي شوقٌ الى قمرِ القَصْرِ

لئنْ صادَ قلبي أوحدُ العصرِ إنني
لمعتصمٌ منه بآخر والعَصْرِ

آخر : [ابو محمد الخازن]

١ - تُدعى باسماء نَبْزًا في قبائلها
كأنّ اسماء أضحت بعض أسمائي

(١) البيتان للبستي في « الكناية والتعريض » ص ٩ . وقال الثعالبي في شرحهما ما نصه : ولقد ملح في الجمع بين النونين وطرف في الكناية عن متاعه بامام اللهو وعن اعوجاجه وقلة انتصابه بقراءة سورة النون وانما شبهه بسورة النون المعروفة .

(٢) البيتان لابي القاسم محمد بن محمد بن جبير السجزي في يتيمة الدهر ٣٤٠/٤ والسجزي المذكور مرت ترجمته . وهما له في المنزع البديع ص ٤٩٣ .

٢ ـ انشدتُ شعري والقت شَعْرها طَرَباً
فأَلّفا بين اضواء وإمساء [1]

آخر :

آه من حبك آه بلغَ السيلُ زُباهُ
كم عليل لو أرادتْ شَفتاهُ شَغَتاهُ

الطاهري البصري [2]:

١ ـ قلتُ للقلب : ما دهاك أجبني ؟
قال لي : بائعُ الفَراني فَراني

٢ ـ ناظراه فيما جنى ناظراه
أو دَعاني أَمُتْ بما أودعاني [3]

عبدالرحمن بن محمد [ابن دُوَسْت]

١ ـ وشادنٍ قلتُ له : هلْ لكَ في مُنادمهْ ؟

---

(١) البيتان لابي محمد الخازن في يتيمة الدهر ١٩٦/٣ . ورواية الاول : أدعى . ورواية الثاني : أطلعت ... بين إصباح وإمساء .

(٢) هكذا ورد اسمه في الاصل المخطوط وفي لمح الملح الورقة ١٤١ واورد البيتين ضمن قطعة نسبها للطاهر الجزري . وفي يتيمة الدهر أوردهما منسوبين لشمويه البصري وترجم له الثعالبي في اليتيمة ٤١٧/٣ – ٤١٨ . وفي المتشابه ص ٣٢ وأوردهما الى الطاهر المصري . وفي معاهد التنصيص ٧٠/٢ نسبهما الى شمسويه المصري . وفي انوار الربيع للطاهر البصري . والثاني لمفرده في زهر الآداب ٣٧٢ والعمدة ٣٢٨/١ منسوب للبستي ورواية العمدة : عارضاه بما جنى عارضاه .

(٣) قالهما في غلام يبيع الفراني : جمع فرنية وهي نوع من الحلوى يخبز في الافران . وفراني الثانية : قطعني . وهما لشمويه البصري في يتيمة الدهر ٤١٧/٣–٤١٨ وروايتهما مماثلة .
ورواية الاول في المتشابه ص ٣٢ : ما دهاك ! أبن لي . ورواية معاهد التنصيص مماثلة لرواية مخطوطتنا .
وفي لمح الملح ١٤١ روايتهما مماثلة لمخطوطتنا . وقبلهما :

أوصلاني الى المنى أو صلاني بالأمان الذي ينيل الأماني
كنت في الحب ذا انبساط ولكن كاشح من بني الزواني زواني

٢ - فقال : كم من عاشقٍ سفكتُ في المنى دَمَهْ[1]

آخــر :

ليــت ســلمى زوّدتنا قبلــةً قبــل الفــراقِ

انّ لي مندوحة في لثــ مهـــا عن الف راقــي

آخر : [بكر بن عبدالعزيز النيلي] [2]

مــن وجهه يطلعُ نجم المشـــتري

ياقوتــةً تثمــر شــهداً فاشــترِ

ومن نضا باللحظ ســيف الأشــتر

اذا وجدت الحُــرَّ عبداً فاشترِ[3]

آخر : [ابو محمد شعبة بن عبد الملك البستي[4]]

١ - [فديتُ من زارني عــلى وَجَــلٍ

من الأعــادي وقلبُه يَجِــبُ [١٢]

٢ - فلو خلعــتْ الدنيــا عليه لمــا

قضيتُ من حقّه الذي يَجِبُ [5]

---

(١) البيتان له في يتيمة الدهر ٤/٢٧؛ ورواية الاول : المنادمه . ورواية الثاني : رب عاشق ... بالمنى .
وهما دون عزو في لمح الملح الورقة ١٢٤ ورواية الثاني : في المنى دمه . وبهذه الرواية اخذنا وصوبنا الاصل المخطوط وكان : بالمنى دمه . وهما له في فوات الوفيات ٢٩٨/٢ ورواية الاول : المنادمه . ورواية الثاني : بالمنى .

(٢) بكر بن عبدالعزيز النيلي : ابو سهل وله اخ شاعر هو ابو عبدالرحمن محمد بن عبدالعزيز النيلي . وابو سهل شاعر وطبيب ومن مفاخر نيسابور في زمنه . انظر شعره وترجمته في اليتيمة ٤/٤٣٠ .

(٣) البيتان له في يتيمة الدهر ٤/٤٣١ .

(٤) ابو محمد شعبة بن عبدالملك البستي : من شعراء اليتيمة ترجم له الثعالبي واورد نبذاً من شعره ، وذكر ابو الفتح البستي انه سمعه وتأثر به فسلك طريقته في المتشابه . انظر اليتيمة ٤/٣٣٧ .

(٥) البيتان لشعبة البستي في يتيمة الدهر ٤/٣٣٧ . رواية الاول : على حذر . ونسب البيتان وهما لابي الفتح البستي في لمح الملح الورقة ٢٣ وروايتهما مماثلة لمخطوطتنا .

احمد بن المؤمل :

ألا ليتني يا قومُ اعلم ما الذي
يُزَهّدها في وصالنا حين قلّتِ

لئن زهّدتها شيبتي فلطالما
تمليتُها وقت الصبا وتملّتِ

وان اعرضتْ عنّي وملّت فطالما
حديثي على اترابها قد أملّتِ

آخر :

لا تسألنْ عن قصتي غيري وعنّي سلْ مبيلي
اني شغفتُ بشادنٍ من فيه عين السلسبيلِ

بعض اهل الجبال : [احمد بن محمد اللجيمي] [1]

١ - وَدّعْتُ إلفي وفي يدي يده
مثل غريقٍ به تمسكْتُ

٢ - فرحت عنه وراحتي عطرت
كأنّني بَعْدَهُ تَمَسّكْتُ [2]

آخر : [احمد بن المؤمل] [3]

(١) احمد بن محمد اللجيمي : ابو منصور اديب كاتب شاعر عاصر الصاحب بن عباد . ترجم له الثعالبي في يتيمة الدهر ٤/٤٠٨ — ٤١٠ .

(٢) البيتان له في اليتيمة ٤/٤٠٨ . ونسبا وهماً للبستي في لمح الملح الورقة ٣٦ ورواية صدر الثاني : ورحت عنه وراحتي عبقت .

(٣) احمد بن المؤمل : مرت ترجمته. والقطعة ما عدا الثالث في اليتيمة ٤/١٤٨ . ورواية صدر الرابع : لا أراك بها .

١ ــ طَرا عليَّ رسولٌ في الكرى طاري
من الطُّيــور وأعطانــي بِمِنْقارِ

٢ ــ كتابَ حِبٍ بعيدِ الدارِ أمْاًحَمَنْ
يَمْشي على الارض من بادٍ ومن قاري

٣ ــ وفيه إن كنتَ لا تنوي مواصلتي
فاقرأ كتابي فداكَ النفسُ من قــاري

٤ ــ تركتَني في بلادٍ لا أنيس بها
كأنَّ قلبكَ من صَخْرٍ ومن قــارِ

آخر : [البستي]

١ ــ قلتُ لهُ ماذا السَّوادُ الــذي
فيك تَبَدَّى ؟ قال لي : غاليَــــــهْ

٢ ــ فقلتُ قَبِّلْني أجِــدْ ريحَها
فقال : خُذهــا قبلــة غــاليــه

٣ ــ فقلت لا تعلو على منْ غــدا
فــي حبّكم ذا كبــدٍ غاليــه

٤ ــ أحبكُمْ والمصطفى فوق مــا
تُحــبُّ آلَ المصطفى الغــاليــه

٥ ــ بكلّــكم كُنُّــيَ يا قاتلي
مُشْتَغِلٌ عن كُلِّ أشــغاليــه [1]

(١) القطعة للبستي في لمح الملح الورقة ١٥٥ ورواية الثالث : لا تغلو والابيات الثلاثة الاولى فقط للبستي في ديوانه ص ٢٨٥ . ورواية الاول : قال ذا غاليه . ورواية الثالث : لا تغل .

محمد بن عبدالجبار[1]

له وَجهُ الهلال لنصف شهرِ
وأجفانٌ مُكَحَّلَةٌ بسحرِ

فعند الابتسام كليل بدرِ
وعند الانتقام كيوم بدرِ[2]

وقال : [محمد بن عبدالجبار العتبي]

١ – ياذا الذي فتنَ الورى وبخدِّهِ
أحيا رسوماً للمحاسنِ عافيَهْ

٢ – يحكي محيّاه خلال عذاره
علم السلامة في طراز العافيه[3]

٣ – لا تمنعنَّ ثمارَ حسنِك واغتنمْ
ما قد روينا في حديث العافيه

أراد قول النبي – صلى الله عليه وسلم – (من غرس غرساً أو زرع زرعاً فما أكلت العافية منه فهو له صدقة) . [١٣]

آخر :

قلتُ للعاذل : مهلاً لا تَلُمْهُ حينَ لامَهْ

(١) في الأصل : عبدالجبار بن محمد والتصويب عن اليتيمة وهومحمد بن عبدالجبار العتبي شاعر ناثر فارق الري موطنه وقدم خراسان على خاله ابي نصر العتبي وهو من فضلاء العمال بها . ثم تولى الكتابة للامير ابي علي ، ثم للامير أبي منصور سبكتكين مع ابي الفتح البستي ، ثم تولى النيابة بخراسان لشمس المعالي . واستوطن نيسابور ؛ واقبل على خدمة الآداب والعلوم . وله كتاب « لطائف الكتاب » . وقد ترجم له الثعالبي واورد غرراً من شعره ونثره في اليتيمة ٤/٣٩٧ – ٤٠٦ ومن مصنفاته التاريخ اليميني وكان زميلا للبستي في ديوان الانشاء بالدولة الغزنوية .

(٢) البيتان للعتبي في يتيمة الدهر ٤/٤٠٢ .

(٣) البيتان الاول والثاني لمحمد بن عبداجبار العتبي في يتيمة الدهر ٤/٤٠٤ ؛ ورواية الاول : وبوجهه .

قد كساهُ الله ربّي من لباسِ الحسنِ لامَه
وجههُ بدرٌ منيرٌ انا أفديه ولامه
قلتُ يوماً في خفاءٍ تحضرنِّي ؟ قال : لا مَهْ !

آخر : [البستي]

١ – ومعشوقٍ يتيهُ بوجهٍ عاجٍ
شبيهُ الصُّدْغِ منهُ بلامِ زاجِ
٢ – اذا استسقيتُه راحاً سقاني
رُضاباً كالرحيق بلا مِزاجِ [1]

آخر :

بأبي الشادن الذي سحره في كلامِهِ
ما رأت قطّ مقلتي لامَ صدغٍ كلامه

[ابو الفتح البستي]

١ – وغزالٍ كلُّ من شَبّهَهُ
بهلالٍ أو بغصنٍ ظَلَمَهْ
٢ – قال إذ تَبَلْتُ بالوهمِ فَمَهْ
قد تَعَدَّيْتَ وأسرفتَ فَمَهْ [2]

آخر : [ابو الفضل الميكالي]

١ – منْ لي بشَمْلِ المُنى واللهوِ أجْمَعَهْ
بشادنٍ حلّ فيه الحسنُ أجمعُهُ

---

(١) البيتان للبستي في لمح الملح الورقة ٤٤ . ورواية البيت الثاني :
اذا استسقيته نارأ سقاني ودادأ في هواه بلا مزاج

(٢) البيتان للبستي في يتيمة الدهر ٣٠٨/٤ . ورواية الاول : أو ببدر ظلمه .

٢ ــ ما زال يُعْرِض عن وَصْلي وأخدعه
فالآن قد لان بعد الصدّ أخْدَعُه[1]

آخر : [ابو الفضل عبيدالله بن أحمد الميكالي] :

١ ــ عذيريَ من رامٍ رماني بسهمِه
فلم يُخْطِ ما بين الحشا والترائب

٢ ــ فألحاظُه يفعلنَ فعل العُقار بي
وأصداغه يلسعنني كالعقارب[2]

آخر : [ابو الفتح البستي أو الميكالي]

١ ــ تَفَرَّقَ قلبي في هواهُ فعندَهُ
فريقٌ وعندي شُعْبَةٌ وفَريقُ

٢ ــ إذا ظمئت نفسي أقول له اسقني
فان لم يكن راحٌ لديك فَريقُ[3]

آخر :

ضاق ذرعي في هوى قمرٍ قمرَ القلب وما شَعَرا
ليت أجفاني به شعرت فترى الجفن الذي فترا

(١) البيتان لابي الفضل الميكالي في اليتيمة ٣٧١/٤ . رواية الاول : من لي كفيلا بشمل الانس اجمعه . . . الانس اجمعه
ورواية الثاني : فاخدعه . فالآن لي . وهما للميكالي في زهر الآداب ص ٢٧٣ . ورواية صدر الاول : والانس اجمعه .

(٢) البيتان للامير الميكالي في اليتيمة ٣٧٠/٤ . ورواية الثاني في اليتيمة . صدره في موضع العجز وبالعكس .
والثاني فقط في لمح الملح الورقة ٢١ وروايته مماثلة لرواية اليتيمة .

(٣) البيتان للبستي في ديوانه ص ٢٦٩ ورواية الاول : تقسم قلبي ورواية الثاني: اذا ظمئت روحي ... وان لم يكن خمر .
وقد نسب البيتان في مخطوطة الوافي بالوفيات ١٦٥/٢٢ لابي الفضل الميكالي . وهما للميكالي في زهر الآداب ٩٥٦ برواية مماثلة لمخطوطتنا . وهما للميكالي ايضاً في الفوات ٣٣ .

آخــر : [ابو الفضل الميكالي]

١ – عذيري من جفــون فاتــراتٍ
بسَهْم السـحر مـن عَيْنَيْ غزال

٢ – [غزاني طَرْفُهُ حتى سَبانــي
لأنتصرنَّ منه بمَنْ غزا لي] (١)

– يا –

ما يختص باحوال الحبيب

بعض اهل نيسابور : [ابو الفضل الميكالي]

١ – يــا هِلالاً بِوَجْهِــه جُدَرِيٌّ
ظَــلَّ يحكــي كواكباً فــي هــلالِ

٢ – لا تَلُمْني إن نَمَّ بالسِّرِّ دمعي
فَلَهُ الذَّنْبُ خالصاً فيهِ لا لي (٢)

آخــر :

أشــكو اليك سقامــاً لا اعادلـــه
كانّما الهجرُ بالاســقام أوصى لــي

ما فيَّ جارحةٌ الاّ وقــد جُرِحَتْ
ومحرق بضرام الشــوق اوصالي [١٤]

(١) سقط البيت الثاني من مخطوطتنا فاكملناه عن زهر الآداب والبيتان للميكالي في زهر الآداب ص ٩٥٥ . ورواية الاول في زهر الآداب : جفون راميات .
(٢) البيتان لأبي الفضل الميكالي في لمح الملح الورقة ١١٤ .
وهما لابي الفتح البستي في ديوانه ص ٢٧٦ ورواية الاول : يا غزالا .

إن كانَ قَلّتْ دموعي فيك من جَزَعٍ
فقد تداعتْ من الاوصابِ أوصالي

عبدالله بن احمد [الميكالي]

١ – إنّ لي في الهوى لساناً كتوماً
وجناناً يُخفي حريقَ جواهُ

٢ – غير أنّي أخافُ دمعي عليه
ستَراهُ يُفشي الذي سَتَراهُ [١]

آخر : [ابو الفضل الميكالي]

١ – صِلْ مُحِبّاً أعياهُ وصفُ هواهُ
فضَناه يَنُوبُ عن ترجُمانِهْ

٢ – كلّما راقَهُ سِواكَ تصدّتْ
مقلتاهُ لخدّه تَرْجُمانِهْ [٢]

آخر : [ابو الفضل الميكالي]

١ – لقد راعَني بدرُ الدجى بِصُدودِهِ
ووكّلَ أجفاني بِرَعْيِ كواكبِهْ

٢ – فيا جزَعي مَهْلاً عساهُ يعودُ لي
ويا كَبِدي صَبْراً على ما كَرَاكِ به [٣]

(١) البيتان للميكالي في يتيمة الدهر ٣٦٩/٤ ورواية عجز الاول : وفؤاداً وهما له في لمح الملح الورقة ١٤٨ وروايتهما مماثلة لمخطوطتنا .

(٢) البيتان لابي الفضل الميكالي في زهر الآداب ٣٧٠ ورواية الثاني: بدمعه ترجمانه . وهما له في لمح الملح الورقة ١٣٣ . رواية الاول : اعناه فرط هواه . ورواية الثاني : سؤالي تصدت ... بدمعه ترجمانه .

(٣) البيتان للميكالي في اليتيمة ٣٦٩/٤ وهما له في زهر الآداب ٣٧٠ وهما له في معاهد التنصيص ٧٦/٢ وهما له في المنزع البديع ص ٤٩٢ . وهما له في لمح الملح الورقة ٢٥ .

آخر : [ابو الفضل الميكالي]

١ – كتبتُ اليه أستهدي وِصالاً
فعلّلنـي بوعـدٍ فـي الجـوابِ

٢ – ألا ليتَ الجوابَ يكونُ خيْراً
فيشفى ما أحاق من الجوى بي [1]

آخر : [البستي أو الميكالي]

١ – يا مبتلىً ، لضناه يرجو رحمةً
من مالكٍ يشفيه من أوْصابِـه

٢ – أوصاكَ سِحْرُ جفونه بِتَسَهُّد
وتلذّذٍ ، فقبلتَ مـا أوصى بـه

٣ – إصبر على مضَضِ الهوى فلرُبّما
تحلو مرارةُ صَبْرِهِ أو صابِه [2]

آخـر :

لولا مخافة ما ادعو عليـك بـه
دعوت (   ) [3] وعين الله ترعانا

يا من يؤرّقُ في الهجران أجفانا
اللـهُ عـذّب بالنيران أجفانا [4]

(١) البيتان للميكالي في زهر الآداب ٣٧٠ – ٣٧١ . ورواية الثاني : فيطفىء ما أحاط من الجوى بي . وهما له في لمح الملح الورقة ٢١ ورواية الاول : استهدي جواباً . ورواية الثاني : ما احاط من الجوى بي .

(٢) الابيات للميكالي في زهر الآداب ص ٣٧٠ ورواية الاول : بضناه . ورواية الثاني : وتبلد فقبلت .
والابيات للبستي في ديوانه ص ٢٠١ ورواية الثاني : اوصاك تسحرعينه بتسهد وتبلد .
وروايةالاول : بضناه .

(٣) كلمة مبهمة .

(٤) اجفانا الاولى : جمع جفن . واجفانا الثانية : اكثرنا جفاه .

آخـــر :

باللــه يــا أصحابنــا قــولــوا عليــه وَلَــهُ
في العــدل أن يهجرني ولــي عليــه وَلَــهُ

عبدالرحمن بن محمد :

١ – أيّها البدرُ الذي يجلــو الدجى
قُلْ لنجمي في الهــوى كم تحترقْ
٢ – انا من جُملة أحــرار الــورى
غير اني في هواكم تحت رِقْ[1]

ابو سعيد الرستمي :

١ – مررنا بأكنافِ الديارِ فأعْشَبَتْ
أباطــحُ من أجفانـنــا ومسـايــلُ .
٢ – وكانت تناجينا الديار صبابــةً
وتبكي كما تبكي عليهــا المنـــازلُ
٣ – فمن واقفٍ في جفنه الدمعُ واقفٌ
ومن سائل في خدّه الدمــع سائلُ[2]

آخـــر :

ألْطف بطرفك ما استطعت ودارِهِ
لا يفضحنّكَ إنْ مــررتَ بــــدارِهِ

[ابو الفضل الميكالي] أو [البستي]

١ – بأبي غزالٌ نام عنْ وَصَبي به
ومُراقِ دمعي بالنّــوى وصَبيبِــه

(١) البيتان لعبدالرحمن بن محمد بن دوست في يتيمة الدهر ٤/٤٢٨ ورواية الثاني : أحرار الهوى .
(٢) الابيات لابي سعيد الرستمي من قصيدة طويلة في يتيمة الدهر ٣/٣٠٧ .

[١٥]

٢ – يا ليته يرثي على وَلَهي به
لغرام قلبي في الهوى وهيبه (١)

آخر : [البستي] أو [الميكالي]

١ – وحياةِ منْ اُصفي هواي لهَ
ما جَنّ إظلامٌ ولاحَ سَنا

٢ – ليس الذي يجزي المحبَّ به
من قتلهِ حِلاً ولا حَسَنا (٢)

آخر : [بكر بن عبدالعزيز النيلي]

١ – اللّه في متيَّم هَجَرْتِه فراقبي
٢ – يكفيك ما لقيته من أثرِ الفراق بي (٣)

علي بن محمد :

رفقاً بصبٍّ له في طرفه طَرقٌ
من دمعه ولَهٌ في قلبه ولَهٌ (٤)

آخر :

(١) البيتان للميكالي في زهر الآداب ٢٧٣ . رواية الاول: للنوى . وهما للبستي في لمح الملح الورقة ٢٦ ورواية الاول : في الهوى وصبيبه وفي اصلنا المخطوط : غزالا ... ومذاق دمعي. وكلاهما خطأ صوبناه عن المراجع المذكورة في التخريج .
(٢) البيتان للميكالي في لمح الملح الورقة ١٣٢ ورواية صدر الثاني : ليس الذي يجزى به كلفا .
وهما للبستي في ديوانه ص ٣١٠ ورواية الاول : حياتي له .
ورواية الثاني : ما كان ما جازى المحب به من قبله .
(٣) البيتان لبكر بن عبدالعزيز النيلي – وقد مرت ترجمته – في يتيمة الدهر ٤/٤٣١ . رواية الاول : عذبته فراقب .
ورواية الثاني : ما ابقيته من ألم الفراق .
(٤) البيت مما أخل به ديوان البستي .

نفسي فــداء غزالٍ كلّه حِيَـــلُ
أرانـــيَ الوصلَ تطميعاً وقـــرّبنـــي

حتى اذا قلتُ في نفسي على ثقـــةٍ
قد صار منّي ، طوى كشحاً وصارمني

آخر : [البستي]

١ – قـــد تفاءلـــت بالأراك فلمـــا
ان رأيتُ الأراك قلـــت أراكِ

٢ – خائفـــاً من صلاحـــه لسواكِ
أن يكون الّذي أراهُ سِـــواكِ [١]

وفي مثل هذه الصيغة : [عبد الرحمن بن محمد النيسابوري]

١ – جعلتُ هديّتـــي لكمُ سِـــواكا
ولم أَقْصد بـــهِ أحـــداً سِـــواكا

٢ – بعثتُ إليك عوداً منْ أراكِ
رجـــاءَ ان أعود وأن أراكـــا [٢]

[ابو الفضل الميكالي]

انكرت من أدمعي نثري ســـواكبها
ســـلي دموعي هل ابكي ســـواكِ بها [٣]

---

(١) البيتان للبستي في ديوانه ص ٢٧٢ . ورواية الاول : قد تمنيت أن أراك ... أراكا
ورواية الثاني : وتخوفت انه اسواك ... سواكا .
وهما دون عزو في لمع الملح ١٠٦ . رواية الاول : ان اراك فلما ... اراكا .
ورواية الثاني : سواكا .

(٢) البيتان للبستي في ديوانه ص ٢٧٢ . وروايةعجز الاول : خلقا سواكا ورواية الثاني : رجاءأن تعود.
وهما لعبد الرحمن بن محمد النيسابوري في اليتيمة ٤/٢٦ ؛ وروايتهما مماثلة لرواية مخطوطتنا .
وهما لعبد الرحمن النيسابوري في لمح الملح الورقة ١٠٦ وروايتهما مماثلة لرواية مخطوطتنا

(٣) البيت لابي الفضل الميكالي في يتيمة الدهر ٤/٣٦٩ ورواية اليتيمة : تترى سواكبها .

[آخر]

ظبيٌ غدا دائرةً وجهُهُ
والفمُ لطفاً نقطة الدائرهْ

والحسنُ شمسٌ هي من وجهه
في فلكٍ طالعةٌ دائره

آخر :

ودّع قلبي اللهوَ مُذْ وَدّعَتْهْ
وفارقتْ عيني الكرى والدّعَهْ

ما أبصرت عينيَ من بعده
حُسناً لشيء والذي أبْدَعَهْ

آخر [البستي]

قولا لمنى قلبيَ اسماعيلا :
أنعِمْ بِنَعَمْ أطَلْتَ إسماعي لا (1)

آخر :

بأبيورد لي هوىً بأبي ورد خدُّه
بزّني الدهرُ وَصْلَهُ وأبتلاني بِصدّه

آخر :

أقسِمُ بالبدر وشمس الضحى
والليل والصبح وما قد دحى

لقد عدى الدهر الذي ساقني
نحوي قداح الحسن مُذْ قدّحا

(1) البيت للبستي في ديوانه ص ٢٧٣ . رواية البيت في الديوان : قل لمنى ... ودع لا سماعي لا .
والبيت له في لمح الملح الورقة ١٥٢ وروايته مماثلة لمخطوطتنا .

آخر : [ابو الفضل الميكالي]

١ – خالسْتُــهُ قُبلةً عــلى ظمأٍ
أرشــفُ ماءَ الحيــاةِ من شَفَتِه

[١٦]

٢ – فارفَضَّ من فَرْطِ خَجْلَةٍ عَرَقاً
فصارَ خدّي بديلَ مَنْشَفَتِــه [1]

آخر : [الميكالي]

١ – صَــدَقَ الحبيــبُ بو صلِــه
فجفــا رقــادي مُــذْ صَدَقْ

٢ – ونثــرتُ لــؤلــؤَ أدْمُــعٍ
أضحــى لــه جفني صَــدَفْ [2]

آخــر :

أودعَ قلبــي غُصَّةً نــاشبَــهْ
لمقلــةٍ ســاحــرةٍ ناشِــبَهْ

– يب –

ما جاء في الطعام والشراب

على بن محمد الكاتب :

١ – عليكَ إذا انجابَ الدُجى بكباب
وعَقّبْــهُ مُرْتاحــاً بكأسِ شــرابِ

---

(١) البيتان للميكالي في لمح الملح الورقة ٣٦ . ورواية عجز الاول : فذقت ماء .
(٢) البيتان للميكالي في اليتيمة ٤/٣٧١ . رواية الاول : اذ صدف .
ورواية الثاني : اضحى لها . والبيتان له في لمح الملح الورقة ٩٨ ورواية الاول : صد الحبيب بوجهه ... إذ صدف . ورواية الثاني : فنثرت ادمع لؤلؤ اضحى كدر في صدف

٢ ـ فما تفتح الاقوامُ بابـاً الى المنى
كباب شـرابٍ أو كباب كبابِ (١)

بعض المحدثين [البستي]
ماذا يقولُ الشيخ في الكرَنْبِ ؟

جوابه : [محمد بن عبدالجبار العتبي]
آخر : أطعمه إن لم يكن كرىً بـي (٢)

يـا حاصداً بمطلـه للوعـد روضاً باقـلا
كم لك من تهويشـة لنـا بمـاء البـاقـلا
حتـى اذا استنجزتهـا ( )(٣) عنّـا باقلا
فصار من قد كان يهـ ـواك به أبا فِـلى

[آخر] : ( )(٤)
أسفٌ أناخ على الفـؤاد كثيـرْ
وعليـكَ طبخ الزيـرباج فانـني
لهـجٌ بأكل الزيربـاجـة زيـرْ

آخـر :
أعدّ لنا ماءَ الاكارع طابـــخٌ
فهل أنت في ماءِ الأكارع كارِعُ

آخـر :
شكوتُ اليـه جوعتي والخـوى بيـا
فكان جفانـاً كالجوابـي جوابيـا

---

(١) البيتان للبستي في لمح الملح الورقة ٢٥ . رواية الثاني : فلن يفتح .
(٢) الشطر الاول للبستي ، وجوابه للعتبي . انظر يتيمة الدهر ٤/٤٠٦ .
(٣) كلمة مبهمة .
(٤) الشطر مبهم لم أوفق لقراءته ولا الى العثور عليه في مصادري .

آخــر :

يــا من تَشَهّى بالعشيّ قَطائفـا
يكســوه من برد العشيّ قطائفـا

فأمرتُ كيما أصلحوهـا غـدوة
فغـدون فـي جامـاتهـنّ لطائفا

وطلبتُـه حـتى يـزبور مساعـداً
فوجدتـه بجنـاب غيـري طائفـا

لأُواخذنّكَ أيـن كنتَ بجُـرمها
وبغُرمهـا ولـو احتللتَ الطائفـا

آخر : [القاضي ابو بكر عبدالله بن محمد البستي] [1]

١ — وتحفـة نَقّلنيهـا غاليـه
ذو همـم في المكرمـات غاليه

٢ — شَبّهتُهـا من بعد ما أهدى لنا
قصاع كافور عليهـا غـاليـه [2]

آخر : [البستي]

١ — لله درُّ عصابـةٍ نادمتهـم
مـن نادموه بأسهم لم يندم

٢ — بزَلَ السقاةُ دنانَهـم فكأنمـا
بزلت لنا عن عندم او عن دم [3]

(١) القاضي ابو بكر عبدالله بن محمد البستي : آدب قضاة نيسابور وأشعرهم لقب بالكامل وله شعر كثير. ترجم له الثعالبي في اليتيمة وكان معاصراً له . انظر ترجمته في اليتيمة ٤/٤٢٤ — ٤٢٥ .

(٢) البيتان له في يتيمة الدهر ٤/٤٢٤ . رواية عجز الاول : عالية
ورواية عجز الثاني : قطاع كافور .

(٣) البيتان للبستي في ديوانه ص ٢٩٢ . رواية الاول :
يا ليلة نادمت فيها عصبة .... بودهم لم ...
والثاني فقط له في لمح الملح الورقة ١٢١ .

علي بن محمد الكاتب :

١ – أوانٍ أنتَ فـي هـذا الأوان
عن الراحِ المُرَوَّقِ فـي الأوانـي ؟

[١٧]

٢ – تعال الى الصواني مُتْرَعات
وأبرز نورَهُنَّ من الصواني

٣ – وفُكَّ إسـارَ لذّاتِ عَـوان
ببِكْرٍ من كؤوسِكَ أو عَوانِ

٤ – فما عيش الفـتى الاّ عنـاءٌ
براحٍ أو غِناءٍ أو غوان (٢)

آخر : [الحاكم ابوسعد بن دوست]

١ – ويومٍ أضْحِيـانِ الكون راحِ
يَحُثُّ على اصطباحٍ واقتـــراحِ

٢ – يقول الـدنّ فيه : ابزلـوني
فقد طابَتْ لطيبِ الوقتِ راحي (٢)

آخـر :

قـمْ هاتِهـا حمـراء تصـبغُ من تَوَرُّدها الكؤوسُ
ذخـر المجـوس [ ] (٣)وحساتها ابـداً مجوسُ .

(١) الابيات للبستي في ديوانه ص ٣٠٦ وفي الديوان بيت خامس هو :
اذا سمح السرور فاي عذر لذي الرأي المسدد في التواني
والابيات الثلاثة الاولى له في يتيمة الدهر ٤/٣٠٩ .
والابيات الثلاثة الاولى له في لمح الملح الورقة ١٣٤ . ورواية عجز الثاني: وابرز بروهن .
ورواية عجز الثالث : ببكر من كرومك .
(٢) البيتان لابن دوست في لمح الملح الورقة ٤٧ . رواية الاول : الوقت راح . ورواية الثاني: يقول لاهله الدن انزلوني .
(٣) كلمة مبهمة .

مثل الحريق توقداً لكنها الماء المسوس
ولذاك تَمْهَدُ بالعقول لانّها نعمَ العروسُ

آخر : [ابو الفتح البستي]

١ — كأنّ فاه اذا ما الكأسُ قبّله
مسمارُ تِبْرٍ جرى في سَمّ ياقوتِ

٢ — عيشي بفيهِ وقُوتي بَرْدُ لذّته
إذا نأى بردُها ناديتُ يا قوتي [1]

آخر :

يا مَقيمي الى القرى عن قعودي
خَفْ قعودي إن رابني خَفْقُ عودِ

[آخر] :

لنا مُغَنّ مجيد يحكي لنا لحن زلزلْ
غناؤه إن تغنّى يقول للهمّ زلْ زلْ

آخر : [ابو الفضل الميكالي]

١ — لنا مُغَنٍ سَمِجٌ وَجْهُهُ أبدَعَ في القُبْحِ أبازيرُه
٢ — رامَ غناءً فأبى صوتُه ورامَ ضرباً فأبى زيرُهُ [2]

---

(١) البيتان للبستي في ديوانه ص ٢٠٦ ورواية الاول :
كأن فاها اذا ما الراح قبلها ورواية الثاني :
قوتي بفيها وعيشي برد ريقتها ... ريقها ناديت ..
والبيتان له في لمح الملح الورقة ٣٥ ورواية الاول :
كأن فاه اذا ما الراح قبله . ورواية الثاني :
فهو المراد وقوتي برد ريقته اذا نأى ساعة ناديت يا قوتي
(٢) البيتان للميكالي في اليتيمة ٤/٣٧٧ . وهما له في لمح الملح الورقة ٧٧ .

آخر :

زارنا شوّال في أحسنِ زيّ وشعارِ
مبدلاً من كان في الصوم تحلّى بوقارِ
فزجاجٌ بزجاجٍ ومنارٌ بمنارِ
فغدا ما كان في القنديل من نورٍ ونارِ
في كؤوس مترعاتٍ مشرقاتٍ كالدراري
وغدا من كان في راحته جامع قاري
عاكفاً في غُرّةِ الفطرِ على جامِ عُقارِ

آخر :

لا مرحباً بِمُغَنٍّ طوى المسرّة عنّا
قال الندامى جميعاً : لمّا تغنّى تعنّى
يا ليته ما تَغَنّى بل ليتَهُ ماتَ عنّا !

[١٨]

– يج –

الفصول الاربعة

علي بن محمد :

١ – وكم رَوْضَةٍ قد غبقنا بها
ضحوك الشقائقِ والاقحوانِ
فلا الآسُ آسٍ بحافاتها
ولا الضيمُ رانٍ الى الضيمرانِ [1]

---

(١) البيتان اخل ديوان البستي بهما . وهما له من قطعة فيلمح الملح الورقة ١٣٤ . ورواية الاول : فكم روضة قد غنينا بها وحول ... ورواية الثاني : ولا الضيمران الى الضيم راني .

آخــر :

يانديمي قُمْ نَطُفْ في الباغِ نســتقري رياضــَهْ
إنّ للمحزون في التطواف أنْســاً ورياضــَهْ

آخــر

لقد طالتْ شهورُ الصيفِ حتّــى
بــرمتُ بحــرٍّ تمــوزٍ وآبِ
ويعجبني الخريفُ وانّ قلبــي
لحرٍّ زمــان آبِ جــدّ آبي

آخر : [محمد بن محمد بن جبير السجزي]

١ – وحديقــةٍ صَبَّحْتُهــا في فِتْيةٍ
كحديقة ، والطّيرُ فــي أوكارِهــا
٢ – كم ناسكٍ فينا وكمْ مُتَعَفِّفٍ
قد صار يمجنُ طائعاً أوكارها [1] !

[البستي] في النارنج[2] :

١ – إن فاتَنا الوردُ زمانــاً فقــد
ناولنــا البســتانُ نــارنجنــا
٢ – يحسبُ جانيهــا وقــد أسرفت
حمرتُهــا في الكــفّ ناراً جــنى

آخــر :

مضى مــصيفٌ وأتــى خريــفُ
وحــلّ خِصْــبٌ وأناخ ريفُ

---

(١) البيتان لمحمد بن محمد بن جبير السجزي في اليتيمة ٤/٣٤٠ ورواية صدر الثاني: كم ماجن . وهما لابي القاسم السجزي في المنزع البديع ص ٤٩٣ . رواية الثاني: كم ما جن ...قد ظل يمجن.

(٢) البيتان للبستي في ديوانه ص ٣٠٧ . ورواية الاول : عوضنا البستان ورواية الثاني :
يحسبه الجاني اذا مابدا   في كفه النارنج ناراً جنى
وهما له في لمح الملح الورقة ٤٤ ورواية الاول : ان عازنا الورد .. عوضنا . بالورد . ورواية الثاني : يحسبه الجاني في كفه   اذا جنى النارنج ناراً جنى

[الحاكم بن دوست]

١ – أرى يوماً عَبوساً قمطريرا
أثارَ البردُ فيهِ الزّمْهريرا

٢ – أراد الكلبُ أن يقضي نباحاً
فقال الزمهريرُ : السزمْ هَريرا [١]

ابن مطران :

١ – وشتاءٍ عتقَ الكلبَ فلا يبدو هَريرُه

٢ – كلّما رامَ نُباحاً زمَّ فاهُ زَمْهَرِيرُه [٢]

– يد –

المداعبات

[ابو الفضل الميكالي]

١ – لنا صديقٌ يجيدُ لَقْماً راحتنا في أذى قفاه

٢ – ما ذاق من كَسْبه ولكن أذى قَفاه أذاقَ فاه [٣]

آخر : [ابو الفضل الميكالي]

١ – يا من دهاهُ شَعْرُهُ وكان غضّاً أمردا

٢ – سيّانِ فاجأ أمرداً في الخدّ شَعْرٌ أم ردى [٤]

آخر : [البستي]

---

(١) البيتان للحاكم بن دوست في لمح الملح الواقة ٧٨ . رواية الثاني : ان يعوي نباحاً .

(٢) البيتان لحسن بن علي المطراني (ابن مطران) في يتيمة الدهر ١٢٠/٤ . رواية الاول : وشتاء محق الكلب فلا يغلو قديره

وهي رواية محرفة . والاجود والاصوب رواية مخطوطتنا .

(٣) البيتان للميكالي في اليتيمة ٣٧٦/٤ . وهما له في معاهد التنصيص ٧٥/٢ . وهما له في زهر الآداب ٦٩٢ .

(٤) البيتان للميكالي في اليتيمة ٣٧٧/٤ وهما له في معاهد التنصيص ٧٥/٢ . ونسب البيتان للبستي=

١ – صُنانك يا بكّارُ فاشٍ فلا ترم
موارَاة فاشٍ في البريّة ذائع

٢ – صُنانٌ إذا ضَمّخْتَ بالمسك مسكَهُ
ترى المِسْكَ فيه ضائعاً غير ضائعِ[1]

آخر : [الظريفي الابيوردي][2]

١ – يكُفّ ليلاً ويفسو على النديِّ نهارا
٢ – يديمُ ذلك حتى يملا بُخارى بُخارا [3]

آخــر :

يا منْ أرى الشَعْرَ أزرى به وأذهبَ نورَهْ
إن لم يكنْ لكَ نوره ألم يكن لك نوره ؟!

[١٩]

آخر : [ابو الفتح البستي أو الميكالي]

١ – لي صاحبٌ إذا رأى مُهَفْهَفاً لاطَفَهُ
٢ – فان يكنْ في دهرنا ذو أُبْنَةٍ لاطَ فهو [4]

– يه –

ما جاء منه في الشيب والكبر

= في لح الملح ٥٢ ورواية الاول: غصنا أمردا .

(١) الثاني فقط للبستي في لح الملح الورقة ٩٠ . والبيتان مما يستدرك على ديوان البستي .

(٢) ابو النصر الظريفي الأبيوردي : كاتب شاعر ظريف . كان يلي اعمال البريد في بلدة ابيورد . ترجم له الثعالبي في اليتيمة واورد نتفا من شعره انظر يتيمة الدهر ٤/١٣٤ – ١٣٥ .

(٣) البيتان للظريفي الابيوردي في اليتيمة ٤/١٣٤ .
رواية الاول : وسط الندي .

(٤) البيتان للبستي في ديوانه ص ٢٦٤ . ورواية الاول : لنا صديق إن رأى وهما للميكالي في لح الملح الورقة ١٤٨ روايتهما كرواية الديوان . وهما للميكالي في معاهد التنصيص ٢/٧٦ روايتهما كرواية ديوان البستي .

ابو احمد بن أبي بكر الكاتب [1] :

١ ـ وَهَتْ عَزَماتُكَ عند المشيب
وما كانَ مِنْ شـأنهـا أنْ تَهي

٢ ـ نهتك النهى دونهـا فانتهيت
كرهـاً وان قلـت لا انتهي

٣ ـ وانكرتَ نفسَكَ عند المشيب
فلا هيَ أنْتَ ولا انتَ هي [2]

ابن مطران :

١ ـ دَعْني فـانَّ غريمَ العقلِ لازَمني
هـذا زمانُكَ ـ فافرح فيه ـ لا زمني

(١) أبو احمد بن أبي بكر الكاتب : ابوه ابو بكر بن حامد كان كاتب الامير اسماعيل بن احمد ووزير الامير احمد بن اسماعيل . كان ربيب نعمة مع التبريز في الشعر والكتابة وبسبب اهاجيه لوزراء زمانه هجر بخارى واقام ببغداد ، ثم حن لوطنه وعاد الى بخاري فاعرض عنه الامير والوزير . فال الى حياة العزف والقصف فبذر ماله ورقت حاشيته ثم انتهى امره الى ان شرب السم فمات . ترجم له الثعالبي انظر اليتيمة ٤/٦٤ ـ ٦٩ .

(٢) في اليتيمة (٤/٨٤ ـ ٨٥) الابيات الاول والثالث وآخر لا وجود له في مخطوطتنا ونصه :

فإن ذكرت شـهوات النفوس فـما تشتهي غير أن تشتهي

رواية الاول : من حقها أن تهي

وقد وردت هذه الابيات في ترجمة ابي بكر محمد بن عثمان النيسابوري الخازن وسبقها قول الثعالبي : « ومما وجدته بخطه ، ولست اذكر أكتبه لنفسه أم لغيره من كتاب عصره لغيبة ذاك الجزء عني ، هذه الابيات » .

وهذ الكلام يضعف الاعتقاد بنسبة الابيات لمحمد بن عثمان المذكور فاليتيمة اذاً لا تنسب الابيات بشكل قاطع .

ويأتي الحظيري في لمح الملح لينسب الابيات للبستي في الورقة ١٤٨ : رواية الاول : عزماتك لما كبرت . ورواية الثاني : ولكن نهتك النهى فنتهيت كريماً وان قلت لا انتهي

ولكن الثعالبي ينسب الابيات في مخطوطة « الأنيس » لابي احمد بن أبي بكر والله اعلم .

٢ – مضى الشبابُ بما أحببتُ من منَحٍ
جاء المشيبُ بما ابغضتُ من محـــن

٣ – فما كَرهتُ ثَوى منّي وعَنَّفَني
وما حَرِصتُ عليه حين عَنَّ فَنِي (١)

آخر : [الحسن بن علي المطراني]

١ – كأنَّ الغوانيّ رُمْدُ العيــونِ
يُطالِعنَ من شــيب فَوْدَيَّ نُورا

٢ – إذا هُنَّ قابَلْنَ نور المشيبِ
اعرضن عن ذلك النــور نَــورا

٣ – وإن هُنَّ واجَهْـــنَ زورَ الخضا
ب أعْرَضْنَ عن ذلك الزوْر زورا (٢)

الصاحب :

١ – وحلَّ الشيبُ زوراً لــم أُرِدْه
ولكن لا أُطيــق لـــه مَـــرَدّا

٢ – رداءٌ للــردى فيـــه دليــلٌ
تَـــرَدّى من بـــه يوماً تـــردّى (٣)

(١) الابيات للبستي في ديوانه ص ٣٠٩ .
رواية الاول : فامرح فيه .
رواية الثاني : ولى الشباب ... والشيب وافى
ورواية الثالث : ثوى عندي .

(٢) الابيات للحسن بن علي المطراني من قصيدة في يتيمة الدهر ١١٦/٤ ورواية الثاني: أدرن على ذلك النور نوراً .

(٣) البيتان للصاحب بن عباد فييتيمة الدهر ٢٨٢/٣ . رواية الاول : أناخ الشيب ضيفاً لم أرده . وهما له في معاهد التنصيص ١٦١/٢ وروايتهما مماثلة لليتيمة ولحقهما تحريف. (أرده) اصبحت (اوده) . وهما له في ديوانه ص ٢١٢ برواية اليتيمة .

آخــر :

١ – مــا للّيــالي رَمَتْني بِسَهْمِهــا في القَذانِ

٢ – صفت مشــارع لهوى فسقيهــا بالقــذى لــي

[مثل هذه الصيغة : [ابو الفتح البستي]

١ – بدا لــي في الصِّبا لمّــا بدا لي

نهارُ الشيبِ في ليــــلِ القَــذانِ

٢ – كأنّ الدهر شِربٌ كان صفواً

فكدّرهــا الليالي بالقَذى نــي [1]

علي بن محمد الكاتب :

١ – أنِسْتُ بأيّامِ الشبابِ وظِلِّها

وآنَسْتُ دَهْــراً في جِوارِ الحَوَاريا

٢ – فلمّا رأيتُ الشيبَ يبسمُ ضاحكاً

بكيت وابكيت الغيرم الجواريا

٣ – فظنَّ رياءً بالدمــوع سَفَحْتُها

وما بدموعٍ أُدميــت بالجــوى ريا

٤ – وقلتُ غَدا زَنْدى بِشيبي كابياً

وكنت أراهُ يقدحُ الثلــجَ واريا [2]

– يو –

ماجاء منه في المراثي

ابو سعيد الرستمي [3] :

(١) البيتان للبستي في الظرائف ص ٨١ . رواية الثاني فيه : كأن الشعر ... فشابته الليالي .

(٢) الابيات للبستي في ديوانه ص ٣١٦ . رواية الثاني: فاخجلت العيون الجواريا ورواية الثالث :
وما بدموع قد مراها الجوى ريــا .
والبيتان الاول والثاني في لمح الملح الورقة ١٥٥ ورواية عجز الاول : وآنست دهري في جواري الجواريا.

(٣) نسب البيتان هنا لابي سعيد الرستمي . وقد نسبهما الثعالبي في اليتيمة ٢٩٠/٣ لأبي العباس العلوي الهمذاني .

١ – ماتَ المُوالي والمُحِبُّ (م) لأهلِ بيتِ أبي تُرابِ
٢ – قد كانَ كالجبلِ المنيعِ (م) لهمْ فصارَ مع الترابِ [1]

[٢٠]

آخر : [ابو سعيد الرستمي]

١ – أَبَعْدَ ابنَ عبّادٍ يهزّ الى العُلى
أخو أملٍ أو يُستماح جوادُ ؟
٢ – أبى اللهُ إلاّ أن يموتا بموتِـه
فما لهمـا حتى المعاد مَعادُ [2]

علي بن محمد ، فيه :

مضى وما خلّفَ مثلاً لـه
والناس [عمّا] غـاله قد لهوا [3]

آخـر :

سَقى غَمامٌ مـن الوسميِّ قبرَ أخٍ
أصفـى المـودةَ مـا صافيته ورعى
استرحمُ اللهَ شخصاً ما ذكرتُ له
الا الحفاظَ وإلاّ الزهـدَ والورعـا

في أبي بكر بن حامد : [ابو الفضل الميكالي]

١ – يا بؤس للدهـر أيُّ خَطْبٍ
دهى به الناسَ في آبن حامد
٢ – قـد استوى النـاس مذ تـولّى
فمـا يـرى مـوقـف بحامـدْ

(١) البيتان في يتيمة الدهر ٣/٢٩٠ وقد صدرهما الثعالبي بقوله : « وانشدني ابوالعباس العلوي الهمذاني الوصي لنفسه في مرثية الصاحب » .
(٢) البيتان لأبي سعيدالرستمي في اليتيمة ٣/٢٨٤ . رواية الاول : أبعد ابن عباس يهش الى السرى.
(٣) البيت أخل به ديوان البستي .